الإندماج الاتصالي في الإعلام الجديد

INTEGRATION COMMUNICATION IN NEW MEDIA

د. مؤيد السعدي

الإندماج الاتصالي في الإعلام الجديد
د. مؤيد السعدي

الإندماج الاتصالي في الإعلام الجديد

INTEGRATION OF COMMUNICATION IN NEW MEDIA

د. مؤيد السعدي

Dr. Muayad alsaady

الناشر



2019

الإندماج الاتصالي

في الإعلام الجديد

INTEGRATION OF COMMUNICATION IN NEW MEDIA



المؤلف: د. مؤيد السعدي
عنوان الكتاب: الاندماج الاتصالي في الاعلام الجديد
INTEGRATION OF COMMUNICATION IN NEW MEDIA

ردمـــــــك: 3- 14-691-9931-978
الإيداع القانوني : السداسي الأول 2019
الطبعة الأولى: جانفي 2019

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الطبعة الأولى

2019

الناشر
ألفا للوثائق
نشر- استيراد وتوزيع كتب
36**. مكرر نهج سايغي أحمد س م ك قسنطينة الجزائر**
الهاتف: 33 7333 21331+
الفاكس: 94 7337 21331+
النقال: 213770906434+
البريد الإلكتروني: alphadocumentation@hotmail.com

المحتويات



الفكر الاتصالي ونقد النظرية الاتصالية

مقدمة

شهد مجال الاتصالات تطوراً سريعاً تمثل في ظهور وسائل وتقنيات فتحت الباب واسعاً لحرية تبادل المعلومات التي أفاد منها حقل الإعلام بشكل استطاع ان ينتقل به إلى مديات كبيرة في فهم الجمهور للعالم الذي يحيط بهم، ولعل الإنترنت هو الحقل الاتصالي الأهم منحقول الاتصال الأخرى.

فالانترنت سمح بتدفق كبيروحر للمعلومات التي تخص حقولاً مختلفة من العلم والمعرفة وقسم كبير منها استطاع أن يخرج من نطاق المعرفة إلى نطاق التطبيق المعرفي، أي استخدام شبكة الانترنت في التحكم بالمسارات العلمية التي كان الإنسان يديرها ويشرف بشكل مباشر عليها أصبح بالامكان الاستعاضة بالإنترنت لإدارتها وبشكل دقيق وغير مكلف.

إن شبكة الإنترنت تمتاز وبخلاف غيرها من وسائل الاتصال التقليدية بأنها تمتلك المرونة في محاكات المستخدم، بل وتسمح له بتطويرها، ولعل السبب الذي يكمن في تفوق الإنترنت على غيره من وسائل الاتصال التقليدية،هو الإمكانية على التغيير والانتقال من مرحلة إلى اخرى في مدة قصيرة، بمعنى أن الإنترنت استطاع أن ينتقل من الاستخدام إلى تطوير الاستخدام ومن ثمَّ تطوير الوسيلة والابتكار إذ إن مبتكرات الإنترنت هي نتاج منطقي لتفاعل المستخدم مع الشبكة،فضلا عن استثمار الإنترنتللمقترحات والافكار كلها وعدم تجاهلهاوإن كانت بسيطة، ومثال ذلك مواقع التواصل الاجتماعي والتي في حقيقتها تمثل أنفعالات شخصية في أغلب الاحيان لغرض الترفيه في بداية نشأتها،ثم تحولت إلى منظومة لتطوير العلاقات الاجتماعية، هذا السبب هو الذي سمح بانتشارها، فعدم التكلف والسماح بتمثيل متساوٍ وعادل للفئات الاجتماعية المتنوعة، مستفيدة من المجال العام الذي اختزل محددات المكان والزمان لأنه فضاء واسع للمشاركة والتدوين فكان شكلاً جديداً للاتصال ومن ثمَّ هو نافذة جديدة للإعلام لا تشبه ما سبقها.

لكـن هـذا التطـور الـذي احدثـه الإنترنـت في مجـالي الاتصـال والعلاقـات الاجتماعية، لم يجـد في المقابـل حقـلاً فلسـفياً ومنطقـاً نظريـاً يسـمح بأعطـاء اجابـات للاستفسارات والاسئلة التي تواجه الباحثين، وقد لجأ الكثير من الدارسـين في مجـالات الاتصال والإعلام إلى نظريات الاتصـال السـائدة مثـل نظريـة تـدفق المعلومـات علـى مرحلتين، وترتيب الاولويات، والاسـتخدامات والاشـباعات ونظريـة الاعتمـاد علـى وسائل الإعلام وغيرها. والتي كانت جميعهـا نظريـات واقعيـة تفيـد تفسـيرات مقبولـة لمجالات الاتصال الاكثر استقراراً، بمعنى انها وضعت لتفسـير منطقـي لوسـائل اتصـال معينة.

وكان التصـور ان هـذا التفسـير والتحليـل العلمـي مقبـولين حتـى لـو تغـيرت المجتمعات على أساس أن النظريات كلها تتعامل وفـق مسـار عمليـة الاتصـال الثابـت نسبياً،بمعنى إن ما يرسله المرسل للمستقبل من مضمون اتصالي بالاعتماد على وسـيلة اتصال معينة ينتجتفاعلات اجتماعيةوالتي فسرها علم الاجتماع منطلقـاً مـن مفاهيمـه الخاصة، فالتحليل العلمي يصور ان البناء الاتصالي قائم علـى مـتغيرات مسـتقلة غـير قابلة للتفاعل مع ذاتها لتشكل طاقة تسمح لها بالاندماج مع غيرها،أي ان كـل عنصـر في عملية الاتصال هو متغير مستقل عن المتغير الاخر يؤثر ويتأثر لكنه يحـتفظ بخواصـه وسماتهلأنه اتصال خطي أو دائري، وكان التحليل للاتصال ضمن تصـور قـائم علـى أنالزمان والمكان يتبعان الاتصال من حيث مكان الاتصال وزمان الاتصال وكان يعتقد أن هناك زمناً واحداً للاتصال ومكاناً واحداً للاتصـال يـرتبط بمكـان وزمـان كـل مـن المرسل والمستقبل،أي وحدة الزمان والمكان لعملية الاتصال، وهـذا هـو السـبب الـذي يجعل من الاتصال مستقراً يمكن تحليله بالاعتماد على مسارات ثابتة لحد ما.

إن نظريات الاتصال تقسم في حقيقة الامر إلى نظريات الاتصال من منظور علم النفس ونظريات الاتصال من منظور علم الاجتماع، والقليل من البـاحثين أهـتم ببنـاء نظري اللاتصال من منظور إعلامي تواصلي، وهذا البحـث يسـلط الضـوء علـى هـذا المجال.

كان يعتقد ضمنمجال الاتصال، ان خصوصية كل عنصر من عناصر الاتصال هي التي تحدد شكل الاتصال، لكن لم يشرح السبب لتغيير مسار الاتصال من الخطي الى الدائري خارج نظريات علم الاجتماع، على اساس أن التغيير في البيئة الاتصالية التي تحدث بفعل العامل السياسي والاقتصادي تؤثر على العامل الاجتماعي إذ تفرض عليه نوع المسار الاتصالي، وعليه فإن النظرية الاجتماعية تفرض نفسها على التحليل العلمي من منطلق أن العلاقات الانسانية هي علاقات اجتماعية تخضع للنظرية الاجتماعية،لذلك كان من الضروري ايجاد نظرية اتصالية تعتمد المفهوم الميديولوجي– علم الإعلام العام– عن طريق دراسة الاتصال كظاهرة ذات أبعاد متعددة، فالعديد من مؤسسي علوم الإعلام والاتصال كلاسويل وبارك وبرلسون، انتموا إلى منظور سوسيولوجية الإعلام على الرغم من أنها تعد أرضية الاختصاص وأن الكثير من هؤلاء المؤسسين والمنظرين قد تأثروا بطريقة أو أخرى بالمدرسة الوظيفية للازرسفيلد ومرتن، أو النقدية كشيلر وأدورنو... الخ،لذلك فإن فهم المرجعية النظرية الاجتماعية الغربية الحديثة عن طريق دراستها من الداخل تجعلفهم ظاهرة الاتصال واستيعابها بتجلياتهاالمختلفة ممكناً.

ويحاول البحث تحليل بعض نظريات الاتصال التي تستخدم دراسات الإعلام عبّر الإنترنت، والتوصل إلى نموذج لتفسير العملية الاتصالية عن طريق الإندماج الاتصالي في الإعلام الجديد عبّر خمسة فصول :

- الفصل الاول : المسارات المنهجية.
- أما الفصل الثاني، فيتناول الاندماج الاتصالي وقد تضمن:
- المبحث الاول : مفهوم الاندماج الاتصالي.
- المبحث الثاني : الاندماج الاتصالي على وفق المنظورالإعلامي.
- المبحث الثالث : الاندماج الاتصالي ونظريات الاتصال المعاصرة.
- وتناول الفصل الثالث، المجال العام في الإندماج الإتصالي، وتضمن :
- المبحث الأول: المجال العام في نظريات الاتصال.
- المبحث الثاني : مفهوما السرعة والزمن في عملية الاندماج الاتصالي.

- المبحث الثالث : الاتصال في مواقع التواصل الاجتماعي.
- وتناول الفصل الرابع، الإعلام بين الفكر الاتصالي ونقد النظرية الاتصالية
- كما تناول نموذج الاندماج الاتصالي وقد تضمن :
- المبحث الأول:مفهوم نموذج الاندماج الاتصالي
- المبحث الثاني: أسباب بناء نموذج للاندماج الاتصالي
- المبحث الثالث: نموذج الاندماج الاتصالي

وخرج البحث بمجموعة من النتائج والاستنتاجات متمثلة ببناء نموذج الإندماج الاتصالي، والباحث أعتمد في البحث على المصادر العلمية العربية والاجنبية في مجالات مختلفة، كما أعتمد الباحث على البحوث العلمية، في دولتي أمريكا والمالنيا اللتان زارهما الباحث للإفادة مما توصلوا له في مجال الاتصالات الاجتماعية، في جامعة هيوستن وجامعة برلين الحرة.

الفصل الأول

المســـارات المنـــهجية

الفصل الأول

المســـارات المنـــهجية

أولا : منطلقات البحث

يشكل الاتصال جوهر الإعلام،فالعلاقات الاجتماعية تعتمد بشكل كـبير علـى شكل العملية الاتصالية وطبيعتها، والتي يترتـب عليهـا ظهـور مجتمعـات جديـدة ذات سمات مختلفة، لذلك فإن التغير في طبيعة الاتصال يصاحبه تغير في المجتمع، وكلما كان الاتصال أكثر ديمقراطية وحرية ليصبح المجتمع انعكاساً لـه، وقـد سـعى الفـرد ضـمن مراحل التاريخ لتطوير الاتصال بما ينسجم وطموحاته، فكل مرحلة تاريخية تمتازبطبيعة اتصاليبعكس طبيعة العلاقات الاجتماعية بين افراد المجتمع،لأنّ عملية الاتصال تعتمـد في إحدى جوانبها المهمة على العامل التقني، الذي يحدد طبيعة عملها فإن التقنيـة تـؤثر على شكل الاتصال ومن ثـم علـى طبيعـة العلاقـات الاجتماعيـة، إذ اقترنـت التقنيـة بالجمهور.

إن النظرية الاتصالية هي القاعـدة العلميـة لعلـوم الاتصـال الإنسـاني جميعهـا، لذلك فإن تطوير النظريـة وإعـادة تشـكيلها بمـا ينسـجم مـع مـتغيرات العصـر، مهـم وضروري في إيجـاد تفسـيرات للظـواهر الاتصـالية الكـثيرة الـتي تواجـه المجتمـع، وإن التراث العلمي لنظريات الاتصـال السـائدة، أصـبح بحاجـة إلى تطـوير بالشـكل الـذي ينسجم مع التقنية التي تتطور بشكل سريع جدا فقـد أصـبحت الابتكـارات الـتي تمثـل ظواهر في المجتمع كثيرة والتفسيرات لها تعتمد علـى نمـاذج اجتماعيـة أو نفسـية كانـت تستخدم في تحليل وسائل الاتصال التقليدية.

لذلك ينطلق البحث من تساؤل رئيس :

هل أن نظريات الاتصال السائدة تستطيع تفسير ظواهر الاتصال الجديدة ومنها الاندماج الاتصالي ؟ولذا تبرز تساؤلات فرعية من مشكلة البحث يمكن ايجازها بما يأتي :

- ماهو مفهوم الاندماج الاتصالي في الإعلام الجديد؟
- هل احدثت تقنيات الاتصال الحديثة اندماج عناصر العملية الاتصالية في الإعلام الجديد؟
- كيف يحصل الاندماج الاتصالي في الإعلام الجديد؟
- ما علاقة الاندماج الاتصالي في الإعلام الجديد بالزمان والمكان ضمن المجال العام؟
- هل سرعة العنصر الاتصالي تؤثر في عملية الاندماج الاتصالي في الإعلام الجديد؟
- ما أهم الانتقادات الموجه إلى نظريات الاتصال السائدة عند تطبيقها في دراسة الإعلام الجديد ؟
- هل تعطي نظريات الاتصال السائدة تفسيرات مقبولة لمتغيرات الإعلام الجديد؟
- هل بالامكان إيجاد نموذج جديد للاتصالعلى وفق منظور الاندماج الاتصالي يفسر الاتصال الشبكي ؟

ثانياً : هل هناك حاجة لنظرية في الإعلام الجديد ؟

إن الإعلام الجديد يمثل ظاهرة مهمة في مجالي الإتصال والإعلام من الجانب التقني والاجتماعي،فقد ظهرت وسائل جديدة في الإنترنت تعتمد المجال العام مبدءاً لها في الحوار والمشاركة مثل مواقع التواصل الاجتماعي التي تمثل منطلقاً جديداً لمفاهيم حديثة، في مجال الإعلام القائم على سهولة نقل المعلومات وتبادلها وحرية النشر، والسرعة،واندماج محددات الزمان والمكان،أبعاداً لعملية الاتصال إلى بعد الفضاء

الشبكي ذي البعد الواحد، والقائم على عقلية المستخدم في التفكير الابداعي، والخروج عن قواعد التحرير والنشر التي عدها البعض، تجاوزاً للعمل المهني في المجال الصحفي، عن طريق النقد المباشر لصحافة المواطن وللإعلام الجديد لأنه وسيلة إعلامية جديدة وليس ظاهرة إعلامية تكاد تسيطر على المشهد الإعلامي بشكل كبير.

إن نظريات الاتصال السائدة التي كانت تُعتمد أساساً علمياً يقوم عليها العمل الميداني في الدراسات الإعلامية، تحتاج إلى إعادة نظر عند تطبيقها في الإعلام الجديد، لأنها في الأساس قامت على فروض لوسائل اتصال أصبحت تقليدية في عصر الإنترنت، ليس على صعيد الاستخدام فقط بل على صعيد المجتمع الذي لم تعد تبهره هذه التقنية التقليدية وتوجهه إلى مجال الإنترنت ومايتضمنه من متغيرات سريعة وجديدة.

من هنا تكمن أهمية البحث في أنه :

1- تسلط الضوء على دور التقنيةممّاانتجته تكنولوجيا الانترنت من مواقع التواصل الاجتماعي،ومدى تأثيرها على انتاج شكل جديد من الإعلام. قائم على الاتصال الشبكي.

فالاندماج الاتصالي بين عناصر العملية الاتصالية، هو محور هذا البحث لايجاد فهم معمق للكيفية التي تتم فيها العملية الاتصالية على وفق منظور اندماج عناصر العملية الاتصالية، وما سوف تقدمه هذه التحليلات من منافذ جديدة لدراسات الاتصال على صعيد الجانب التقني في مجال الإعلام الجديد بكل ما يضمه من مواقع للتواصل الاجتماعي.

2- تزامن ظهور الإعلام الجديد وانتشاره مع ظهور الفضاء الافتراضي، الذي يمثل المجال العام للحوار والمشاركة، فمن المهم دراسة العلاقة بين الإندماج الاتصالي وبين هذا الفضاء،ومعرفة زيادة انتشار العلاقات الاجتماعية عبّر مواقع التواصل الاجتماعي، وكيف يساعد الاندماج الاتصالي في الإعلام الجديد في ظهور الإنسان ذي البعد الواحد. إن ايجاد فهم جديد لجيل

الإنترنت يوفر فرصاً كبيرة لفهم العلاقات الاجتماعية بشكل عام، هذا اذا ما عرفنا إن مستخدمي الإنترنت بتزايد مستمر، فأغلب مستخدمي الانترنت لديهم صفحات خاصة في مواقع التواصل الاجتماعي التي أصبحت تمثل منافذ جديدة للحوار والنشر،إذ إن الإعلام التقليدي أصبح يحاكي الإعلام الجديد في كثير من أدواته.

3- تكمن أهمية البحث في تحليلنظريات الاتصال المستخدمة في بحوث ودراسات الإعلام عبّر الإنترنت، ومدى قصور النظرية في التطبيق اذا ما قورنت بحجم التطور الهائل والسريع في تقنيات الاتصال والمعلومات. إذ يكشف البحث حجم الفجوة بين النظرية والتطبيق.

4- بناء نموذج يفسر العلاقات الاتصالية بين عناصر العملية الاتصالية في الإعلام الجديد، ذات أهمية كبيرة فيالتأسيس لبناء نظري جديد يعتمد المجال العام والاندماج بين عناصر العملية الاتصالية، إذ تمارس السرعة الدور الكبير في تحديد الزمن وتقسيماته.

يرمي البحث إلى معرفة الكيفية التي تجري فيها العملية الاتصالية في الإعلام الجديد عن طريق إندماج عناصر العملية الاتصالية وفق مبدأ التسارع في حركة كل عنصر من عناصر الاتصال بما يسمح بحصول الاندماج، لذلك فالهدف الاساس هو تحليل العملية الاتصالية في الإعلام الجديد على وفق مفهوم الاندماج الاتصالي، الذي بدوره سوف يكشف الفجوة الواسعة بين نظريات الاتصال التي تستخدم في الدراسات الإعلامية.

إن السعي لإيجاد مفاهيم علمية جديدة في مجال الإعلام الجديد، يساعد على تفسيرات أكثر مقبولية، إذ إن نظريات الاتصال السائدة تعتمد بشكل أو بأخر على أفكار عصرها وتقنياته التي كانت مقبولة، ولأن قسماً قليلاً من هذه النظريات أستطاع أن يصمد أمام التطور الكبير في المجال التقني للاتصال، فإنه لن يستطيع البقاء دون تطوير، فقد تم تطوير قسم كبير من نظريات الاتصال لكي تنسجم والنظرة الاجتماعية

والنفسية التي تنبع منها، لكنها لم تستطع أن تقدم تفسيرات مقبولة عن الكيفية التي يتم بها تبادل الادوار بين العناصر الاتصالية،فقد أنتجت تقنية الاتصال الحديث أشكال جديدة من الحوار والمشاركة ضمن الفضاء العام وظهرت مفاهيم جديدة في الاتصال تحتاج لبحث وتحليل تلك المفاهيم على وفق الطبيعة الجديد للعملية الاتصالية.

إن بناء نموذج هو واحد من أهداف البحثلأنه يمثل القاعدة التحليلية لقسم من الاتساؤلات، ولأن النموذج ذا علاقة بالنظرية بشكل جوهري، فإن تحليل النظرية الاتصالية يساعد في بناء تصورات جديدة لنموذج اتصالي يتناسب وطبيعة العملية الاتصالية في عصر الإنترنت، وينسجم مع مفاهيم الإعلام الجديد، كالفضاء الافتراضي،والمجال العام،والمشاركة، والحوار، والاندماج الاتصالي، وغيرها من المفاهيم الأخرى، يعد أمراً ضروريا يرمي البحث إلى الوصول لها.

ثالثاً :مفاهيم أساسية في الإعلام الجديد

يضم البحث عدداً كبيراً من المفاهيم التي تحتاج الى تعريف. نستعرض عدداً منها والعدد الاخر يترك ضمن متن البحث أو ضمن الهوامش، وقد ركزت على تعريف المصطلحات والمفاهيم الاكثر استعمالا في البحثوالتي لها علاقة مباشرة بها، ولأن بعض هذه المفاهيم يستعمل للمرة الاولى فقد اعتمد الباحث على الاستنتاجات العلمية المقترنة بالبحث للوصول الى تعريفات مناسبة لها، كما أن تعريف المفهوم في البحوث الانسانية يكاد يكون غير مستقر فهو دائم التغيير لأن أغلب الظواهر الاتصالية ذات علاقة بالانسان الذي هو بدوره ذي تغيرات مستمرة تبعاً للمحيط والظروف الاجتماعية المحيطه به وفيما يأتي بعض هذه التعريفات :

1- الإعلام الجديد :

مع تطور مجال الإعلام وأزدهار الاتصال الشبكي مع ظهور(الانترنت)، تغير الأمر كما قالالباحث الفرنسي في مجال الإعلام ديبور" فعدد الذين يتصلون بوسائل الإعلام، على نحو فائق الفردية في تزايد مستمر، وفقاً لذوقهم، لأمزجتهم وزمنيتهم

(وقت الذروة هو وقتي) " ([1]).إن عصر الاتصال الهرمي القائم على نموذج الاتصال بإتجاه واحد، الذي كان يعتمد في وسائل الإعلام التقليدية لم يعد يستخدم في عصر الإنترنت،فقد أصبح كل فرد في المجتمع له القدرة على أن يكون مستخدماً فاعلاً ونشطاً ومتفرداً في المجتمع بفضل الإنترنت، فالمتفرد لا يعني الاحتجاز، لكنه يعني التميز إذ أصبح مفهوم الشهرة في متناول كل فرد في المجتمع، فشبكة الإنترنت تسمح بالاتصال بشاشاتأخرى والربط الفوري بالمستخدمين المتصلين بهذه الوسيلة الإعلامية كلهم، التي تمتاز بالمرونة والفضاء المفتوح للحوار وتبادل المعلومات والمشاركة بالافكار والاراء،إذ يتم توزيع ونشر كماً كبيراً من المعلومات خارج محترفي وسائل الإعلام وسلطة رأس المال التي تحتكر السوق الإعلامية وتفرض نسقاً وايديولوجة تتبناها، كانت تمثل ثقلاً كبيراً على المتلقي.أصبح الإعلام الجديد يمثل الفضاء الديمقراطي الذي يتيح للجميع الحصول على المعلومات إلى مالانهاية، واتخاذ رد فعل لاحقاً والحديث بحرية،بعدّة أداة تسهم في تجديد العلاقات الإنسانية وتعميقها، واستعادة سلطة المجتمع المدني، وجعل المواطنين أكثر انفتاحاً، وأكثر انتقاداً. لذلك فإن الإعلام الجديد شكل(عقلاً جمعياً) بعيداً عن العقل الفردي المؤسسي المنغلق على أفكاره التي يغذيها رأس المال وفكر السلطة، إن الفكرة التي يقوم عليها الإعلام الجديد، هي أعطاء حرية النشر لكل مستخدم للشبكة، وهذا سوف يسمحبتفريغ الشحنات السلبيةالتي تتراكم عند الفرد بفعل التوتر والقلق وغيرها من المشاكل التي تصاحب كل تطور تكنولوجي.
إن القاعدة الاساس التي يعتمدها مفهوم الإعلام الجديد هي استثمار التكنولوجيا بالشكل الذي يوفر مجالاتللمشاركة لكل فرد في المجتمع، وهذا لا يحدث إلا أذا أصبحت عناصر الاتصال تمتلك المرونة والسرعة الكافية ليس لتبادل الادوار فحسب بل للاندماج مع بعضها بشكل يصعب التمييز بينها؛ وبذلك يتم اختزال عناصر مثل الزمن والسرعة التي تعتمد عليها سعة انتشار المعلومات وتداولها، فيصبح من الممكن

([1]) جيل ليبوفيتسكى ، جان سيرو ، شاشة العالم ثقافة وسائل إعلام وسينما في عصر الحداثة الفائقة ، ترجمة راوية صادق ، (القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، 2012) ، ص 275.

عبور مسافات كبيرة في لحظات، وعندها ينشأ مجال عام يمثل البيئة التواصلية الجديدة. وهناك العديد من تعريفات الإعلام الجديد، فمنهم من عرفه على وفق منظور تكنولوجي ومنهم من عرفه من منظور اجتماعي، والبعض الاخر عدّه نوعاً مختلفاً عن أشكال الإعلام التقليدية كلها لكن الذي أجده مناسباً للدراسة هو تعريف الإعلام على وفق منظور تواصلي قائم على المجال العام.

لذلك يرى الباحث أن الإعلام الجديد هو : **مجال عام يستخدم تطبيقات متعددة عبّر الإنترنت لا تحكمه عوامل السلطة، ومجال اجتماعي للحوار والتبادل الثقافي بين المجتمعات، ومجال تندمج فيه عناصر العملية الاتصالية وتعتمد شدة الاندماج على عنصري السرعة والزمن،وهو أيضاً مجال عام قادر على إحداث التغيير في المجتمعات عبّر المشاركة، ومجال عام يسمح للمستخدم بأدارة مزاجه على وفق مايريده وليس وفق ماتريده الوسيلة الإعلامية.**

2- الاعلام التقليدي:

من الضروري تعريف الإعلام التقليدي، والسبب يعود إلى ظهور مفهوم جديد هو الإعلام الجديد، ولكي يمكن فهم مفهوم الإعلام الجديد بشكل اكثر وضوحاً، يصبح من الضروري تعريف الإعلام التقليدي.إذ لم يكن هذا المفهوم مستخدماًإلى وقت قريب، لكن ظهوره تزامن مع ظهور الإنترنت وتطور مواقع التواصل الاجتماعي، التي قدمت نفسها منافس اًلأدوات الإعلام السائدة جميعها، لذلك فلإعلام التقليدي، لايقصد به وسائل الاتصال التقليدية، التي كانت موجودة قبل ظهور الإنترنت – التلفزيون والمذياع والسينما واستوديوهات الموسيقى والصحف والمجلات والكتب ومعظم المنشورات المطبوعة- فقط. بمعنى مدى تطور الوسيلة او قدمها وإن كان جزءاً من المفهوم لكنه لا يمثله بالمجمل،إذ إن الزمن كفيل بتحويل الوسائل الاتصالية من شكل إلى أخر، والعقلية البشرية تحتفل بالجديد دائماً وتتجاهل ما كانت تستعمله، بعبارة أخرى إن الجديد والتقليدي هو العقل الانسانيالنسبي التكوين فليس، هناك تطابقاً بين عقل وأخر، وما يحكم التباين والاختلاف مستوى

الفهم والقدرة على تقبل الجديد والحديث في التقنية، لذلك فإن عدَّ التقليدي والنمطي هو ما اعتاد الإنسان على استخدامه فهو لا يشكل له الجديد بقدر ما هو شيء طبيعي تعود عليه وقسم كبير من وسائل الإعلام أصبح جزءاً من حياته وتكوينه، أما من جانب تقني فإن الزمن هو الفاعل في تحديد مفهومي التقليدي والجديد، فكل منتج إعلامي يخرج الفرد من النمطية إلى الابداع هو جديد، شبكة الإنترنت استطاعت أن تخرج من الجديد إلى المتجدد، أي ديمومة تطوير التقنية وتحديثها بشكل مستمر وسريع وفي كثير من الأحيان يصعب على الفرد مواكبتها والإطلاع على كل جديدها، في الوقت الذي حافظت الصحف والتلفاز والمذياع على مستوى من الثبات النسبي فيما تقدمه، وادوات التقديم والتحديث يحتاج فيها إلى وقت طويل للدراسة وتدريب العاملين عليه، قبل تقديمه للجمهور، لذلك يجد الباحث أنالإعلام التقليدي هو:**المعلومات التي تقدم إلى الناس بشكل نمطي عبر وسائل أتصال محددة – صحف، أو مذياع، أو تلفاز– وتمتاز بالاستقرار، ونفوذ رأس المال فيما يقدم للجمهور، ويرمي بشكل أساس إلى بناء منظومة أجتماعية مخطط لها مسبقا من السلطة، وتمثل التكنولوجيا عائقاً رئيساً في تطورها بسبب محدودية مجالها.**

3- الاندماج الاتصالي :

العملية الاتصالية تتكون من مجموعة من العناصر الرئيسة بوجودهام جتمعة يحدث الاتصال، وهناك أشكال ونماذج مختلفة من الاتصال جميعها تتمحور حول أنالاتصال عملية تفاعل اجتماعي ترمي إلى تقوية الصلات الاجتماعية في المجتمع عن طريق تبادل المعلومات والافكار والأراء، إذ تؤدي إلى تفاهم المعلومات وتشارك فيها، والتفاعل الاجتماعي يستخدمه الناس لبناء افكار جديدة في عقولهم للعالم يتبادلونها عن طريق الرموز. لذلك فإن الاتصال عملية، والعملية هي ظاهرة تتغير بشكل مستمر عبّر الزمن، وحينما نصف أمراً ما في ضوء العملية فنحن نعني بذلك أنه ليس له بداية أو نهاية أو تسلسلاً في الأحداث ([1]). إن تصور العملية الاتصالية من منظور

(1) David Berlo, " The Process of communication An Introduction to Theory and Practices N.Y.Holt, Rinehart and Winston, 1963, pp. 23-24.

المشاركة فهي عملية لا تنتهي والسبب إنها لا تحتـوي علـى نهايـات طرفيـة للاتصـال، بمعنى لا توجد لها نهايات مغلقة مـن المرسـل الى المسـتقبل، فكـل نهايـة تـرتبط ببدايـة جديدة وهذا المفهوم وجد تطبيقه بعد عصر الإنترنـت وبالتحديـد في مواقـع التواصـل الاجتماعي التي تمثل الإعلام الجديد، فلا يمكن تصور النموذج الخطي للاتصال وحتـى النموذج التبادلي الـذي لم يعـد يعطـي تصـوراً واضـحاً لكيفيـة التواصـل في الإعـلام الجديد، فوجود مجال عام للحوار والمشاركة يمنح الروابط الاتصـالية مجـالات للتشـبيك الالكتروني، وهذا يعني انتهاء عصر النهايات المغلقة المتمثل بالنموذج الخطي والـدائري للاتصال، وبداية عصر التشبيك الالكتروني، والمجـال العـام الـذي فـتح البـاب واسـعاً لحوارات ونقاشات طويلة لا تنتهي.لـذلك فـإن عناصـر العمليـة الاتصـالي تحتـاج إلى نموذج جديد قائم على مفهوم مختلف في الاتصال هو الاندماج الاتصالي الذي يسـمح بتفسيرات مقبولة للكيفية التي يتم عن طريقها انتقال المعلومات وتبادلها داخـل الشـبكة لذلك عرف الباحث الاندماج الاتصالي بأنه : **عمليـة تـداخل بـين عناصـر العمليـة الاتصالية بفعل عامل السرعة، وينتج عنه التحام افتراضي يجعـل عناصـر العمليـة الاتصالية تنضم في شيء واحد؛ ضمن الفضاء الافتراضي، على وفق نظـام يسـمح بتبادل المعلومات بشكل فوري معتمدا على تقنية اتصال فائقة السرعة تختزل الزمن الاتصالي وتجعل من الصعب التمييز بين عناصر العملية الاتصالية.**

4- نظريات الاتصال :

يعتمد التقدم العلمي علـى التراكـم المعـرفي للعلـوم الـتي تقـدم فهمـاً للظـواهر الإنسانية والكونية وتفسيرها، والأداة الرئيسة التي يبنى عليها هذا التراكـم المعـرفي هـي النظرية العلمية، والنظرية هي :"مجموعة من المفـاهيم المركبـة والتعريفـات والمقترحـات المترابطة تقدم نظرة متسقة لظاهرة ما، عن طريق تحديد العلاقات بين بعض متغيراتهـا، بهدف تفسير الظاهرة / أو التنبؤ بها" ([1]).وتعرف على أنها : " نظم من المفاهيم المركبـة

(1) F. Kerlinger," Foundations of Behavioral Researc" , New York: holt, Rinehrat & Winston, (1973) . p 32. .

(Constructs) التي يرتبط بعضها ببعض بعبارات تحدد العلاقات بينهـا، ويشـترط أن يوجد اتسـاق داخلـي بـين هـذه العبـارات" ([1]). وتعـرف أيضـاً أنهـا : " مجموعـة مـن التعميمات المنظمة والمحتملة التي تسعى لتفسير ظاهرة ملحوظة، وذلـك بـربط مجموعـة من المفاهيم المركبة عن طريق قاعدة منظمـة تكـون متسـقة داخليـاً " ([2]). وتعـني هـذه التعريفات أن النظرية تقدم لنا مجموعة من المفاهيم Concepts وهي تقدم لنا تفسـيراً منظماً لطبيعة العلاقات بين المفاهيم في سـعيها لتفسـير الظـاهرة والتنبـؤ بهـا، ويقـاس نجاح النظرية بقدرتها على توفير مفاهيم قوية وعلاقات متسقة بين هذه المفاهيم، الأمـر الذي ينعكس على مـدى مقـدرة النظريـة علـى اسـتيعاب الظـاهرة وتفسـيرها، ويبـدأ تكوين النظرية في العادة بتطوير المفاهيم ثم العمل على تحديد العلاقات بينهـا، وأبسـط الطرق التنظيرية لذلك هو نظمها في نموذج نظري Model، ويفيدنا النموذج في إعطـاء تصور للظاهرة وفهمها وتفسيرها عن طريـق صـورة عامـة.**لـذلك يـرى الباحـث أن نظريات الاتصال : هـي مجموعـة التعميمـات المنظمـة والمحتملـة لتفسـير الظـاهرة الاتصالية، عن طريق تحديد العلاقات بـين بعـض متغيراتهـا،وتكمن قـوة النظريـة الاتصالية بمدى المرونة في التطبيق على الظواهر الاتصالية غير المستقرة نسبياً، فتوفر قاعدة نظرية يمكن تعميم النتائج بالاعتماد عليها.**

5- الفضاء الافتراضي:

إن الفضاء الافتراضي أو كما يسمى ايضا بالفضاء السايبري، هو مكان يتشـكل أو يتكون بشكل ما بين أطراف قنوات الوصل والاتصال، مثلاً بين جهـازي هـاتف أو أجهزة حواسيب. وكما قال بروس ستيرلنغ Bruce Sterling: "ان المحادثة الهاتفية لا

(1) S.H Chaffee, and C. R. Berger, " What communication Scientists do" , In C.R.Berger and S.H.Chaffee (eds), Handbook of communication Science, Newbury Park, Calif: sage . (1987) . p41.

(2) Robert L. Heath and Jennings Bryant. " Human Communication Theory and Research " Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates . (1992),p 78.

تحدث داخل جهاز الهاتف الملموس، الجهاز البلاستيكي الذي يوجد على الطاولة، ليس أيضا داخل هاتف الشخص الآخر في مدينة آخرى ربما، يحادثك وتحادثه ولكن تحدث في فضاء سايبري، عبارة عن مكان ما بين الهاتفين، مكان غير محدد، مكان ما هناك حيث يلتقي المتصلان الاثنان".وهناك خصائص يمتاز بها الفضاء الافتراضي هي : أولا هو فضاء له امتداد افتراضي لا محدود. ويحتوي كميات ضخمة من البيانات الإلكترونية، لا يمكن لمسها أو القبض عليها، فهي كلٌّ يتحرك في الاتجاهات في زمن يكاد يكون ساكنا، زمن ضوئي.وثانيا: يشير الفضاء إلى فكرة الحركة الحرة وإمكان زيادة أمكنة وفضاءات موقعية معينة (نقاط وعقد الحواسيب). وثالثا : لهذا الفضاء معنى وشكلاً هندسياً جغرافيا وقمياً على الرغم من أنها تكاد تكون معدومة المكان والزمان لكن لها مسافات، واتجاهات، وبعدا ([1]).في حين يناقش الباحث حسن مظفر الرزو موضوع الفضاء الافتراضي، من جانب كونه فضاء معلوماتي، عن طريق تسليط الضوء على أراء بعض العلماء في هذا المجالإذ يحلله من جانبه المادي المتمثل بالاجهزة المعدة للاتصال مثل الحواسيب والهواتف الذكية وغيرها، إلى الجانب المتخيل غير الملموس المتمثل بالمعلومات والبيانات التي تنتقل بشكل حزم ضوئية عبر فضاء واسع غير محدد، ويؤكد في هذا السياق أن الفضاء المعلوماتي (حلقة تحاول جذب الفضاء العقلي إلى الفضاء الفيزيائيعبر معالجة رقمية تسعى إلى عولمة الفضاء العقلي لكي تمتد حدوده على عموم رقعة العالم الفيزيائي من خلال استعارة معاني مفاهيمه التقليدية في بناء المفاهيم الفريدة للفضاء المعلوماتي([2]). أما الباحث جوست فان لوون فيذهب في تفسير الفضاء الافتراضي من منطلق نظرية ماكلوهان إلى أن التقنية لها امتدادات انسانية،إذ قال : " يجب علينا أن نتوقف للحظة ونفكر في النتيجة الحتمية لهذا الامتداد، من حيث ارتباطها بفكرة الظاهرة : أولاً، يرتبط الامتداد بالمكان ومع

([1])علي محمد رحومة ، علم الاجتماع الآلي مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصالات عبر الحاسوب، (الكويت ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 2008) ،ص 126-128.

([2]) حسن مظفر الرزو ، الفضاء المعلوماتي ، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2007) ، ص 77.

مد الخصائص البشرية فإن وسيلة الإعلام تضع الكائن البشري في مكان وكأنه موجود هناك- الفضاء الافتراضي-، وخاصة أن هناك تصبح حضوراً شبكياً فورياً ومميزاً. ثانياً، الامتداد يرتبط بالزمان فكونك موجود (هناك) تصبح وضعاً ممتداً ومطولاً- حاضر ممتد- ولكن في نفس الوقت، فإن امتدادات الخصائص البشرية ينتج عنها تزايد في المباشرية والفورية. إن الحاضر الممتد يساعد على المزيد من التزامن بين التدفقات -المعلوماتية- المختلفة؛ وبالتالي فهذا يمثل مفهوم ماكلوهان (الجميع في آن وأحد)، لذلك فإن الفضاء الافتراضي هو : جميع التقنيات المعلوماتية ووسائل الاتصال في الإنترنت التي سمحت للأفراد من جميع أنحاء العالم للارتباط بشبكة تفاعلات مترابطة كونياً([1]). ويعرف الباحث الفضاء الافتراضي بأنه : **حيز تندمج فيه المكونات المادية المتمثلة بوسائل الاتصال الذكية ومكونات غير مادية تتمثل بالمعلومات والبيانات ضمن نظام اتصالي شبكي في الإنترنت، ليس لهذا الفضاء محددات زمانية ومكانية،كما أنه ينمو بشكل مستمر، ومرن بشكل كبير إذ يوفر مجالاً لتطوير نظم الاتصال والتكيف مع أشكال التوصيل الالكتروني كلها.**

6- المجال العام :

يرتبط المجال العام الافتراضي بالإنترنت ارتباطاً وثيقاً؛ إذ يعد هذا المجال فرصة أمام الأفراد ليتبادلوا الأفكار والمعلومات والهوايات والاهتمامات المشتركة، وليكون مجالاً للتعبير الحر عن آرائهم التي لا يستطيعون البوح بها أو التعبير عنها في مجتمعاتهم الواقعية. ففي هذا المجال يشكل المشاركون فيه ثقافة من نوع خاص تسمى ثقافة المجال العام الافتراضي وهي ثقافة لها قيمها وعاداتها ولغتها وسلوكها الذي يميزها عن الثقافة الواقعية.وقد عرف عدد من الباحثين المجال العام ومنهم على سبيل المثال الباحث (يونج)الذي يرى أن المجال العام هو: " فضاء عام يفتح المجال أمام الأفراد

([1]) جوست فان لوون ، تكنولوجيا الإعلام رؤية نقدية ، ترجمة : شويكار زكي ، (القاهرة ، مجموعة النيل العربية ، 2009) ، ص 156-157.

للهروب من قمع الأنظمة الاجتماعية التقليدية" ([1]).أما الباحث (وارن مايس) فيرى أنه : " فضاء يحدث داخله تفاعل عام تترك فيه الناس مصالحها الخاصة وتنشغل بالقضايا ذات الطابع الاجتماعي العام".في حين عرف (كين) المجال العام بأنه : " نمط خاص من العلاقات المكانية بين شخصين أو أكثر من الناس، يجري الاتصال بينهم بواسطة وسائل اتصال تثور من خلالها خلافات بشأن علاقات القوة العاملة داخل بيئة التفاعل المتوفرة لهما ([2]).أما هابرماس فقد عرف المجال العام على أنه مكان للتحكم بين المصالح الخاصة بحسب المصالح العامة وذلك بعدّه نقطة عقدية لوجود السياسة أصلاومكاناً مركزياً تتم فيه الوساطات بين الجهات الاجتماعية جميعها ([3]). ويستنتج الباحث تعريفاً للمجال العام بأنه : **فضاءمفتوح غير مقيد يسمح بعرض الاراء والافكار وتبادل الحوارات بين الافراد ضمن مصالح عامةبعيداً عن رقابة السلطة وقيودها، وقد برز بشكل كبير بعد ظهور مواقع التواصل الاجتماعي وتطورها في شبكة الإنترنت.**

7- الاتصال الشبكي:

مع تطور الجانب التقني في الاتصال، ظهر نظام جديد قائم على العقد الاتصالية يعرفبالنظام الشبكة؛ويمثل مجموعة من العقد المتصلة ببعضها، وقد تكون العقد متفاوته الصلة بالشبكة حيث يطلق على بعض العقد الاتصالية ذات الأهمية الخاصة (مراكز)، لكن أي عنصر في الشبكة بما في ذلك المراكز يمثل عقدة، ووظيفتها ومعناها يعتمدان على برامج الشبكة وعلى تفاعلها مع العقد الاخرى في الشبكة. وتمثل الشبكات نظاماً اتصالياً في الحياة الاجتماعية. ويرى (مونج وكونتراكتور) : " أن شبكات الاتصال هي

([1]) وليد زكي ، المشاركة عبّر المجتمع الافتراضي، مجلة الديمقراطية ، (القاهرة ، أكتوبر 2010) .

(2) Keane. " Civil Society : Old Images, New Visions" ,(1998) . Stanford, CA: Stanford University Press. p 169.

([3]) جون بول لافرانس واخرون ، ترجمة : د . خالد طه الخالد ، نقد مجتمع المعلومات ، (بيروت ، منشورات ضفاف ، 2013) ، ص 88.

نماذج للتواصل تنشأ عن طريق تـدفق الرسـائل وسـط قـائمين بالاتصـال عبّـر الزمـان والمكان" ([1]). وقـد تزايـدت قـدرة الاتصـال الشـبكي علـى قبـول مسـتخدمين جـدد ومحتويات جديدة،أسهموا بشكل فاعل في التنظيم الاجتماعي، وبمـرور الـزمن وتطـور التكنولوجيا أصبح هناك استقلال نسبي في مواجهة مراكـز السـلطة، لـذلك فالاتصـال الشبكي يعالج تدفق المعلومات وهي جـداول مـن المعلومـات بـين العقـد تتـدفق عبّـر قنوات تربط بـين العقـد الاتصـالية وتحـدد الشـبكة الاتصـالية بالبرنـامج الـذي يعـين أهدافها وقواعد أدائها. كما يشكل الاتصال الشبكي نظاماً معقداً للاتصال القائم علـى مجموعة من الأهداف التي تتضمن وحدة الغرض ومرونة التنفيـذ، عـن طريـق قـدرتها على التكيف مع البيئة الاتصالية لنظام التشغيل الجديد القائم على تكنولوجيا جديـدة، لذلك فقد أصبح الاتصال الشبكي أكثـر الصـيغ المنتظمـة كفـاءة نتيجـة ثلاثـة ملامـح رئيسة للشبكات التي أفادت من البيئة الجديدة للتكنولوجيا هي :المرونة والانتاج الكـبير والقدرة على البقاء. وقد أسهم الاتصال الشبكي في ظهور مجتمع جديد يعرف بـالمجتمع الشبكي قائم على التفاعلية والحوارات المتبادلة.ويرى الباحث **إن الاتصال الشـبكي : هو نظام اتصالي قائم على العقد الاتصالية في شبكة الانترنـت، وتمثـل كـل عقـدة اتصالية مدمجاً اتصالياً مكوناً من عناصر الاتصال، وترتبط العقد الاتصالية بوصلات ذات ابعاد مختلفة تشكل بمجملها شبكة عنكبوتية يتم عبرها نقل العلمومات الداخله لهاومعالجتها.**

8- المجتمع الشبكي :

يمثل المجتمع الشبكي مجتمعاً يعتمد علـى نظـام الاتصـال الشـبكي الـذي يعتمـد بدوره علـى تكنولوجيـا الاتصـال والمعلومـات، إذ يـتم ترتيـب المعلومـات والبيانـات الرقمية التي تمثل أفراداً حقيقيين في المجتمع الواقعي يـتم تحويـل معلومـاتهم المدونـة إلى بيانات على شكل ارقام ورموز، تنقل عبر نظام شبكي ويتم فك تشـفير كـل رمـز مـن

(1) Monge. Peter and Contractor, Noshir. " Theories of communication Networks " , (2003) . Oxford: Oxford University Press. P3.

الطرف الاخر في الشبكة عن طريق نظام برمجة خاص في اجهزة الاستقبال – أي جهاز يعمل على وفق نظام شبكة المعلومات الانترنت مثل الحاسوب والهواتف الذكية بمعنى يمكنه الارتباط بالشبكة والتوافق معها- وأن كل فرد في هذا المجتمع يمثل حجماً كبيراً من المعلومات والبيانات المشفرة، تسمح لكل فرد بجدولتها على وفق نظام برمجيات خاص. لذلك فالفرد في المجتمع الشبكي يستخدم معلومات تختلف عن المعلومات التي يستخدمها في المجتمع الواقعي وطرقاً مختلفة في الاتصال والحوار والمشاركة فهو يستخدم معلومات بشكل مستمر لبناء مجتمعه الخاص، ويربطه بمجتمعات أخرى، لذلك فمجتمع الشبكات هو مجتمع العولمة [1].بعّدها– العولمة- عملية تفاعلية، وليست هدفاً علينا ان نحققه أو لا نحققه [2]. بمعنى أخر ان المجتمع الشبكي لا يرمي إلى عولمة المجتمع بل إلى بناء مجتمع مترابط تسهل عليه تبادل الافكار والثقافات وغيرها من المواضيع ذات الاهتمام المشترك.لذلك يعرف الباحث المجتمع الشبكي أنه : **هيكل أجتماعي متعدد الأبعاد يقوم على أساس الاتصال الشبكي، ويعتمد على تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، ويرمي إلى عولمة المجتمع عن طريق ربط المجتمعات مع بعضها ثقافياً واجتماعياً واقتصاديا، وتعتمد قيمة كل شبكة اجتماعية على المحتوى الاتصالي المتبادل ويمثل عنوانها الذي يرتبط بمجتمع شبكي اخر ليشكل مجتمعاً شبكياً عاماًعلى وفق نظام اتصالي توفره شبكة الاتصال الانترنت.**

9- المستخدم :

انعكس التطور التكنولوجي في مجال الاتصالات والمعلومات على الفرد في المجتمع، وذلك بتطوير مهارات التعامل مع التقنية ولاسيما تقنية الاتصال والإعلام،إذ تعود الفرد على أن يتعامل مع تقنيات الإعلام على وفق ما يملك من حواس تساعده

---

(1) Hammond , Allen . et al." The Next 4 Billion: Marken Size and Business Strategy and the Base of the pyramid " (2007) . Washington , DC: world Resources Institute. P43.

(2) سام برايك ، القومية في عالم العولمة ، ترجمة : بدوي عبد الفتاح ، (القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، 2015) ، ص 25.

في فك التشفير وفهم المضمون الاتصالي لكن مع ظهور أدوات الإعلام الجديدة – الحاسوب والهواتف الذكية – كان من الضروري على الفرد أن يطور مهاراته، وبسبب حاجة الإنسان للاكتشاف، أستطاع أن يتعامل معها على أساس الرغبة التي ساعدت بشكل كبير على تطوير مهارات الاستخدام لديه، وقد أستمر في مواكبته ما تقدمه التقنية من جديد، وأصبح الفرد في المجتمع جزءاً من التقنية، إذ قام الفرد ببناء مجتمع خاص به في فضاء جديد عرف بالفضاء الافتراضي، الذي اتسع بشكل كبير وأصبح الفرد فيه يتبادل المعلومات ويرسلها بشكل فوري كما أصبح هو ذاته مضموناً اتصالياً وأداة لنقل المضمون إذ مكنت التقنية من دمج عناصر العملية الاتصالية لتشكل بناءً جديداً هو المستخدم. لذلك يرى الباحث أن تعريف المستخدم هو : **الفرد الذي يستخدم شبكة المعلومات العالمية الانترنت ويستفيد من خواصها إذ تصبح له الامكانية على دمج مهاراته الخاصة مع التكنولوجيا بما يسمح ببناء روابط مشتركة مع فئات مختلفة من الجمهور في بلدان العالم، وكل ما ينتجه من مضامين اتصالية من الممكن ان تكون كونية الطابع بسهولة.**

10-التفاعلية:

إن العملية الاتصالية بمفهومها الواسع ليست مجرد عملية نقل المعاني والافكار من شخص إلى أخر وشيوعها وانتشارها بينهم، بل هي عملية أكثر تعقيداً وتشابكاً وتداخلاً وديناميكية لذلك حاول الباحثون في مجال التواصل الاجتماعي وضع تعريفات جديدة تأخذ أبعاداً جديدة في فهم طبيعة التواصل ولاسيما البعد الذي يعطي للتفاعل بين أطراف العملية الاتصالية أهمية خاصة، إذ أكد بوجاردس: "أن الاتصال هو تفاعل في ضوء منبهات أو أشارات أو نظرات عن طريق استجابة الاشخاص اليها، ويستخدم الاتصال تلك المنبهات كرموز لما يحمل من معنى". أما جورج لندبرج فهو يرى : " أن كلمة اتصال تستخدم للإشارة إلى التفاعل بواسطة

الرموز والعلامات[1]. لذلك فإن سمة التفاعلية تطلق على سلسلة الأفعال الاتصالية التي يستطيع الفرد(أ) أن يأخذ فيها موقع الشخص (ب) ويقوم بأفعاله الاتصالية، فالمرسل يرسل ويستقبل في الوقت نفسه، وكذلك المستقبل. ويطلق على القائمين بالاتصال لفظ مستخدمين بدلا من مصادر، وقد أورد الباحث ونفي هذا الموضوع بعض الوسائل التي يوجد فيها تفاعل بين المستخدم والمرسل وذلك مثل: الهاتف الذكي، والتلفزيون التفاعلي، والمؤتمرات عن بعد والكمبيوترالشخصي، وغير ذلك من الوسائل الإعلامية التي يستخدمها الجمهور في تبادل المعلومات مع المرسل، وتعد التفاعلية خاصية من خصائص تكنولوجيا الاتصال[2]. ويرى الباحث الاعلامي (توماس روجيرو) : " أن التفاعلية تعمل على تقوية ما في صميم انطباعات الجمهور الفعال –النشط- لان التفاعلية في الاتصالات الجماهيرية اعتبرت منذ مدة طويلة على انها تلك الدرجة التي يسيطر عليها المشاركون على عملية الاتصال ويكون بإمكانها تغيير أدوار اهتماماتهم المشتركة "[3]. لذلك يرى الباحث أنه يمكن تعريف التفاعلية بأنها : **درجة التوافق والتجانس التقني بين عناصر العملية الاتصاليةالتي تتفاعل بينها لينتج مضموناً اتصالياً يتفاعل من جديد، مكوناً مضموناً جديداً وتعتمد على طبيعة التقنية التي تساعد على بناء نظام تفاعلي يسمح بعملية تبادل الادوار بشكل سريع كما هو الحال في مواقع التواصل الاجتماعي ضمن شبكة الانترنت.**

([1]) كامل خورشيد مراد ، الاتصال الجماهيري والإعلام التطور الخصائص النظريات ، (عمان ، دار المسيرة، 2011) ، ص 82.

([2]) عبد الباسط محمد عبد الوهاب، استخدام تكنولوجيا الاتصال في الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني، دراسة تطبيقيةميدانية، (صنعاء، المكتب الجامعي الحديث، 2005) ، ص 260 .

(2)Thomas E. Ruggiero, " Uses and Gratifications Theory in the 21st Century" , Communications Department University of Texas at El Paso, (2000). p20.

رابعاً : البناء النظري في بحوث الإعلام الجديد

اتجهت جهود المنظرين في دراسات الإعلام الجديد إلى دراسة أشكال الإعلام الجديد وعقد مقارنات بينه وبين الإعلام التقليدي. ولم تتسم محاولات هؤلاء المنظرين بالعمق والتحليل الرصين لفهم طبيعة العلاقة بين الإعلام والمجتمع الشبكي، ويمكن تقسيمها علىاربعة انواع من التنظيروهي كما يأتي :

1- التنظير بخصائص الإعلام الجديد.

2- التنظير في بنية المجتمع الشبكي.

3-تنظير كاستلز حول المجتمع الشبكي.

وفيما يلي تفصيل الدراسات كل بحسب الاهتمام :

أولا : التنظير بخصائص الإعلام الجديد.

1- دراسة (Negroponte)*[(1)]:

وهي دراسة تصفميزات الإعلام الجديد وما ينفرد به من خصائص.ومستقبل المجتمع الرقمي إذ يستعرض الكتاب أهم المتغيرات التي أحدثها المجتمع الافتراضي من بناء كائنات أفتراضية تمثل بحسب وصف الباحث تجسيداً للكائنات الواقعية ولكن بشكل يحمل خصائص تجعل منه ذا مرونة وقابلية على الانسجام والتكيف مع متغيرات المجتمع،إذ يوفر الكائن الرقمي بحسب ما يصفه الكاتب عالماً جديداً من التقنيات الرقمية، والكتاب هو دراسة في مزايا هذه التقنية الرقمية وعيوبها، كما يحاول التنبؤ بالكيفية التي سوف تتطور بها التكنولوجيا، وهو يقدم أعتقاداً إن الإنسان يتجه

*نيكولاس نيغروبونتي هو المؤسس المشارك مع جيروم ب. يزنر ، في مختبر الإعلام في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (1985)، الذي أداره لمدة 20 عاما. يعد نيغروبونتي رائد في مجال تصميم برامج الكمبيوتر، وهو عضو في هيئة التدريس في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا منذ عام 1966. وهو مؤلف كتاب الكائن الرقمية الذي يعد من أكثر الكتب مبيعا لعام 1995 م ، وترجم الكتاب إلى أكثر من 40 لغة. ويمثل دراسة توعية في الإعلام الرقمي وبناء المجتمع الافتراضي.

(1) Negroponte N. "Being Digital" ,(1995). USA, Alfred A. Knopf .

وبقوة نحو المستقبل إذ إن الاشياء كلها سوف يتم رقمنتها، من الواضح جداً أن الفرضية التي أعتمدها نيغروبونتي هي : أن المستقبل سوف يحول كل شيء من طابعه الواقعي الملموس إلى طبيعة خيالية رقمية.

2-**دراسة** (Davis. R) **وديانا أوين** (Owen ,D) [(1)]:

تبين الدراسة تأثير وسائل الإعلام الجديدة على الجوانب السياسية كلها. وتوضح أيضاً كيف أستطاع الإعلام الجديد أن يؤثر في الانتخابات الرئاسية الامريكية،وكيف يتم تداول الكثير من الشائعات عبّرها وكيف يتم الرد عليها، والقلق المستمر من تنامي استخدام الإعلام الجديد على حساب الإعلام القديم بحسب وصف الدراسة. وهي تمثل واحدة من أهم الدراسات المسحية التي شملت البرامج الحوارية السياسية في الاذاعة والتلفيزيون والمقالات السياسية في الصحف من جانب وما ينشر في مواقع الإنترنت من جانب أخر حول السياسة الانتخابية بشكل عام، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك دوراً فاعلاً يمارسه الإعلام الجديد في رسم السياسة الانتخابية الامريكية، وإن وسائل الإعلام الجديد لها تأثير متنامٍوذلك بأعطاء فرص أكبر للمشاركة والحوار، لذلك فإن المرشحين يُقبلون على أستخدام وسائل الإعلام الجديد في بناء علاقات متينة مع الناخبين،وتبين الدراسة دور الإعلام الجديد في رسم الحياة السياسية الامريكية، وكيف يغير الإعلام الجديد السياسة الامريكية، وكيف تتم مناقشة القضايا المهمة في المجتمع وحلها؟ وكيف يتم توظيف وسائل الإعلام الجديد في الإنتخابات،معرفةإتجاهات الجمهور نحو القضايا السياسية عبّر الإعلام الجديد. ولكن الأهم من ذلك أنها توفر إطارا لمزيد من الدراسة حولتأثير وسائل الإعلام الجديدة على السياسة بشكل عام.وخلصت الدراسة التيعرض فيها الباحثان رؤيتهما لأنواع الإعلام الجديد لتمييزه عن الإعلام التقليدي، وقد وضعا التصنيف الاتي : إعلام

(1) Davis. R and Owen ,D . " new media and American politics , (1998). New York : oxford university press

جديد بتكنولوجيا قديمة، وإعلام جديد بتكنولوجيا جديدة، وإعلام جديد بتكنولوجيا مختلطة.

3- **دراسة** (Manovich)*[1]:

في هذهالدراسة يقدم ليف مانوفيتش نظرية منهجية في وسائل الإعلام الجديدة. إذ يعّد أن وسائل الإعلام الجديدة جاءت نتيجة تطور العقل الانساني الذي ابتكر نظماً جديدة للتواصل،والفرضية الرئيسة للدراسةهي : **إن كل تطور تقني يصاحبه تطور عقلي والتطور العقلي في الاستخدام ينعكس على شكل سلوك اجتماعي يحاكي التقنية.** ويناقش اعتماد وسائل الإعلام السائدة على مصطلحات جديدة هي أساس الإعلام الجديد، ويوضح كيف قام الإعلام الجديد ببناء واقع مختلف عند المستخدميمتاز بالحرية ومتمثل بالفضاء الرقمي. ويحلل أيضا فئاتاً وأشكالاًلانواع من وسائل الإعلام الجديدة، مثل واجهة قاعدة البيانات لمواقع التواصل الاجتماعي. ويستخدم مانوفيتش بعض مفاهيمه معتمداً على مفاهيم من نظرية الفيلم، وتاريخ الفن، ونظرية الأدب، وعلم الحاسوب، وكذلك تطور البنىالنظرية الجديدة، مثل :الحيز المكاني للتفاعلات الثقافية.وتعد هذه الدراسة أكثر تماسكاً في فهمها الإعلام الجديد من الدراسات السابقة، ففيها يؤكد مانوفيتش : على أن الإعلام الجديد يتطلب أن ننظر إليه برؤية مختلفة عن رؤيتنا للإعلام السائد الذي يحدده استخدام الحاسوب في توزيع المعلومات وعرضها. وفي هذا الصدد نجد مانوفيتش يحددخمس حالات للإعلام

Manovich*: هو باحث ومؤلف في مجال نظرية وسائل الإعلام الجديدة، يعمل أستاذاًلعلوم الحاسوب في قسم الدراسات العليا في جامعة نيويورك،وأستاذاً زائراً في كلية الدراسات العليا الأوروبية في ساس-رسوم، سويسرا. وتركز أبحاث ودراسات Manovich في العلوم الإنسانية الرقمية، وفن الحوسبة الاجتماعية ونظريات وسائل الإعلام الجديدة ، ودراسات البرمجيات. أنظر : Lev Manovich faculty profile at European Graduate School, Saas-Fee

(1) Lev Manovich ," The Language of New Media" ,(2001). The MIT, Press cambridge, Massachusetts London , England.

الجديد، هي: حالة التمثيل العدد، وحالة الانتقال، وحالة الأتمتة*، والقابلية للتغيير، ثم الترميز التلقائي.

4-**دراسة** (Pavlik) [1]:

تتضمن الدراسة تعريفاً لمفهوم الإعلام الجديد، وعلاقة الإعلام الجديد بالثورة الرقمية،فضلاً عن تحليل الوسائط المتعددةعن طريق التأثير في تحول الجمهور نحو أستخدامها، كما إن الكتاب تناول أخلاقيات الإعلام الجديد في الاستخدام العشوائي للمضامين الاتصالية، ويقدم رؤية مستقبلية لتطور خصائص الإعلام الجديد،وأن الإعلام الجديد غيّر حياة الناس بشكل كبير، وغيّر أنماط معيشتهم وطرق تواصلهم، ولا بد من وجود خارطة طريق أو إطار مفاهيمي، لفهم أبعاد تكنولوجيا الإعلام الجديد وأثارها. ولعل أهم أداة من أدوات رسم خارطة الطريق في رأيه، هو فهم وظائف الإعلام الجديد بعناصره المختلفة، أي : الإنتاج والتوزيع والعرض والتخزين، ويقدم الباحث في هذه الدراسة شرحاً مفصلا لكل عنصر من هذه العناصر.

---

*الأتمتة : أوالمكننة أوالتشغيل الآلي (بالإنجليزية: Automation): هو مصطلح مستحدث يطلق على كل شيء يعمل ذاتيا بدون تدخل بشري في مكنتسمية الصناعة الآلية بالأتمتة الصناعية مثلا. وهي تعني حتى في أتمتة الأعمال الإدارية، وأتمتة البث التلفزيوني. وهي عملية ترمي إلى جعل المعامل أكثر اعتمادا على الالآت بدلا من الإنسان، تعّد نوعاً كنوع من أنواع الروبوت لكنها مازالت بحاجة إلى الإنسان لتكملة عملها. تهدف الأتمتة إلى زيادة الإنتاج إذ تستطيع الآلة العمل بسرعة ودقة أكبر من الإنسان ووقت أقل بمئات المرات، ففي السابق برغم وجود الآلات لكنها كانت تحتاج إلى وقت طويل للإنتاج وكذلك الإنتاج لم يكن بالدقة المطلوبة على يد الإنسان. انظر : الموقع الالكتروني ويكيبيديا :

https://ar.wikipedia.org/wiki

(1) John V. Pavlik, " Journalism and New Media" . (2001), New York Chichester, West Sussex ,Columbia University Press.

5- دراسة(Fidler) [1]:

يقدم فيها الباحث رؤية نظرية جديـدة للإعـلام الجديـد وتأثيراتـه في المجتمعـات المعاصرة متبنياً وجهـة النظـر الـتي طرحهـا الباحثـان "إيفـرت روجـرز Rogers.E المستحدثة أو الجديدة من أجل فهـم طبيعـة الإعـلام الجديـد. فالأفكـار الجديـدة كمـا تصفها الدراسة تأخذ وقتاً طويلاً حتى تعم وتنتشر داخل البناء الاجتماعي ليـتم تمثلـها واستيعابها بين الأفـراد. ويحـدد فيـدلر طائفـة مـن المبـادىء الاساسـية لعمليـة الـتغير الجذري التي تتم لوسائل الاتصـال القائمـة في المجتمـع منهـا : التعـايش بـين الاشـكال القديمة لوسائل الاتصال والأشكال الجديدة،وتغيير جذري متدرج للأشكال الإعلاميـة في بيئات متغيرة، وظهور الاستحقاقات والحاجات الموضـوعية لتـبني وسـائل الإعـلام الجديدة، وحالة التأخر في تبني المفهـوم ثـم التـبني الواسـع والانتشـار الكـبير للوسـائل الجديدة وتمثلـها داخـل المجتمـع. ويـرى فيـدلر أن عمليـة التغـيير الجـذري في وسـائل الاتصال تأخذ حوالي ثلاثة عقود كاملة حتى تنتشر وتصـبح جـزءاً مـن ثقافـة المجتمـع ونمطاً من أنماط تواصله الاجتماعي. أن أهـم ثـلاث أدوات أحـدثت تغـييراً جـذرياً في مستحدثات الإعلام الجديد في مراحل تطـور الاتصـال الإنسـاني علـى وفـق دراسـة فيدلر هي : اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة واللغة الرقمية التي مكنت الإنسان من عمليـة الاتصال بينه وبين الآلة.

ثانياً : الدراسات التي تهتم بالتنظر في تحليل بنية المجتمع الشبكي :

1- دراسة زكي [2]:

دراسة قدّم فيهـا الباحـث رؤيـة حـول طبيعـة البنـاء الاجتمـاعي في الشـبكات الاجتماعية إذ يمثل البناء الشبكي مجموعة من الحزم الاجتماعية، التي تتمثل في الافـراد

([2]) Fidler, Roger . " Mediamorphosis : Understanding New Media " ,(1997), London : Forge Pres.

([2]) وليد زكي ، نظرية الشبكات الاجتماعية من الايدلوجيا إلى الميثولوجيا، (القاهرة ، المركز العربي لابحـاث الفضاء الالكتروني ، 2012) .

والجماعات، ويمثل البناء الاجتماعي تلك الروابط والعلاقات بين هؤلاء الافراد والجماعات، وتشير الدراسة إلى أنه لا يوجد تداخل بين العناصر المكونة للبناء الشبكي، فالتفاعلات المتبادلة التي تتم داخل هذا البناء لا يشترطأن تسري بين العناصر أو المكونات جميعها، فالتفاعل الاجتماعي في مستواه الافتراضي يتم بين الأفراد بعضهم ببعض أو الجماعات والافراد وقد يهمل بعض الافراد بعض العلاقات أو قد يغيب التفاعل في علاقات أخرى. وتبين الدراسة أن البناء الاجتماعي يعتمد على عاملين أساسي هما قوة الروابط الاجتماعية في الشبكة و خصائص الروابط بين الافراد. بمعنى إن واقع الشبكات الاجتماعية وتنامي دوائرها واتساعه، يمثل صعوبة في التكهن بمستقبل الشبكات الاجتماعية وذلك لاساسين هما:

أ- سرعة التغيرات التي تطرأ على هذه الشبكات ، وارتباط تحولاتها بصناعة البرمجيات التي تتطور في عالمنا بشكل ملحوظ.

ب- كثرة المتفاعلين في سياقات الشبكات الاجتماعية، وكثرة الأفراد الذين ينضمون إليها. يجعل من إحصاء العام الماضي أو قبل الماضي شيئاً تجاوزه الزمن.

ولكن تزايد الجماعات على الشبكات سواء في السياقات العالمية أو استغلال هذه الشبكات على خلفية السياقات المحلية يستنفر التفكير المستقبلي حول إمكانية ظهور التنظيمات الاجتماعية في شكلها المؤسسي على الشبكات في الفضاء المعلوماتي.ولاسيما منظمات المجتمع المدني وليس معنى ذلك اختفاء هذه المنظمات من الشبكات الاجتماعية الحالية ، ولكن المقصود تزايد التفعيل لهذه المنظمات في شكل أكثر فاعلية ومؤسسية. وذلك لا يعني أن المجتمع الافتراضي يزيح المجتمع الواقعي ليحل محله ، ولكن يشكل بوابه جديدة للتفاعلات التي تخرج عن إطار المحلية وتبقى إشكالية التكهن بمستقبل التفاعلات الواقعية في ظلال انخراط في التفاعلات الافتراضية كما تشير الدراسة إلى أن البناء الاجتماعي يتجسد في مجالين الأول في البناء الشبكي العالمي المتجسد في بنية تفاعلية عالمية تتضمن موضوعات ذات مجال عالمي مفتوح لا يعترف بالجغرافيا، ويتمثل الآخر في البناء المحلي للشبكات الاجتماعية وهنا

يظهر دور الجماعات المحلية التي كونت لها وحدات داخل التفاعلات العالمية والتي يتمحور التركيز فيها على الموضوعات والسياسات المحلية. وتبقي الإشكالية البحثية التي تستنفر العقول الأكاديمية لمحاولة الإجابة الرصينة، ما مستقبل التفاعلات الواقعية في ظل تنامي الشبكات الاجتماعية في الفضاء المعلوماتي؟وهل تسهم هذه الشبكات الاجتماعية بدعم رأس المال الاجتماعي بصورة فعالة؟

2- دراسة مرسي مشري، (2012)[1] :

وقد أهتمت الدراسة بالوظيفة الاتصالية لمواقع التواصل الاجتماعي، إذ خلصت الدراسة إلى أن شبكة التواصل الاجتماعي نسيج معقد من المواقع والبرامج ومنصات (plate-forme) البيانات التي تسمح بالتواصل بين الافراد من مختلف الجنسيات والمشارب الحضارية الا ان بروزها لم يكن من اجل دفع دفة التعارف الحضاري بين الشعوب وتنمية التفاهم وازالة الخلاف ونشر المعرفة بقدر ماكانت جاوباً مع متطلبات نمو أقتصاد السوق الرأسمالي الذي صار بحاجة إلى معلومات دقيقة حول ميولات المستهلك، توفرها له هذه المواقع،ومن ثمّ زيادة الاستهلاك ومنه زيادة الربح، وبعد ذلك فإن بروز شبكات التواصل الاجتماعية جاء كحتمية ضرورية للتطور التكنولوجي الذي وصلت اليه المعلوماتية فضلا عن النمو الرأسمالي للاسواق والشركات العالمية. وقد تمثلت هذه الثورة الجديدة في الإنترنت في فكرة الويب 0,2 التي تقوم في الأساس على ما يسمى الشبكة الاجتماعية وترمي بذلك إلى تحويل شبكة الإنترنت إلى شبكة إنسانية وأكثر تفاعلاً وديناميكية بينها وبين المستفيدين منها. بل وتحويل المستفيد من دور المستهلك إلى دور المنتج، فقد أصبح المستفيد هو المسؤول عن المحتوى حتى أصبح يطلق على المستفيد من موقع الويب 0,2 لفظ (مستفيد 0,2) وهذا صحيح إلى حدٍ كبير، فمستفيد اليوم يختلف كليا عن مستفيد الأمس. وكشفت الدراسة عن أن الفكرة بشكل عام هي تركيز الويب 0,2 على

[1] مرسي مشري ، شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية نظرة في الوظائف، دراسة منشور في مجلة المستقبل العربي ، العدد 396 كانون الثاني ، 2012 .

المحتوى أو المضمون ومشاركة المستفيد للمحتوى مما يشعره بأن الشبكة تمثل لـه فرصـة للابداع قد لا يجدها في المجتمع الحقيقي، وبذلك لن يكون التعـديل مسـؤولية صـاحب الموقع إنما سيكون مسؤولية المستفيدين جميعاً، أستناداً إلى اسلوب المشـاركة في البيانـات وتقاسـم المـوارد، وتقـوم الفكـرة أيضـاً علـى ذكـاء الموقـع في معرفـة إتجاهـات زواره واهتماماتهم لكي يقدم لهم خدمات خاصة لهم فقط.

ثالثا : الدراسات التي تهتم بالتنظير في العلاقات الاجتماعية في المجتمع الشبكي

دراسة ديفيد [1] :

دراسة تقدم تحليلاً لفهم المجتمع الشبكي يعتمد على مفهوم الاعتماد المتبادل بين الافراد في المجتمع الشبكي باعتبـاره أهـم مقومـة مـن مقومـات هـذا المجتمـع أو ركيـزة أساسية مـن ركـائزه. ويسـتند هـذا التحليـل في فهمـه أو رؤيتـه لمجتمـع الشـبكات إلى المسلمات الآتية :

أ-يمارس الاعتماد المتبادل دوراً ـأساسياً في تبادل المعلومات والمعارف بـين الأفـراد والجماعات التي تتواصل في الشبكات.

ب-تؤثر المعلومات التي يتبادلها الأفراد والجماعات علـى الاعتقـادات والقـرارات الشخصية والجماعية والمنافع وحتى الاحتجاجات والإضرابات.

ج-تتصف العلاقات عبّر الشبكات الاجتماعيـة بالديناميكيـة والحيويـة، فقـد تفـتر أحياناً وقد تقوى أحياناً أخرى بحسب أهتمامات الأفراد ودوافعهم.

د-إن تشكيل الاعتماد المتبادل يكون بحسب قوة الروابط بين الأفراد والجماعات.

ه-تتفاوت قوة الروابط باختلاف دوافع اسـتخدام الأفـراد والجماعـات للشـبكات الاجتماعية.

---

(1) Siegel .D ," Social Networks and Collective Action American Journal Of Political Science", (2009) .vol 53 , January .No 1.

و-تعتمد فاعلية الاعتماد المتبادل على مدى قوة الروابط بـين الأفـراد والجماعـات وعلى مدى تشابه اهتماماتهم.

رابعاً : دراسة كاستلز حول المجتمع الشبكي [1]

بالرغم من الدراسات السابقة التي تم استعراضها في الاقـتراب مـن فهـم طبيعـة العلاقة بين وسائل الإعلام الجديـدة والمجتمـع الشـبكي، تبقـى محاولـة عـالم الاجتمـاع كاستلز هي الأعمق والاكثر دقة وشمولية في فهم طبيعة العلاقة الشائكة والمعقدة.قـدّم كاستلز في دراسته الضخمة التي نشرت بثلاثـة أجـزاء بعنـوان (صعودمجتمعالشـبكات) فقد افضت دراسته لتحليل المجتمع الشبكي إلى تأسيس علـم اجتمـاع جديـد هـو علـم الفضـاء المعلومـاتي Cyber Sociology الـذي يهـتم بدراسـة أنسـاق التواصـل الاجتماعي وأشكاله وخصائصه في المجتمـع الشـبكي وتحليلـه تحلـيلاً شـاملاً. وتكمـن أهمية دراسـة كاسـتلز في تأكيـدها علـى الـدور المحـوري الـذي يقـوم بـه الإنترنـت في المجتمعات المعاصرة؛ إذ تبين الدراسة أن السمات الفردية لهذه الوسيلة الاتصـالية تجعـل منه أعظم منجزات الثورة التكنولوجيـة في عـالم التواصـل الاجتمـاعي. فهنـاك علاقـة وثيقة وقوية بـين ثـورة المعلومـات المتجسـدة في البـث الفضـائي عـن طريـق الاقمـار الصناعية وشبكة الإنترنت، ذلك أن هذه الثورة الرقمية عملت على تعميـق التجليـات الاقتصادية والثقافية والسياسية والاتصالية للعولمـة. فقـد أصـبح العـالم متصـلاً بعضـه ببعض على مستوى الدول والحكومـات والشـعوب والافـراد، ونشـأ مـا يطلـق عليـه نموذج المجتمع الشبكي، ويتعين أن يتقيد فهم علاقة السلطة في عالمنا بهذا المجتمـع بعينـه ويتطلب مناقشة هذه الخصوصية توصيفاً لعناصر مجتمـع الشـبكات الرئيسـة : الإنتـاج وتحديد القيمة والعمـل والاتصـال والثقافـة ونمـط وجودهـا كصـيغة مكانيـة وزمانيـة

(1) Manual Castells , " The Rise of the network Society ",Blackwell publishers, (2000). Ltd , USA.

([1]).ويجمل كاستلز في دراسته أهم السمات التي تمثل الأساس الذي يقوم عليه المجتمع الشبكي وكما يأتي:

1- المعلومات : وهي المادة الخام لهذه المجتمعات.

2- الانتشارية : نظراً لأن المعلومات هي أساس الانشطة الإنسانية كلها، فإن العمليات المتعلقة بوجودنا الفردي والجماعي جميعها تتشكل مباشرة بواسطتها.

3- بروز منطق خاص لهذه المجتمعات هو المنطق الشبكي.

4- يقوم المجتمع الجديد على المرونة.

5- الميل المتزايد لتحويل تكنولوجيات محددة لكي تندرج في إطار نظام متكامل بصورة كبيرة.

وتحدد الدراسة السمات الرئيسة للظروف الاقتصادية الجديدة في المجتمع الشبكي والذي يتسم بظهور الاقتصاد المعلوماتي والكوني على حد سواء. ولعل أهم ما يميز هذا الاقتصاد الجديد بحسب الدراسة أن لديه القدرة على أن يعمل كوحدة في الزمن الواقعي على صعيد عالمي. ويمكن تلخيص أهم النتائج التي خرجت بها دراسة كاستلز بما يأتي[2]:

1-أفضت التحولات البنيوية الواضحة في علاقات الانتاج وفي علاقات القوة وفي علاقات الخبرة في نهاية القرن العشرين إلى بروز مجتمع المعلومات أو المجتمع الشبكي، وهذه التحولات نفسها هي التي أدت إلى ظهور الرأسمالية المعلوماتية؛ إذ غدت المعرفة المصدر الرئيس لبناء الثروة ورأس المال في المجتمع الشبكي.

([1]) مانويل كاستلز ، سلطة الاتصال ، ترجمة : محمد حرفش ، (القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، 2014) ، ص 57.

(2) Salder .F , " Castels" , John Willey And sons Ltd.(2008). Books .UK.

2-نتج عن التطور في مجال التكنولوجيا ظهور فضاء عالمي عمومي جديد، تمثل فيه تكنولوجيا المعلومات والاتصال دوراً رئيساً في تحرير الإنسان من ضيق المكان وعزلة الجغرافيا والتعصب العرقي أو الديني.

3-حوّل نظام التواصل الجديد في المجتمع الشبكي مستويات المكان والزمان الأساسية في الحياة الإنسانية تحولاً جذرياً، فالأمكنة في هذا الفضاء الجديد صارت تفقد جوهرها ودلالتها الثقافية والتاريخية والجغرافية، كي تدمج في شبكة وظيفية تنتج فضاءً رمزياً يحل محل فضاء الأمكنة التقليدية، تنتظم فيه علاقات السلطة والوظائف الاجتماعية بشكل جديد. كما سمحت هذه الحياة بشقيها الواقعي والافتراضي باطلاع الناس على أنماط عيش جديدة، وطرق عمل وأنماط تفكير مختلفة على نحو لا يصبح الفعل السياسي فيها حبيس حدود وطنية، بل يتم النظر إليه عن طريق رؤية عالمية وكونية.

4-يمتاز المجتمع الشبكي الجديد بخصائص ثقافية جديدة وأنماط حياة جديدة غير مسبوقة يطلق عليها كاستلز: (الثقافة الافتراضية الواقعية). لقد أولى كاستلز هذا النوع من الثقافة المتكونة في الفضاء الافتراضي أهتماماً كبيرا؛ إذ يرى أن وسائل الاتصال عملت على خلق نوع جديد من الحياة في هذا النوع من المجتمعات، فالحياة فيها ليست واقعية تماماً وليست بالخيالية تماماً، بل هي مزيج من الاثنين معا. إن هذا المستوى الثالث من مستويات الحياة كما يقول، لم يسبق للوعي الإنساني أن خبره سابقاً.

5-هناك تفاعل جدلي بين التكنولوجيا والعلاقات الاجتماعية، أي بين أنماط الانتاج وأنماط التنمية. فالتطور الرأسمالي لأنماط الإنتاج تحركه النزعة للنجاح في مجال ضغوطات المنافسة، في حين أن أنماط التنمية تتطور طبقاً لمنطقها الخاص، لأنها لا تستجيب بشكل آلي للضرورات الاقتصادية. فالتجديدات التكنولوجية تنبثق من التفاعل بين الاكتشافات العلمية والتكنولوجية والإندماج التنظيمي لهذه الاكتشافات في عملية الإنتاج والإدارة.

6-تمتاز وسائل الاتصال الحديثة في المجتمع الشبكي بسمة لم تكن موجودة سابقاً وهي صفة التدفق(Flows) الذي يعدُّ خاصية أساسية من خصائص هذا المجتمع. ويعني التدفق عنده تلك السلسلة المتكررة والمبرمجة عبّر المبادلات والتفاعلات بين نقاط جغرافية متباعدة يحتلها فاعلون اجتماعيون في البناءات الاقتصادية والسياسية والرمزية في المجتمع.

7-إن فضاء التدفقات (Space Flows) هو الذي يعبر عن المنطق الاجتماعي السائد في المجتمع الشبكي.

8-هناك تضاد واضح بين (الذات) و(الشبكة) في المجتمع الشبكي، وهذا التضاد هو الذي يؤدي إلى بروز التشكيلات والتجمعات الاجتماعية الجديدة التي تدور حول الهويات الأولية، سواء كانت هذه الهويات تتعلق بالعرق أو اللون أو الدين أو القومية. إن القضية المهمة عند كاستلز في هذا المجال هي الدور المهم الذي تمارسه الهوية في بناء المجتمع أو الجماعات الاجتماعية فالهوية كما يرى، هي محرك ديناميكي أساس في تشكيل المجتمع.

9-إن الطريقة التي يعرّف بها المجتمع نفسه هي التي تحدد شكل مؤسسات المجتمع، بمعنى أن كل نوع من عمليات بناء الهوية المتميزة يؤدي إلى نتيجة مختلفةفي تشكيل المجتمع.

10- تمارس الهوية دوراً كبيراً ومحورياً في التنمية المجتمعية وتشكيل المجتمع. فالهوية عند كاستلز هي عملية بناء المعنى على أساس سمة ثقافية مفردة، أو منظومة من السمات الثقافية، والتي تعطى بها الأسبقية على باقي المصادر المنتجة للمعنى. وفي ضوء ذلك يصوغ كاستلز فرضاً مؤداه أن من يبني هوية جماعية يحدد إلى حد كبير المضمون الرمزي لها ولمعناها فيما يتعلق بالذين يتوحدون معها أو الذين يعدّون أنفسهم خارج دائرتها.

11- يواجه الافراد في المجتمعات الشبكية حالة خاصة يطلق عليها كاستلز (الفصام البنيوي) الناجم عن التصادم بين الخيالي – الرمزي والواقع الفعلي؛ إذ يُفقد هذا التصادم الافراد إحساسهم بذواتهم الأمر الذي يدفعهم إلى استعادة هوياتهم واستردادها في أشكال ونماذج جديدة.

خامساً: معالجات نقدية

1-تناولت الدراسات وصفاً لخصائص الإعلام الجديد وأهم سماته التي أمتاز بها، من الجانب التقني من جانب تأثير تكنولوجيا الإتصال على شكل العملية الاتصالية، ورؤية مستقبلية قائمة على سلطة التقنية واستحواذها على العقل البشري بشكل كبير، وأن الإنسان يتجه بحكم التقنية بقوة نحو الامام، إذ أن كل شيء سوف يتحول من طابعه الواقعي الملموس إلى طبيعة خيالية رقمية.لكن الدراسات لم تقدم تفسيراً عن الاسباب التي تدفع الإنسان للاندماج معالفضاء الافتراضي، أما البحث الحالية سيتناول تفسيراً عن لطبيعة اندماج المستخدم مع الفضاء الافتراضي.

2-أجمعت الدراسات على أن هناك مجتمعاً جديداً يختلف عن المجتمع الواقعي يطلق عليه المجتمع الشبكي، وأن لهذا المجتمع بنية تختص به تختلف عن المجتمع الواقعي، وهي قائمة على نظام اتصالي شبكي مرن، وأن الإعلام الجديد هو نتاج هذا الإتصال كي يلبي اجتياجات المجتمع الشبكي – الافتراضي- ويكون أكثر انسجاماً معه. وقدمت الدراسات مجموعة من العوامل التي ساعدت على بناء هذا المجتمع مثل الزمن والسرعة، لكنها لم تقدم تفسيراً للكيفية التي يعمل بها هذان العاملان، والبحث الحالي يقدم تحليلاً لطبيعة تأثيرها لما لهما من دور في بناء هذا المجتمع.

3-نظرت الدراسات إلى أن جيلاً جديداً، هو في طور النمو المتسارع يعرف بجيل الإنترنت، يمثل البناء البشري للمجتمع الشبكي، وقدمت طرحا للعلاقات التي تربط هذا الجيل مع بعضه، والاهتمامات المشتركة، والامراض التي تصيبه

والفوائد التي يكتسبها، وعدّت كل فرد في هذا الجيل هو مستخدم ذكي للتقنية، لكنها لم تفسر مفهوم المستخدم، من حيث علاقة هذا المصطلح بالتكنولوجيا، والكيفية التي يتحول بها المتلقي لوسائل الإعلام التقليدية إلى مستخدم، والبحث الحالي يعالج بعض هذه الجوانب.

4-قدمت الدراسات تنظيراً لمجال عام للحوار والمشاركة، لأنه يمثل منطلقاً لبناء مجتمع ديمقراطي قائم على سهولة وحرية تبادل المعلومات والأخبار عبر وسائل الاتصال والإعلام، من منطلق حرية التعبير لأنه المبدأ الذي يقوم عليه المجال العام، لكنها في الوقت نفسه أغفلت جوانب أخرى في هذا المجال العام، وهي المتعلقة بالمجال الخاص للمستخدم، وهل أن المجال العام سوف يلغي الخصوصية للمستخدم؟ أم أن الخصوصية سوف تكون قائمة على بناء مجال خاص له هو جزء من مجال عام مكشوف للكل؟ لم تستطع الدراسات أن تحل مشكلة الخاص والعام في المجتمع الافتراضي.

5-أن فرضية كل تطور تقني يصاحبه تطور عقلي، هي بديهية أقرب منها إلى فرضية، فنتاج كل علم ينصب على تطور العقل البشري وأن كل عقل بشري ينمو بفعل تراكم معرفي قائم على التجربة، بمعنى أن البناء العقلي هو بناء قائم على الإفادة من التجربة، لذلك فإن الاختبارات التي يقوم بها العقل البشري لتقديم الجديد لم تأتِ من فراغ، لكنها تأتي من تقارب معرفي للافكار تسهم التكنولوجيا تقديمهِ بشكل أسرع، فعُّد الإعلام جديداً، ليس من منطلق أكتشاف جديد بحسب فهم بعض الباحثين لكنه جديد بفعل التأثير، بمعنى أن شكل التأثير هو جديد لا يمكن اتباع وسائل القياس التقليدية التي تستخدم في وسائل الإعلام التقليدية عليه لانها تقدم درجات من الاختلاف عالية.

6-اتفقت الدراسات على أن الإنترنت يمارس دوراً محورياً في تطوير أدوات جديدة للإعلام، وبروز المجتمع الشبكي وظهور الرأسمالية المعلوماتية، ودور وسائل التواصل الاجتماعي في بناء عقل جمعي قائم على المشاركة الثقافية

والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، التي تسهم في تحول سريع نحو العولمة الرقمية، إذ أن قيود السلطة لم تعد موجودة بالشكل الذي كانت تسيطر فيه على وسائل الإعلام التقليدية، وبالرغم ممّا تقدمه العولمة من مساحات كبيرة للابداع والمشاركة وتبادل الافكار، إذ أصبح الفرد يقوم بأدوار العملية الاتصالية جميعها، لكن الدراسات لم تقدم نموذجاً للاتصال الشبكي في مجتمع الإنترنت، وسيتناول البحث بناء نموذج للاتصال الشبكي.

الفصل الثاني

الاندماج الاتصالي

الفصـــل الثـــاني

الانـدمـاج الاتصـــالي

المبحث الاول : مفهوم الاندماج الاتصالي

أولاً : الاندماج الاتصالي

أ - الاندماج لغة واصطلاحاً :

ورد في لسان العرب لابن منظور فعلُ " دَمَجَ يـدمُج دُموجـاً "، بمعنـى " دخـل في الشـيء واسـتحكم فيـه " فيقـال مـثلاً " انـدمج الشـيء وادّمـج "، أي " دخـل في الشـيء واستحكم فيه " ([1]). اندماج في اللغة أسـم ومصـدره(اِنْـدَمَجَ) وتعـني اتحـدا وانضـما، صارا شيئاً واحدا، ودمج الشيئين أو اكثر وحدهما، جعل منهما شيئا واحـداً كمـا تـرد بمعنى (أدخل في وأدرج) : " دمج ورقة في كتاب"، " دمج فقرة في بيان"" دمـج نظريـات في نظام " : أدخلها فيه كجزء مكمل، وإندماج : تعني أنصـهار، إمتـزاج، إنـدغام : "إنـدماج الشعوب "، " إندماج الطبقات الاجتماعية "، اما كلمة (إندماجية): تعني عملية تـؤدي إلى تقليد المرء، بطريقة لاشعورية، تصرفاً من تصـرفات الآخـرين (أحـد الاقـارب عـادة) وإلى اندماجه في هذا التصرف، أما مندمج فتعني : ملتصق([2]). فعـلاوة علـى التحديـد اللغـوي لفعـل " دمـج"، تُرجـع معـاجم العلـوم الاجتماعيـة الأصـل "الإتيمولـوجي" Etymologique لمصـطلح " انـدماج" إلى اللغـة اللاتينيـة القديمـة، أي Integrare، في إشارة إلى العمل أو التأثير الناجمين عن عملية الـدمج أو الانـدماج، وإذا كـان المقصـود بالاندماج لغة " الاستحكام " و" الاستواء "، وإلى حد مـا " التقـويم "، فهـو يعـني اجتماعيـاً النشاط الذي يرومُ " تكوين مجموع أو كل " Constituter un tout ، أو " تكملـة كـل

([1]) ابن منظور الإفريقي ، لسان العرب ، ج2 ، (بيروت ، دار صادر ، 1961) ، ص 415.

([2]) انطوان نعمة ، عصام مدور، لويس عجيل ، مـتري شمـاس ، المنجـد في اللغـة العربيـة المعاصـرة ، ط2، (بيروت، دار المشرق ، 2001) ، ص 481-482.

بعناصر ناقصة " ([1]). وهـو مـا ينطبـق علـى الأشـياء، كمـا يسـري علـى المجموعـات البشرية، والأشخاص الاعتبارية مثل الـدول، أمـا سوسـيولوجيا، فيُقصـد بالانـدماج " السيرورة الإثنولوجية الـتي تمكـن شخصـاً أو مجموعـة مـن الأشـخاص مـن التقـارب والتحـوّل إلى أعضـاء في مجموعـة أكـبر وأوسـع، عبّـر تبنّـي قـيم نظامِهاالاجتمـاعي وقواعدها، لذلك يستلزم الاندماج شـرطين، همـا : إرادةُ الإنسـان وسـعيه الشخصـي للانـدماج والتكيّـف، أي التعـبير الطـوعي عـن " اندماجيتـه ". ثـم القـدرة الاندماجيـة للمجتمع عبّر احترام اختلاف الأشخاص وتمايزاتهم.

ب- مفهوم الاندماج الاتصالي

تتفق أغلب الدراسات التي تتناول موضوع الاتصال، منذ ما يزيد على النصـف قرن وحتى الوقت الراهن، على تقسيم الاتصال على أنواع أو نماذج عدة، مـن أبرزهـا الاتصال الذاتي، والاتصـال الشخصـي، والاتصـال الجمعـي، والاتصـال الجمـاهيري بواسطة وسائل الإعلام والاتصال. على المستوى العلمي البحثي يمكن القـول بوجـود مدخلين لتعريف الاتصال ([2]) :

المدخل الأول : ينظر إلى الاتصال على أنه عملية يقوم فيها طرف أول (مرسـل) بإرسال رسالة إلى طرف مقابل (مستقبل) بما يؤدي إلى إحداث تأثير معين علـى متلقـي الرسالة.وهو يرمي إلى تعريف المراحل التي يمر بها الاتصال، ويدرس كل مرحلـة علـى جانب، وهدفها وتأثيرها على عملية الاتصال ككل.

المدخل الآخر: يرى أن الاتصال يقوم على تبادل المعاني الموجودة في الرسـائل، والتي عن طريقهايتفاعل الأفراد من ذوي الثقافات المختلفـة، وذلـك مـن أجـل إتاحـة الفرصة لتوصيل المعنى، وفهم الرسالة. وهـو تعريـف بنـائي أو تـركيبي،إذ يركـز علـى

([1]) انظر : الموقع الالكتروني ، زاره الباحث 22/ 11/ 2015:

http://www. toupie. org/Dictionnaire/Integration. Htm

([2]) مي العبد الله ، البحث في علوم الإعلام والاتصال ، (بيروت ، دار النهضة العربية ، 2011) ، ص 64.

العناصر الرئيسة المكونة للمعنى، والتي تنقسم بدورها على ثلاث مجموعات رئيسة([1]) :

أ- الموضوع : إشارة ورموز.

ب- قارئ الموضوع والخبرة الثقافية والاجتماعية التي كونها، والإشارات والرموز التي يستخدمها.

ج- الوعي بوجود واقع خارجي يرجع إليه الموضوع.

على الرغم من تباين تعريفات الاتصال بحسب المنظور الذي يتم التعريف به سواء كان منظورا سايكولوجيا او سوسيولوجياً فإنها في أغلبها لم تتطرق الى آلية عمل عناصر الاتصال وتكتفي بوصف ظاهرة الاتصال من الخارج. وتتفق على مركزية تظهرها نسقاً من المنظومات والعناصر المترابطة المنصهرة كلها في ما تفترضه الطاقة الاتصالية*.إذ يفرض النظام الاتصالي فعل التشابه المحوري الذي يتركب على الأثرين المرئي والسمعي لتتقارب المعلومة كتقارب الروح والجسد في تشكيل الأرضية الاتصالية وتركيز الوعي الإقناعي للجماهير بالرغم من التلاؤم الاختلافي في هذا المنحى من التشابه الثنائي الذي يشترك فيه الخاص والعام في العمليات الاتصالية المختلفة التي تتشكل بالتوافق المرتبط بالمكان وبشكله التدريجي لأنه يندرج في منظومة الربط والضبط وهي تنتمي إلى العالم اللامكاني المتحرك الذي يستند إلى خواص الرأي

([1]) مي العبد الله ، المصدر السابق ، ص 65.

*الطاقة الاتصالية : وهي الطاقة التي تلخص الخصائص العامة للإنسان كنسق عام، وكأنها المنبع للعناصر المشتركة والمتباينة في حد ذاتها ، لها بنيتها الداخلية غير الظاهرة ، ولها حدود لا تعرف الاستقرار ولا يمكن تصورها إلا بما أبدعته من طاقات تقنية ، تخضع أو تتحرك هذه الطاقة على وفق متغيرات دائمة التحرك ، وتقوم على مبدأ واحدا قوامه " أن كل شيء يشبه كل شيء انطلاقاً من أن مبدأ العلوم واحد ، وثمة شيء في كل علم هو مميزات المنبع شكلاً ووظيفة ... ومبدأ أن كل شيء ينسجم مع كل شيء بالاستناد إلى التناغم والانسجام والتعقد وكل شيء يتصل بشيء آخر كله " . أنظر : مفتاح محمد ، التشابه والاختلاف ، (بيروت ، الدار البيضاء ، 1996) ، ص 24-25.

العـام وإلى قـدر كـبير مـن الاتصـال للوصـول إلى الاقنـاع الجمـاهيري([1]). وتـذهب مدارس علم الإعلام في تحديد مفهومه وعلاقته بالاتصال إلى ديناميكيـة تفاعليـة تقـوم بين المرسلين والمسـتقبلين في السـياق الاجتماعي،وبحسـب تعريـف جيربنـت في مؤلفـه (وسائل ونظريات الاتصال والإعلام)، يتضمن المفهـوم عـدداً مـن الافتراضـات عـن طبيعة الاتصال نفسها، منها أن تكون ديناميكية وليست ثابتة في طبيعتها، وأن تضـع في الحسبان المحددات جميعها المتعلقة بالفرد والجماعة ومن جوانب متعـددة.ومـن ثـمَّ فـإن العملية الاتصالية هـي : أولاً، تمثـل نظامـاً للسـلوك بـين طـرفين : مرسـل ومسـتقبل، وتستهدف إرسال المعلومة للحصول على إجابة على شكل سـلوك ارتـدادي تفـاعلي؛ ثانياً، تستهدف المشاركة في فكرة أو اتجاه متفق عليه؛ ثالثاً، هي عملية تفاعل اجتمـاعي لرسم صورة جديدة وبناء معان داخل النسـق الاجتمـاعي الـذي يحـدث فيـه التفاعـل ([2]).ويقـترح إيفـرت روجـرز*تعريفـاً للاتصـال كــ "توافـق"، وسـيرورة،إذ يـتمكن المشاركون من بناء المعلومات وتقاسمها بغيـة الوصـول إلى تفـاهم متبـادل ([3]).بمعنـى أنالاتصال يمثل شبكة تتكون من الافراد المرتبطين بعضـهم بـبعض، عـن طريـق تـدفق الاتصال المـبني. وبنـاء نمـوذج اتصـالي يعتمـد علـى مبـدأ انتشـار المبتكـرات يقـوم في الاساس بحسب رأيه على طرق جديدة للبحث تتمثل في تحديد([4]):

([1]) علاء هاشم مناف ، فلسفة الإعلام والاتصال ، (عمان ، دار صفاء للنشر ، 2011) ، ص 26.

([2])جمال محمد أبو شنب ، السياسات الإعلامية ، (الاسكندرية ، دار المعرفـة الجامعيـة ، 2010) ، ص 15-17.

* إيفرتروجرز :(1931 – 2004)هو باحث امريكي قيطرقالت واصل ومـن رواد نشـر الابتكـارات وكاتـب ومدرس، أصبح عضو في هيئة التدريس في جامعـةIowa ، حصـل علـى شـهادة الـدكتوراه في علـوم اللسانيات وعلم الاجتماع له نظريات الاتصال ونشر الابتكارات.

([3]) أرمان – ميشيل ماتلار ، ترجمة : نصر الدين لعياضي ، الصادق رابح ، تاريخ نظريـات الاتصـال ، ط3 ، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2005) ، ص 174.

([4]) أرمان – ميشيل ماتلار ، المصدر السابق ، ص 174-175 .

1 – المجموعات ذات القيم التشاركية، التي يطلق عليها مسمى مجموعة ذات صلة، وتوصف بأنها زمرة أو أنظمة اتصال فرعية داخل النظام العام.

2 – الأفراد الذين يمثلون جسوراً تربط زمرتين أو زمراً عدة، انطلاقاً من موقعهم بعدّهم أعضاءً في " زمرة ".

3 – الأفراد الذين يشكلون همزة وصل بين زمرتين أو أكثر من دون أن يكونوا أعضاء في زمرة.

كما يرى جورج لندبرج Georges Lindberg إن مفهوم الاتصال يشير إلى التفاعل بواسطة العلامات والرموز، وتكون الرموز حركات أو صور أو لغة أو أي شيء آخر تعمل منبهاً للسلوك، أي أن الاتصال هو نوع من التفاعل الذي يحدث بواسطة الرموز([1]).

ان الأسس التي تقوم عليها العملية الاتصالية، تمثل تأثيراً متبادلاً بين عناصر العملية الاتصالية، لكن هذا التأثير مرتبط بشكل العلاقة بين عناصرها الاتصالية وطبيعة التناغم في نقل الارسال واستقباله، وشكل المضمون وطبيعة التكيف مع التكنولوجيا لإحداث هدف التأثير الذي يعول عليه في تقييم جودة الاتصال، وعلى مدى زمن طويل يمتد لآلاف السنين، طور الانسان نظامه الاتصالي لكي يمنحه قدرة اكبر على الفهم والاستيعاب والتواصل، ولعل هذا التطور في النظام الاتصالي البشري اعتمد على تراكم معرفي وثقافي مكّن الانسان من صياغات جديدة للمضمون الاتصالي معتمداً على ما توفره مجالات العلوم الاخرى من مساحات جديدة تسمح لمساحات اخرى اكبر من تضامن الفكر الانساني،لكي يعبر عن صيغ كان من الصعب التعبير عنها ونقلها لفئات المجتمع الاخرى.

لذلك كان الهدف من الاتصال ليس بناء منظومات تكنولوجية فقط بل بناء وتطوير المنظومة المعرفية وتطوير العقل البشري سمحت له بمجالات من الحرية

([1]) منال هلال المزاهرة ، نظريات الاتصال ، (عمان ، دار المسيرة ، 2012) ، ص 36.

والإبداع والتسويق لمنتجه الثقافي والفكري، من دون مراعاة لنوع المضمون ومدى صلاحيته المجتمعية، وكانت التكنولوجيا هي الاداة التي منحت قدرة التواصل، في الوقت الذي كانت تمثل التكنولوجيا اداة الفرد لتسويق المنتج الثقافي للمجتمعات، أصبحت وبحكم تأثيرها هي الهدف من الاتصال، وهذا بحد ذاته تعبير عما ذهب له مارشال ماكلوهان في وصف التكنولوجيا الاتصالية – الوسيلة – انها تمثل المضمون الاتصالي – أن التطور المجتمعي المصاحب للتطور التكنولوجي انسحب سلبا على تغيير هدف الاتصال ليصبح حالة من التجاذب الشديد بين مكونات العملية الاتصالية، واستمر هذا التجاذب وتطور حتى وصل الى حالة لم يعد بالإمكان التمييز بين عناصر العملية الاتصالية، وقد ركزت بعض تعريفات مفهوم الاندماج،لاسيما تلك التي تولي اهتماماً كبيراً للاندماج التكنولوجي، على التكنولوجيا في حد ذاتها.

وعرّف بافلك الاندماج : " انه الجمع بين اشكال متعدّدة من الاتصال في صيغة إلكترونية ورقمية تقوم فيها الحواسيب بالدور الرئيس"([1]).

أما فيلاث فيشر فيرى إن " الاندماج التكنولوجي يقود إلى شبكة رقمية كاملة تكون قادرة على حمل كل أنواع المعلومات، سواء كانت نصاً أو معطيات، أو صوتاً أو فيديو"([2]).

ويرى الباحث إن انتشار استخدام الإنترنت وتكنولوجيا الاتصال الحديثة المفصل الاساس في دمج عناصر الاتصال ورافق ذلك الاندماج الاتصالي ظهور منظومة رقمية قائمة على أساس مبدأ التسارع الزمني الذي يعتمد على الاتصال فائق السرعة ضمن حزم ناقلة للمعلومات تعمل على وفق مبدأ الشبكة المعلوماتية، تنساب المعلومات فيها بشكل سريع جدا،إذ يمكن للمرسل أرسال مجموعة كبيرة من

([1]) Pavlik, J.V , " New media technology and the information superhighway " , Allyn and Bacon , Boston , (1996) . p. 132.

(2) Vallath , C , " The technology of convergence" , In M . Hukill , R. One , & C. Vallath (Eds) , Electronic communication convergence : Policy challenges in Asia Sage , New Delhi , (2000) . P. 33 .

المعلومات والبيانات وفي الوقت نفسه يستقبل رداً مباشراً على تلك المعلومات، وهذا المبدأ الخاص بالتسارع المعلوماتي سمح لنشوء فكرة التواصل الاجتماعي في عودة واضحة للهدف الاساس من الاتصال وهو المضمون الاتصالي الذي يرمي إلى تقارب ثقافي اجتماعي، إذ أن فكرة وجود منظومة اتصالية تقوم على اساس وضوح عناصر الاتصال، لم يعد متماشيا مع مبدأ الاتصال فائق السرعة واختزال الزمن،أن عملية الاندماج الاتصالي توضح شكل الاتصال الجديد القائم على المنظومة الشبكية التي يتم على وفقها ارسال كميات لا منتهية من المعلومات وستقبالها، جعل من غير الممكن ان نفهم الاتصال على وفق نظريات اتصالية كانت قائمة ومقبولة عندما كان الاتصال يقوم على نظام خطي ثم نظام دائري،لكن الاتصال الشبكي يقوم على مفهوم جديد هو الاندماج الاتصالي الذي يعرفه الباحثعلى أنه :**(عملية التماهي أو المماهاة، أي ذلك الالتحام الافتراضي الذي يجعل عناصر العملية الاتصاليةتنضم في شيء واحد؛ضمن الفضاء الافتراضي،على وفق نظام يسمحبتبادل المعلومات بشكل فوري معتمدا على تقنية اتصال فائقة السرعة تختزل الزمن الاتصالي وتجعل من الصعب التمييز بين عناصر العملية الاتصالية).** بمعنى ان التسارع الزمني في عملية الاتصال يقرب المسافة بين عناصر الاتصال بشكل يجعل من الصعب التمييز والفصل بين العناصر الاتصالية، لذلك يمثل الاندماج الاتصالي هوية العام والخاص،على وفق ذلك لا تسري العملية الاتصاليةباتجاه واحد كما هو الحال في اشكال الاتصال التقليدية، لكن العملية تجريعلى وفق نظام الاتصال الشبكي،والعقد الاتصالية، التي تنشأ من تقاطع الوصلات الاتصالية وكل عقدة اتصالية تكون بمثابة مدمج اتصالي تجري فيها عملية اتصال وترتبط كل عملية اتصالية مع عملية اتصالية أخرى، وساعد عاملا (السرعة والزمن) في ظهور المنظومة الشبكية وتطورها، فالزمن والسرعة: يعملان على جعل الاتصال فورياً وكونياً وتفاعلياً، وهذا النظام يعتمد على الوصلات الاتصالية الشبكية ضمن علاقات اتصالية نسيجية،مكونةعقداًاتصالية ويجري في كل عقدة اتصالية – مدمج اتصالي –(التفاعل الآني) الذي يختزل الزمان والمكان في بعُدٍجديد هو (الزمكان) مستفيداًمن تكنولوجيا الاتصال التي تُسرع مع الحركة

الديناميكية لعناصر الاتصال بشكل يصعب التمييز والفصل بين مكوناته. ان مفهوم الاندماج الاتصالي يقوم على مجموعة من المفاهيم الخاصة بتكنولوجيا الاتصال الحديثة، الذي يعتمد على عنصري السرعة والزمن في نقل البيانات والمعلومات بين افراد المجتمع إذ توفره شبكة الانترنت ، فنجد أن السرعة يترتب عليها اختزال في بعدي الزمان والمكان وكلما كانت السرعة عالية أصبح هناك تلاصقاً بين مكونات العملية الاتصالية واختزالاً في المضمون الاتصالي، فيصعب التمييز بين المرسل والمستقبل وتختفي الرسالة في الذات الاتصالية التي يمثل المستخدم أحد جوانبها، فشكل الاتصال ونوعهفضلا عن الموقع الالكتروني المستخدم ذلك كله يطبع صفة خاصة (بالذات الاتصالية)، فمثلا مستخدم موقع الفيسبوك يحمل صفات مشتركة يكتسبها من الموقع وقد يدمن عليها فيكتسب الذات الاتصالية للموقع ويوصف بها احيانا. كما ان (التفاعل الآني)* او التفاعل اللحظي واحد من المفاهيم التي يقوم عليها الاندماج الاتصالي وهو عملية تفاعل اتصالي بين المرسل والمستقبل والرسالة في فضاء الإنترنت الذي يستجيب بسرعة للمضمون الاتصاليويعمل على تركيبه بشكل تبادلي ومشترك مع المرسل والمستقبل لينتج وبسرعة كبيرة مدمجاً اتصالياً هو نتاج عملية اتصالية لحظية.

وتعمل البنية التحتية لفضاء المعلومات على تمكين عملية الاندماج الاتصالي ويتكون الفضاء المعلوماتي من طبقات عدة ([1]) :

الطبقة الأولى : الأدوات والمعدات المعلوماتية.

الطبقة الثانية : المعماريةالتي تشكل هيكلة النسيج الرابط لهذه الأدوات والمعدات فيما بينها. يرتكز مفهوم المعمارية المعلوماتية المستخدمة لإنشاء البنية التحتية للفضاء المعلوماتي على مجموعة الأنسق المستخدمة لتوفير متطلبات البيئة الرقمية

* التفاعل الآني : هو اتصال فوري بين المرسل والمستقبل ومضمون الرسالة الاتصالية ، إذ يقوم المستخدم بالإرسال والاستقبال في الوقت نفسه. ولا يمكن أن يتصل مستخدم بآخر ثم ينتظر الآخر حتى وصول الرسالة ثم يقوم بإرسال رسالة إلية أو يستجيب لرسالته . إننا عادة ما نرسل رسائل إلى الآخرين حتى قبل أن يكتمل إرسال رسائلهم إلينا.

([1]) حسن مظفر الرزو ، مصدر سابق ، ص 26.

للمعلومات، معضم ان توفير خدماته الجميع مستويات المستخدمين، وإتاحة فرصة استخدامها للجميع.

الطبقة الثالثة : المورد الرقمي الذي يغذي مكونات الطبقة الأولى، ويربط مكونات نسيج الطبقة الثانية.ولفهم نظام الاتصال الشبكي يجب توضيح سرعة تأثير الشبكات بالسلاسل، نصف العقد الاتصالية او العقد المعلوماتية الشبكاتية – نقاط التلاقي أو التقاطع– التي تمثل اندماجاً اتصالياً داخل الشبكة وتمتاز هذه الحالة من التقاطع بأنها (سريعة التأثير) : إذ يمكن تنشيطها بأقل قدر ممكن من التأثير من نقاط التقاطع المجاورة لها في الشبكة. تكون كل نقاط التلاقي الأخرى في هذه الأثناء مستقرة – مع أن هذه النقاط المستقرة أيضا يمكن تنشيطها في ظل الظروف الاتصالية المناسبة– لذا يمكن أن تتسم نقاط التقاطع بسرعة التأثير على أي من النحوين التاليين : أما لأن لها حداً منخفضاً – ومن ثم ميلاً مسبقاً للتغير– أو لأن عدد نقاط التلاقي المجاورة لها قليل للغاية، لكل منها تأثير قوي. يمكن أن يكون للمتصل الاول في الشبكة أي فرد ما دام لديه عدد كافٍ من الافراد – الاصدقاء – المجاورين. قد يبدو هذا فارقاً غريباً، لكنه جدير بالفهم؛ لأنه يغير التوجه في تناول المشكلة بالكامل، فبدلاً من الحكم على فاعلية المتصلين بالشبكة في ضوء حدودهم بالاتصال الفردي، تستطيع ان تفهم طبيعة علاقتهم الاتصالية بالأفراد المجاورين لهم على سبيل المثال انظر الشكل رقم (1) الذي يوضح طريقة تنشيط نقاط الاتصال ([1]).لنفترضأن الحد الخاص بنقطة التلاقي (أ) يبلغ الثلث. في الجزء العلوي يوجد للنقطة (أ) ثلاث نقاط تلاقي مجاورة،أحدها نشطة،ونظرا لأن هذه النقطة الوحيدة النشطة تشكل ثلث عدد النقاط المجاورة للنقطة (أ)، يتم الوصول إلى مجال النقطة (أ) وتنشيطها، ومن ثم يصير (أ) متصلاً أولاً، على النقيض من ذلك في الجزء السفلي، تمتلك النقطة (أ) المجال نفسه،لكن لدينا هنا أربع نقاط تقاطع مجاورة بدلاً من ثلاث، ونظراً لأن النقطة

([1]) دانكن جيه واتس ، الدرجات الست وأسرار الشبكات، ترجمة : أميرة على عبد الصادق ، (القاهرة ، دار كلمات للترجمة ، 2013) ، ص 262

النشطة الوحيدة المجاورة لها لا تشكل سوى ربع مجموع النقاط المجاورة، فلن تنشط النقطة (أ)، ومن ثم يمكن أن يكون مجال الثلث، اعتماداً على درجته، منخفضاً بما فيه الكفاية لتصبح النقطة (أ) متصلاً أولاً، أو لا، بعبارة أخرى، يمكن القول إنه في حالة مجال الثلث، تكون "الدرجة العليا حرجة" لنقطة التقاطع (أ) هي ثلاثة،إذ تتحدد هذه الدرجة بوصفها الحد الاقصى لعدد النقاط المجاورة التي يمكن أن تمتلكها نقطة تقاطع واحدة، ويظل من الممكن تنشيطها بواسطة "أي" نقطة مجاورة، وإذا كان مجال النقطة (أ) أقل من ذلك "الربع، مثلاً"، فسترتفع الدرجة العليا الحرجة " أربعة"، وبالعكس.ومن الجدير بالذكر هنا هو أنه فيما يتعلق بأي مجال، يمكننا دائماً تعيين درجة عليا حرجة مكافئة، وإذا كان لدى نقطة تقاطع عدداً من النقاط المجاورة أكبر من الدرجة الحرجة لها، فستكون مستقرة أمام تأثيرات النقاط المجاورة الفردية، وإن لم يكن الأمر كذلك، فستكون سريعة التأثر؛ لذا فإن تغير الدرجة – وهذا ما يفسر أن بعض الافراد لديهم عدد أكبر من الاصدقاء أو يلتمسون ببساطة عدداً أكبر من الآراء مقارنة بالآخرين في شبكات التواصل الاجتماعي –أمر محوري لاستقرار الأفراد، ومن ثم لديناميكيات الاتصال الشبكي([1]).

بصورة عامة يركز مفهوم الشبكة (Network) على نسق يضم مجموعة من الخطوط المتشابكة، ضمن هيكلية محددة. ويطلق على نقاط التشابك اصطلاح العقد الشبكاتية (Nodes). وتسهم هذه العقد في تغيير اتجاه الاتصال داخل حدود الشبكة، ويقوم البعض الآخر منها بدور الحدود الفاصلة بين شبكات وأخرى، فيهيمن على نقاط الاتصال مع المحيط الخارجي بأنماطه المختلفة.إن الفيض المعلوماتي الذي يشكل صيرورة انتقال البيانات والمعلومات بين العقد المعلوماتية الشبكاتية مادة فضائه الرقمي، ليس سوى مظهر لسلسلة من عمليات تناقل حزم المعلومات ([2]).

([1]) دانكن جيه واتس ، المصدر السابق ، ص 263.

([2]) حسن مظفر الرزو ، مصدر سابق ، ص 34.

الحدود والسلاسل وقابلية التنشيط

غير نشطة غير نشطة

التنشيط

أ أ

غير نشطة

تجاوز الحد

لا تنشيط

أ أ

عدم تجاوز الحد

(عدد كبير من نقاط التلاقي المجاورة)

شكل رقم (1)تنشيط نقطة تقاطع بواسطة نقطة مجاورة لها

وتُعدأجهزت الاستقبال مثل الحاسوب،أحدى أهم عوامل الربط الشبكي السريع،على وفق نظم التشغيل بحسب الجودة التي تتصف بها، فتعمل على سرعة ايصال المضمون الاتصالي بجودة وسرعة عاليتين.

ويرى الباحث إن مفهوم الاندماج الاتصالي يقوم في الأساس على عملية التداخل بين مكونات العملية الاتصالية، هذا التداخل غير الملحوظ يفرضه عنصران اساسيانفي عملية الاتصال هما (الزمن والسرعة) فكلما زادت سرعة الاتصال يتقلص زمن الاتصال ويزداد تداخل العناصر الاتصالية، وبالعكس كلما قلت سرعة الاتصال يزداد زمن الاتصال ويقل تداخل العناصر الاتصالية إذ يمكن تمييز كل منهم

وهذا ما نجده واضحا في وسائل الإعلام التقليدية ولتوضيح ذلك: فلنفترض مثلاً : إن العنصر الاندماجي(أ)أرسل رسالة عبر الموقع إلى عنصر اندماجي آخر وليكن(ب) يتفاعل معها،في الوقت نفسه العنصر (ب) مرتبط بعناصر فرعية تستلم الرسالة وتتفاعل معها،عند انقطاع الاتصال مع (أ) يبقى الاتصال مستمرا ومتفاعلا مع المحتوى الاتصالي له في فروع العنصر الاندماجية(ب) وعليه فغياب العنصر الاندماجي الأساس(أ) يجعل من العنصر الاندماجي الفرعي الذي استقبل المحتوى الاتصالي ناقلا له كمرسل، إذنفإن أي عنصر في عملية الاتصال الشبكي يستبدل بالعنصر المرتبط به على إن يكون قد استلم الإرسال من العنصر الأساس وهذا لا يمكن حدوثه في عملية الاتصال التقليدي فغياب عنصرٍ من عناصر الاتصال يلغي العملية الاتصالية.

ثانيا :الخيار الثقافي للاتصال

يمنح هذا الحق الافتراضي الحرية الضرورية للأفراد لكي يغادروا بل وينسلخوا عن الثقافة – الأم – لأنها لم تعد تستجيب لطموحاتهم، ولا تتلاءم مع حرياتهم ورؤاهم الجديدة للعالم.لا يمنح هذا الحق حقوقاً ثقافية للأفراد فحسب، بل يجعل من الثقافاتكلها مجرّد إمكانات تتنافس لإقناعنا بالانتماء إلى إحداها دون إكراه أو شرط. وبهذا نحرر الأفراد من تلك القيمة الخارجية التسلّطية للثقافات، ويبقى للثقافة فقط قيمة داخلية ليس لها تأثير إلزامي على حريات الأفراد. بهذا فقط تتغير إحداثيات التعاطي مع الثقافة : فبدل الانتماء اللاإرادي وفي بعض الأحيان الإكراهي لثقافة ما وتجريم محاولات النقد والتطوير والانسلاخ كلها عن القيم الموروثة وعن العادات البائدة، سيكون للأفراد الخيار القانوني (أي الذي يؤمنه القانون) لا للانتماء العرقي والدموي –لأنه حاصل دون إرادتنا، إذ ليس لنا خيار في أن ننشأ داخل هذه الثقافة أو تلك – بل لاختيار الثقافة التي تستجيب لما نحتاج لهبعدّها مواطنين أحراراً متساوين في الحقوق والواجبات. يقتضي الحق الثقافي للاتصال، إذن، أن يختار الفرد الحرّ من بين نماذج ثقافية عدة للاتصال الشكل الثقافي الملائم لطموحاته ورؤيته الفردية للحياة الجديدة. وعلى منوال حرية انتماء الأفراد الأحرار إلى جمعيات أو أحزاب أو نقابات أو أديان، سيكون لهم الحق الشامل في تقرير مصيرهم الثقافي وتغيير انتماءاتهم

الأصلية إذا ما رغبوا في ذلك، عبر نماذج اتصال قابلة للتبادل الفوري للمعلومات والآراءوالأفكار تتيحها تكنولوجيا الاتصال.وعلى النقيض من الطرح الجماعي للاتصال بمحيطه الداخلي، لا تكّرس الحقوق الثقافية المنشودة إعادة غرس الفرد في محيطه الثقافي –الأم – بل تشرّع في تحرره من ثقل الثقافات الجاهزة بمنحه حرية الاختيار بين البقاء والمغادرة دون إكراه أو ملاحقة أو تجريم. لا يتعلق الرّهان هنا بالحفاظ على وحدة جماعية زائفة على وشك السقوط أو بإرغام الأفراد على الولاء لتراث ولتاريخ قد يكونون هم ضحاياه، بل الحفاظ بالدرجة الأولى على حرمة الأفراد وحرية اختيارهم. من هذا الأفق تخضع الحقوق الثقافية للاتصال للروح الفردية اللبرالية وليس لروح جماعة قبليّة مهيمنة على الأفراد. فالحق الثقافي للاتصال يجب أن يكرّس الحق الفردي ويعزّز هامش الحريات بدلاً من أن يقلّصه بفرض الولاء والطاعة لأنظمة سلطوية متداعية ومتهافتة.ذكر تايلور* : "إن شرط استمرار الوحدة الجماعية بكل"أبعادها ورموزها هو اندماج الأجزاء (الأفراد) في الكل (الجسم الجماعي الافتراضي والمادي). ويفيد الاندماج هنا معنى التماهي أو المماهاة أي ذلك الالتحام المادي والافتراضي الذي يجعل من الفرد مواطن دولته ويجعل من هذه الدولة دولة هذا المواطن. فهناك شرط نطلق عليه شرط "الحلول" حلول المواطن في أنظمة مجتمعه وآليات دولته، وبالمثل تتجلّى كلها هذه الرموز في سلوكيات المواطن اليومية. وهذه

*تشارلز مارغريف تايلور (بالإنجليزية: Charles Taylor) ولد في 5 نوفمبر 1931، فيلسوف كندي من موريا ل بالكيبيك. يُعدّ أحد أبرز الفلاسفة المعاصرين في مجال الفلسفة السياسية والفلسفة الأخلاقية. تُرجمت أعماله إلى أكثر من عشرين لغة. أستاذ العلم السياسي والفلسفة في جامعة مكغيل (مونتريال) درّس منذ 1961 م إلى 1997 م. في عام 2007 م ، عُيّن رئيسا، بالاشتراك مع عالم الاجتماع جيرار بوشار، في اللجنة الاستشارية حول التوافقات المتعلقة بالاختلافات الثقافية التي سُميّت لجنة بوشار- تايلور. أنظر : الموقع الالكتروني الموسوعة الحرة الويكيبيديا ، http://ar.wikipedia.org .

الحلول وهذه المماهاة هي التي تمنح أنظمة الحكم المشروعية المطلوبة" ([1]).ويرى أرنولدتوينبي** صاحب نظرية اقتباس التقنية أن المجتمعات المختلفة لا تتقبل

ابداً مجمل ثقافة أجنبية بل أنها تميل الى اقتباس بعض عناصرها وفقاً لأذواقها.وإن الذي يحظى بالقبول أكثر من غيره في هذا المجال هو التقنية والمنتجات التقنية الخاصة بالمجتمع الأجنبي لا قِيَمِهِ، كما أن عملية الاقتباس تبدأ من أصغر العناصر، ويعتقد توينبي على وفق نظريته أنه حين يدخل عنصر من ثقافة اجنبية مجتمعاً ما فأنه سيُدخل شئنا أم أبينا العناصر الأخرى ايضاً، بحسب تعبيره، تشبه عملية الاقتباس " الصندوق السحري " الذي اذا فتح لم تجد له نهاية وصار يغير كل شيء ويضيف أنه إذا بدأت عملية الاقتباس في مجتمع معين، فسوف يظل ذلك المجتمع في حالة ازمة حتى يتغير تماماً، ويعتقد ايضا أن دخول عنصر من الثقافة الاجنبية اخطر على المجتمع من اقتباس مجمل الثقافة الاجنبية، ودليله لإثبات هذه الفرضية أن لكل ثقافة طبيعتها الخاصة عناصرها كلها مترابطة مع بعضها ترابطاً عضوياً كترابط اعضاء جسم الانسان،فإذا اقتبس عنصر لمفرده لن يترك تأثيراً إيجابياً ([2]).

هناك نموذجان في فهم حركة الثقافة الاتصالية بالاعتماد على التقنية،النموذج الأول يرى ان الثقافة الاتصالية لا محال سوف تغير العالم،على وفق حق الحرية في الاتصال والتعبير وأختيار المجال الخاص الذي تتم فيه عملية الاتصال،إذ إنّ التقنية الاتصالية هي من تسمح بتوسيع مجالات الحرية ومن ثمّ تجعل الفرد بلا قيود تعيق عملية التبني والانسلاخ، حتى ولو كان ذلك يخالف ما كان يتبناه الفرد، فالتقنية

([1])مصطفى بن تمسك ، أصول الهوية الحديثة وعللها مقاربة تشارلز تايلور نموذجاً ، (بيروت ، جداول للنشر، 2014) ، ص 225.

** وُلِدَ أرنولد تُوينبي في لندن، عام 1889-1975، ودرَسَ في أكسفورد، وتقلّد في عدّه مناصب، منها: أستاذ الدراسات اليونانيّة والبيزنطيّة في جامعة لندن،ومديردائرة الدراسات في وزارة الخارجية البريطانية؛ يعدُّ تُوينبي أحدثَ وأهمّ مُؤرّخ بحَثَفي مَسألة الحضارات بشكلٍ مُفصّلٍ وشامِل .

([2])علي محمد النقوي ، الاتجاه الغربي من منظار اجتماعي ، (طهران ، رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية ، 1997) ، ص 560.

تسمح بحالة من ادمان الاستخدام والتي تنعكس سلباً على ارادة المستخدم في فهم التواصل مع الثقافات الاخرى، وذلك يتبع وضعية المستخدم ومدى إدراكه ونوع الصدمات النفسية التي تعرض لها في أثناء حياته والتي تسبب حالة من قبول مفاهيم تتعارض مع واقع المجتمع الذي يعيشه.لكن المشكلة أن الواقع متنوع واستجابات الانسان وتفاعله وإدراكه لهذا الواقع مختلفة، كما قول دوركايم "هو ينشىء شبكة من المعاني والرموز وطرق التفكير والشعور والعمل ليحدد غايته وسلوكه"، لكن المشكلة الاعمق حسب رأي ماكس فيبر "أن الانسان كائن يتشبث بشبكة المعاني التي نسجها بنفسه"، وهذا التمسك يولد الانحياز لما يصنعه من معان وطرق تفكير، وهو ما يدفعه إلى منحها صفة السمو والقدسية في كثير من الأحيان ناسياً مرجعيتها وأصلها ونسبها، كونها حصيلة تفاعل مع الواقع وهذا الواقع دائم التغير والتحول مما ينفي الثبات أو الجمود على أي ثقافة.هذا هو أساس الاختلاف بين الثقافات، الذي يولد التمايز ومفاهيم الهوية والخصوصية والتمركز حول الذات([1]).لذلك يتبين للباحث أن الخيار الثقافي الاتصالي أصبح جزءاً من تكوين الفرد على وفق النظام الاتصالي الحديث،مكنه من أن يبرز سمات ذاتيه لم يكن من الممكن ان يبرزها في نظام اتصالي مغلف تهيمن عليه ثقافة مؤدلجة تتحكم بها السلطة الفردية او السلطة المجتمعية، لتفرض خياراً ثقافياً اتصالياً مغلقاً يعمل على وفق ضوابط معدة مسبقاً، إن الخيار الثقافي الاتصالي سمح ان يكون الفرد منتجاً للمعاني والنصوص، وهو في حقيقية الامر جزء من الحل لمشكلة ماكس فيبر، فإن تشبث الانسان بالمعاني لم يعد مشكلة مصدرها الميراث المكتسب للفرد بل طبيعة لاكتشاف الفرد للمعاني والرموز وطريقة توظيفها بما يخدم السلوك، لأنها تنبع من الرغبة الذاتية.اما النموذج الثاني فيفترض إن الفرد لا يستطيع ان يتغير بفعل العامل التقني ويدل على ذلك،إن المجتمع يقتبس الثقافات الاخرى ويختبرها ويختار على وفق ما ينسجم مع القبول العام بين افراد

([1])عبد الغني عماد ، الثقافة وتكنولوجيا الاتصال التغيرات والتحولات في عصر العولمة والربيع العربي ، (بيروت ، مجد المؤسسة الجامعية للنشر ، 2012) ، ص 8 .

المجتمع وإن الروابط الاتصالية بين افراد المجتمع تقوم على الحوار المشترك المنتج في اغلب الأحيان لمضامين اتصالية جديدة مصدرها التقنية التي تسمح بالإطلاع على الثقافات الاخرى،ويعدُّ المجتمع كأنه كياناً واحداً غير قابل للتجزئة وإن مصدر قوته تكمن في روابط اتصالية اسهم التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في زيادة قوتها وتعزيز قدرتها على الامساك بالإفراد ومنع حالة الانسلاخ او الانفصال منه.

ويرى الباحث إن القيمة الحقيقية لكل مجتمع هو مقدار القوة المهيمنة على الروابط الاتصالية الثقافية التي تعطي شكل كل مجتمع،أما التقنية فهي عامل مساعد في تعزيز الروابط، وزيادة اندماج افراد المجتمع مع بعضه، وهو بذلك يعزز مفهوم الثقافات المنفصلة إذ بعضها حيث تكون للخصوصية العامة السبق على الخصوصية الفردية. وتمثل بذلك خصوصية المجتمع خصوصية الفرد بنفسه. على خلاف الرأي السابق الذي يمنح كل فرد خصوصية خاصة لذاته.هذا النموذج يقوم على مبدأ أن الفرد عليه أن يبقى محافظاً على السياق العام للمجتمع، ولا يقبل بظهور حالات شاذة فيه،لأنه يعتقد أن كل مظهر مخالف للسياق العام للمجتمع يسمح بتفكيك المجتمع وإن المحافظة على الخصوصية العامة تمنع الانجراف مع ثقافات اخرى،إذ ان ما يملكه من مقومات خاصة بالثقافة تعدُّ بمثابة ثقافة أصيلة ولا يقبل بعملية التهجين الثقافي ويرفضها بالاعتماد على مجموعة من عناصر الردع على وفق النظام الاجتماعي تمكنه من خوض الصراع. ومشكلة هذا النموذج إنه مغلق على ذاته ويُخضع كل ما تحمله تقنية الاتصال لعملية اختبار ثم مقابلة ومطابقة مع معاييره الخاصة. وقد يكون هذا النموذج مقبولاً بشكل أو بأخر إذا حافظ افراد المجتمع على نسق رتيب في التعامل مع وسائل الاتصال، وكان مستوى إدراكهم للمحتوى الاتصالي واحداً في الاحيان كلها، ووسائل الاتصال مقننة والمحتوى الاتصالي يخضع لحارس البوابة الذي يتحكم على وفق منظور السلطة بالمحتوى الاتصالي. عندها يكون بالإمكان أن يعمل هذا النموذج عندما يكون الإعلام ساحة للسيطرة الاجتماعية وإعادة إنتاج المجتمع بأنماطه

السائدة([1])،وهو ما دفع هابرماس*، إلى اتهام التليفزيون بإفساد الرأي العام الامر الذي يستوجب خلق ساحة جديدة يمارس فيها الرأي العام فعاليته بشكل أكثر شفافية وتواصلاً وذلك عن طريق تكنولوجيا المعلومات. وهو ما يتفق مع رأي كارل بوبر* الذي خلص على عدّ الإعلام الحديث مضراً بالديمقراطية، ولا يعمل على نشرها وتعميقها([2]).لكن هناك تغيراً في طريقة عمل وسائل الاتصال في نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرون تتمثل في ثقافة اتصالية جديدة تقوم على مبدأ الخصوصية الفردية وبناء عوالم متعددة في المجتمع الواحد لكل عالم خياره الثقافي

([1]) Cashmore, Ellis, and Rojet, Chris : " Dictionary of Cultural Theorists" . Edward Amold pulplishers, LTD, New York . 1999. Pp.15.

* يورغن هابرماس (Jurgen Habermas) : منظر، وفيلسوف وناقد اجتماع وسياسي ألماني معاصر ولد عام 1929 م في مدينة دسلدورف يعدّ من أهم علماء الاجتماع والسياسة في عالمنا المعاصر. ما زال يعيش بألمانيا.يعد من أهم منظري مدرسة فرانكفورت النقدية له أكثر من خمسين مؤلفا يتحدث عن مواضيع عديدة في الفلسفة وعلم الاجتماع وهو صاحب نظرية (الفعل التواصلي).وصل يورغن هابرماس إلى درجة من الشهرة والتأثير العالمي لم ينجح الرعيل الأول من ممثلي النظرية النقدية الاجتماعية والمعروفة في حقل الفلسفة المعاصرة بمدرسة فرانكفورت في الوصول إليها. فعلى الرغم من الثقل العلمي لأفكار الجيل الأول (هوركهيمر، أدورنو، ماركوزه، إريك فروم...)، إلا أن هابرماس هو الفيلسوف الوحيد الذي فرض نفسه على المشهد السياسي والثقافي في ألمانيا كـ"فيلسوف الجمهورية الألمانية الجديدة" . انظر : جون سكوت ، خمسون عالماً اجتماعياً أساسياً المنظرون المعاصرون ، (بيروت الشبكة العربية للابحاث والنشر ، 2013، ط2) ، ص 280.

* كارل ريموند كارل پوپر ولد (1902 فينا - 1994 لندن) فيلسوف نمساوي-إنكليزي متخصص في فلسفة العلوم. عمل مدرسا في كلية لندن للاقتصاد، يعدّ كارل پوپر أحد أهم وأغزر المؤلفين في فلسفة العلم في القرن العشرين ، كتب بشكل موسع عن الفلسفة الاجتماعية والسياسية. ما بين عامي 1949 ـ 1969 عمل أستاذاً للمنطق والمناهج العلمية بجامعة لندن. حصل في عام 1965 على لقب "سير". كتب أول أعماله، الذي نُشر في صورة مختصرة بعنوان (منطق البحث) عام 1934 وفي طبعة كاملة عام 1979 بعنوان (المشكلتان الرئيستان في النظرية المعرفية). وأحد من اهم مؤلفاته كتاب (المجتمع المفتوح) . أنظر : الموقع الالكتروني الموسوعة الحرة الويكيبيديا ، http://ar.wikipedia.org .

([2])عبد الغني عماد ، مصدر سابق ، ص 23.

الاتصالي الذي يقوم في الاساس على المتابعة والإطلاع والتواصل والاكتساب والخبرة والتداولية هذا الواقع يرفض بشكل قوي الخصوصية العامة، فالفرد يمكنه الان أن ينقل احداثه الخاصة ويجعلها عالمية، كما يستطيع أن يحول مشاكل شخصية الى مشاكل رأي عام، وأن يتداول معلومات مهمة وخطيرة قد تتعلق بأمور مهمة تخص المجتمع بسرية عبر قنوات الحوار الخاص – الدردشة- وبناء جماعات سرية وعلنية تعالج مشاكل قد تكون مهمة او تافهة لكنها في النتيجة تمثل ارادة الفرد وليست الجماعة، وعليه فإن الخيار الثقافي الاتصالي أساسه الفرد وهدفه الجماعة.

ثالثا : مفهوم الاتصال المعاصر

بالرغم من حداثة التجربة الوجودية لعلم الاتصال، فإنه، ومنذ الخطوة الأولى مع شانون (shannon) 1948، قد حاز اهتمام العقول المنظّرة التي شغفت بتنسيق واقعه العلمي والأكاديمي، فلم يكن من السهل وضع تعريف لهذا العلم الجديد الذي يهيمن على مناحي الحياة المختلفة، إذ إنه ينطوي على وضوح المشاع، وغموض اللامحدود "فهو واضح بما فيه الكفاية في حالة استخدامه الاصطلاحي، ولكنّه غامض عندما يبحث عن حدود استعماله" ([1]). وهو المعنى نفسه الذي نجده عند كل من ج. وج. روسو (G.et G.Rousseau) حينما أكّدا أننا، ونحن نستعرض حاجاتنا الضرورية، نادراً ما نجد التواصل من بينها، مع أن هذا البعد أساس ومخصّص للجنس البشري، فهو حيوي إلى درجة أننا ننسى ذكره، فالاتصال او التواصل في الحقيقة هو التعبير عن الحياة. في هذا المقام يحسن أن نميّز بين وجهين للاتصال، الأول عام وشامل نشاطات الأنسان كلهامن حيث الارتباط مع محيطه الحياتي، من نبات وحيوان، بل وجمادٍ وآلات.

أما الوجه الآخر،يتعلّق بالروابط الجامعة بين بني البشر بما يتضمّنه من قصد، وتأويل، وترميز، وتفكيك للسنن. وبهذا المفهوم يكون الاتصال "عملية يَقصد بها

([1]) محمد أمين موسى ، العامل النفسي والاتصال : فاعلية الاتصال في الحياة اليومية وعبّر الوسائل ، (بيروت، مطبعة المعارف الجديدة ، 1994) ، ص 8.

مُصدّر نوعيّ يحدث، استجابة نوعية لدى مستقبل نوعيّ" بحسب تعريف الكاتبة إندي ريكارد ([1]).

قال يورغن راش (Jurgen Rusch) : "إن مفهوم الاتصال سوف يشمل كل العمليات التي بواسطتها يؤثر الناس في بعضهم البعض" ([2]). من ذلك يتبين ان هناك سمات مشتركة في عملية الاتصال منها :

1-يحتوي على تعاملات اعتمادية وتكاملية :

- العلاقات الاعتمادية : يرجع الشخصان كل منهما إلى سلوك الاخر بشكل تبادلي.
- العلاقات التكاملية : يتبّنى الشخصان سلوكيات مختلفة.

2- التأويلية الشخصنة الاتصالية : إننا نعمل في الغالب على جعل الاتصال خادماً لمصالحنا الشخصية، ومتطابقا مع صورتنا عن الذات.

3- الاتصال تبادلي :

- لأن إرسال الرسائل واستقبالها يتمّان بشكل تزامني
- لأن العناصر الاتصالية مترابطة فيما بينها، فعناصر الاتصال يتوقف بعضها على بعض، وهي ليست أبداً مستقلة، إذ إن ّكل عنصر في علاقة بالعناصر الأخرى.

4- الاتصال عملية تسلسلية : عناصر الاتصال في حالة من الحركة وتتبع مستوى هذه الحركة وتسارعها على وفق نوع الاتصال وطبيعته وحالة الاستقرار والسكون لعناصر الاتصال سببها مجال الاتصال المحدود والحالة تختلف في حالة المجال

([1]) مصطفى حجازي ، الاتصال الفعال في العلاقات الانسانية والادارية ، (بيروت ، مؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع ، 1990) ، ص 18 .

([2]) محمد امين موسى ، المصدر سابق ، ص 9 .

العام المفتوح إذ إنّ حركة كل عنصر تكون بشكل متسارع، مثل عناصر الاتصال في فضاء الانترنت فينتج هذا التسارع وحالة القلق لكل عنصر (عقد اتصالية) ضمن عملية الاندماج الاتصالي.

5- **حتمية الاتصال** : يعدُّ الاتصال حتمياً وضرورياً،فعلى الرغم من عزلة الإنسان الاختيارية أو المفروضة، فإنه في تفاعل مؤثّر مع ما خزنته ذاكرته من أحداث ومواقف تواصلية سابقة تؤطر تواصله مع ذاته.

ويرى الباحث إن السمات وغيرها مؤطرة للفعل الإنساني في مجال الاتصال وقد ساعدالتطور السريع في مجال تكنولوجيا الاتصال في ظهور مجالات للاتصال لم تكن موجودة، فلم تعد الحدود الجغرافية والفارق الزمني يعيقان البث اللاسلكي والبث الفضائي، والحزم الضوئية للمعلومات فائقة السرعة، كلها جعلتنا نفكر بمفاهيم جديدة وقد تكون مخالفة للتصورات التي نظر لها علماء الاجتماع والإعلام فيما بعد، ولا يخفى حقيقة ان أية نظرية تقوم على واقع ملموس تحتاج لتفسيرات مقبولة ومنطقية لطبيعة سير العملية أياًكان نوعها وطبيعتها، وبما ان الإعلام كان الحلقة الملاصقة للاتصال،ذلك بررذلك اقتران الكثير من المفاهيم الاعلامية بالمنظومة الاتصالية وما يحصل لها من تطور على الصعيد الساسيولوجي، والسايكولوجي، والتكنولوجي، لذلك فإن افكار الكثير من المنظرين للاتصال أصبحت محدودة التطبيق بعد ثورة اتصالية جعلت من الاتصال ذي طابع حركي انتدماجي،يصعبالتمييز بينعناصره الاتصالية، هذا الاندماج الاتصالي اوجد منظورا جديدا، في معادلة الاتصال التي تذهب الى ان الفرد لم يصبح ذا بعد واحد لكنه استطاع ان يمثل عناصر الاتصال في كينونة واحدة على الرغم من انه فرد واحد لكنه يمثل عملية الاتصال كلها، السؤال هنا كيف يكون بمقدور فرد ان يمثل منظومة اتصالية تصبح شيئاً فشيئاً منظومة عالمية لتمثيل المواطن العالمي، أو الصحفي العالمي، أو الفرد المتعدد الوجوه؟ لا تستطيع مفاهيم الاتصال القديمة التي فسرت عملية الاتصال،عند اختراع المذياع والتليفزيون،أن تنطبق على متغيرات الاتصال الجديدة.

ووجد الباحث عند دراسة نظريات الاتصال انها تعالج اثار التغير التكنولوجي على السلوك الاجتماعي والنفسي للفرد،فدراسات هارولد رازويل التي فسرت الاتصال على وفق منظور اجتماعي،على اساس قوة التأثير على المجتمع بعدّه فرداً واحداً او كياناً واحداًمن دون النظر الى الفروق الفردية والثقافية والاقتصادية بين طبقات المجتمع، فقد كانت تلك الدراسات متزامنة مع البث الاذاعي واستطاعت ان تفسر الإعلام على وفق فهمها طبيعة الاتصال الخطي،واستمر نظريات الاتصال في تفسير الاثار التي تحدثها التغييرات التكنولوجية على السلوك البشري في ابعاده المختلفة. لذلك فقد كان من الضروري تفسير طبيعة الاتصال المعاصر عن طريق فهم جديد للعلاقة الدائمة بين السلوك والتكنولوجيا – التقنية – فالفرد أصبح يتعامل مع التقنية ليس على وفق مبدأ المتلقي بل على وفق مبدأ جديد هو الاندماج، وهنا يعني أن الاندماج هو الانتقال من حالة ساكنة إلى الحالة الحركية الفاعلة، فالفرد الساكن كان يتلقى الرسائل ويقوم بفك رموزها وهو على قناعة بالخضوع للامر الواقع بمعنى أنه منقاد بفعل التكنولوجيا الى مزاج القائم بالاتصال وما يرغب بتقديمه له من مضمون اتصالي قد لا ينسجم معه لكنه ولفقر تكنولوجيا الاتصال يقبل على مضض،لكن مع تطور المنظومة الاتصالية ظهر شكلجديد من التواصل يقوم على الفرد المندمج في الاتصال،فالمضامين كلها تخضع لمزاج وتصورات خاصة تصبح بفعل التكنولوجيا عامة، لكنه لا يفرضها على الاخر والسبب هو ان كل فرد اصبح منظومة اتصالية تعمل،وتوفر بيئة اتصالية للتفاعل مع الاخر اذا رغب بذلك دون قيود وشروط فقط الرغبة بالمشاركة والتفاعل،لذلك فإن حالة الاندماج لكل فرد تمثل حالة من الاندماج الكلي على عموم الفضاء المعلوماتي، فكل ما هو قائم بمفرده ويعتقد انه ضمن عالم خاص هو بالفعل يكون جزءاً من مجال عام للحواروالتشارك للمعلومات والافكار، أن صيغ الاندماج في فضاء الفرد – مجال الفرد – هي سيرورة لعناصر العملية الاتصالية بين مرسل ومستقبل ورسالة ووسيلة تعمل على وفق سرعة عالية جدا، تعكس تطوراً عالياً في تكنولوجيا المعلومات هذه الحركة لكل مفردة من عناصر الاتصالي على وفق سرعة فائقة توفر اختزالاً للزمن،وإن تقارب كل عنصر من

العنصر الاخر تسمح به حالة من الحركة الحرجة والسريعة جدا، عندها يمثل كل عنصر العنصر الاخر ويقوم بدوره بشكل او باخر، هذا الاندماج يظهر بشكل واضح في اثناء استخدام الفرد شبكات التواصل الاجتماعي إذ توفر له إمكانات عالية في تبادل الادوار بين عناصر الاتصال ضمن مراحل تبدأ بحالة السكون الى البدء بالحركة ثم تسارع الحركة وبعدها التقارب الحرج ثم الاندماج الاتصالي.

إنمواقع الإنترنت،واللوحات الإعلانية،والمحادثات على الانترنت،والبريد الإلكتروني، والرسائل اللحظية،والتدوين،ومواقع التواصل الاجتماعي، تلك كلها إسهامات مهمة في فضاء عام جديد للحوار، تقدم منابر للمواطنين العاديين للتعبير عن آرائهم، ومن الصعب أن تسيطر عليها الحكومات. مع سهولة الاتصال العالمي وزيادة تدفق المعلومات عن طريق وسائل الاتصال الحديثة، أصبح من الصعب على دولة ما أن تتحكم في المعلومات أو أن تطوّعها لاحتياجاتها الخاصة،وأصبح من الصعب كذلك على الحكومات السلطوية أن ترصد أنشطة أو تحركات خصومها. نجاح الحركات الشعبية العربية في بعض البلدان من تغيير نظام الحكم – مثلاً- يرجع الى تفاديها مؤسسات الإعلام الرسمي وتقديم قضيتها للعالم مباشرة ودون تفكير عبّر الإنترنت.

ويرى الباحث إن الحركات الاجتماعية وجماعات المصالح الجديدة تستخدم الإنترنت كذلك لدعم تصور المجتمعات العالمية الافتراضية أو الواقعية والعمل كمنابر ديمقراطية للحوار، والحقيقة أن الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي يسهلان بناء نمط جديد من المجتمعات ويجعلان بإمكان الناس من ذوي الأفكار المتشابهة أن يتواصلوا ويتفاعلوا،بالرغم من تساؤلات النقاد ما إذا كان يمكن عدُّ المجتمعات الإلكترونية مجتمعات ملائمة، لأنها لا تتطلب اتصالا مباشراً بين الأشخاص. والواقع أن الحركات الاجتماعية تبقى، ليس بفضل تكنولوجيا المعلومات والاتصال فحسب، وإنما بفضل هذه التكنولوجيات والالتقاء وجها لوجه بين عدد كبير من أعضاء هذه الحركات في مواقع مختلفة من العالم، كما إن التكنولوجيات الحديثة يمكن ان تنعش أيضا العمليات الديمقراطية الواهنة،إذ تقدم وسائل اضافية لتمكين الناس من

التصويت في الانتخابات.فضلا عن ذلك فإن هذه الديمقراطية التي تسمى (ديمقراطية بالضغط على الزر) أو الديمقراطية الإلكترونية المباشرة، تقدم طرائق جديدة للاحزاب السياسية لكي تتصل وتشارك في الدائرة الانتخابية، إلى جانب أنها تحمل إمكانية إجراء المزيد من الاستفتاءات على مدى أوسع وأكثر تنوعاً من القضايا، وذلك كله يساعد على إسهام المواطنين في العملية التشريعية، وعلى جعل اتخاذ القرار الحكومي أكثر انسجاما مع الرأي العام. إلا أن الانترنت – كذلك- يوفر الفرصة لسماع أصوات جديدة، وللتعبير عن الآراء الثورية وآراء الاقليات، والتحرر من سيطرة الأحزاب السياسية الرئيسة على ساحة الحوار العام. في السياق نفسه،في حين تعدُّ المجتمعات الافتراضية إحدى التجليات البارزة للتواصل الكوني، إلا أنها يمكن أن تكون كذلك منابر تطل منها بعض العناصر الأكثر بغضا من السلوك الإنساني، مثل الكذب والابتزاز الشخصي(كما في الحياة الحقيقية في الواقع)، وهي نقطة يعترف بها، هوارد رينغولد(Howard Rheingold) وهو أول من استخدم مصطلح المجتمع الافتراضي ووضع الكتاب الرائد فى هذا السياق بعنوان المجتمع الافتراضي "Virtual Community" وعرف المجتمع الافتراضى بأنه (تجمعات اجتماعية،تنشأ من الشبكة، حين يستمر أناس بعدد كاف، في مناقشاتهم علنياً، لوقت كاف من الزمن، بمشاعر إنسانية، كافية لتشكيل شبكات من العلاقات الشخصية في فضاء السايبري([1]).ان إيجاد إطار نظري يفسر طبيعة العملية الاتصالية في مواقع التواصل الاجتماعي عبّر شبكة الإنترنت يساعد في فهم العملية الاتصالية ويحلل شكل ترابط عناصر أفراد هذا المجتمع الافتراضي عن طريق فهم معمق لشكل كل عنصر وتركيبة الرسالة الاتصالية التي يتفاعل معها ليختزل العملية الاتصالية التقليدية.

([1]) نديم منصور، سوسيوجيا الإنترنت، (بيروت ، منتدى المعارف ، 2014)، ص 21.

المبحث الثاني

الاندماج الاتصالي على وفق المنظور الإعلامي

اولاً : التواصل الاعلامي

تواكب قضايا التواصل وأزماته الإنسان منذ نشأة المجتمع، ويعيش الفرد تعقيدات التواصل وخصائصه منذ الولادة. ويمكن التمييز بين التواصل وبين الوعي بالتواصل. فالتواصل خاصّية طبيعية ترافق البشرية منذ البداية. وهو عملية آلية وضرورة بيولوجية. أما الوعي به، فهو خاصّية ثقافية مجرّدة مرتبطة بتطوّر الفكر الفلسفي والنقدي حول حدود التواصل في الزمان وفي المكان. وهذا الوعي هو الذي أسهم بالدرجة الأولى في تطّور تقنيات التواصل ونماذجه. إذ بفضله اخترع الإنسان التواصل الشفوي عبّر الأصوات، وطوّر التواصل عبّر الجسد وعبّر أدوات طبيعية. ولعل أهم الحوافز على تطوّر التواصل تكمن في البحث عن ذاكرة مثالية تحفظ المعلومات كلها لمدة اطول، وعن التفاعل مع أكبر عدد من الأشخاص، وعن التعبير بطريقة أقل إبهاماً وأكثر وضوحاً ([1]).

نستطيع في ميدان الإعلام والاتصال أن نتطرق إلى الفكرة الماكلوهانية*، ونعيد صياغة بعض التقديمات التي أوردها ماكلوهان عن تحول أنماط الاتصال في التاريخ فقد انتقل الانسان في تعاقب وقائعه وأحداثه من مجال التقاط الاتصال بحاستي الأذن والعين (الاتصال الشفوي) إلى مرحلة الاعتماد على حاسة العين (الاتصال المكتوب) ثم إلى مرحلة العودة إلى الاتصال الأول (الوسائل السمعية البصرية)، واستكمالاً لهذه النزعة، من ذلك إلى الاتصال الأول والثاني معاً (الاتصال التفاعلي باستخدام

([1]) محمد عابد الجابري ، التواصل نظريات وتطبيقات ، (بيروت ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، 2010) ، ص 219.

*مارشال ماكلوهان : أستاذوكاتبكندي، ومن أهم المنظرين لمفهوم الحتمية الإعلامية في تفسير التطور الاجتماعي والتاريخي . ومن اعماله : العروس الميكانيكية (1951م)؛مجرّة جوتنبرج (1962م)؛فهم وسائل الاتصال (1964م)؛الإعلام هو الرسالة (1967م)؛الحرب والسلام في القرية العالمية (1968م). انظر: موقع والويكيبيديا ، www.wikipedia.org English

الشبكات المعلوماتية كمواقع التواصل الاجتماعي والبريد الالكتروني ومواقع الانترنت). وفي مستوى اخر، فإن هذا الانتقال عن ماكلوهان كان من الاتصال الساخن (إذ العلاقة مباشرة متفاعلة بين المرسل والمستقبل) إلى الاتصال البارد. (إذ تكون هذه العلاقة ساكنة غير مباشرة). لذلك فان أية وسيلة،بحسب وجهة نظر ماكلوهان، تحدث تعديلاً في محيطنا النفسي وتفرض علينا نمطاً من التصور والتفكير الذي يراقبنا بكيفية لا نكاد ندركها ([1]).

إن افكار ماكلوهان القائمة حول ربط التطور التاريخي بشكل الاتصال ودمج السمع والبصر كوحدة في مقابل النص المطبوع، لا تعد مقبولة وذلك لان التطور التاريخي يرتبط بالتحولات على مستوى البنى المعرفية والمعاني، وعلى الرغم من ان التطور التقني سرع من عملية التحول في مجالات الاتصال، لكن يبقى الاطار المعرفي للعقل البشري هو الاساس في صياغة نماذج جديدة للتواصل مع افراد المجتمع، وبعبارة اخرى تعدُّ التكنولوجيا عاملاً اساسياً في تطوير حواسنا البشرية لكنها ليست الاساس في عملية بناء الوعي التواصليوالمعرفي بين افراد المجتمع، ان عملية الاندماج بين ما هو محسوس ممثلاًبأدوات التقنية ومفردات التواصل المحسوسة بواقعها المادي المجرد، ومراحل تطور العقل البشري، سمح لنا بتصورات لبناء نموذج اتصالي جديد قائم على العلاقة الحتمية بين ما هو ملموس وما هو خيالي، إذ إن العلاقة بين الوجود والعدم علاقة فلسفية،قال هيغل : "إذا كان المنطق الصوري يرى بأن القضية إما تكون صحيحة أو خاطئة، فإن المنطق الجدلي يعلن بأن كل قضية ذات محتوى واقعي هي صحيحة وفي ذات الوقت خاطئة، صحيحة إذا تم تجاوزها، وهي خاطئة إذا تم النظر

(1) عبد الرحمن عزي ، دراسات في نظريات الاتصال نحو فكر إعلامي متميز ، ط2 (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2009)، ص 35-36.

اليها على أنها مطلقة ([1]). ليس هناك شيء لا يجري عليه العدم، فبرأي هيغل : "كل شيء يتضمن في ذاته بذرة فنائه.. فساعة ولادته هي ساعة مماته" ([2]).

لذلك ينظر الباحث إلى العلاقة بين الواقعي والمتصور- الخيالي- من الجانب التطبيقيعلى إنهابناءقائم على التشارك والتبادل بمعنى على الروابط النفعية الخاصة والروابط الاجتماعية العامة؛ مثل بناء العلاقات الاجتماعية الخاصة.أو تبادل المعلومات او المشاركة لتحقيق منفعة عامة. ان الاندماج بين المادية والخيال عند المستخدم،يوفر بيئة اتصالية، وإعلامية جديدة، اقرب ما تكون الى حالة التماهي ضمن المكونات،فلو اعتبرنا ان المنفعة الفردية الخاصة بالمستخدم كالرأي، والفكر، والثقافة.جميعها ذات خصوصية فردية للمستخدم، ذلك يعني اننا في مجال محدود وليس مجال عام وإن (القرية القبلية) التي يراها مكلوهان هي خاصة وانعزالية في جوهرها وقبلية في صفتها ومكنونها، لكن لو خرجنا من نطاق الفرد ضمن القرية، واعتبرنا ان هناك حالة من الاندماج بين مفردات العملية الاتصالية في تكوين واحد يمثله الفرد فأن الخاص هنا، حتماً يكون عاماً،لأنه لا يمثل ذاته لذاته بل يمثل مجموعة من العناصر ضمن فرد واحد في الوقت الذي يكون المرسل والمستقبل فرداً كان أو مؤسسة،والرسالة مضمون مشترك لفضاء عام او محدود خاص، والوسيلة مجالاً واحداً أو مواقع متعددة تمثل ضمن فضاءً واحداً،وكلها ذات خصوصيات منعزلة بذاتها لكنها مشتركة في مجالها العام.

ويرى الباحث إن اندماج عناصر اتصالية ملموسة مع عناصر خيالية- غير ملموسة- متمثلة بالسرعة والزمن اللذين يمثلان حالة التخيل للعبور من حالة الى حالة أخرى؛ هي في حسابات الزمن حاضرة لكنها عند الاخر هي ماضٍ والعكس صحيح فحالة إلغاء الجغرافية تلغي هي الاخرى فروق التوقيت الزمني إذ يصبح الزمن حاضراً دائما ولا معنى للماضي، وهذا ما يجعل المضمون الاتصالي في حالة من

([1]) مي العبد الله ، مصدر سابق ، ص 60.

([2]) مي العبد الله ، نفس المصدر، ص 61.

الديمومة والتفاعل المستمر، فالمستقبل هو بالفعل مندمج مع الحاضر،وهذا ما يجعل المضامين الاتصالية متفاعلة وليس لها زمن معين، على اننا نفسر الزمن على وفق مبدأ التفاعل وليس التقادم، فكل مضمون اتصالي في مجال عام متفاعل وليس له زمن، فحالة الاندماج الاتصالي عند كل مستخدم في زمن اتصالي تمثل تفاعلاًمستمراً يولد مضامين جديدة لا تمثل زمنها بل تمثل حالة المستخدم ضمن ازمانه التي يتخيلها، فسرعة حركة كل عنصر في الاتصال يسمح بتقاربه من العنصر الاخر بشكل يجعلها في حالة اندماج لذلك فإن زمن كل عنصر يقترب من زمن العنصر الاخر،فزمن الاتصال هو زمن الاندماج الاتصالي وهو نفسه عندما يصبح المستخدم رقماً ضمن الفضاء الافتراضي اللامحدود، وبما ان كل مستخدم يمثل مجالاً عاماً واندماجاً اتصالياً فإن تفاعل الشبكة في الفضاء الافتراضي يمثل حالة من الشيوع المعرفي عبر الزمن، والوعي الاتصالي القائم على التجانس والانسجام، ليس مع مضامين اتصالية بل مع كل الوعي المعرفي الجمعي للإنسان، فالانترنت يسمح ان يجعل كل ما هو مادي محسوس ينسجم مع وعي خيالي غير محسوس، واكثر من ذلك يترجمه الى شيء محسوس يمثل اضافة للوعي الانساني.

ثانياً :الكوزموبوليتانية والمجتمع الشبكي

إنّ الآثار التراكمية للتواصل الثقافي المتبادل، والتأكيد المتزايد للتعليم، والتحديث الانعكاسي، والشخصنة الزائدة، والمشكلات التي تواجه الدولة،تعني أن أنماطا مختلفة من الاحتياجات والضغوط تقع على عاتق الأفراد، المهارات الجديدة وإستراتيجيات التصدي مطلوبة، هذا مما دعى إلى أن تكون هناك استقلالية في عملية التواصل عن طريق تفعيل مهارات التواصل الشخصي المتبادل وتطوير شبكات الصلات والمعارف، وعلى الرغم من أن الكل لأيعيشون ولأيعملون بموجب هذه التغيرات،لكن من الممكن اكتشاف ظهور من يطلق عليهم " الكوزموبوليتان*

*الكوزموبوليتان: يستخدم للتعبير عن معانٍ متداخلة ولكن ليست متطابقة دائماً ويستخدم المصطلح للأشخاص والجماعات والبيئات ، كما ينطبق أيضاً على الايديولوجيات والممارسات ويحمل فى معظم الاحيان بعداً تقديرياً سواء ايجابيا أو سلبيا . كما إن فكرة ارتباط الكوزموبوليتانية بأسلوب معين للحياة

المتواصلون" وليس ذلك بين الشباب فقط بل لمراحل عمرية مختلفة فقد أصبحت هناك قدرة تمكن الأفراد من أن يكونوا ملمين بتكنولوجيا الاتصال الحديث ومعتادين على الاتصال الشبكي، وكثيرون منهم يطورون أساليب اتصال وعلاقات واسعة بالداخل والخارج، كما أن تبادل الأفكار والمعلومات، مصادر رئيسة لإنتاج الثروة والتطور المجتمعي داخل الاقتصاديات القائمة على المعرفة؛ وتطوير مثل هذا الاقتصاديتطلب اتصالاًمنتظماً بين المجتمعات وعبرها، وهذا بدوره يؤدي إلى أن يُكّون الأفراد معارف وصداقات جديدة في دول مختلفة، وعلى الرغم من أن تبادل المعلومات كان يحدث في الماضي، فإن اتساع هذه المبادلات الحالية وقوتها، هي التي تجعل عصرنا مختلفاً عن المراحل التاريخية السابقة،فالجامعات على نحو خاص أصبحت مواقع رئيسة للتفاعل الثقافي، وهذا الدور ينمو باطراد ([1]).

فإلى جانب حضور المحاضرات والمؤتمرات وسفر الطلبة لاستكمال الدراسة في الخارج فإن تكوين شبكات معلومات/ سياسية عابرة للحدود،ومجتمعات متعددة المجالات المعرفية عبر الإنترنت،أصبح تطوراً حديثاً ملحوظاً. ويرى هانرز Hannerz: " أن المجتمع العالمي هو شبكة مكونة من عدة شبكات تجتذب الأفراد والجماعات إلى وجود أكثر عولمة " ([2]).

فضلا عن ذلك كله فان الانفتاح والطبيعة غير التراتبية للشبكات العالمية تشجع على تكوين فضاءات عامة عابرة للحدود، ومجتمعات افتراضية، ومن ثم تسهل

يعبر الحدود المجتمعية ويحث على اتخاذ الخيارات الانتقائية من بين عناصر الثقافات المختلفة. فالحراك الاجتماعى وظهور طبقة منفصلة من المفكرين يعدان من مقدمات تبنى الموقف الكوزموبوليتانى، وفي معناها اللغوي تعني(مواطن العالم) : شخص يعدُّ العالم كله وطنا له ، شخص متحرر من الاحقاد القومية او المحلية.

([1]) بول هوبر، نحو فهم للعولمة الثقافية، ترجمة: طلعت الشايب ، (القاهرة، المشروع القومي للترجمة، 2011م) ، ص 225-226.

([2]) Hannerz , " Global Ecumene as a Network of Network" , in A. Kuper(ed.) , conceptualizing society, London : Routledge . (1992) , pp 34-56 .

المخالطة الاجتماعية إلى ما هو أبعد من الدولة،فالمجتمع الشبكي إذن وبعد الرجوع إلى تعريف للكوزموبوليتانية (يتكون من أفراد من كل أنحاء العالم) بما يسمح بحقيقة إمكانية استخدامه لأهداف غير كوزموبوليتانية أو مناهضة لها، وهو مكان كوزموبوليتاني بالمعنى الدقيق للكلمة، إن التطورات التكنولوجية في مجال الاتصالات تسهم في تكوين مجتمع كوزموبوليتاني*، تنطويالاتصال عبّر الإنترنت والفضاء الإلكتروني التي يوفرها لأشكال التواصل الاجتماعي على إمكانات كوزمويوليتانية،إذ إنه لا وجود للتفاعل وجها لوجه، فإن التراتبيات التقليدية في النوع والطبقة والجنس أقل ظهوراً ومن ثم لن تكون مجال خلاف. ويرى باري ويلمان Barry Wellman وميلينا جولياMelina Gulia: "إننا إذا نظرنا إلى المجتمعات الإلكترونية في علاقتها بغيرها من التطورات التكنولوجية مثل التليفزيون والطائرات، فسوف نألف فكرة أن العلاقات الاجتماعية والتضامن الاجتماعي يمكن أن توجد دون تقارب فيزيقي، هناك كذلك – من منظور أوسع – سبب إضافي يجعلنا نشعر بأننا نشهد انتشاراً للكوزمويوليتانية، ويعني ببساطة انها مفيدة لنا"([1]).

إن وجود أو عدم وجود جماهير عالمية وفضاء عام محدد، أمور مهمة لطبيعة العولمة الإعلامية والمدى الذي يمكن أن تصل إليه، في الحالة الاولى فإن تكنولوجيا الأقمار الاصطناعية والملكية الجماهيرية للتلفزيون تضمن أن أحداثاً رئيسة سوف تجتذب جماهير تليفزيونية في أنحاء العالم وتمكن نسبة كبيرة من البشر من أن يشاركوا

*مجتمع كوزموبوليتاني : وهو مفهوم حديث ، يقوم على تداخل الثقافات وإزالت الحواجز بين افراد المجتمع ، وقد ساعد التطور في مجالات الاتصال ، على زيادة وعي الفرد بالمجتمع ، كما سمح له ان يتعرف على عوالم اخرى والإطلاع على تجارب الامم الاخرى ، دون السفر لها ولكن بالاعتماد على شبكة الانترنت ، ويمتاز هذا المجتمع بالفهم الواسع والمرونة في تقبل الحقائق والنقاش حول مجريات الاحداث ، وقادر على بناء واقع جديد يقوم على المشاركة.

([1]) Barry Wellman & Melina Gulia , " Virtual Communities as Communities : Net Surfers Don't Ride Alone " , in M.A. Smith and P. Kollock (eds) , Communities in Cyberspace, London : Routledge . (1999) , pp. 167-94.s

هذه التجربة، وهي أحداث عالمية رئيسة مثل دورات الألعاب الأولمبية وكأس العالم والحفلات الموسيقية لدعم مقارعة الايدز؛فضلا عن أحداث أخرى مثل كارثة تسونامي،ومصرع الأميرة "ديانا"،وإسقاطنظامصدامحسين، على الرغم من ذلك، فإن مثل هذه الأحداث والمناسبات تعدّ من المنظور المتشكك، أحداثاً عارضة وأحداثاً تاريخية استثنائية، وعليه فليس من المرجح أن تبقى على الشعور بشكل دائم ليشكل بناء جمهور إعلامي عالمي، وربما يدل ذلك كله على بداية ظهور وعي كوني، الأمر الذي يعدّه رولاند روبرتسون : جزءاً لا يتجزأ من العولمة ولذلك،يسك مصطلح (كلية الكون) ليصف حالة الوعي الواسع بالكون كله متضمناً النوعية لهذا الكون، والحركات الكونية والقبول بتوقيت كوني موحد، وإنشاء نظام قضائي دولي (مثل محكمة العدل الدولية)، ذلك كله يشجع على التفكير كونياً وعلى أن نتخيل استخدام مصطلح بنديكت آندرسون " أننا جزء من مجتمع كوني، في هذا السياق، فإن وعياً كونيا من شأنه أن يسهم في ظهور مجتمع مدني كوني أو عابر للحدود القومية، وهذا المجتمع الكوني يقترب من مفهوم المجتمع الشبكي الذي يرادف مفهوم مجتمع المعرفة، إن قوة مفهوم المجتمع الشبكي يصنعها البعد التكنولوجي، وتصنعها القدرة على الاتصال والتواصل في جميع الاوقات ومن دون رقيب، وهو الامر الموصول بالمجتمع، يعتبر كاستلز أن السمة الرقمية لمجتمع المعرفة تثير قضايا مركبة، فهي تعد الخاصية الأكثر إثارة في ثورة المعلومات جراء السهولة التي تستعمل بها الأدوات والتقنيات والبرامج المعلوماتية في الحياة اليومية، كما يقف كاستلز أمام مجتمع الشبكات ليوضح أن عصر المعلومات يحكمه ويوجهه قطبان مركزيان : قطب الشبكة، قطب الذات الفاعلة، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن مفهوم الشبكة لا يحيل إلى شبكة بعينها بل يفهم ضمن منطق الشبكات المتعدد، أي الشبكات المتحكمة بالقوة والثروة والمعلومات المسلحة بالتكنولوجيا الرقمية، وقد عرف كاستلز الشبكة بأنها (البنية الاجتماعية الجديدة لعصر المعلومات، عصر المجتمع الشبكي، المؤلف من شبكات الانتاج والقوة

والتجربة، حيث تقوم هذه الشبكات بدورها في بناء ثقافة افتراضية في إطار تدفقات العولمة، متجاوزة بذلك مفهوم الزمان والمكان) ([1]).

ثالثا : المستخدم الكوني

يتضح جلياً النزوع في عصر الاتصال والمعلومات، إلى الانتاج الفردي أو الإنتاج غير الاحترافي في مجال التقنيات الجديدة للمعلومات والاتصال، وذلك لتوافر سلسلة متكاملة من أدوات الإنتاج الذاتي (كل واحد يمكن أن يصبح مُنتجاً، بفضل الهاتف المحمول المُصورِ، وآلة تصوير الفيديو، وجهاز التسجيل المُصغر، ومواقع التواصل الاجتماعي، والرسائل القصيرة عبّر الهاتف المحمول، الخ...) وهي في متناول الجميع؛ فنحن في عصر صحافة النت أو بالأحرى في عصر الشبكات الاجتماعية التفاعلية. واذا كان من الممكن التوصل إلى الانتاج الذاتي للمستخدم، فمن الممكن أيضاً أن التواصل عن طريق ما ينشره المستخدم، عن طريق مواقع مثل : يوتيوب أو ديليموشن أو فليكر أو فيسبوك أو ماي سبيس، وهي وسائل نشر اجتماعية تسمح بإظهار الإنتاجات الكبيرة للمستخدم العادي للانترنت. بيد أن واقع حال هذه الشبكات معقد، ففيها يوجد كل شيء ولا شيء، الحقيقي والمزور، من الجنس ومن السياسة،ومن الاستعراض ومن التلصص أو الرغبة في متابعة الآخرين، فالاستعراض والتلصص يشكلان وجهين متقابلين،في مجتمع المعلومات، ننتقل من وسيلة إعلامية مباشرة إلى وسيلة اعلامية فورية، فثمة ملايين المستخدمين تشاهد كل شيء وتسمعه، وهناك من يصورون ويبثون أحداث الحياة اليومية؛ فالمعلومات تنتقل بسرعة فائقة، في شبكة الانترنت وهذا ما يلخص أشياءً كثيرة، من اندماج الوسيلة والمضمون والمستخدم،والسؤال المهم هنا:منْ ينظم هذه الحوارات الالكترونية ؟ ومن يفرق بين الجيد وغير الجيد، بين المفيد وغير المفيد، بين الاشاعة والحقيقة بين الترويج والدعاية؟ فالانترنت أضحى صوت العالم ودوامته الصاخبة ([2]). ويرى الباحث أنه في الوقت

([1]) كمال عبد الطيف ، المعرفي الايديولوجي، الشبكي تقاطعات ورهانات، (بيروت، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، 2012)، ص 32.

([2]) جون بول لافرانس واخرون ، مصدر سابق ، ص 19.

الذي تندمج فيه عناصر العملية الاتصالية في مكون واحد يمثله المستخدم داخل شبكة المعلومات الانترنت، يكون الاتصال ذا طابع شخصي،لأنه نابع من فهم خاص لمستخدم الشبكة،الذي يحاول ان يوصل افكاره او افكار الاخرين التي تنسجم مع افكاره وأرائه حول قضايا الحياة جميعها بشكل عام منطلقا من الذات التي تكون هي المراقب لما ينشر، لذلك هناك من يقول أنّه فيما اذا كانت هذه الذات غير مدركة او مريضة فأنها سوف تبث السموم في المجتمع وهنا يكمن قلق البعض من المراقبين.إذ إن النظر لما يتم نشره من مضامين اتصالية، تعكس رغبة المستخدم للمشاركة،وبفعل الاتصال السريع لم يعد يدرك كيف تجري عملية الاتصال،لذلك فإن كل ما يجري على الغير يجري عليه، بمعنى اخر : أن أي مضمون غير جيد ينقل بقصد أو بغير قصد فإن للمستخدم حصة منه، لان عملية الاتصال لا تجري من المرسل بإتجاه المستخدم، وليس للتغذية العكسية التأثير المباشر على عملية انتقال المعلومات،في حين تساعد عملية الاندماج الاتصالي،في ان تكون هناك مشاركة فورية مما يسمح بفرص كبيرة لرجوع المضمون الاتصالي للمستخدم عبّر قنوات اتصالية اخرى داخل الشبكة وقد وظف بشكل يسيء للمستخدم صاحب المضمون الاصلي الذي نشره. وذلك يظهر في مواقع التواصل الاجتماعي إذ تمثل مواقع وتطبيقات مخصصة لإتاحة القدرة للمستخدمين للتواصل فيما بينهم عن طريق وضع معلومات، وتعليقات، ورسائل، وصور،... إلخ ([1]).

من المحتمل جدا ان تستخدم وسائل إعلامية أخرى تلك المضامين الاتصالية للمستخدم، مثل قنوات التلفاز التي قد توظف المضمون عكس توجه المستخدم وما كان يريد ايصاله.أن مفهوم وسائل التواصل الاجتماعي الإلكترونية يعدُّ من نظر بعض الباحثين أضيق من مفهوم أعمّ، وهو مفهوم الإعلام الاجتماعي (Social

([1]) جمال سند السويدي ، وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية : من القبيلة إلى الفيسبوك ، (دبي ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، 2013) ، ص 20.

Media) الذي يُعرَّف بأنه (المواقع والتطبيقات التي تتيح للمستخدمين أن يُنشئوا أو يقدموا للغير محتويات معينة، أو أن يشاركوا في التواصل الاجتماعي([1]).

وبناءً على ذلك،يمكن تصنيف الإعلام الاجتماعي إلى ستة أنواع، من بينها وسائل التواصل الاجتماعي، وذلك كما في الجدول رقم (1) في أدناه ([2]).

النوع	أمثلة	التوصيف
وسائل التواصل الاجتماعية Social Networks	Facebook LinkedIn Google+	خدمات تتيح للمستخدم التواصل مع آخرين يشاركونه اهتمامات وخلفيات مشابه. وهي عادة ما تتكون من نبذة عن المستخدم (Profile)، وأساليب مختلفة للتفاعل مع المستخدمين الآخرين، وإمكانية تكوين جماعات (Groups).
مواقع المفضّلات Bookmarking Sites	Delicious, Stumble Upon	خدمات تتيح للمستخدم إدارة روابط وموارد مختلفة على الانترنت وحفظها وتنظيمها، وعادة ما تتيح للمستخدم "وضع علامة" عليها لتيسير البحث ومشاركة الآخرين فيها.
الأخبار الاجتماعية Social News	Digg, Reddit	خدمات تتيح للمستخدمين أن يضعوا مواد إخبارية متنوعة أو روابط لمقالات خارجية، وتسمح لبقية المستخدمين بالتصويت عليها. وتمثل عملية التصويت لُبّ التواصل الاجتماعي، حيث يتم تسليط الضوء على المواد التي تحصل على أعلى الأصوات. وبالتالي، يقرر المجتمع المواد التي يمكن للمزيد من الأفراد رؤيتها.
المشاركة الإعلامية Media Sharing	YouTube, Flicker, Pinterest	خدمات تتيح للمستخدمين رفع وسائط إعلامية مختلفة، كالصور والأفلام أو مشاركة الغير فيما يرفعونه. وتتيح معظم هذه الخدمات إمكانات أخرى مثل وضع نبذة عن المشارك، وإمكانية التعليق من الآخرين، وإمكانية التصويت على المحتوى.

([1]) انظر :

The White House , Office of the Press Secretary , Remarks by President in State of Union Address , january 25, 2011.

www.whitehouse.gov/the-press-office/2011/01/25

([2]) انظر الموقع الالكتروني زاره الباحث بتاريخ 12/ 1/ 2016: " The 6 Types Of Social Media (http://outthinkgroup.com/tips/the-6-types-of-social-media) , "(accessedApril 1, 2015).

جدول رقم (1) يوضح تصنيف الإعلام الاجتماعي

النوع	أمثلة	التوصيف
التدوين متناهي الصِغَر Microblogging	Twitter	خدمات تركز "تحديثات – Updates" قصيرة تتاح لأي شخص مشترك للحصول على التحديث.
المدونات والمنتديات Blog Comments and Forums	Worldpress	تتيح للمشاركين وضع آرائهم / أو فتح باب التعليق على موضوعات معينة.
البريد الإلكتروني E-mail	Hotmail Gmail Yahoo	توجد أنواع متعددة للبريد الإلكتروني، وأصبح الوسيلة الرئيسة للتواصل بين البشر والشركات والمؤسسات الحكومية والخاصة وهو يوفر إمكانية إرسال رسائل وصور وملفات رسمية وفيديو.. إلخ.

لذلك يعرف الباحث الإعلام الاجتماعي الالكتروني على أنه(**نشر حر للمعلومات والافكار ضمن المجتمع الواحد او المجتمعات المختلفة،ضمن الفضاء الافتراضي للإنترنت، ويهدف لتعزيز الروابط الاجتماعي بين جمهور كوني متنوع الاختصاصات والانتماءات والثقافات)**. وهذه التركيبة الإلكترونية يتم صناعتها من أفراد أو جماعات أو مؤسسات، ويمثل المستخدم الوحدة الاساسية في المجتمع الافتراضي، ويمكن توصيفه في شبكة الانترنت بـ" العقدة " (Node) وترتبط هذه العقد بعقد اتصالية أخرى مختلفة مكونة شبكة من العلاقات الاتصالية المتداخلة مع بعضها، وكل عقدة تمثل (مدمجاً اتصالياً) ذو فاعلية ديناميكيةغير مستقرة في الفضاء الافتراضيبمعنى لها القدرة المستمرة على تشكيل روابط أتصالية فاعلة مع عقد أتصالية أخرى، وهذا البناء الافتراضي يمثل المحتوى المادي لهذا الفضاء مكوناً الشبكة الاتصالية للمعلومات.

إن شبكات التواصل الاجتماعي كجزء من الإعلام الاجتماعي الجديد، الذي يشهد حركة ديناميكية من النمو والانتشار، كان في بداياته مجتمعاً إنترنتياً على نطاق

ضيق ومحدود، ثم ما لبث أن ازداد مع الوقت ليتحول من أداة إعلامية نصية عبر الكتابة إلى أداة إعلامية سمعية وبصرية تؤثر في قرارات المتأثرين واستجاباتهم، بضغوط من القوة المؤثرة التي تستخدم في تأثيرها الأنماط الشخصية للفرد (السمعي، والبصري، والحسي)،إذ إن المتأثر وأنماطه محور مهم في عملية التأثير، مستغلة (أي القوة المؤثرة) أن السمعي : سريع في قراراته لأن طاقته عالية ويتخيل ما يتحدث به أو يسمعه، والبصري : حذر في قراراته لأنها مبنية على التحليل الدقيق للأوضاع، والحسي : يبني قراراته على مشاعره وعواطفه المستنبطة من التجارب التي مرّ بها، في محاولة من أولئك المؤثرين لتغيير الآراء، المفاهيم، الأفكار، المشاعر، المواقف، والسلوك([1]).

رابعا : الشبكات الاجتماعية منظومة تواصلية جديدة

يأتي تغّير بنية المجال الإعلامي، نتيجة عوامل متشابكة عدّة تهمّ المجتمع والتقنية في آن واحد. تتعلّق الديناميكية الأولى التي تسهم في تشكيل المجال الإعلامي، بتغيير النّماذج التي تقوم عليها وسائط الإعلام ذاتها، وهي حركة عالمية، وتهم هذه الديناميكية طرق اشتغال وسائط الإعلام الجماهيرية التي خضعت تاريخياً لنموذج عمودي وأحادي لا متكافئ.

إذ تبث الإذاعة والتلفزيون والصحافة المكتوبة إلى جمهور لا يمتلك إمكانية المشاركة في إنتاج المضامين التي يتلقّاها. ويستعمل بيار ليفي [*]مفهوم المنظومة التّواصلية، مبدأ لتاريخ التواصل الاجتماعي،ومنطلقا من تجاوز التّقسيم الكلاسيكي السّيميائي بين نظام العلامات المرئية والمكتوبة (النص، والصورة) ليحاول فهم طبيعة

([1]) خالد وليد محمود ، شبكات التواصل الاجتماعي وديناميكية التغيير في العالم العربي ، (بيروت ، مدارك، 2011) ، ص 83-84.

[*]بيار ليفي : هو فيلسوف فرنسي درس تأثير الإنترنت على المجتمع ، حصل على شهادة الماجستير في تاريخ العلوم من جامعة السربون عام1980 م. ثم بعد ثلاثة سنوات، حصل على شهادة الدكتوراه في علم الإجتماع له بحوث في مجال تأثيرات الانترنت في مجال الإعلام والاتصال . انظر : موقع الويكيبيديا : https://ar.wikipedia.org

العلاقات بوسائط الإعلام وبنيتها. ويفصل بيار ليفي بين العلامة والمنظومة التواصلية التي تعمل داخلها، ويرى أن هذا الفصل مركزي لفهم تحولات وسائط الإعلام، ولتجاوز الفكرة القائلة : إن الوسائط المتعددة، كلغة كتابة وإبداع جديدة، هي نقطة التحول المركزية في الثقافة، إذ يرى ليفي أن الوسائط الإعلامية الكلاسيكية والحديثة (التلفيزيون والإذاعة والصحافة المكتوبة من جهة والإنترنت من جهة أخرى) تشتغل بشكل مختلف، ذلك أن منظومتين تحددان عمل وسائط الإعلام : المنظومة المشهديّة (أو الفِرجويّة) والمنظومة الجمعية ([1]). وانعمل المنظومتين يكون بشكل متكامل، إذ يعتمد كل نظام على الاخر، وديمومة عمل النظامين هو التواصل بين الفرد والمنظومة الاتصالية. وتقوم المنظومة المشهدية بعدّها امتداداً لهذا الاتصال الإعلامي على إنتاج تمثيل مشترك لواقعم المجموعات كبيرة من الاشخاص؛ إذ يمثل التلفيزيون (العين الجماعية). ولأن هؤلاء الأفراد الكثيرين المنعزلين بعضهم عن بعض، ينظرون جميعاً إلى الصورة نفسها من دون أن يتحاوروا في ما بينهم، فإن المنظومة هي التي يتلقّون عن طريقها (مشهدية) إذ كانت الوسائط المشهدية واحدة منغلقة تسيطر عليها الدولة، فإن تأثيرها يكون سلطوياً. وإذا كانت متعدّدة متنافسة تفتح المجالات الثقافية المنغلقة لكل ما تأتي به الفضائيات، فهي لا سلطوية. ولكن في كلتي الحالتين، فإن الحركة تبقى أحادية، ويبقى المشاهدون منعزلين بعضهم عن البعض ([2]). وعليه فإن عملية التواصل والمشاركة غير نشطة ولا اجتماعية.ويرى ريجيس دوبريه : " إذا أردت أن تجتذب انتباه شخص معين لمسألة معينة، أمامك ثلاثة وسائل : وسيلة سيئة، وهي استخدام الكلمات، ووسيلة أفضل هي الإخراج، ووسيلة ممتازة هي إدخال المسألة في تفاعل " ([3]).

ويعتقد دوبريه أن أفضل وسيلة للمشاركة وجذب الانتباه هي التفاعل،

([1]) الاميرةسماحفرجعبدالفتاح،وباقرالنجار،وآخرون، الإعلام وتشكيل الرأي العام وصناعة القيم ، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2013) ، ص 105-106.

([2]) الاميرة سماح فرج عبد الفتاح ، وباقر النجار ، وآخرون ، المصدر السابق ، ص 106.

([3]) ريجيس دوبريه ، محاضرات في علم الإعلام العام الميديولوجيا ، ترجمة : فؤاد شاهين ، جورجيت الحداد، (بيروت ، دار الطليعة ، 1996) ، ص 88.

فالخطابات الكلامية تمنح المرسل مجالاً للتعبير عن افكار يراها مناسبة،ويمنحمجالاً أوسع للمرسل، لاخراج بعض المعاني الكلامية على شكل صور ومقاطع فيديو تكون اقرب لإقناع المتلقي، وفي الحالتين يكون المتلقي صامتاً،ومتفرجاً في اغلب الاحيان، لكن عندما يعطى المتلقي فرصاً للتعبير وإبداء الرأي، تكون الحالة مختلفة إذ تمثل تفاعلاً يهدف إلى توليد قناعات. ويمثل الاتصال الإلكتروني منظومة جديدة تختلف عن المنظومة المشهدية، وهي إحدى مكونات ما يسميه بيار ليفي (إيكولوجيا ثقافية غنية ومعقدة وفي تحوّل مستمر)، فالاتصال الإلكتروني المتعدّد الوسائط يحقق مجالاً شبكياً يتحول فيه الفرد بإستمرار بين موقع البث والتلقي، وتندمج داخله العوالم الفردية. فشبكة الويب (Web) فضاء جماعي يشترك المستخدمون في إنتاجه. ويمثل الويب بهذا المعنى نموذجاً تواصلياً جديداً، لا يتعلق الامر هنا بعملية بث مركزية، ولكن بتفاعل داخل حالة ما يسهم كل فرد في استكشافها بطريقته، وتشارك فيها المجموعات عن طريق التواصل، أي التشاور والنقاش بين المشتركين، ويرى ليفي : "أن انبثاق المنظومة التفاعلية يعني نهاية الجمهور وولادة الذات الجماعية، هذا هو الحل البديل لمجتمع المشهد، ولا يهم إذاً، إذا كانت المضامين المتداولة علامات، أو أيقونات، أو رموزاً" ([1]).من ذلك يتضح ان الشبكات الاجتماعية :**تمثل منظومة تواصلية افتراضية، تقوم على التفاعل بين المستخدمين عن طريق ما ينشرونه من مضامين اتصالية تجد من يهتم بها ويتفاعل معها،ضمن الفضاء الافتراضي لشبكة الانترنت.**

الشبكات الاجتماعية وتتسم بمجموعة من الخصائص هي ([2]) :

1- المشاركة : فهي تشجع على المساهمات وردود الفعل (التعليقات) وتلغي الخط الفاصل بين وسائل الإعلام والمتلقي.

2- الانفتاح : فمعظمها خدمات مفتوحة لردود الفعل والمشاركة وتبادل المعلومات والتعليقات، ونادراً ما توجد حواجز أمام الوصول إلى المحتوى

(1) الاميرة سماح فرج عبد الفتاح ، وباقر النجار ، وآخرون ، المصدر السابق ، ص 107.

(2) نها السيد عبد المعطي ، صحافة المواطن نحو نمط اتصالي جديد ، (بيروت ، دار الكتاب الجامعي ، 2015) ، ص 80 .

والإفادة منه بسبب عوامل الحماية.

3- المحادثة : تعتمد على المحادثة باتجاهين، بعكس وسائل الإعلام التقليدي التي تعتمد مبدأ بث المعلومات ونشرها باتجاه واحد للمتلقين جميعهم.

4- التجمع : تتيح شبكات التواصل إمكانية التجمع والتواصل بشكل فعال وتربط التجمعات اهتمامات مشتركة.

وهناك من يضيف لها خصائص اخرى هي ([1]) :

1- المدى : إن المقصود بالمدى هو حجم هذه الشبكة ووجود انساق بين أفرادها وليس بالضرورة أن يصبح النسيج الاجتماعي لأولئك الأفراد متجانساً. ويمكن أن يحقق ذلك كلما صغر حجم شبكة العلاقات. وعلى النقيض من ذلك كلما أزداد حجم شبكة العلاقات الاجتماعية يصبح النسيج الاجتماعي متعدداً من ناحية السمات الثقافية والاجتماعية لأفراد ذلك النسيج.

2- المركزية : تشير إلى دور مركزي وبمعنى أخر تنظيمي لأفراد الشبكة الاجتماعية، فعلى سبيل المثال من المفترض أن يسود نمط من الاتصال بين أفراد الشبكة، ويمكن أن يكون نمط الاتصال إما مباشراً، أو عن طريق وسائط مثل أدوات تكنولوجيا المعلومات، مثل الإنترنت أو اي نظام اتصال إلكتروني. وبناءً على هذا النظام تنشأ سلسلة من علاقات مركزية الاتصال وتمارس هذه العلاقات دوراً مهماً في تفسير الأبعاد التنظيمية لتكنولوجيا الاتصال.

3- الأدوار المنوطة بأفراد الشبكة : لكل فرد داخل شبكة العلاقات الاجتماعية دور منوط به. ولقد أضفى انتشار أدوات تكنولوجيا المعلومات شيئاً من الأهمية لاختبار تغير الأدوار كنتيجة لاستخدامات أدوات هذه التكنولوجيا.

ويرى الباحث ان هذه الخصائص تفتح الباب واسعا لمنظومة تواصلية جديدة، تقوم على اساس التفاعل بين المستخدمين، هذا التفاعل يعتمد على الاندماج بين عناصر الاتصال، لبناء منظومته التواصلية، وإذا ما اعتبرنا أن حالة الفردية هي نمط

[1] وديع العزعزي ، الإعلام الجديد مفاهيم ونظريات ، (عمان ، دار المناهج ، 2015) ، ص 56-57.

الاتصال في الواقع الملموس، فإنهاتتحول إلى تواصل ومشاركة اجتماعية في الفضاء الرقمي الافتراضي، فحالة الهروب من الواقع المادي هي جوهر العزلة التي تدفع الفرد للمشاركة في منظومة تواصلية اجتماعية جديدة، تمثل صورة لإعلام المستخدم تعكس رغبات يصعب البوح بها في واقع يقيد الحرية، لكن السؤال الاهم : هل هذه المنظومة الاجتماعية التواصلية تمثل الحل ؟ وللإجابةعن هذا السؤال، يجب البحث في الدوافع التي تجعل الفرد يهرب من مجاله المغلق الى مجال واسع مفتوح، لعل اهم تلك الدوافع هو تناقص مجال الحرية والخوف من عقاب السلطة، والتردد في المشاركة بشكل مباشر، وعدم الاكتراث بالفرد الا عندما يكون هذا الفرد شخصية مشهورة أو مقترناً بحدث يثير رغبة وسائل الإعلام له، ورغبة الفرد بالظهور والانتشار والرغبة في التعبير عن الافكار والاراء للمجتمع، لإيجاد الحلول لمشاكله، أو محاولة للتفريغ عن الهموم والمشاكل، وايجاد متسع لاستحضار الذكريات الخاصة التي لا تهتم بها وسائل الإعلام،إن هذه الدوافع هي الاساس،لتحفيز الفرد للبناء والمشاركة في منظومة تواصلية جديدة، تتفاعل فيها عناصرها جميعاً في عملية اندماج اتصالي مستمر قائم على المشاركة، يعدّتبر الاندماج الاتصال الهيكل الاساس للمنظومة التواصلية الشبكية الجديدة؛ وإن الدوافع كلها النفسية والاجتماعية، التي استمر الفرد طوال سنين طويلة على كتمانها، لعدم وجود اندماج فعلي بينه وبين المنظومة التواصلية التقليدية القائمة على مبدأ النفعية والاستحواذ والسيطرة والاستغلال؛ استطاع في مدة زمنية طويلة ان يقتنع ان المنظومة الاتصالية التقليدية هي في الاساس قائمة على الاستغلال المنظم لطاقته عن طريق ما تبثه بشكل منظم، أي انها تستفيد من سذاجته وربما عدم درايته بالأحداث، في محاولة منها لبناء قناعات مخالفة، ودفعه باتجاه اخر بحسب توجهاتها وأهدافها المخطط لها مسبقاً، وهذا ما سبب الحروب والكوارث. وإن ادراك الفرد أن المنظومة الإعلامية التقليديةذاتطابع امني سلطويتحريضي تقوم عليه الدول؛على الرغم من مجال الحرية الذي قد يبدو ظاهراًفي بعض الاحيان، لكن حقيقة الامر ان المنظومة التقليدية تمثل رأس المال اينما كان، سواء تَمثلتبالمؤسسة،اوالفرد،اوالحزب، وفي الاحوال كلها فإن الفرد هو المادة الرئيسة في عملية إنتاج اتصاليلا تشاركي، اما الواقع الجديد فإنه قائم على نفعية الفرد ضمن

منظومة تواصلية جديدة، يمثل الفرد احدى عناصرها الفاعلة والمؤثرة في كينونـة النظـام التواصلي العام.أن الفرد ضمن هذا الحَيّز التواصلي الافتراضي يتحكم في تقـديم ذاتـه بطريقة أفضل من لو أن التفاعل كان مباشراً وضمن فضاء مادي. إن الفكرة التي تقـول أن الانترنت يعكس ما تروجه بعض الخطابات التهويلية والتخويفية التي ترى فيهـا أداة لانكفاء الأفراد وانطوائهم على أنفسهم، تتـيح لهـم تكثيـف علاقـاتهم وتوسـيعها مـع أفراد آخرين من فضاءات ثقافية متنوعة – ولا أدَلَ على ذلـك مـن كثافـة التواصـل في غرف الدردشة والشبكات الاجتماعية -، وتبادل الخبرات والتجارب الحياتية، وتقـديم الرؤية الذاتية للعالم عبّر استثمار إمكانات المواقع التفاعلية. إن الفضاء الرقمي يتّشـكل ويجد قوته في كونه (حـاملاً) هـذه الرغبـة الجامحـة عنـد الفـرد المعاصـر في تأكيـد ذاتـه وخصوصـيته ([1]). وبنـاء مجتمعـات جديـدة عـن طريـق نظـام التواصـل الاجتمـاعي ويطرح في هذا السياق الباحث وينجر وزملاءه فكرة، مجتمعـات الممارسـة *ويمكـن أن تعمـل مواقـع التواصـل الاجتمـاعي علـى تفعيـل الطاقـات المتـوافرة لـدى الانسـان ويوجهها للبناء والابداع في أطار تطـوير القـديم وإحـلال الجديـد مـن قـيم وسـلوك، وزيادة مجالات المعرفة للجمهور، وازدياد قدرتهم علـى الـتقمص الوجـداني وتقبلـهم للتغيير، وبهذ افإن الاتصال له دور مهم، لـيس في بـث معلومـات، بـل تقـديم شـكل الواقع، واستيعاب السياق الاجتماعي والسياسي الذي توضع فيه الأحداث ([2]).

([1]) صادق رابح ، فضاءات رقمية ، قراءات في المفـاهيم والمقاربـات والرهانـات ، (بـيروت ، دار النهضـة ، 2015) ، ص 31.

*جماعة الممارسة: هي مصطلح يصف جماعة من الأفراد الذين يتشـاركون الإهتمـام بالصـفة نفسـها أوالمهنـة. وبحسب لافيووينجر، مبدعا ومنظرا الفكـرة، فإنجماعـة الممارسـة تتطـور بشـكل طبيعـي بسـبب الإهتمـام المشترك لأعضائها بمج المعين. ويمكن تأسيس الجماعة بـداعي الوصـول إلى أهـداف مشـتركة. كمـا يـتعلم الأعضاء بشكل فعال عن طريق مشاركة الخبرات وامعلومات بين الإعضاء ومن ثمّ، يطورون أنفسهم مـن الناحية المهنية والشخصية بجد سواء . انظر: موقع الويكيبيديا http://ar.wikipedia.org/wiki

([2]) خليدة صديق ، مناهج البحث في الإعلام الجديد ، (عمان ، دار الأعصار ، 2016) ، ص 210.

المبحث الثالث

الاندماج الاتصالي ونظريات الاتصال المعاصرة

مدخل في نظريات الاتصال

تميزت دراسات الإعلام على مدى سنوات بمدخلين متعارضين همـا : المدرسـة الإمبيريقية والمدرسة النقدية ([1]).وقـد تميـزت المدرسـة الإمبيريقيـة بـالبحوث الكميـة والتطبيقية التي تبني المعرفة على أساس الملاحظة والتجربة. وقـد ركـزت هـذه المدرسـة على دراسة تأثيرات الإعلام متجاهلة السياق الثقافي الواسع الذي يعمل فيـه الإعـلام. أما المدرسةالنقدية فقد استخدمت مـدخلاً فلسـفياً، وركـزت علـى البنـاء الاجتمـاعي الواسع الذي تعمل فيه وسائل الإعلام، كما ركزت على قضية من يسيطر على النظـام الاتصالي. والواقع أن بعـض منظـري هـذه المدرسـة – لـيس كلـهم– ذووا توجهـات ماركسية*.وتعود هذه التفرقـة بـين المـدخلين إلى كتابـات بـول لازرسـفيلد في بـدايات الأربعينات من القرن العشرين، عنـدما أطلـق علـى هـذين المـدخلين مسـميان همـا : البحـث الإداريAdministrative Research، والبحـث النقـدي Critical Research.

([1]) Rogers, E.M . " The empirical and critical schools of communication research " . communication Yearbook , (1982) . 5: pp 125-144 .

*الماركسية : هي ممارسة سياسية ونظرية اجتماعية مبنية على أعمال كارل ماركس الفكرية، وهو فيلسوف مـن أصول ألمانية من القرن التاسع عشر، عالم اقتصاد، وصحفي وثوري شارك هرفيقـه فريـدريك إنجلـز في وضع الأسس واللبنات الأولى للنظرية، ومـن بعـده مبـدأ المفكـرون الماركسـيون في الإضـافة وتطـوير النظرية بالاستناد إلى الأسس التي أرسى دعائمها ماركس. سميت بالماركسـية نسـبة إلى منظرهـا الأول كارل ماركس أسس نظرية الشيوعية العلمية بالاشتراك مع فريدريك إنجلز. فقد كان الاثنان اشتراكيان بالتفكير ، لكـن مـع وجـود الكـثير مـن الأحـزاب الاشـتراكية، تفـرد مـاركس وأنجلـز بالتوصـل إلى الاشتراكية كتطور حتمي للبشرية على وفق المنطق الجدلي وبأدوات ثورية. فكان تم جمل أعمالهما تحت اســـم واحـــد وهـــو الماركســـية أو الشـــيوعية العالميـــة. انظـــر: الموقـــع الالكترونـــي http://ar.wikipedia.org/wiki

ويشير البحث الإداري إلى البحوث التي تخدم مؤسسات الإعـلام، وهـو مطـابق تماماً لما يسميه روجرز بالبحث الامبيريقي. وقد تركـزت معظـم بحـوث لازرسـفيلد في هذا الجانب. أما البحث النقدي فقد تولد عـن المـدخل الماركسـي في دراسـات المجتمـع ولكنه تحول فيما بعد من التركيز علـى صـراع الطبقـات إلى التركيـز علـى دور القـوى المختلفة في السيطرة في المجتمع. وقـد أعتمـد لازرسـفيلد علىبحـوث تيـودور أدورنـو الذي أجراها في الاربعينات عن الموسيقى المقدمة في الراديو،بعـدّه منظـراً نقـدياً بـارزاً. ويرفض المنظرون النقديون البحوث الإمبيريقية على أساس أنها توظف مناهج العلـوم الطبيعية بشكل غير مناسب علـى الإنسـان والمجتمـع، وتركـز علـى موضـوعات بحثيـة ضعيفة جداً وتتجاهل الأهمية البالغة لملكيـة وسـائل الإعـلام وديناميكيـات السـيطرة عليها. وفي المقابل فإن الباحثين الإمبيريقيين ينتقدون المنظرين النقديين الـذين يقـدمون نتائج دون دليل، ويستخدمون الجدل العقلي وليس البحث العلمـي ويكـررون أفكـاراً أساسية قليلة مرات ومرات دون إضافة معرفة جديـدة. وقـد ذهـب دوفلـير: "إلى حـد توجيـه اللـوم عـن قلـة الشـواهد النظريـة البـارزة في مجـال الإعـلام إلى التحـول إلى الدراسات الكيفية والنظرية النقديـة"([1]). ومـن الضـروري معرفـة أن النقـد تحـول في الفلسفة بشكل عام والفلسفية الالمانية بشكل خـاص؛ وتحديـداً عنـد مانويـل كـانط إلى فلسفة من اجل بيان إماكن المعرفة، قبل إصدار الأحكام، وتحديد ما يمكن معرفتـه قبـل التوجه نحو موضوع المعرفة،وأسبقية سؤال (كيف أعرف ؟) على سؤال (مـاذا اعـرف؟)، وقد أجاب كانط في كتبه النقدية عن أسئلته الشهيرة : (ماذا يمكنني أن أعرف؟ مـاذا يمكنني أن أعمل؟ ماذا يمكنني أن آمل ؟) والتي أخذت عناوين نقدية وأضـحة : (نقـد العقل المحض، نقد العقل العملـي، نقـد ملكيـة الحكـم)، وهـو المشـوار النقـدي الـذي استأنفه، فيختته عن طريق مؤلفه (نقد كل وحي)، ثـم تحـول النقـد إلى علـم وتيـار مـع إدموند هوسرل، ونقد اللاهوت مع فيورباخ، ونقد المجتمع عند ماركس،ونقد القيم مـع

([1]) Defleur , M. L. " Where have all milestones gone ? The decline of significant re-search on the process and effects of mass communication" , Mass Communication & Society, (1998) . 1(1/2) : pp 85-98.

نيتشــه، ونقــد الايــديولوجيا والأداتيــة مــع هابرمــاس. إن النقــد هنــا إعــادة بنــاء Reconstruction، يحتوي إعادة البناء على عملـيتي الهـدم والبنـاء في الوقـت نفسـه ([1]).ويرى هوركهايمر* : "أنه على النظرية النقدية أن تعمل على تحقيق متطلبات عـدة، منها العملية، فلا يمكن الإفادة من التجريد النظري بلا الانعكاس البراكسيسي**"([2]).

ومــن المـداخل الأخـرى في دراسـة الإعـلام، مـدخل الدراسـات الثقافيـة Cultural studies approach. ويجمـع بـاحثو الدراسـات الثقافيـة بـين النظريـة النقدية والمدخل الـذي يسـتخدمه البـاحثون في المدرسـة الإمبيريقيـة. ويحـاول منظـرو الثقافة أختبار البيئة الرمزية التي تخلقها وسائل الإعلام، ودراسـة الـدور الـذي تمارسـه

([1])عبد العزيز بومسهولي وآخرون ، الفلسفة الألمانيـة والفتوحـات النقديـة قـراءات في اسـتراتيجيات النقـد والتجاوز ، (بيروت ، جداول ، 2014) ، ص 15-16.

* ماكس هوركهايمر 1895-1973) Max Horkheimer) فيلسوف و عالم اجتماع ألماني ، اشتهر بمجهـوده في النظرية النقدية كعضو في مدرسة فرانكفورت الفلسفية للأبحـاث الاجتماعيـة ، أهـم أعمالـه : بـين الفلسفة و العلوم الاجتماعية (1930م- 1938م) ، خسوف العقل 1947موبالاشتراك مـع تيـودور أدورنو ألف كتاب جـدل التنـوير (1947م) . أسـهم كعضـو في مدرسـة فرانكفـورت في التخطـيط والدعم لعدد من الاعمال الفكرية للمدرسة و التنبيه لهـا . تـرأس معهـد العلـوم الاجتماعيـة بجامعـة فرانكفورت في 1931 م وأسهم في تغيير سياسته من الاهتمام بالقضـايا العماليـة إلى النظريـة النقديـة والفلسفة الاجتماعية ، طرد من عمله في جامعة فرانكفورت بعد وصول هتلر للحكم في ألمانيا ، وبعـد سقوط الحكم النازي عاد من الولايات المتحدة ليعيد تأسيس المعهد و ترأسه حتـى عـام1969م.انظـر الموقع الالكتروني :http://ar.wikipedia.org/wiki

** فلسفة البراكسيس : وهي تعني ، فلسفة متحررة (أو تسعى لتحرّر) من كل عنصـر أيـديولوجي آحـادي أو متعصب. فهي الوعي التام بالتناقضات. والفيلسوف بعدّه فردا من فئـة اجتماعيـة بأكملـها لا يكتفـي بفهم التناقضات بل يتخذ لنفسه موقعا كعنصر ضمن التنـاقض، ويرفـع هـذا العنصـر إلى مرتبـة مبـدأ للمعرفة، ومن ثمة مبدأ للفعل . انظر الموقع الالكتروني : http://www.ahewar.org/debat

([2]) Gordon Finlayson, James," Habermas a very short In troduction " , Oxford University Press Inc, Published in the United States , New York , (2005) . p. 3-4.

هذه الوسائل في الثقافة والمجتمع. وقد استخدم باحث الإعلام جيمس كاري المدخل الثقافي ليقدم نقداً لاذعاً لمعظم بحوث الإعلام، إذ رأى : " أن دراسات الإعلام قد سيطر عليها نموذج النقل Transmission model الذي لا يرى في الاتصال سوى أنه نقل إشارات أو رسائل عبّر المسافة بغرض السيطرة " ([1]) .

وقد اقترح كاري نموذجاً بديلاً أسماه (الرؤية الشاعرية للاتصال) Ritual view of communication وتتجه هذه الرؤية ليس نحو امتداد الرسائل في المسافة ولكن نحو الحفاظ على المجتمع، وينظر إلى الاتصال على انه ليس نقل معلومات ولكن تقديم المعتقدات المشتركة. ومن هذه الرؤية لكاري فإن مشاهدة برنامج في التلفاز لا تساعد كثيراً في الحصول على معلومات، ولكنها تساعد بشكل أكثر إذا صاحبها حضور اجتماعيوجماهيري وشعائري،والذي يساعد في بناءرؤية معينة للعالم.

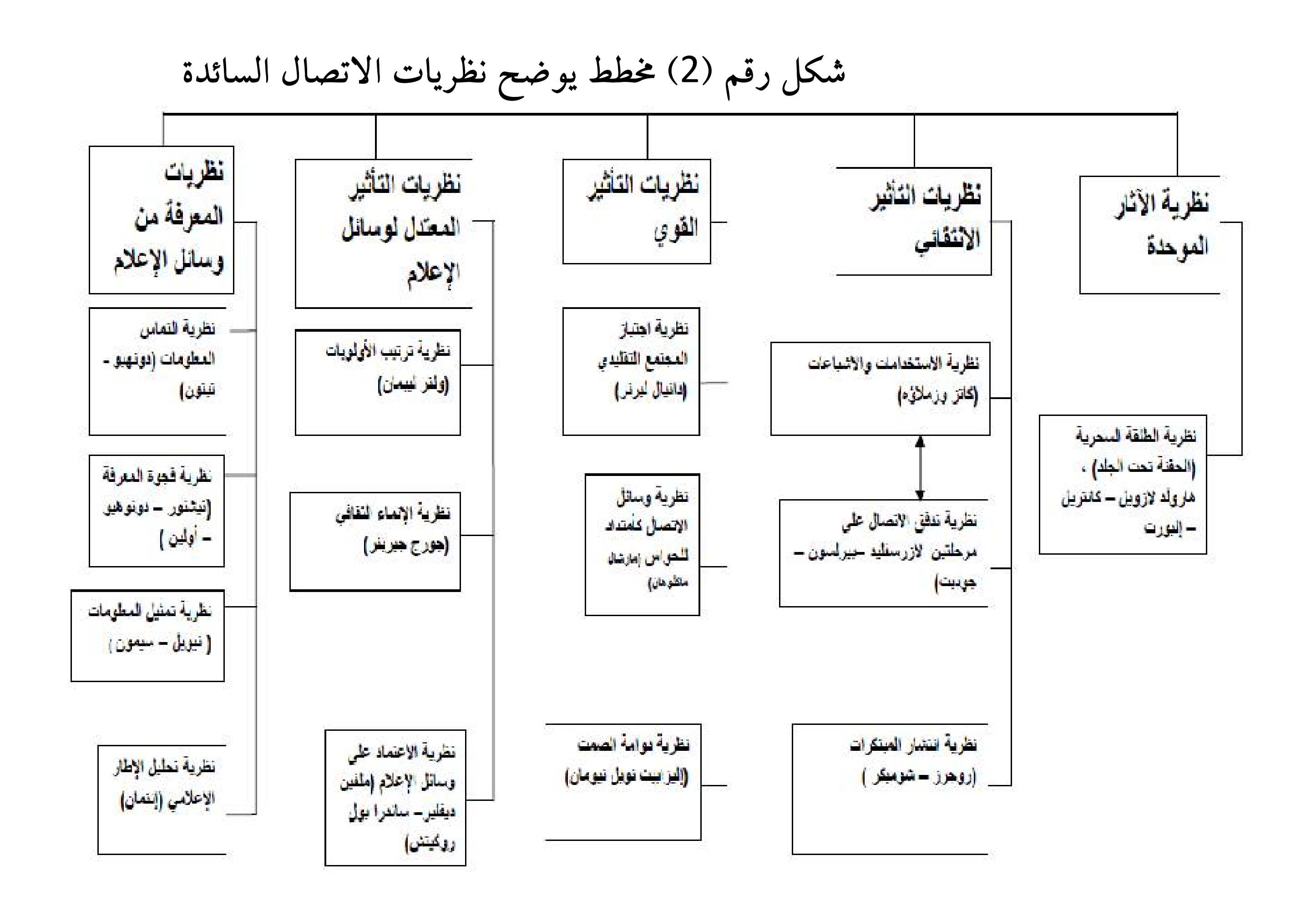
ويجد الباحث ان نظريات الاتصال لها قابلية التحليل على وفق اساس نظري وتطبيقي، أي انها تأخذ اتجاهات مختلفة، ولا تقوم على وفق منظور من قام بصياغتها،وبالاعتماد على متغيرات أوجدت النظرية، فأغلب الدراسات التي قامت بتحليل وسائل الاتصال، كانت تعتمد على متغيرات العامل التقني، فظهور الصحف صاحبه ظهور نظريات لتفسير مستوى المقروئية، والتأثيرات المتعلقة بالتوزيع التيبوغرافي للمضمون، لمعرفة مستوى التأثير الذي تحدثه الصحف على اتجاهات الجمهور، كذلك الحال مع المذياع والتلفاز،صاحبته دراسات كثيرة ومعمقة، كانت تمثل البدايات الجدية لدراسات الجمهور،وامتداد حقيقي للتحليل النقدي لطبيعة المجتمعات ومدى التغير الحاصل مع ظهور تقنية البث التلفزيوني،

فقد ظهرت دراسات مهمة في مجال الدعاية التي اعتمدت على مزاوجة علمية بين الجانب النفسي والاجتماعي،وتمت الاستعانة بدراسات علم النفس لمعرفة مكونات النفس البشرية، والغور بعيدا في تفرعات الميول والرغبات والحب والكراهية

([1]) Carey, J. " Communication as Culture" , (1989) . Routledge . New York and London .

والعزلة والانتماء والاغتراب،وظهرت مناهج البحث الكمية، التي اعتمدت لغة الارقام ذات الدلالات العلمية، والتفسيرات القائمة على تحليل الارقام، للوصول الى نتائج يقبلها العقل، وتكون أكثر مصداقية لدى الجمهور.وكان الفرد محور تلك الدراسات، لانها كانت تعتمد على العنصر النفسي ضمن المحيط الاجتماعي، وكانت التقنية هي العامل المتغير، الذي يمثل السبب في إحداث الآثر – المنبه- وأعتمدت تلك الدراسات بشكل اساس في بث الدعاية خلال حروب القرن العشرين عن طريق التوظيف المدروس لوسائل الاتصال في بث الدعاية، وبالفعل استطاعت وسائل الإعلام ان تبرهن على تأثير المحتوى الاتصالي سلباً أو ايجاباً على الفرد.ومع ظهور الإنترنت ازدادت الحاجة لتفسيرات اكثر قبولاً، مما هو موجود فأغلب الدراسات، تعتمد على بناء الاستنتاج على وفق وصف الظاهرة، وتحليلها كمياً،وإيجاداستنتاجات وتفسيرات علىوفق ما تظهره بيانات الدراسة، وهذا امر جيد، لكنه غير كافٍ، فكل دراسة تعتمد على بناء نظري، هو في الاساس قائم على جانب تقني معين،ومن ثمَّ فإن اعتماد البناء النظري على ظاهرة تختلف من الجانب التقني عن ما سبقها، يجعل الموضوع محل جدل ونقاش،بحسب نظريات الاتصال السائدة التي تستخدم في ادبيات الإعلام،وكما موضح في الشكل رقم(2).ويظهر أن اغلب النظريات تعتمد على الأثر الناتج عن التقنية.

شكل رقم (2) مخطط يوضح نظريات الاتصال السائدة



وهناك نظريات أيضاً تعتمد على دراسة الاثر، ومنها ما يدرس المضمون الاتصالي والقسم الاخر يهتم بدراسة الجمهور،والبعض الأخر من النظريات تعتمد على الجانب المعرفي، اي مستوى المعرفة التي تنتجها وسائل الاتصال،فضلا عن دراسة مستويات الجمهور، الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، لفهم مدى النفع لما تقدمه وسائل الإعلام. وهناك مجموعة من النماذج التي هي في الاساس ليست أداة تفسيرية في حد ذاتها، لكنها تساعد على بناء النظرية، فهي تقترح العلاقات بين عناصر العملية، وكثيراً ما يحصل الخلط بينها وبين النظرية بسبب علاقتها الوثيقة. إذا نظرنا إلى النموذج بعدّه (فرضاً نظرياً مبسطاً للعالم الحقيقي)،عندها يكتسب النموذج أهميته من قدرته على زيادة فهمنا للظواهر المختلفة المحيطة بنا والوصول إلى تعميمات مدعمة بالأدلة الموضوعية، والمساعدة على التنبؤ بالنتيجة، وتفسير التفاعل البشري الذي يتسم بالتعقيد الشديد([1]).

يبقى أن الاتصال (كنظرية)، تختص بمجال وسائل الإعلام والاتصال وحركية التفاعل والاتصال الاجتماعي، تعاني أزمة مرجعية حقيقية، ذلك أن أي علم قائم على (النظرية والمنهج) المتبع في الوصول إلى الحقائق، وطالما أن النظرية (ليس فيها الكثير من التنظير)تأثرت العناصر المنبثقة عنها سلباً،ويقود ذلك الى عملية تجاوز الخاصة **بالوعي بالذات** الى **التعبير عن الذات**. وبتعبير آخر، التخلص من ثقل **الوعي بالمشكلة** والتحول إلى مجال **دراسة الظاهرة** كما تبدو بعيداً عن بعض القيود المرتبطة بقبضة النصوص القبلية السائدة في مجال الاتصال ([2]).

ويرى الباحثان التراث الفكري لنظريات الاتصال ممثلبالنصوص القبلية لمفاهيم الاتصال والإعلام،يعد من الاسباب الرئيسة التي سمحت ان يكون التنظير منصباً بشكل اساس على العوامل الناتجة من عملية الاتصال كمخرجات بالاعتماد على مفاهيم علم النفس ومستويات التأثير فضلا عن طبيعة المجتمع،والقليل من حاول ان

(1) حسني محمد نصر ، نظريات الإعلام ، (بيروت ، دار الكتاب الجامعي ، 2015) ، ص 37-39.

(2) عبد الرحمن عزي ، دراسات في نظريات الاتصال نحو فكر إعلامي متميز، مصدر سابق ، ص 8 .

يفسر طبيعة عمل الاتصال بشكل منفصل، اي طبيعة العلاقات بين عناصر الاتصال بمعزل عن محيطها الخارجي على وفق المنظور التجريدي،والقائم على طبيعة التفاعل داخل العملية الاتصالية، لا على اسس التأثير فقط.عندما وضع علماء الاجتماع أسس تحليل العلاقات بين الأفراد، المرتبطة كثيراً بظروف الحركة التصنيعية وحركة الديمقراطية التي بدت وكأنها منذرة عند نهاية القرن التاسع عشر، لكنها متيقظة الى التغيرات الإدراكية والمنهجية التي تتيح إمكانية تحليل المجتمعات المتعددة القائمة.عرضت هذه المتغيرات في الوقت نفسه أسس دراسة التواصل بين الأشخاص والتواصل مع الجماهير،وإن الاساس في هذه الدراسات هو الخروج من التفكير السابق بأن العلاقات والتواصل في العالم الذي نعيشه مرتبطة بالحكم الإلهي أو الطبيعي، بل بالعكس، فهو ناتج عن العلاقات التي يقوم بها الناس، يجب أن نرى الظواهر الاجتماعية الحقيقية كلها مثل : الأسرة،والجيش،ووسيلة النقل،والتبادل الاقتصادي،والصحافة.نتاجات أو تبلورات لعلاقات القدرة والاتجاه والمعنى التي توحد أو تقسم ضم المجتمع، وهذا ما جاء به إميل دوركهايم عن حقيقية تسلسل الأفعال الاجتماعية، المتناولة كأنها أشياء، وتصدى ماكس فيبر لأشكال العمل الاجتماعي، وأكد انها لا يمكن تبسيطها إلى شيء غير ذاتها لأنها تتبع المعنى الذي يتخذه من قبل الأفراد.وتؤدي هذه الحركة غير المسيطر عليها كلياً، أحياناً، إلى المزيد من التحول المنهجي الاجتماعي ويؤدي ذلك إلى وضعية عرفت بالبنائية، أي إلى فكرة الاعتراف بوجود بناء اجتماعي للحقيقية وفقاً لتعبير (بيتر برجر) و (توماس لوكمان)، وقد دافع عن هذه الفكرة اغلب المفكرين. وهي في حقيقتها قائمة على أساس فهم طبيعة العلاقات الاجتماعية، واغلب المفاهيم التي عبّر عنها كانت استنتاجات لمؤثرات العملية الاتصالية ونتائجها، هذه الاستنتاجات والتفسيرات للعلاقات الاجتماعية كانت بمعزل عن التقنية، وفعلا كان يطلق عليها العلاقات الاجتماعية، وهي في حقيقتها علاقات اتصالية مجردة، تنعكس عليها ظروف البيئة فتعطي لها تفسرات مختلفة، أي ان التقنية لم تكن محور النقاش بقدر انها كانت مبرراً لفهم العلاقات، وكان هذا الامر مقبولا بشكله الاجتماعي،فقد كان الهدف هو ايجاد أسس لفهم التفاوت

الطبقي في فئات المجتمع، وتم تفسير هذا التفاوت على أساس البناء الاجتماعي وفك العلاقة بين الافراد، والاحكام القدرية الالهية، وقد استطاعت مدارس نقدية مثل مدرسة فرانكفورتان تقدم نظريات اجتماعية تقوم على نقد البناء الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية،لتفسر كل شكل من اشكال التطور، لكن كان الهدف هو تفسير،نواحٍ اجتماعية، كان الإعلام والاتصال احدى اهتماماتها، لأنهما شكل من أشكال التطور الاجتماعي الذي يحتاج الى تفسير. أي ان المنظور كان أساساً قائماً على البناء الاجتماعي والنفسي.فقد نقل ماركس الصراع إلى دراسة المجتمع وفكرة أنّ هذا الصراع لا يقف عند حدود الاهتمامات والمصالح المادية ولم يتطرق الى جوهر الصراع الصناعي الذي انتج صراعا فكريا وطبقيا، فيما أكد دوركهايم على مفهوم التوافق، والتكامل الاجتماعي الذي يعدّه ضرورياً تحت طائلة ضم الفساد الأخلاقي الذي إكتشفه في العمل إلى أبعاد الحياة الجماعية كلها، لكنه لم يفسر كيف يحدث التكامل الاجتماعي بمعزل عن التقنية، أي ان المنظور الاجتماعي كان قائماً على الاعتبارات الظاهرة والنتائج القائمة ولم يفسح المجال لفهم العلاقة التكاملية بين الفرد والتقنية التي تدفع الى التوافق والتكامل الاجتماعي أو العكس في أحيان اخرى.

أولا : نظرية الآثار الموحدة

برز الاعتقاد بأن وسائل الإعلام قادرة على تكوين الرأي العام، وحمل الجماهير على تغيير رأيها إلى وجهة نظر يرغب القائم بالاتصال في نقلها. والفكرة الأساسية التي اعتمد عليها هذا الاعتقاد هي أن الرسائل الإعلامية تصل إلى أفراد المجتمع جميعهم بطريقة متشابهة، وأن الاستجابة الفورية والمباشرة تأتي نتيجة التعرض لهذه المؤثرات (الرسائل). فالجماهير ذات منفصلة من ملايين القراء والمستمعين والمشاهدين، ومباشر يدفع المتلقي للاستجابة بالشكل الذي يحقق هدف القائم بالاتصال. وذهب (جون بيتنر) إلى أن نظرية الاثار الموحدة تنظر الى جماهير وسائل الاتصال الجماهيري كمجموعات من الأشخاص غير المعروفين، لهم أنماط حياة منفصلة، ويتأثر – بشكل فردي – بوسائل الاتصال المختلفة التي يتعرضون لها، أي أنها تجربة فردية وليست

تجربة جماعية، وكان هذا القبول لفهم أثر وسائل الإعلام يسمى بنظرية (الرصاصة السحرية) أو بنموذج (الحقنة تحت الجلد) انظر الشكل رقم(3).

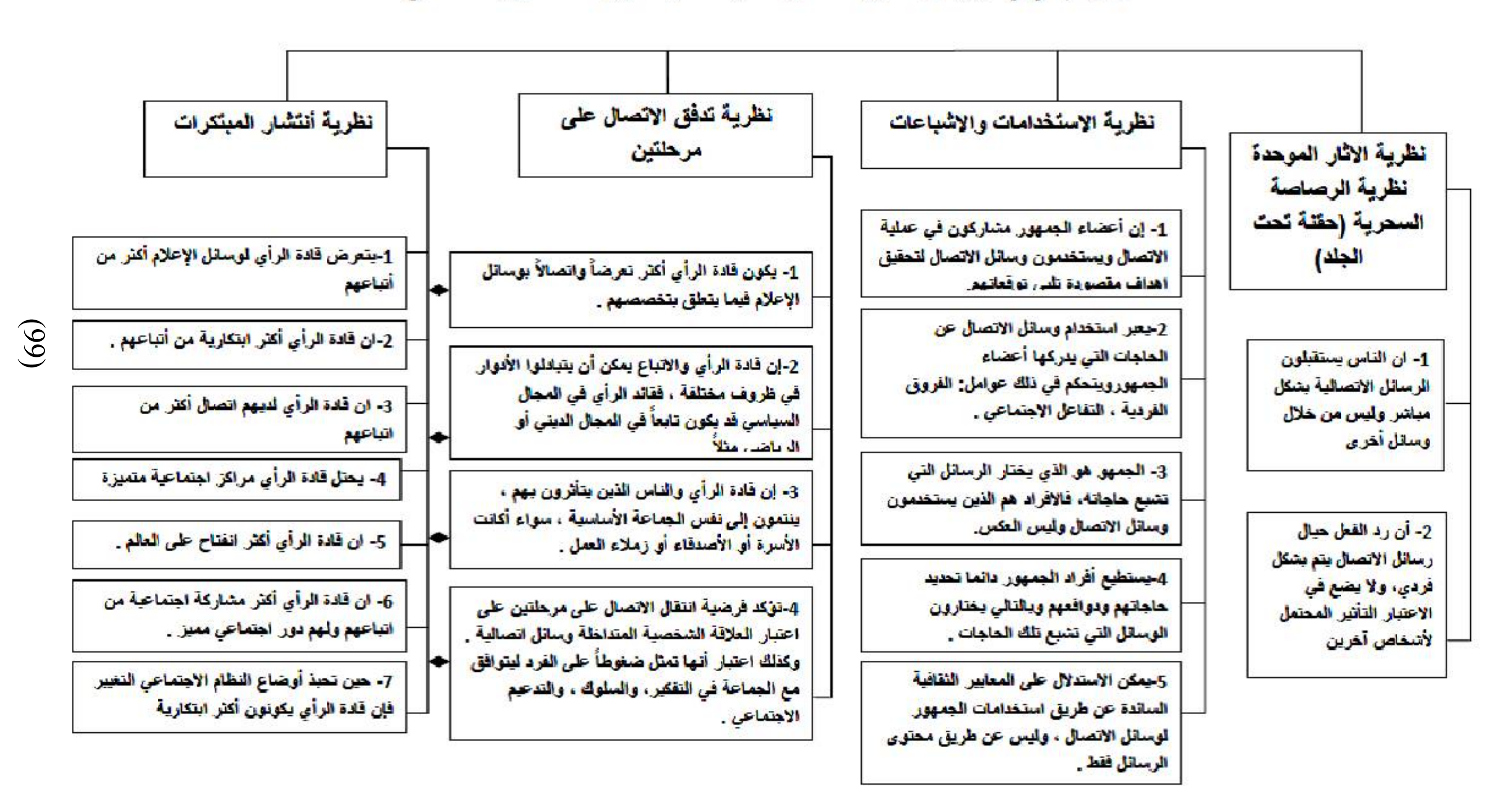
تقوم هذه النظرية على فرضين هما ([1]) :

1- إن الناس يستقبلون الرسائل الاتصالية بشكل مباشر وليس عن طريق وسائل أخرى.

2- إن رد الفعل حيال رسائل الاتصال يتم بشكل فردي، ولا يضع في الاعتبار التأثير المحتمل لأشخاص آخرين.

([1]) حسن عماد مكاوي ، ليلى حسين السيد ، الاتصال ونظرياته المعاصرة ، ط 9، (بيروت ، الدار المصرية اللبنانية ، 2010) ، ص 213.

الشكل رقم (3) فروض نظرية الأثار الموحدة و نظريات التأثير الانتقائي



إن التأثير الذي يُمارس على المستمعين قد تم تفسيره بواسطة نماذج مشتقة من علم النفس في مطلع القرن العشرين، وكان الاعتقاد أنه تم التوصل إلى بناء يجمع العلوم الطبيعية ضمن رؤية ميكانيكية للإنسان، فيتجاوب الجمهور الإشتراطي بشكل سلبي مع ردات فعل وإستجابات آلية على الاستجابات المتنوعة، عندما لا يكون قد تحرك بقوى غير واعية (الانوية، والمؤثر،.. إلخ). وإن فرضية الإشتراطية في السلوكيات،التي عبّر عنها الفيزيولوجيون الروس : (إيفان بافلوف)،(وفلاديمير بختريف)، تم تعميمها من المجال الحيواني الى المجال البشري، في حين نصح العالم الاميركي (واتسون)، باستخدام الأساليب التجريبية لدراسة الآليات النفسية، التي يمكن أن يلتقطها من السلوك الذي يعدّه استجابة لما يدور في المحيط،فالاشكال في الحياة كلها– انفعالات، وعادات، إلخ.. باتت نتيجة لعناصر عضوية وغدد في جسم الإنسان، وهي قابلة للملاحظة والقياس.. وفي سياق هذا المشهد، نجد أن إسهام (هارولد لازويل) – وهو طالب براجماتي –مقتنع بتحليل (تقنيات اليقين)التي يطلق عليها التداخلية*، وهو بذلك يهدف من الإعلام الى توجيه الشعوب وانصياعها للدولة عن طريق الدعاية. ونجد أن إسهامه من نوع الخلاصة المميزة، أي ان الإعلام هو آلة موجه لغرض التأثير على أن الجمهور ذا فهم واحد، ولذلك فأنه يتأثر بشكل واحد بالمضمون الاتصالي، فاخترع لازويل تعبير (الحقنة تحت الجلد) ليشير إلى التأثير الحاصل في الجمهور السلبي. على الرغم من أن هذه النظرية لم تعد مقبولة مع تطور مفاهيم جديدة، انتجتها دراسات الجمهور، لكن هناك شيء، ذا قيمة في هذه النظرية، وهو الاساس الذي قامت عليه، فقدت افترضت ان المجتمع هو كيان واحد، أي انها افترضت ان المزاج العام للمتلقي قد اندمج وتماماً مع بعضه البعض فشكل كياناً مستقلاً، له القدرة على فهم واحد، وتحليل واحد، ثم استجابة واحدة، وبمعنى اخر أن المنبه المتمثل بالمضمون الاتصالي عندما يصل إلى المتلقي، فأنه يندمج معه فيحصل تجانس في فئات الجمهور، إذتحصل كل فئة منه على مقدار متساوٍ من الفهم يساوي ما تحصل عليه الفئة الاخرى، وبذلك فإن حاصل جمع قيمة المضمون لجميع فئات

*التداخلية : يقصد بها التداخل في القطاعات الخاصة ضمن الدولة ، أو التداخل في تنازع الدول الآخرى .

الجمهور، تساوي قيمة المضمون الاتصالي المرسل، اي أن المضمون يصل كله دون نقص ويحصل كل فرد على حصة متساوية منه، لذلك فإن حجم التأثير يكون واحداً وهو قيمة المنبه (الرسالة)، هذا لا يحصل إلاعلى وفق مبدأ الاندماج الاتصالي، وعليه فإن الطاقة الاتصالية للمرسل تساوي الطاقة الاتصالية الجمهور، والرسالة لا تظهر بشكل واضح بقدر ظهور تأثيرها، على الجمهور بسبب عدم إدراك الجمهور مفهوم الرسالة.

ثانياً : نظريات انتشار المبتكرات Diffusion of Innovations Theory

في السنوات الأخيرة من الخمسينيات والستينيات، ذهب عديد من المنظرين إلى الأخذ بفرضية انتقال المعلومات على مرحلتين والتي نظر لها كل من لازرسفليد، وبيرلسون، وجوديت،وقد أخذ بهذا الرأي كثير من دارسي نموذج انتشار المبتكرات، وهذا النموذج شبيه بفرضيات تدفق الاتصال على مرحلتين، لكنه يسمح بالمزيد من الاحتمالات المعقدة لتدفق الاتصال، إذ انه يرى أنّ تدفق المعلومات ينتقل من شخص إلى أخر وهلم جرا. ولا يتغير مفهوم قيادة الرأي في نموذج انتشار المبتكرات عن مفهومه في نموذج تدفق الاتصال على مرحلتين، بل يقدم لنا تفصيلات أكثر حول شخصيته ([1]). ويمدنا روجرز، و شوميكر. بقائمة من الفرضيات، ينظر شكل رقم (3).حول قادة الرأي وهي([2]) :

1- يتعرض قادة الرأي لوسائل الإعلام أكثر من أتباعهم.
2- إنقادة الرأي أكثر ابتكارية من أتباعهم.
3- يحتل قادة الرأي مراكز اجتماعية متميزة
4- إن قادة الرأي لديهم اتصال أكثر من اتباعهم.
5- إن قادة الرأي أكثر انفتاحاً على العالم.

([1]) مي العبد الله ، نظريات الاتصال ، (بيرون ، دار النهضة ، 2010) ، ص 271.

([2]) حسن عماد مكاوي ، ليلى حسين السيد ، مصدر سابق ، ص 254-255.

6- إن قادة الرأي أكثر مشاركة اجتماعية من اتباعهم ولهم دور اجتماعي مميز.

7- حين تحبذ أوضاع النظام الاجتماعي التغيير فإن قادة الرأي يكونون أكثر ابتكارية.

ويقدم لنا روجرز و شوميكر نموذجهما كوجهة نظر لانتشار المبتكرات في النظام الاجتماعي، ويعد هذا النموذج إسهاماً لفهم انتشار الرسائل الاتصالية وتأثيرها. ويتم انتشار المبتكرات حين تنتشر فكرة أو شيء معين من نقطة الأصل إلى المناطق الجغرافية المحيطة بها، أو من شخص لآخر خلال منطقة واحدة ([1]). ويرى الباحثان أهمية عنصر الوقت كعاملاً ضرورياً لانتشار المبتكرات، ومؤثراً في مراحلها كلها.إذ إن كلمة (ابتكار) ترتبط عادةً بطرح تقنيات حديثة، يمكن استخدام المفهوم للإشارة إلى الأفكار والممارسات كذلك، ومن ثم يمكن أن يكون الابتكار عميقاً للغاية، مثل فكرة حديثة ثورية أو مبدأ اجتماعي جديد يدوم لأجيال، أو يكون عديم الفائدة، مثل تصميمات الأزياء التي لن تحظى بشعبية إلا موسماً واحداً فقط، يمكن أن يكون أي شيء بين هذا وذاك فعلياً، بما في ذلك العقاقير الطبية الجديدة، وتقنيات التصنيع الحديثة، والاجهزة الإلكترونية الجديدة، وبناء عليه، يمكن استخدام مصطلح (المبتكرون) للإشارة ليس فقط إلى الأفراد الذين يقدمون أجهزة حديثة، بل أيضاً إلى مؤيدي الأفكار الجديدة، أو بصورة أعم، أي صدمة بسيطة تهز كياناً أو نظاماً أتسم فيما مضى بالسكون. وتشمل عبارة (المعتنقون الاوائل)، التي تُستخدم غالباً لوصف الافراد الذين يتبنون خدمة أو منتجاً جديداً، ويرشحونه للآخرين، جميع الرواد والناصرين وأتباع الثائرين أيضاً، والمعتنقون الأوائل، كهواة التقنية في وادي السليكون*.ليسوا سوى أفراد كان لهم أسبقية التأثر بأحد المنبهات الخارجية. ومع ما

([1]) صالح ابو اصبع ، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة ، (عمان ، دار آرام للدراسات والنشر ، 1995) ، ص 71.

*واديالسليكون: سليكون فالي أو وادي السليكون (بالإنجليزية: Silicon Valley) هي المنطقة الجنوبية من منطقة خليج سان فرانسيسكو في كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية. هذه المنطقة أصبحت

تثيره مفردات روجرز من أفكار، فهي ليست دقيقة بما يكفي لتجنب الالتباس. على سبيل المثال : قد يكون من الصعب تحديد هل الأفراد تبنوا فكرة جديدة لأنهم كانوا أكثر ميلاً لها مسبقاً بطبيعتهم (لديهم حد منخفض)، أو أنهم كانوا عرضة لتأثيرات خارجية قوية للغاية (تصادف وجود أعداد كبيرة من المؤيدين السابقين للفكرة في المكان الذي يعيشون فيه). قد يبرر أيّاً من هذين التفسيرين التأييد المبكر للفكرة، لكن كلًّا منهما يحمل معنى ضمنياً مختلفاً تماماً فيما يتعلق بالأفراد قيد البحث في أغلب الأحيان،ان ما توصل له روجرز كان يفسر علاقة بسيطة بين الفرد والتقنية من حيث التأثير، في وقت كانت هناك فجوة بين التطور التقني والممارسة المجتمعية للابتكار، مما اسهم في تحقيق حالة من التأييد المتسلسل للابتكار، فقد احتاج كل ابتكار ان يحقق قبول المستخدم، وذلك ناجم عن عدم الثقة بالابتكار، على الرغم من ظهور حالة من الرضا لدى الجمهور، فأنه في الغالب لا يدفعه الابتكار الى الاستخدام المباشر، الى بعد سلسلة من عمليات الاقتناع من قادة رأي يعتمدهم الجمهور. مع تطور التقنية أصبحت تلك الفجوة اقل اتساعاً،والذي يبرر ذلك هو ظهور جيل جديد، من المستخدمين للتقنية، أكثر ثقة وتقبل، هو (جيل الانترنت) الذي يمثل حالة الاندماج عبّر منظومة التواصل العالمي، هذا الاندماج بين الانسان والآلة،وإنشاء حالة من الثقة المتبادلة بين الابتكارات التقنية والفكرية، وظهرت منظومة تواصلية جديدة، هي منظومة المرسل المستقبل الذي يمثل حالة الاندماج الاتصالي بين كينونة الانسان نفسه الذي كان في السابق يمثل حالة الانتقال بين حالتي التلقي والارسال، فقبول اي ابتكار كان يتطلب حصول ثقة، وحصول هذه الثقة كان مصدرهقادة رأي،يعتمد الفرد عليهم

مشهورة بسبب وجود العدد الكبير من مطوري ومنتجي دائرة تكاملية، وحالياً تضم جميع أعمال التقنية العالية في المنطقة، فقد أصبح اسم المنطقة مرادفاً لمصطلح التقنية العالية.

على الرغم من وجود العديد من القطاعات الاقتصادية المتطورة تكنولوجيا إلا أن سليكون فالي يبقى الأول في مجال التطوير والاختراعات الجديدة في مجال التكنولوجيا المتطورة ويسهم في ثلث العائدات الاستثمارية في مجال المشاريع الجديدة في الولايات المتحدة الأمريكية.

انظر : موقع الويكيبيديا وادي السليكون http://ar.wikipedia.org/wiki/

في تعزيز الثقة واتخاذ القرار، لكن مع حالة الاندماج الاتصالي أصبح كل فرد يمثل رأياً يحاول أن يحقق له الشيوع والانتشار، فشبكة الإنترنت منحت فرصاً للفرد أن يطرح آراءً جديدة،فضلا عن ذلك فالشبكة تسهم في تشكيل وعي الفئات الاجتماعية، وتمارس دوراً حيوياً في تكامل منظومة الثقافة مع منظومات التربية والإعلام والاقتصاد، والأهم من ذلك كله إن هذه البيئة المعلوماتية الجديدة توفر، وربما لأول مرة – بيئة مثالية لحوار الثقافات والتهجين الثقافي ([1]).

ثالثاً : نظرية الاستخدامات والاشباعات Uses and Gratifications

تعد هذه النظرية من أكثر النظريات استخداماً في بحوث وسائل الإعلام، وتعد واحدة من نظريات التأثير الانتقائي.إذ إن الميل لتجاهل امكانية التأثير دفعت بالعديد من الباحثين لاستبعاد بحوث مهمة من انواع الاستخدام والإشباعوأعطتها قيمة ضئيلة وكنتيجة لذلك فان بعض المقترحات المعاصرة لهذا التوجه قامت بتحدي ذلك الاستبعاد وربط الاشباع بالتأثير. لقد عَدَّ وندل إندمج بحوث الاستخدامات والاشباعات وبحوث التأثيرات متأخراً وعرض نموذجه الذي أطلق عليه اسم (الاستخدامات والتأثيرات) والذي عرّف محصلة وسائل الإعلام بـ (المحصلة – التأثير) ([2]).كما قدمBlumlerأفكاره حول تجانس مفاهيم الاستخدامات والاشباعات مع التأثيرات. وكانت أفكاره تتركز حول مسؤولية السيطرة على التأثيرات وعلى المستهلك عوضاً عن وسائل الاعلام، وكتب مايلي في هذا الخصوص :كيف يمكن لفرضيات تتعلق بتأثيرات وسائل الإعلام أن تستخلص من الاشباعات؟ أولاً من البديهي بأن الدوافع الإدراكية سوف تسّهل عملية الحصول على المعلومات وثانياً

([1]) نبيل علي ، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي ، سلسلة كتب عالم المعرفة 265، (الكويت ، دار الوطن ، 2001) ، ص 124.

([2]) Palmgreen, P., Wenner, L.A., & Rosengren, K.E. Uses and gratifications research: the past ten years. In K.E. Rosengren, L.A. Wenner, & P. Palmgreen (Eds.), Media gratifications research: current perspectives ,(1985),pp 11-37.

استهلاك وسائل الأعلام لأغراض التضليل والهروب سيقود إلى تفضيل الجمهور لقبول معطيات الوضع الاجتماعي بما يتوافق مع الوصف المعتاد في المواد الترفيهية وثالثاً الانغماس في مواد وسائل الأعلام لأسباب شخصية من المحتمل أن يرتقي بتعزيز التأثيرات ([1]).

لقد تجدد الاهتمام في بحوث الاستخدامات والاشباعات عندما كان هناك اهتمام أكبر في مفاهيم التأثيرات ولهذا لا نفاجئ بأن تركز النظريات على ما يوحد المدرستين بدلاً عن فصلهما. كتب Alan Rubin في هذا الخصوص ما يلي (أن الاختلاف الأساسي بين المدرستين هو أن باحثي التأثيرات يقومون عادة بالتركيز على عملية الأنصال بالجمهور اعتمادا على المصدر في حين أن باحثي الاستخدامات والأشباعات يبدأون بالمتلقين، ولكن كل منهما يبحث في شرح محصلة أو عاقبة الأنصال كوجهة نظر أو فهم هيكليته على سبيل المثال : التثقيف وتأثيرات الشخص الثالث، تغييرات سلوكية مثل الاستقلالية و التأثيرات الاجتماعية فجوات معرفية. وعلى أية حال أن بحوث الاستخدامات والأشباعات توضح وبشكل أكبر اراء واختيارات ونشاطات المتلقي)([2]).

تقوم النظرية على مجموعة من الفروض. انظر الشكل رقم (3).إذ تفترض ان أعضاء الجمهور مشاركون في عملية الاتصال ويستخدمون وسائل الاتصال لتحقيق أهدافهم.

وتبين للباحث أن المشاركة تعني أن جزءاً من الاتصال مختصاً بالجمهور يؤدي دوره فيه بالاعتماد على وسائل الاتصال،بمعنى أن الجمهور يستخدم وسائل الاتصال لغرض تحقيق المشاركة في الاتصال، ومستوى المشاركة يعتمد على مستوى الاشباع،

([1]) Blumler, J. G , " The Role of Theory in Uses and Gratifications Research " , Communication Research 6, (1979) ,pp 18-19.

([2]) Rubin, A. M ." Uses – and Gratifications Perspective on Media Effects " , In J Bryant and M. B. Oliver, eds .,Media Effects : Advances in Theory and Research . New York : Routledge. (2009) , p172

والمشـاركة في الاتصـال تقـوم علـى الاسـتخدام للوسـيلة الاتصـالية، وبمـا أن وسـائل الاتصال مختلفة لذلك فإن الاستخدام سـوف يختلـف. فـبعض وسـائل الاتصـال ذات تأثير محدود، ينعكس على استخدام محدود ايضا، وبعض وسائل الاتصال قوية، تحتـاج الى استخدام متفاعل بشكل دائم، وقد حدد مارشال ماكلوهان تلك الوسـائل (وسـائل باردة،ووسائل ساخنة). مـثلاً : لـو افترضـنا إن شخصـاً يسـتخدم التلفـاز بمعـدل(5) ساعات يومياً وشـخص ثـانٍ يسـتخدم المـذياع (5) سـاعات يوميـا، وشـخص ثالـث يستخدم الصحف (5) ساعات، وشخص اخر يستخدم الانترنت (5) ساعات يوميـا. نلاحظ ساعات الاستخدام واحدة، ووسائل الاتصال مختلفة، وطلب من كـل شـخص ان يقدم مشاركة تنسـجم مـع نـوع الوسـيلة الـتي يستخدمها،سـتكون المشـاركة الاولى مقطع فيديو والمشاركة الثانية صوت مسموع والمشـاركة الثالـث الألفـاظ المكتوبـة، أمـا الوسيلة الرابعة فأن استخدامها يحتاج إلى مهـارات الوسـائل السـابقة فضـلا عـن فهـم مسبق بتلك الوسيلة لتلافي الخطاء، الذي قد يسبب عدم حدوث المشاركة، لـذلك فـإن الاتصال عند اسـتخدام الانترنـت يكـون في حالـة انـدماج بـين مجموعـة مـن مفـاهيم الاستخدام السابقة التي تعلمهـا الشـخص خـلال حياتـه، أي ان الانـدماج الاتصـالي يحصل ضمن الاستخدام متمثلاً في الادارة الذكية للوسيلة، وعليه فإن جاز لنـا وصـف المشاركة في وسائل الاتصال التقليدية بالاستخدام، فـيمكن وصـف ذلـك الاسـتخدام بأنـه اسـتخدام تقليـدي لا يتطلـب مهـارات خاصـة ذات فاعليـة في الاسـتخدام، بـل مهارات الشخص هي مهارات فطرية تعتمد مستويات الادراك للحواس البشريةفضـلا عن مهـارات القـراءة والكتابـة الـتي تعـد أساسـاً في المشـاركة التقليديـة. إن الانـدماج الاتصالي يمثل حالة الاستخدام الفعلي ضمن منظومـة الاتصـال الجديـدة، الـتي تقـوم على توافق السرع، أي سرعة الآلة تتوافق مع سرعة الإنسان في فهم الاسـتخدام،الذي يولد تواصلاً عالي الجودة يؤدي الى اندماج اتصالي، بـين المكونـات الماديـة والمكونـات الحسية،بمعنى أن الحواس البشرية تعمـل في اقصـى طاقـة لهـا، لتنسـجم مـع متطلبـات سرعة الآلة – الحاسوب، والاتصالات الشبكية عاليـة السـرعة – وتجعـل مـن الممكـن التواصل مع فضاء واسع ومعقد هـو فضـاء الانترنـت.إن اسـتخدام وسـائل الاتصـال

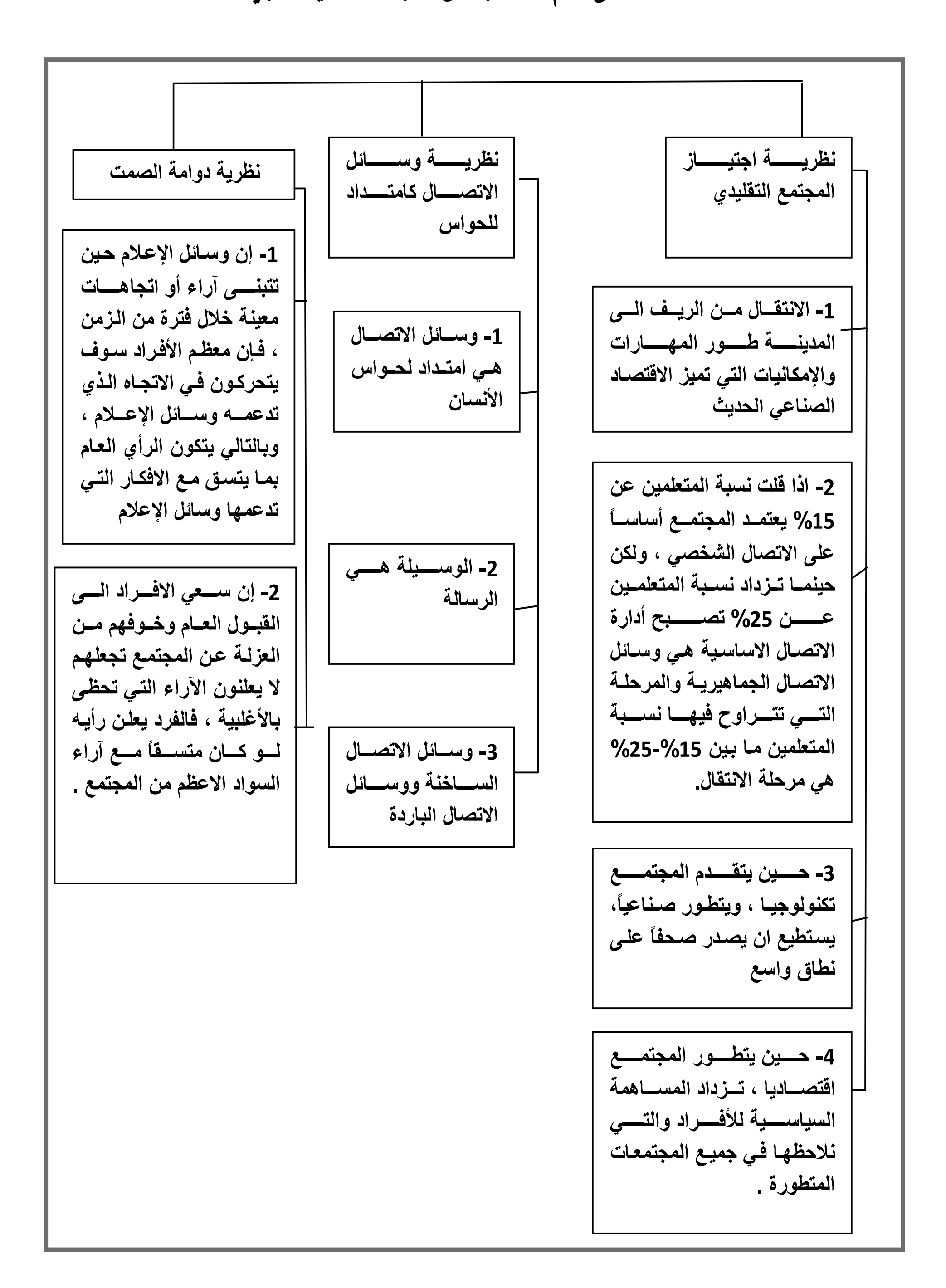
يعبر عن الحاجات التي يدركها الجمهور ويتحكم في ذلك، عوامل : الفروق الفردية، والتفاعل الاجتماعي، وبما أن مستوى الادراك له علاقة مع مستوى نمو المجتمعات والتطور في المجالات المختلفة، لذلك فإن كل جيل له نظام خاص منفصل عن الجيل الذي سبقه،إذ أن جيل التلفيزيون له عادات خاصة في المشاهدة تنعكس على سلوكه، ومزاج خاص في اختيار المضمون الاتصالي، يختلف عن جيل المذياع قبل ظهور التلفاز، لكنه لا يمكن فصل الجيلين عن بعضهما فعند ظهور التلفاز اندمج جيل المذياع معه، لكن احتاج إلى تطوير حالة الادراك بالصورة المتحركة، المدمجة مع الصوت، ومع ظهور الإنترنت، ظهر جيل جديد أكثر وعياً بوسائل الاتصال، من حيث التعامل معها، على الرغم من ازدياد مستويات العبث بالوسيلة وذلك يرجع، إلى رغبة الفرد في المشاركة، فظهر جيل من الشباب عرفوا بـ (المطورين) الذين استطاعوا ان يطوروا مستويات ادراكهم بالوسيلة الاتصالية الانترنت، ويعملون على أضافات وتحسينات لها، وهناك على العكس من ذلك من عمل على اختراق أنظمة الحاسوب لاغراض التجسس او السرقة والاحتيال، وعرفوا بـ (الهاكر). من ذلك نستطيع ان نفهم مستوى المرونة لوسيلة الاتصال الانترنت من حيث الاستخدام، فهي تسمح بالفعل بالتطوير، وتنمي مهارات المستخدم على الرغم من وجود فروق فردية ومستوى متباين في التفاعل الاجتماعي مع منظومة الانترنت، إن إندماج الفرد في منظومة الاتصال يعمل على بناء منظمة التفاعل مع الوسيلة، من حيث المشاركة عن طريق التطوير، فشبكة الانترنت صحيح من اوجدها شخص لكن الذي طورها هم (المستخدمون)، على الرغم من أن هناك من يقوم بأدارتها، لكن حقيقية الامر أنها، بناء انساني بإمتياز، فكل مضمونها هو المشاركات المفيدة او غير المفيدة،تسهم في تطويرها،فيكفي النقر على رمز معين ليظهر مضمون اتصالي تتفاعل معه وقد تطوره،يشعرك ذلك انك تعيش في فضاء غير محدد، إن الاندماج الاتصالي يسمح بتطوير آليات المشاركة والاستخدام وتوسيع فضاء الانترنت، ذلك الفضاء الذي يتسع مع كل مشاركة لأي فرد في هذا الكوكب.

رابعاً : نظرية الحتمية التكنولوجية Theoy Technological Determinism

تعود البدايات الأولى في تنظير أنشطة التواصل في المجتمعات الحديثة إلى الباحثين الكنديين هارولد إينيس ومارشال مكلوهان، ويرى إينيس Innis أن طبيعة وسائل الاتصال تترك آثاراً قوية على تنظيم المجتمع، ويستشهد في هذا المجال، بالكتابات الهيروغليفية المنقوشة على الحجر في الحضارات والمدنيات القديمة التي ظلت على حالها منذ آلاف السنين، غير أن ما يميز وسيلة الاتصال والتواصل هذه هو أنها على ثباتها وديمومتها، غير قابلة للانتشار والتأثير والانتقال في حيز اجتماعي وأسع، كما أنها تمثل حلقة وصل ضعيفة بين الأماكن والبيئات الاجتماعية المتباعد بعضها عن بعض، من هنا فإن المجتمعات التي تقتصر على هذا النوع من أشكال التواصل تظل محدودة الاتساع والانتشار. وقام مارشال مكلوهان في الستينات من القرن العشرين بتطوير أفكار إينيس، وطبقها بصورة خاصة على وسائل الإعلام في المجتمعات الصناعية الحديثة فوضع نظرية جديدة لعملية الاتصال وهي ما تعرف بنظرية (وسائل الاتصال كامتداد للحواس) أو (الحتمية التكنولوجية). أنظر الشكل رقم (4). ومن الافكار الرئيسة التي طرحها في النظرية أن الوسيلة (أي الوسط الإعلامي) هي الرسالة، وذلك يعني أن طبيعة الوسيلة الاعلامية المستخدمة في المجتمع تؤثر في بنية المجتمع أكثر مما يتركه المضمون أو المحتوى أو الرسالة التي تنقلها وسائل الإعلام هذه، فالتلفزيون على سبيل المثال، وسيلة إعلامية واتصالية مختلفة تمام الاختلاف عن الكتاب المطبوع([1]). فهو يتكون من منظومة إلكترونية بصرية من الصور المتحركة، ومن هنا فإن تجارب الحياة اليومية في مجتمع يقوم فيه التلفزيون بدور أساس تختلف في

([1]) عبد الغني عماد، مصدر سابق ، ص 80-81.

شكل رقم (4) فروض نظريات التأثير القوي



جوهرها عما هي عليه في مجتمعات تستخدم فيها وسائل الاتصال المطبوعة فحسب، يرى ماكلوهان أن الناس يتكيفون مع الظروف البيئية في كل عصر عن طريق استخدام حواس معينة ذات صلة وثيقة بنوع الوسيلة الاتصالية المستخدمة. فطريقة عرض وسائل الإعلام للموضوعات، وطبيعة الجمهور الذي تتوجه إليه، تؤثران على مضمون تلك الوسائل، فطبيعة وسائل الاتصال التي تسود في مدة معينة هي التي تكّون المجتمعات أكثر مما يكّونها مضمون الرسائل الاتصالية، ويعتقد مكلوهان فيما يسميه "الحتمية التكنولوجية"، أن المخترعات التكنولوجية المهمة هي التي تؤثر على تكوين المجتمعات،ويرى أيضاً أن وسائل الاتصال الالكترونية غيرت في توزيع الإدراك الحسي، أو كما تسمى " نسب استخدام الحواس" فامتداد أية حاسة يعدل من طريقة تفكيرنا وتصرفاتنا وإدراكنا للعالم من حولنا، ومن الناحية السياسية فأنه يرى إن هناك تحولاً حصل بفعل العامل التكنولوجي ساعد على تقليص الرقعة الجغرافية واختزل الزمن، وهو بذلك يعبر عن المجال العام على وفق مبدأ الحتمية التكنولوجية ويعتقد ان التداخل الحاصل حث على العودة للحياة القبلية. كما ابتكر مكلوهان مصطلحات الساخن والبارد ليصف بناء وسيلة الاتصال أو التجربة التي يتم نقلها، وكلمة "بارد" تستخدم في وقتنا الحاضر لتعني ما ألفنا على أن نطلق عليه كلمة "ساخن" في الماضي، ويهتم مكلوهان بالقدرة على التخيل الذي يعدّه محور فكرته عن الساخن والبارد، فالوسيلة الساخنة هي الوسيلة التي لا تحافظ على استخدام التوازن في الحواس، أو الوسيلة التي تقدم المعنى" مصطنعا" جاهزاً مما يقل احتياج الفرد للخيال، اما الوسيلة الباردة فهي التي تحافظ على التوازن، وتثير خيال الفرد باستمرار([1]).

ويعدُّه المفكر الفرنسي جان بودِريّار من أبرز المنظرين المعاصرين لقضية وسائل الإعلام والاتصال، وقد تأثر كثيراً بالأفكار التي طرحها إينيس ومكلوهان،ويعتقد بودريار أن وسائل الإعلام الحديثة تختلف اختلافاً بيناً في آثارها وعمق مفعولها عن أية منتجات تقانية أخرى، فقد أدت نشأة وسائل الإعلام الجماهيرية، ولاسيما

([1]) حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد ، مصدر سابق ، ص 275-277.

الإلكترونية منها الى تحولات عميقة في طبيعة حياتنا، إذ إن الإنترنت مثلاً لا يعرض لنا العالم أو يعكسه أو يمثله، بل إنه أصبح بصورة متزايدة "يجدد" ويعيد تعريف ماهية العالم الذي نعيش فيه،أنه ينقل لنا ما يسميه بودريار " عالم الواقع المفرط " فالواقع الحقيقي لم يعد موجوداً بالفعل. انه يرى ان وسائل الاتصال تصنع واقعاً يجذب الناس إليه،فالأكثر تأثيراً هو من يستطيع ان يحدث سلوكاً في المجتمع يدفع للتغيير، ويخلص بودريار في نظريته إلى أن تغلغل وسائل الاتصال الجماهيري في حياتنا في كل مكان إنما يخلق "عالماً من الواقع المفرط"، يتكون من خليط من أنماط السلوك البشري من جهة والصورة الإعلامية من جهة أخرى، ويتألف هذا الواقع الجديد من صور خليطة ومتداخلة تكتسب معانيها ودلالاتها من صور ومشاهد أخرى ترتكز مرجعيتها الأساسية إلى " واقع خارجي".

من ذلك يتبين للباحث أن مكلوهان، واينيس، وبودريار كانت التكنولوجيا تمثل لهم " فعل الآلة أو الفعل التكنولوجي" وهو منظور مناسب لتحليل سبب التأثير الذي يدفع لسلوك الافراد المتغير، وعلى الرغم من أنهم فصلوا المجتمع على وفق الخضوع المفرط واغفلوا جانباً مهماً متعلقاً بالادراك الحسي والذاكرة المتراكمة للفرد المتلقي، ففرضية مكلوهان ان الوسيلة تعني نفسها الرسالة، يعني أن الفرد عاجز عن الاختيار وهو خارج فضاء الوسيلة والرسالة الذي يمثل الفضاء العام للتغذية،وبودريار لم ينطلق هو الاخر من إيجابية الفرد ولكنه جعل الوسيلة مفرطة في التحليل والسرد،مما يحدث هذا الافراط تأثيراً على الافراد وهم عاجزون عن الدخول في هذا الفضاء المفرط كما يسميه، والسبب يعود لعدم التجانس بين الفضائين، فضاء الوسيلة وفضاء الفرد، فكل منهما في عالم اخر، لكن الفضاء لبودريار يصوغ محتواه بمعزل عن الفرد، والفرد يستسلم لخيار واحد مفروض أما بفعل البيئة أو بفعل السلطة. إن ما توصل له الباحثون يقوم على طغيان الوسيلة على المضمون فلم تعد الرسالة ذات تأثير قوي أذا لم تقترن بنوع خاص من الوسائل الاتصالية المقربة من الجمهور والبحوث التي اجراها الباحثون في تلك المدة كانت في اغلبها على الوسيلة الاتصالية، وهذا واحد من الاسباب التي تجعل تصورهم للفضاء الاتصالي يقتصر على فضاء الوسيلة، كما إن

ثورة الاتصالات أظهرت أشكالاً في أنماط التلقي وطرق المشاهدة والاستخدام جعلت الباحثين يتصورون أن إقبال الفرد على اجهزة دون أخرى هي تفضيل كيفي أكثر منه رغبة عابرة، مما جعلهم يفكرون بالتفضيل القائم على دراية مفهومة ومدركة عند الفرد بماهية هذه الوسيلة، ولكن الدراسات الحديثة التي أجريت على هذه الانماط أظهرت أن الفرد يمتلك رغبات أنية في كثير من الاحيان على اقتناء كل ما هو جديد على الرغم من أنه يعرض له محتوى واحد كما انه يبحث عن أرضاء رغبة أكثر منه حاجة لذلك فأن نوع الفضاء بات تحت سيطرت الفرد ولاسيما بعد ظهور الإنترنت التي أوجدت تعبير (المستخدم) والذي يميز شكل الاتصال الجديد وهو امتداد لمفهوم المشاركة، التي تطورت من مشاركة (بسيطة)، عندما كانت وسائل الاتصال فقيرة تقتصر على المطبوع، الى مشاركة (مركبة) عندما ظهر المذياع وأصبح بالإمكان تسجيل المشاركات أو الاتصال المباشر عبّر الهاتف وعرضها عبر المذياع والتلفزيون، ثم الى مشاركة فاعلة وهي تزامنت مع ظهور واتساع استخدام الإنترنت،فقد سعى التلفزيون عبّر منظومة البث الفضائي لبناء ما يعرف بتلفزيون الواقع وهي نسخ لنقل صور حياتية من دون تركيب مسبق وحوارات معدة سلفا وقد تأخذ صوراً أخرى. أما الاستخدام فهو شكل ارتبط بالاتصال عن طريق الإنترنت.

والاندماج الاتصالي وحد فضاء الفرد مع الفضاء العام، إذ إن فضاء الفرد، يتمثل بمجموعة من التصورات والافكار والاراء المرتبطة بحواسه، التي ينسجم معها، ويعتقد إنها تمثل مجاله الخاص، وفي كثير من الأحيان لا ينسجم هذا الفضاء الخاص للفرد، مع فضاء وسائل الاتصال التقليدية المحدودة، مما يولد مزاجاً سيئاً للفرد،ويجعله ينفر من المشاركة في الوسيلة،وسمح ظهور الإنترنت، والاتصال فائق السرعة بدمج الفضاء الخاص المتمثل بحواس الفرد ومدركاته، مع الفضاء العام المتمثل بفضاء الانترنت،وإن تفسير انسجام مزاج الفرد مع فضاء الانترنت،هو نتيجة لعملية اندماج اتصالي بين الفضائين،وهذا لا يحدث إلا في مجتمع شبكي والذي يمثل عدداً متزايداً من الممارسات والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المعاصرة التي تنتظم حول الشكل الشبكي، حيث التدفقات في ما بين العقد الموصولة بالروابط،مع

أن الترتيب الدقيق لهذه الشبكات وخصائصها يتغير بحسب كيفية دمجها هذه العناصر الثلاثة – العقد،والوصلات،والروابط – الاساسية المتغيرة. وتعتمد عملية الدمج هذه، بشكل كبير، على الأوضاع المادية والخطابية (أي على السياقات التاريخية) التي توجد فيها هذه الشبكات ([1]).

ويرى الباحث أن الاتصال الشبكي يجعل المستخدم جزءاً منه عندما يربطه بمجموعة المستخدمين عن طريق روابط ووصلات اتصالية وبذلك يكون الاندماج الاتصالي هو جوهر عملية الاتصال بين الفضاء الخاص للفرد والفضاء العام للجمهور الذي تمثله شبكة الانترنت. ان نظرية ماكلوهان كانت تعتمد على الحتمية التكنولوجية في عملية دمج الوسيلة الاتصالية بالمضمون الاتصالي، لكنها لم تفسر الكيفية التي يمكن لهذا الاندماج ان يحصل، فقد أعتقد ان كل تطور تكنولوجي يمثل تطوراً مصاحباً للادراك الحسي، وهو في حقيقة الامر صحيح، لكن هذا التطور في الحواس هل هو محدد في فضاء الفرد أم هو أوسع منه ؟ وهل أن التطور التكنولوجي يمثل تطوراً في الفضاء العام أم أن الفرد هو من يطور هذا الفضاء؟ هذه الاسئلة لم تجب عنها نظرية مكلوهان، لسببٍ أساس هو أن وسائل الاتصال التي فسر بها موكلوهان نظريته، كانت قاصرة على عملية الدمج الاتصالي، وبناء منظومة الشبكة الاتصالية التي تسمح بحصول الاندماج الاتصالي.

خامساً : نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام Media System dependency Theory

كانت البدايات الأولى لنظرية الاعتماد على وسائل الإعلام على يد الباحثة ساندرا بول روكيتش وزملائها عام 1974م، عندما قدموا ورقة بحثية بعنوان "منظور المعلومات" وطالبوا فيها بضرورة الانتقال من مفهوم الاقناع لوسائل الإعلام إلى وجهة النظر التي ترى قوة وسائل الإعلام كنظام معلوماتي يستمد من اعتمادات الآخرين على المصادر النادرة للمعلومات التي تسيطر عليها وسائل الإعلام بمعنى

([1]) دان بارني ، المجتمع الشبكي، ترجمة : انور الجمعاوي ، (بيروت ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، 2015) ، ص 40 .

أنّهناك علاقة اعتماد بين وسائل الإعلام والأنظمة الإعلامية الأخرى،انظر الشكل رقم (5). ويمكن تلخيص الفكرة الأساسية لنظرية الاعتماد على النحو الآتي : إن قدرة وسائل الاتصال على تحقيق قدر أكبر من التأثير المعرفي والعاطفي والسلوكي سوف تزداد عندما تقوم هذه الوسائل بوظيفة نقل المعلومات بشكل متميز ومكثف، وهذا الاحتمال سوف تزيد قوته في حالة تواجد عدم استقرار بنائي في المجتمع بسبب الصراع والتغيير.فضلا عن ذلك فإن فكرة تغيير سلوك الجمهور ومعارفهم ووجدانهم يمكن أن تصبح تأثيراً مرتداً لتغيير المجتمع كله ووسائل الاتصال، وهذا هو معنى العلاقة الثلاثية بين (وسائل الاتصال، والجمهور، والمجتمع). لذلك فإنالنظرية تمثل حلقة وصل بين مجموعة من نظريات التأثير منها الاستخدامات والاشباعات ونظرية ترتيب الاولويات ([1]).وذلك لأنها تعتمد على العلاقة بين مكونات اساسية ذات علاقات تبادلية فقد أدرجت هذه النظرية تحت عدد من التقسيمات، منها التأثير المعتدل لوسائل الإعلام، والتأثير غير المباشر ويظهر ذلك واضحاً في الفروض التي تقوم عليها النظرية أنظر شكل رقم (5)،إذ لا يوجد لها حدود فاصلة وواضحة المعالم فهي تدخلت مع نظريات الإعلام، أو اشتقت من نظريات أخرى مثال ذلك نظرية الاستخدامات والاشباعات ويكمن هذا التداخل في أن محور نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام هو أن الجمهور يعتمد على معلومات وسائل الإعلام، لتحقيق حاجاته ومن ثمَّ حصوله على أهداف معينة، وفي هذه النقطة تنسجم هذه النظرية مع الفكرة الاساسية لنظرية الاستخدامات والاشباعات إلا أن نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام تختلف عن نظرية الاستخدامات والاشباعات في تفسير تأثير وسائل الإعلام والجمهور والمجتمع والتأثير مرتبط بهذا التفاعل ([2]).

([1]) منال هلال المزاهرة ، مصدر سابق ، ص 207 -208.

([2]) بسيوني إبراهيم حمادة ، وسائل الإعلام والسياسة دراسة في ترتيب الأولويات ، (القاهرة ، نهضة الشرق، 1996) ، ص 250 .

الشكل رقم (5) فروض نظريات التأثير المعتدل لوسائل الإعلام

نظرية ترتيب الاولويات

1- إن وســـائل الإعـلام لا تستطيع أن تقـدم جميـع الموضـوعات والقضايا التـي تقـع في المجتمع ، وإنما يختار القائمون على هذه الوسائل بعض الموضوعات التي يـتم التركيـز عليهـا بشدة ، والتحكم في طبيعتها ومحتواها .

2- أن وســـائل الإعـلام تـأثير كبيـر فـي تركيـز انتبـاه الجمهـور نحـو الاهتمـام بموضوعات وأحداث وقضـايا معينـة ، وطرح رؤى تراعي المساواة في النـوع يمكن أن يؤدي إلى اهتمـام الجمهـور بهذه القضايا.

نظرية الانماء الثقافي

1- يعد التليفزيون وسيلة فريدة للإنماء بالمقارنة بين وسائل الإعلام الاخرى .

2- تُكون رسائل التليفزيون نظاماً ثقافياً متماسكاً يعبر عن الاتجاه السائد .

3- تحليل رسائل التليفزيون يقدم علامات لعملية الإنماء .

4- يركز تحليل الإنماء على مساهمة التليفزيون في نقل الصورة الذهنية على المدى البعيد .

5- يركز تحليل الإنماء على تدعيم استقرار المجتمع وتجانسه .

نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام

1- يتراوح تأثير وسائل الإعلام بين القوة والضعف تبعاً للظروف المحيطة ، والخبرات السابقة .

2- نظام وسائل الإعلام جزء من السياق الاجتماعي للمجتمع ، ولهذا النظام علاقة بالأفراد والجماعات والنظم الاجتماعية الآخرى .

3- استخدام وسائل الإعلام لا يحدث بمعزل عن تأثيرات النظام الاجتماعي الذي يكون فيه الجمهور ووسائل الاتصال

4- استخدام الجمهور وسائل الإعلام وتفاعله معها يتأثر بما يتعلمه الفرد من المجتمع زمن وسائل الاتصال ، ويتأثر الفرد بما يحدث نتيجة تعرضه لوسائل الاتصال .

5- كلما زادة التغيرات والأزمات في المجتمع زادة حاجة المجتمع للمعلومات .

6- يزداد اعتماد الجمهور على وسائل الإعلام كلما كان النظام الإعلامي قادر على الاستجابة لاحتياجات النظام الاجتماعي أو الجمهور.

7- يختلف الجمهور من حيث الاعتماد على وسائل الإعلام فالصفوة قمة الهرم قد يكون لهم وسائل إعلام خاصة بهم غير الوسائل التقليدية .

وهي تتداخل مع نظرية ترتيب الأولويات في الافتراضات التي تنطلق منها، ولاسيما في مجالات التأثير الناتجة عن نظرية الإعتماد على وسائل الإعلام والتي منها التأثير المعرفي. كما أنها تتداخل مع نظرية الإنماء الثقافي في المعتقدات وتكوين الآراء والإتجاهات عن طريق استمرار تعرض الأفراد لوسائل الإعلام والاعتماد عليها مما يخلق لديهم صورة ذهنية تؤثر على المعرفة والسلوك والوجدان. لكن درجة التداخل بين نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام وبعض النظريات تتفاوت وتختلف، فمنها ما يتداخل معها بشكل كبير، وواضح ومنها ما يتداخل معها في قوالب شكلية قليلة.

ولعل هذه النظرية أوجدت علاقة اعتماد بين الوسائل الإعلامية والجمهور والنظم الاجتماعية،إذ إن قوة وسائل الإعلام تتجلى في سيطرتها على مصادر معلومات يعتمد عليها الأفراد والجماعات والمنظمات والنظم الاجتماعية، كما أن لها القدرة على السيطرة على مواردالاتصال والمعلومات التي تحتاج اليها المنظمات السياسية والاقتصادية. وعلى الرغم من ذلك فإن وسائل الإعلام تعتمد على مصادر وموارد يتحكم فيها النظام السياسي والاقتصادي ([1]).

وكما وضحنا سابقاً يرى الباحث : ان إحداث أكبر تأثير يعتمد على مقدار ما تحقق وسائل الاتصال من جودة عالية في عملية نقل المعلومات، وعملية التأثير تعتمد بحسب النظرية على ثلاثة عوامل اساسية هي الجمهور ووسيلة الاتصال والمجتمع، لذلك فإن طبيعة عمل هذه النظرية يكون افضل، فيما إذا كان الاعتماد على عملية الاندماج الاتصالي. ولتفسير ذلك، نفترض ان وسيلة اتصال يراد منها احداث تأثير ويزداد هذا التأثير مع مرور الزمن كنتيجة لزيادة الروابط الاتصالية وثقة الجمهور بها. فمثلاً التلفيزيون،وهذه الوسيلة كان تأثيرها يعتمد في الاساس على توظيف المضمون لخدمة حدث او قضية، في وقت معين، لذلك كان تأثير الوسيلة الاتصالية، متذبذب صعوداً ونزولاً، هذا لا يعني عدم تأثيرها في الجمهور والمجتمع، لكن هناك مراحل

([1]) دنيس مكويل ، الإعلام وتأثيره دراسات في بناء النظريات الإعلامية ، ترجمة : عثمان العربي ، (الرياض ، دار الشبل ، 1992) ، ص 9 .

تشهد تأثيراً عالياً ومراحل تشهد العكس، يرجع ذلك للطبيعة السياسية والاقتصادية للمجتمع. ومدى التوظيف للوسيلة الاتصالية بإتجاه هدف معين، ومستوى تحقيق ذلك الهدف. لكن مع تطور الوسيلة الاتصالية، كان المفروض أن يحصل زيادة في درجة الإعتماد، والسبب أن الوسيلة أصبحت أكثر قبولاً ومشاركة، لكن نجد مع نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين، قل اعتماد الجمهور على التلفيزيون، وتُرجع بحوث الجمهور ذلك التراجع الى ظهور، جيل جديد من وسائل الاتصال، استطاع أن يحقق اندماجاً مع المجتمع والجمهور، فأصبح الجمهور يعتمد عليه بشكل أكبر،فقد أوجدت شبكة المعلومات العالمية الإنترنت، حالة من الاندماج الاتصالي بين العناصر الثلاث جميعها الجمهور والمجتمع والوسيلة الاتصالية، فوسيلة الاتصال أصبحت ممثلة للجمهور لان الفرد أصبح مشاركاً فيها وتمثل هذه المشاركة الاساس في عملية الاندماج الاتصالي،فلم يعد بالامكان الفصل بين المستخدم وبين وسيلة الاتصال،إذ يمثل كل منهما الاخر، فمواقع التواصل الاجتماعي مثلاً، الفيسبوك وماي سبيس، ويوتيوب، وتويتر،تحقق اندماجاً اتصالياً بالاعتماد على مشاركات المستخدمين، لذلك أصبح الاعتماد على وسائل الإعلام والاتصال يمثل المشاركة الفعلية للفرد، وكلما زادت نسبة المشاركة يزداد اعتماد الجمهور على الوسيلة الاتصالية، لانها تحقق شعبية الاستخدام، وذلك كله يحدث عن طريق عملية الاندماج الاتصالي، فكل فرد يعتمد على وسيلة اتصال، يحتاج ذلك الى مستوى استخدام كبير، وممارسة وخبرة لذلك يعتمد الفرد على صناعة المضمون الاتصالي الذي يجعله ضمن تكوين أساس في المنظومة الاتصالية الناقلة للمعلومات، بذلك يصبح الفرد نفسه ضمن مكون الشبكة - رقماًضمن الشبكة الاتصالية- وهذا هو بالفعل معنى الاندماج الاتصالي،إذ يستطيع الاتصال أن يحول الفرد إلى جزء فاعل ونشط ضمن شبكة رقمية اتصالية يتماها معها في بناء افتراضي، يهدف إلى توظيف أشكال المعلومات والبيانات كلها لخدمة الجمهور. أي ان المشاركة تصبح جزءاً من البناء العام لنظام الاتصال، لأن الجمهور هو جزء من المجتمع فإن كل اندماج يحصل عند الجمهور ممثل بالمضمون الاتصالي، هو في حقيقة الامر تمثيل للمجتمع وطبيعته الثقافية والاسياسية

والاقتصادية،ومن مشاركات الافراد نستطيع ان نستشعر الوضع العام، والمشاكل التي يعيشها المجتمع.

سادساً: نظرية الغرس الثقافيCultivation theory

يمكن وصف عملية الإنماء بأنها نوع من التعلم العرضي Incidental Learning الذي ينتج عن تراكم التعرض للتليفزيون،إذ يتعرف مشاهد التليفزيون – بدون وعي – على حقائق الواقع الاجتماعي والخصائص السكانية، وتكوّن هذه الحقائق بصفة تدريجية أساساً للصورة الذهنية، والقيم التي يكتسبها المشاهد عن العالم الحقيقي. ويرى "هاوكنز" و"بنجرى": إن عملية الإنماء تتضمن عنصرين أساسين هما: التعلم غير المقصود (العرض)، ومهارات الاستدلال المعرفي، إذ يؤدي اهتمام المشاهد بما يراه على الشاشة إلى تعلم حقائق وقيم التليفزيون([1]).تم تطوير نظرية الغرس لكي تشرح تأثيرات مشاهدة التليفزيون على إدراك الناس واتجاهاتهم وقيمهم. وقد جاءت النظرية نتيجة مشروع بحثي موسع وطويل المدى قام به جورد جربنر وزملاؤه في مدرسة انبيرج للاتصال بجامعة بنسلفانيا ([2]).يرى المنظرون لنظرية الغرس الثقافي: انها عملية ثقافية تتعلق بالاطار المعرفي المترابط والمفاهيم العامة الاساسية.. ومعرفة العالم وثقافاته يرتبط بالتليفزيون الذي يختار ما يجب ان يتعلمه الفرد، أي أنها تسعى لدراسة تأثيرات وسائل الإعلام، وتحديد اما إذا كانت مشاهدة التلفزيون تؤثر على تفكير الجمهور وسلوكه حياته([3]).

([1]) حسن عماد مكاوي ، ليلى حسين السيد ، مصدر سابق ، ص 302.

(2) Gerboer , G ., L. Gross, M. Morgan, and N. Signorielli . " The mainstreaming of America Violence profile" . (1980). No: 11,Journal of communication , pp 10-29 .

(3) Stanley Baran, " Mass Communication Theory: Foundations Ferment, and Future " , United States of America, Boston, (2011) . pp 344.

ولعل الدليل القوي على صحة هذه النظرية لم يأتٍ من البحوث التي أجراهاالمنظرون لها، وإنما من بحوث مستقلة عن أثر الإعادة أو التكرار على الاتجاهات والمعتقدات، فقد أشار عدد من البحوث إلى أن التكرار البسيط لأي مثير وإن كان بلا معنى يؤدي إلى قبول معظم الناس وتأييدهم لهذا المثير. وهذا الدليل على أثر التكرار هو أحد الأسباب التي تجعل بعض الباحثين يشعرون بالقلق من عرض الأفلام السادية والماسوشية التي تكتسب شعبية كبيرة لدى الشباب.

وقد أوضح الباحثون في نظرية الغرس أن الاختلافات بين كثيفي المشاهدة وخفيفي المشاهدة تظهر حتى في ظل التحكم في عدد من المتغيرات المستقلة المهمة بما فيها العمر والتعليم وقراءة الأخبار والنوع ([1]).لذلك بدأ الباحثون في الأهتمام بتأثير تكنولوجيا الاتصال الجديدة على عمليات الغرس. وأشار بعض الباحثين إلى أن التكنولوجيا الجديدة، سوف تعمل على الحد من التعرض الجماعي الواسع من جانب المشاهدين للمحتوى نفسه وهو ما يشكل أساس نظرية الغرس ([2]). ويرى دوبرو " أن كثيفي المشاهدة يستخدمون اجهزةالفيديو الخاصة بهم لمشاهدة المزيد من أنواع البرامج نفسها التي سبق أن استمتعوا بها،في حين يستخدم قليلو المشاهدة أجهزتهم لتنويع أنماط المحتوى الذي يتعرضون له " ([3]).

(1) Gerboer , G ., L. Gross, " Living with television : The violence profile" ,(1976). Journal of Communication , pp 172-199.

(2) Perse, E.M.,D.A. Ferguson, and D.M.McLeod . " Cultivation in the newer media environment ". Magazine Communication Research, (1994) . No: 21 , pp 79-104.

(3) Dobrow, J. R. Patterns of viewing and VCR use : Implications for cultivation analysis. In N. Signorielli and M. Morgan, eds., Cultivation Analysis : New Directions in Media Effects Research, Newbury park, (1990), pp. 71-83.

يستنتج الباحث من ذلك إن اجهزة الفيديو يمكن أن تحسن عمليات الغرس بدلا من أن تقللها، وقد خلص إلى ذلك الباحثون جربنر وجروس، ومورجان، وسجنورللي إلى أن استخدام أجهزة الفيديو لبعض الوقت ربما ينتهي في الواقع لخفض التنوع فيما تتم مشاهدته.وانطلاقا من حقيقة أن العلاقة بين مشاهدة التليفزيون وبين الرؤى المختلفة التي يحملها المشاهدون في العالم ربما ترجع إلى متغيرات أخرى، فقد حاولوا السيطرة على تلك المتغيرات، والواقع أن هذا الإجراء (التحكم في المتغيرات المستقلة الأخرى) لم ترض الباحثين الآخرين كلهم؛ الذين انتقدوا بحوث فريق جربنر. فقد انتقد بول هيرش : عدم قيام الفريق بما يكفي للتحكم في المتغيرات. وأشارت تحليلات هيرش إلى أنه إذا تم التحكم في مختلف المتغيرات الأخرى طوال الوقت فإن التأثيرات الباقية التي يمكن ردها إلى التليفزيون ستكون صغيرة جدا. رداً على هذه الانتقادات التي وجهها هنريش وغيره، أعاد جربنر وزملاؤه النظر في نظرية الغرس([1]). وقد أضافوا مفهومين جديدين لها هما الاتجاه العام Mainstreaming والرنين Resonance.وينطلق هذان المفهومان من حقيقة أن نتائج المشاهدة المكثفة للتلفيزيون تختلف باختلاف الجماعات الاجتماعية. ويحدث الاتجاه العام عندما تؤدي كثافة المشاهدة إلى إندماج الرؤى عن طريق الجماعات، أما الرنين فيحدث عندما يرتفع تأثير الغرس لدى جماعة معينة من السكان. وتمثل إضافة مفهومي الاتجاه العام والرنين تعديلاً أساسياً في نظرية الغرس، إذ لم تعد النظرية تزعم وجود تأثيرات موحدة وفي الاتجاهات جميعها. وبالرغم من أن نظرية الغرس كانت قد صممت في الأصل للتطبيق على مشاهدة التليفزيون، فقد كان من المنطقي أن يتم بحث ما إذا كانت هناك عمليات متشابهة قد تحدث عند التعرض لوسائل الإعلام الأخرى. وقد

(1) Gerboer , G ., L. Gross, M. Morgan, and N. Signorielli . " The mainstreaming of America Violence profile" . (1980), op.cit, pp 10-29

عَبر الباحثان مورجان وسجنورللي عن ذلك بسؤال " هل تقوم وسائل الإعلام الأخرى بالغرس ؟ وكيف ؟ " (1).

ويرى الباحث أن البحوث التي اجريت على التليفزيون، كانت مقترنة بتأثير هذه الوسيلة الاتصالية على الحياة اليومية لدى افراد المجتمع، لذلك كانت فروض النظرية تحاول، ان تثبت مقدار التأثير لهذا الجهاز على مستوى ادراك الافراد، ومع تطور التكنولوجيا ووسائل الاتصال، ظهر الإنترنت منافساً للتليفزيون وقد استطاع أن يجذب ملايين الناس لاستخدامه بشكل مكثف، بل والاعتماد عليه بدرجة ثقة عالية في بعض الاحيان، ولاسيما عندما تحجب قنوات التليفزيون بعض المضامين الاتصالية والاخبار ذات التأثير السلبي على الوضع العام بحسب رؤية السلطة الحاكمة، لذلك فإن الإنترنت هو الاخر يحدث غرساً خاصاً عند افراد الجمهور، فقد استطاع الإنترنت أن يوجد متغيرات ذات علاقة بالاستخدام مثل تنوع المضامين وحرية النشر والمشاركة واختزال الزمن والسرعة، لذلك أوجد فضاء الإنترنت علاقة مع الفرد تقوم على وصلات وروابط جديدة، على أساس إندماج الفرد في عملية الاتصال فعملية الغرس في وسائل الإعلام الجديدة هي نتيجة اندماج اتصالي يحدث في الفضاء الافتراضي للانترنت يسمح بإنشاء بيئة اتصالية تقوم على علاقات تختلف من حيث الشكل والمضمون عنها في وسائل الاتصال التقليدية هذه العلاقات تقوم على متغيرات مستقلة تعمل على غرس افكار جديدة عند المستخدم،حيث يتمتبادل الافكار وتحديث المعلومات والبيانات بشكل مستمر.

ويعدُّ البعد الثقافي في الاتصال من أهم الوظائف التي تسعى لها وسائل الاتصال الرقمي؛ التي تقدم للجماهير ثقافة الحياة، بالقدر الذي يصل الإنسان والجماعة بالحياة بأرقى ما وصلت إليه، في النواحي الفكرية والانتاجية. كما تتعلق هذه الوظيفة بنشر المعرفة على أساس تفتيح الأذهان وتكوين الشخصية، وشحذ الكفاءات وتنمية الذوق

(1) Morgan,M., and N. Signorielli . " Cultivation analysis : Conceptualization and methodology, (1990), pp. 13-34.

وتهذيبه، وبناء شكل جديد من الديمقراطية الثقافية الـتي تعتمـد علـى الحـوار، وطـرح الافكار بعيداً عن حارس البوابة، الذي قد يكـون عائقـاً في ايصـال مضـمون الرسـالة الاتصالية كما يرغب القائم بالاتصـال في نشـرها. ويتضـح ذلـك الخطـر جليـاً عنـدما تخضع وسائل الإعلام والاتصال للضبط والاحتكار والسـيطرة والتوجيـه مـن جانـب المسيطرين على هذه الوسائل، الأمر الذي يجعلها معـبرة عـن مصـالحهم وأهتمامـاتهم فقط، ومن ثم لا تحمل هذه الوسائل إلا الثقافة التي تمثل فئـة معينـة ولا تعكـس ثقافـة المجتمع، فالاتصال والغرس الثقافي إذن في حالة تفاعل وإنـدماج اتصـالي، وهمـا نتـاج لواقع موضوعي وإفـراز لأوضـاع اجتماعيـة واقتصـادية وسياسـية سـائدة في المجتمـع، والمسؤولية الملقاة على عاتق وسائل الاتصال هائلة لأنها لا تقوم بمجرد غـرس الثقافـة ونشرها، بل بانتقاد محتواها.

إن مشـاهدة التليفزيـون في الحقيقـة عمليـة معقـدة بأسـتخدام مهـارات معالجـة المعلومات المختلفـة بالمقارنـة بقـراءة كتـاب نصـي. إذ أنـك تتعـرض لمشـاهدة سـريعة ومتغيرة من الصور والأصـوات. عليـك تصـنيف هـذه المعلومـات والأنتبـاه إلى تلـك المفيدة منها لتحقيق الغرض المطلوب. أما أذا كانت هذه المهمة معقدة جداً فلماذا نـرى التليفزيون واسطة سهلة الاسـتخدام؟الجواب كمـا قـالMichael Novak : نتيجـة الاستخدام المتكرر المشابه لتعرضنا لأحداث الحياة اليومية وتجاربها ([1]).

لـذلك فعمليـة الغرسـالتي يحققهـا التليفزيـون معقـدة، اسـتطاع الانترنـت ان يبسطها.إن عملية الغرس تعتمد بشكل أساس على طبيعة الوسيلة الاتصـالية، وطبيعـة المحتوى الاتصالي، ومدى الاسـتخدام للوسـيلة الاتصـالية. وتتحقـق اكـبر درجـة مـن التأثير عندما يتحقق تكامل فعلي في هذه المجالات، يعمل نظام الاتصال الشـبكي علـى تحقيق أعلى مسـتوى مـن التكامـل، بمـا يقدمـه مـن مرونـة في الاسـتخدام في الوسـيلة والمحتوى، عن طريق اندماج عناصر الاتصال،إذ يستطيع المستخدم الـتحكم في المحتـوى

(1) Stanley J. Baran – Dennis K .Davis, Mass communication Theory, (2011), op.cit, p267 . .

(توقف، إعادة تشغيل، تكرار المشاهدة، طلب المحتوى الاتصالي في اي وقت)، ذلك كله عوامل تساعد على زيادة تركز المحتوى في الذاكرة وغرس المحتوى بشكل أكبر،إذ تمثل كل عقدة اتصالية في الشبكة مدمجاً اتصالياً، تتحرك فيه عناصر الاتصال بسرعة عالية، مصدرها التقنية المتطورة لتكنولوجيا الاتصال، فضلا عن ذلك طبيعة المحتوى الاتصالي الذي يعتمد الاختصار والسهولة في التعبير،إذ توفر تكنولوجيا المعلومات نظاماً خاصاً، مستعداً للتعامل مع السرعة العالية التي توفر اختصاراً في الزمن الاتصالي. ذلك كله يسمح بدرجة عالية من الغرس عند الجمهور.

سابعاً :نظرية التشكيل العضوي لوسائل الإعلام Mediamorphsis Theory

يعد روجرفيدلر*، هو من وضع الأسس الأولى لفكرة **mediamorphosis** لمساعدتنا في فهم هذه الأنواع من التغيرات في وسائل الإعلام، على النحو الآتي : "التحول في وسائل الاتصال ينتج في العادة عن تفاعل معقد من الاحتياجات الفعلية، والضغوط تنافسية والسياسية، والابتكارات الاجتماعيةوالتكنولوجية، وإن التشكيل العضوي لوسائل الإعلام هو وسيلة موحدة للتفكير في التطور التكنولوجي لوسائل الاتصال، وأنه عن طريق دراسة أنظمة الاتصال الإنسانية ككل، سوف نرى أن وسائل الإعلام الجديدة لا تنشأ تلقائياً وبشكل مستقل ولكنها تظهر تدريجياً نتيجة للتحول العضوي" ([1]).

---

*روجرفيدلر : باحث امريكي في مجال الصحافة لاكثر من 34 عاماً ، مدير تصميم معلومات موقع نايتريدر، استاذ مقيم في جامعة كينت الامريكية، وضع اسس نظرية التحول التدريجي في وسائل الإعلام وحدد اشكال وسائل الإعلام في الفضاء الالكتروني، كتب ابحاثاً في مجال الإعلام الجديد وقد اعتمد على تأصيل مفهومه الخاص الذي اطلق عليه مصطلح midiamorphosisالتحول العضوي او التشكيل العضوي لوسائل الإعلام ونشره عام 1997في كتاب بعنوان " mediamorphosis understading new media" .

(1) Werner j. Severin –James W.Tankard, Jr, "communication Theories" . United states, (2000) . P380 ..

ويرى فيدلر أن وسائل الإعلام مثل الانظمة الأخرى تستجيب للضغوط الخارجية عن طريق إعادة تنظيم نفسها، ومثل الكائنات الحية فإنها تتطور لكي تزيد من فرص بقائها على قيد الحياة ولكي تواكب التغيرات في بيئة متغيرة. ويستمد فيدلر مبدأ التحول العضوي لوسائل الإعلام من ثلاثة مفاهيم هي: التطور المشترك coevolution والتقارب convergence والتعقيد complexity. أي أن أشكال الاتصال كلها مرتبطة بإحكام في نسيج نظام الاتصال الإنساني، ولا يمكن أن توجد بشكل مستقل عن بعضها البعض، وعندما يظهر نمط اتصالي جديد ويتطور، فإنه يؤثر على مر الزمن وبدرجات متفاوته، في تطور أنماط الاتصال القائمة الأخرى. وتكون القاعدة هي التطور المشترك لهذه الوسائل معاً والتعايش فيما بينها، وليس التطور المنفرد للوسيلة الجديدة والاستبدال التام للوسائل القديمة. وعلى هذا فإن وسائل الإعلام الجديدة لم تنشأ فجأة ولم تنشأ مستقلة عن وسائل الإعلام الأخرى وإنما نشأت وتطورت بشكل متدرج، معتمدة على تراث الوسائل السابقة عليها من جانب ومؤثرة في هذه الوسائل من جانب أخر.

وتفترض هذه النظرية التي يطلق عليها البعض نظرية **(التحول الرقمي)**، أن وسائل الإعلام القائمة تتطور عندما تظهر وسيلة إعلامية جديدة، إذ تعمل كل وسيلة بطريقة أقرب إلى عمل العناصر المشكلة لنظام حيوي، إذ يرتبط تطورها ويعتمد على تطور الوسائل الأخرى المحيطة بها. ويشير التاريخ إلى أن وسائل الإعلام القديمة والجديدة سوف تتعايش معاً، ومن ثمَّ لا يكون الاندثار هو مصير الوسائل القديمة.وترى النظرية أن التقارب أو الاندماج بين وسائل الإعلام هو تزاوج ينتج من تحول كل وسيلة على حدة، فضلاً عن إنشاء وسائل جديدة. وعلى ذلك فإن وسائل الإعلام الموجودة هي نتيجة لاندماجات كثيرة بين وسائل الإعلام كانت تحدث بشكل متكرر طوال الوقت.

لذلك يرى الباحث أنه بالامكان النظر إلى التقارب بين وسائل الإعلام بعدّه عملية تقوم عن طريقها وسيلة باستعارة الجديد من الوسيلة الأخرى وتطويعهواستخدامه. ووفقاً لهذا الفهم كان من الطبيعي أن تطور محطات التليفزيون

مواقع لها على شبكة الويب تنشر عن طريقها مقاطع الفيديو أو تقدم عن طريقها البث التليفزيوني المباشر لقطاعات أخرى من الجمهور؛ تحولت إلى الوسيلة الجديدة. وفي هذا قال فيدلر: "عندما تتعرض وسائل الإعلام لضغوط خارجية وتظهر ابتكارات جديدة، تتجه كل وسيلة وبطريقة عفوية إلى إعادة تنظيم نفسها لتكون مواكبة لهذه المبتكرات. ومثلما تتطور الأنواع من أجل البقاء في بيئة متغيرة، كذلك تفعل وسائل الاتصال والإعلام القائمة وهذه العملية هي جوهر التشكيل الطبيعي لوسائل الإعلام "([1]).

يستنتج الباحث أن ما ذكره فيدلر عن التشكل العضوي لوسائل الإعلام يدعمه التطور الكبير في وسائل الإعلام. إذ تقاربت وسائل الإعلام التقليدية مع وسائل الإعلام الجديدة بشكل كبير وتحولت هذه الوسائل إلى منصات للنشر بشكل أساس، وأصبحت كل وسيلة تستخدم إمكانات الوسيلة الأخرى على نطاق واسع، فالصحف الورقية أصبحت لها مواقع تفاعلية متعددة الوسائط على الويب، وحسابات على شبكات التواصل اجتماعي مثل فيسبوك وتويتر ويوتيوب وانستجرام وغيرها، وتطبيقات على الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية تمكنها من استغلال الإمكانات التي أتاحتها وسائل الإعلام الجديدة والإفادة منها، والنموذج الأوضح على هذا التشكل هو الهواتف الذكية التي دخلت الجيل الرابع لها، وأصبحت قادرة على القيام بوظائف وسائل الإعلام إلى جانب الاتصال الشخصي، مثل تصفح الإنترنت واستخدام شبكات التواصل الاجتماعي والتقاط الصور ومقاطع الفيديو وتبادلها ومتابعة الحسابات المصرفية وحجز تذاكر السفر.. إلخ. وذلك كله يؤكد صحة نظرية فيدلر.وإلى جانب نظرية التشكل العضوي لوسائل الإعلام، فإن هناك ما يمكن إن نسميه إتجاهات نظرية حول الإعلام الجديد، وهي إتجاهات تغذيها البحوث العلمية

(1) Fidler, R. " Mediamorphosis understanding new media " Thousand Oaks ,(1997). Calif : Pine Forge press, p81.

التي أجريت حول بعض زوايا الإعلام الجديد وإن لم تتحول بعد إلى نظريات قائمة بنفسها. منها بحوث الوسائط التعددة، وبحوث النص الفائق، وتصميم الواجهات.

ثامناً: نظرية إدارة المزاج Mood management theory

إن فكرة انتقاء مضمون وسائل الإعلام لتحسين الحالة المزاجية لأفراد المجتمع قدمها زيلمانZillmann وبراينت Bryantعام 1984م، وكان يشار إلى النظرية في البداية باسم نظرية التأثير المعتمد على ترتيب الدوافع، ولكنها لاحقًا اكتسبت مزيدًا من الأهمية، وتم إجراء عديدٍ من التطبيقات البحثية لها تحت مسمّى نظرية إدارة المزاج. ويمكن تعقب جذور (نظرية **أدارة المزاج**)* عن طريق الأدبيات التى طرحها ليون فستنجرLeon Festinger عام1957م، إذ لاحظ فستنجر أن الإنسان يحاول دائمًا أن يقيم انسجامًا داخليًا بين المدركات (الاتجاهات، والمعتقدات، والمعارف حول نفسه والبيئة التي يعيش فيها) وعندما يكون لدى الشخص مدركا تغير متوافقة مع البيئة المحيطة تحدث عملية التنافر، ويقل هذا التنافر تدريجيًا عن طريق التعرض الانتقائي لوسائل الإعلام، إذ يبحث الأفراد عن المعلومات التي تقلل التنافر وتجنب المعلومات التى تزيد حدته، لخلق أكبر حالة من الانسجام والتوافق مع الأفراد الآخرين في البيئة المحيطة، وعلى هذا الأساس اقترح زيلمان وزملاؤه نظرية إدارة المزاج التي تحاول التعامل بشكل موسع مع اختيارات متعددة للمتلقي الذي يتعرض لرسائل وسائل الإعلام سواء أكانت هذه الرسائل إخبارية، أم وثائقية،أم أفلاماً ودراما، أم والموسيقى والرياضة، أي أنها تتعامل مع الحالات المزاجية العامة لأفراد

---

*نظرية ادارة المزاج : وهي نظرية حديثة جاء بها كل من Zillmann and Bryantبعد دراستها وسائل الإعلام ومدى تاثيرها على سلوك الافراد داخل المجتمع إذ وجدا ان الافراد لهم رغبات معينة في ظروف معينة يحتاجون الى محتوى ترفيهي خاص يحسن مزاجهم فهم يميلون بحسب الدراسة الى ما هو مثير ويبعد عنهم الجهد الذي قد يتعرضون له في اثناء العمل .

الجمهور بدلًا عن اقتصارها على الحالة العاطفية فقط الموجودة في نظرية التنافر المعرفي([1]).

تعد نظرية إدارة المزاج واحدة من أكثر النظريات إثارة للأهتمام، وتفترضأنّ الدافع المهيمن لأستخدام وسائل إعلام الترفيه هو السيطرة على مزاجنا. وهي تفصل بعض من أفكارنا في الفهم العام لما نقوم به عندما نبحث عمّا يسلينا. فإذا كنا في مزاج سيئ نقوم بتشغيل جهاز الأيبود-ipod- ونستمع للموسيقى. وعندما نرتاح من ضغط الدراسة نأخذ وقت راحة ونتصفح الانترنت أو نشغل جهاز التليفزيون لمشاهدة مسلسل هزلي. لقد قامت Silvia Knobloch -Westerwick بتقديم وصف لنظرية إدارة المزاج : **إن جوهر نظرية إدارة المزاج هو بحث الأشخاص عن محتوى أعلامي قد يُحسن من مزاجهموتحسين الامزجة في هذا السياق يرتبط بمستويات الأثارة – بشكل معقول، فقد يتجنب الأشخاص درجات معينة من النكد والضجر والأجهاد، وبأختيار محتوى وسائل الأعلام، يمكن للمستخدمين أن ينظموا مزاجهم بالأرتباط بمستويات الأثارة([2]).**

وفقاًSilvia Knobloch -Westerwick، هناك أربعة أنواع من محتوى وسائل الأعلام ذات خواص مرتبطة بإدارة المزاج هي : الإثارة الكامنة و الاستيعاب الكامن و الترابط اللفظي والتكافؤ اللّذي. وتتضمن الإثارة الكامنة قدرة المحتوى على إثارة أو تهدئة المشاعرلإثارتنا أو التقليل من الضغط. ويتضمن الاستيعاب الكامن قدرة المحتوى على توجيه أفكارنا بعيداً عن الأشياء التي تحفز المزاج السلبي بإتجاه أشياءاخرى تحفز المشاعر الإيجابية. ويهتم الترابط اللفظي بالدرجة التي يتضمنها

([1]) شريف درويش اللبان : بحث بعنوان التغيرالسريع: الصحافة وإدارة المزاج العامل لمصريين نحو تيارات الإسلام السياسى ، منشور على الموقع الالكتروني ، المركز العربي للبحوث والدراسات: http://www.acrseg.org/10126

([2]) Bryant . J . and P. Vorderer. Psychologh of Entertainment .Mahwah , NJ: Erlbaum.(2006), p 240.

المحتوى الترفيهي لتلك التي تشابه الأشياء التي تحفز الأمور السيئة. ويشير التكافؤ اللّذي إلى المحتوى الكامن لتحفيز المشاعر الإيجابية،ومن المهم أن نفكر حول الاستخداماالجاري للمحتوى الترفيهي وتقييم المدى الذي تصل له نظرية إدارة المزاج في تفسيرها لما قمت بهمن اختيار المحتوى الخاص بك من وسائل الإعلام وما حدث لك بعد الاختيار. أولاً: يجب عليك استخدام المحتوى لتغيير مزاجك وفقاً للطريقة التي ترغب بها؟ أذا لم يتغير مزاجك، فما سبب عدم حدوث التغير ؟ هل غيرت أفكارك عن الأشياء التي كانت تزعجك ؟ هل كان المحتوى غير مرتبط بمشاكلك الشخصية وبهذا يكون قادراً على تحويل أفكارك بإتجاه شيء ما قد يجعلك تشعر بتحسن ؟ هل كان المحتوى قادراً على تحفيز مشاعر إيجابية – مما قد يشعرك بالتحسن؟ هل يمكنك أن تتذكر مثالاً عندما ذهبت إلى فلم معين وتوقعت أن ترفه عن نفسك، لكن حدث العكس معك ؟ ما الذي حدث ؟ هل كان الفلم مضجراً ؟ هل تمكن الفلم من تحويل أنتباهك عن مشاكلك ؟ أو لنفترض العكس، هل جعلك الفلم تتذكر مشاكلك ؟ هل فشل الفلم في أستنهاض أفكار إيجابية ؟ إذإن نظرية إدراة مزاجك يمكن أن تساعد في تفسير لماذا قد تفشل جهودنا لتنظيم مزاجنا، ولماذا يكون المحتوى الترفيهي قادراً على الترفيه على الرغم من انه محتوى حزين – مثل المذابح والهزات الأرضية. قد نفترض أنّ كوميديا الموقف يجب أن تجعلنا نشعر أفضل، لكن قد تذكرنا بمشاكلنا وربما قد تكون مضجرة إلى حد ما. وبالعكس من ذلك قد نتوقع أنّ أفلام الرعب قد تثير مشاعر سيئة لكن قد تحول أنتباهنا وتشوقنا، فقد تحوي على كماً كبيراً من التشويق والأستيعاب الكامن،إن منظري إدارة المزاج يفترضون أنه لا يتوجب علينا وعي هذه السلوكيات. ونحن لا نحتاج إلى استخدامها لاختيار واعٍ للمحتوى. بدلاً عن ذلك يمكننا أن نُقاد بواسطة مشاعرنا فيما يخص المحتوى إن توقعاتنا الغامضة حول مشاعرنا سيجعلنا نشعر بتحسن يعارض ما قد نتمعن في التفكير به والمدلولات الفكرية والأنتقائية. فنحن لا نفكر ملياً في التكافؤ اللّذي أو الأرتباط اللفظي أو برامج التلفزيون التي نختارها. ووفقاً لـ نوبلوج – ويستروك " أن عملية أدارة المزاج يمكن ان

تحدث بدون أدراك وعلى الأقل جزء قليل من التفصيل المعرفي قد يحدث"([1]). إن هذا الرأي للمتلقين يمكن أن يتناقض مع نظريات الاستخدامات والاشباعات والتي تعتمد على المتلقين في تقرير الاستخدامات والاشباعات. إن نظريات إدارة المزاج لا تتوقع من المتلقين أن يكونوا قادرين على تقرير كيفية أستخدام المحتوى للسيطرة على المزاج. إذ إنهم لا يسألون الناس لملء الأستقراءات للتكافؤ اللّذي المتوقع كنسبة أو الأثارة الكامنة بأنواع مختلفة من المحتوى الترفيهي. فهم يعلمون أنّ الناس لا يقرون بالوعي لهذه الأنواع من التقييمات حول المحتوى،ولأنهم لا يستطيعون أن يقوموا بالأستقراءات لدراسة تعديل المزاج فقد أسسوا استنتاجاتهم على الحقائق الرئيسة الناتجة عن التجارب. وفي هذه التجارب يُعرض المتلقين إلى محتوى وسائل الأعلام التي يعدّها نظرية إدارة المزاج مؤثرة عليهم بطرق معينة. وتم تعريضهم إلى محتوى ذيإثارة كامنة عالية وواطئة أو رابطة لفظية. لكن هذه التجارب يمكن أن تكون عملية صياغتها صعبة.

يحتاج الباحثون إلى تطوير مواد محفزة والتي تحوي على القدر الأمثل من السلوكية التي يعملون على تعديلها ([2]).

لكن كيف تأخذ بالحسبان مزاج الناس؟ إذإن أخلاقيات البحوث لا تسمح بتعريض الناس إلى تأثيرات سيئة قبل تعريضهم إلى المحتوى،إن بعض المتلقين قد يرفضون تفسير فكرة إدارة المزاج لما قد يفعلونه للبحث عن الترفيه كمحتوى. وقد تفترض إنّك قد تختار محتوى يكون مُسلٍ من الناحية الجمالية أو نوع من الترفيه الذي لا يحتوي على فكرة. وربما تغيير مزاجك هو الشيء الأبعد لتفكيرك. لكن هل هذه

([1]) Bryant,J.,and P. Vorderer. Psychologh of Entertainment .Mahwah , NJ: Erlbaum.(2006), op.cit, pp 241-242.

([2]) Oliver, M. B. Mood management and selective exposure. In J. Bryant, D. Roskos-Ewoldsen, & J. Cantor (Eds.), Communication and emotion: Essays in honor of Dolf Zillmann, Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates, (2003), pp. 85-106.

هي الحقيقة ؟هل من الممكن أن تكون مهتماً أكثر في إدارة مزاجك من الرغبة الواعية لعقلك ؟ هل أنه من الممكن أنك قد تكيفت وتغيرت بواسطة التجارب السابقة مع محتوى وسائل الإعلام لتمييز صيغ المحتوى التي تحفز فيك المشاعر والتي قد ترغب بتجربتها لا إرادياً ؟ ربما عليك أن تأخذ نظرة أخرى على ما تفعله عندما تختار أن تجلس أمام التليفزيون في المساء[1]. وتشير Silvia Knobloch –Westerwickإلى أنّه من المهم التمييز بين المزاجات التي تميل للاستمرار مع مرور الزمن والتغييرات المؤقتة التي تزول بسرعة في المشاعر. إن الأمزجة قد تكون نتيجة عوامل طويلة المدى ومواجهات شخصية نابعة عن المواقف على الأغلب. وقد تتغير مؤقتاً بوجود المحتوى الإعلامي. على سبيل المثال إذا أنفصلت عن صديق مقرب لك فقد يتضمن هذا تأثيراً سلبياً طويل الأمد. ومشاهدة المواقف المضحكة قد يثير فيك مشاعراًإيجابية لوقت محدد لكن المزاج السلبي سوف يعود. فقد تتحكم بمزاجك لكن فقط على المدى القصير لا أكثر. وفي البحث عن المحتوى الاعلامي قد تحتاج إلى تجنب المحتوى الذي يعرض الأصدقاء الجيدين لأنها سوف تتضمن ترابطاً لفظياً، لربما أفلام الشرف والرعب قد تكون مضلة أكثر، فقد تكون ناجحة في تغيير المزاج لكنها لن تستوطن على العلاقات البشرية[2].لذلك يستنتج الباحث أن المحتوى الاتصالي لوسائل الإعلام، يمثل مجموعة منبهات تعمل على ادارة مزاج المستخدم، وبما أن مستوى وعي الجمهور تدرج مع تطور التقنية، فإنه لم يستطع في أول الامر أن يتحكم في إدارة مزاجه، بسبب ضعف تحكم الجمهور بوسائل الإعلام، الذي كان سببه الأول أن وسائل الإعلام هي أداة بيد السلطة، ومع تطور التكنولوجيا تطور وعي الاستخدام،وتوسع نطاق تحكم الجمهور في وسائل الإعلام والاتصال فقد أدى الاندماج في عناصر الاتصال بفعل التكنولوجيا، إلى إحداث ثورة حقيقية في مجال الاستخدام،ويعد ارتفاع نسب المشاركة

([1]) Knobloch, S., & Zillmann, D. Mood management via the digital jukebox. Journal of Communication, (2002),52 (2), p 362.

([2]) Knobloch, S., & Zillmann, D. Mood management via the digital jukebox. Journal of Communication, (2002), op.cit, 52 (2), p 359.

في المحتوى الاتصالي، أحد الاسباب الرئيسة في اقبال المستخدمين في ادارة مزاجهم عـن طريق مواقع الانترنت بشكل أكبر، وذلـك بسـبب افـق الفضـاء الالكترونـي الواسـع، فالمحتوى الاتصالي للانترنت يتضاعف بشكل عالٍ جدا في كل لحظة، بسبب المشاركات المستمرة، لرفد هذا العالم الواسع مـن المعلومـات، إن الانـدماج الاتصـالي وهـو أحـد الاسباب المفسرة، لطبيعة نظرية إدارة المـزاج، فكـل فـرد يبحـث عـن محتـوى يناسـب حالته، ويحاول ان يكون مجـال الاختيـار واسـعاً بشـكل يسـمح أن يجـد المناسـب، وفي أحيان كثيرة يندمج مزاج الفرد مع ما ينشره هو شخصياً، عندها يكون جزءاً مـن إدارة مزاجه، عن طريق تفريغ الشحنات الانفعالية الانيـة او المتراكمـة، وذلـك يحـدث فقـط عندما يندمج المستخدم مع المحتوى الاتصالي، لذلك فـإن الانـدماج الاتصـالي، يعمـل على توفير فرص الفعل التواصلي الحر، القائم علـى الرغبـة والحريـة في النشـر، بعيـداً عن حارس البوابة الذي قـد يكـون عـائق في إدارة مـزاج المسـتخدم، فكـل مـا ينشـره المستخدمون في مواقع التواصل الاجتماعي، هـو تعـبير عـن حـالات انفعاليـة، يعتقـد المستخدم إن عملية تفريغه لها هـو نـوع مـن إدارة مزاجـه، فالانـدماج الاتصـالي بـين مكونات العملية الاتصالية كلها يزيد درجـة ثقـة المسـتخدم بالوسـيلة الاتصـالية،لأنها تمثل أداة حقيقية لادارة مزاجه، فهو لا يستطيع الانسلاخ منها وهـو جـزء مكـون لهـا، علـى عكـس وسـائل الاتصـال التقليديـة الـتي يكـون المتلقـي منفصـل عنهـا بشـكل واضح.ومثل معظم النظريات المرتبطة بنظريـة الترفيـه فـأن نظريـة إدارة المـزاج تتقبـل وسائل الأعـلام كقـوة معتدلـة في المجتمـع. مـا الخطـأ في مواسـاة النـاس في مشـاكلهم اليوميـة. إن هــذه النظريــات المعاصــرة بمعظمهــا تعــني الموافقــة الضــمنية للوضــع الراهن،ويؤكدMendelsohn إن نظرية إدارة المزاج توضحكيف إن وسـائل الإعـلام قد تساعد على التكيف مع المشاكل في حياتنا اليومية والتي تتضمن بطبيعة الحال المـزاج السيء. وليس علينا تطوير آلية معقدة لجعل وسائل الإعلام مسـاعدة لنـا فباسـتطاعتنا

أن نعتمد على ما تعلمناه من التجارب السابقة مع وسائل الإعلام ومـن الطريقـة الـتي تكيفنا بها مع البرامج الترفيهية على مدى حياتنا[1].

لقد بدأت بعض النظريـات مـؤخراً بـدمج البحـوث عـن طريـق الحقـائق الـتي تحققت بها وسائل الاعلام الترفيهية بالنظريات التي تثير أسئلة جدية اكثر. ومثـال جيـد على ذلك وسـائل الأعـلام الترفيهيـه النفسـية والـتي قـدمها Shrumفقـد أفـترض أنّ ممارسات التسويق الحالي قد بدأت بتعتيم الحـدود بـين الأقنـاع والترفيـه. ويـؤمن بـأن الديمقراطية الحـرة الـتي يجـب أن يعرفهـا النـاس في الوقـت الـذي أسـتهدفوا بواسـطة الأعلانات التجارية فيجب أن لا يـتم تضـمين الأعلانـات في المحتـوى الترفيهـي وهـو الأمر الـذي لايعيـه المشـاهدون وهـو الأمرايضـا الـذي يكـون ترابطـا بـين المنتجـات والأفلام وبرامج التليفزيون وحتى الموسيقى الشعبية[2].

تاسعاً: نظرية الفعل التواصلي The Theory of Communicative Action

تعد التطورات في وسـائل الإعـلام الجديـد، وإحـدى أهـم ادوات العولمـة الـتي تسعى لبناء مفهوم المجتمع المـدني؛ الـذي يرميـإلى الانتقـال مـن المجتمعـات المحليـة،التي تعتمد منظومة قيمية تحكم سلوكياتها في المجتمع،الى مجتمعات مفككة تقوم على اسـاس الفرد المنتج، وهي تحتاج الى اداة تسمح لها بربط هؤلاء الأفـراد بمنظومـة ثقافيـة عالميـة، تعمل على وفق معطيات التكنولوجيا بموجب اطار معد سلفا،إذ يكون العقل البشـري أداة استعمال للمنتج، الذي لم يعد يتعامل مع التقنية على وفـق المنظومـة العقليـة الـتي تتعامل مع وسائل الإعلام التقليدية.فتعد نظرية يورجين هابرمـاس في التواصـل أو مـا يطلق عليه العقل التواصلي، وإحدى النظريات التي تتمحـور حـول قطـبين أساسـين : هما الفعل الاجتماعي والبنية الاجتماعية، وهما مدرستان يحاول هابرمـاس أن يـدمج

([1]) Bryant,J.,and P. Vorderer. Psychologh of Entertainment .Mahwah , NJ: Erlbaum.(2006), op.cit, p251.

([2]) Shrum, L. J. The Psychology of Entertainment and Persuasion. Mahwah,NJ:Erlbaum. (2004), p 123.

بينهما، لينتج منهما شيء يسميه (الفعل التواصلي) الذي يمثل محاولة لتخليص العلوم الاجتماعية والانسانية من فكرة الفعل الاستراتيجي والانتقال بها إلى الفعل التواصلي، بمعنى إن الفعل الاستراتيجي يمثل الفعل الذي له غايات واهداف واضحة ومحددة يريد الوصول لها.وأكد هابرماس إن وجود الفعل الاستراتيجي في العلوم الاجتماعية يجعلنا نقع في ازدواجية بين الفعل والبنية،ويؤدي ذلك إلى إشكاليات كبيرة ومعقدة، والحل عند هابرماس هو (الفعل التواصلي) المجرد من الغايات والمقاصد، بمعنى أن نحاول تنظيم العلاقات الاجتماعية وبنائها بدون غايات مسبقة عن طريق تحول،من (العقل الأداتي)* الذي يرمي إلى معرفة الطبيعة بغية السيطرة عليها، وتطويره ليهيمن على الإنسان" ([1]). إلى العقل التواصلي* : " وهو مفهوم صاغه هابرماس لمحاولة تنمية البعد الموضوعي الإنساني للعقل، ولذلك يطلق على هذا المفهوم عند هابرماس (العقل التواصلي) Communicational

---

*مفهوم العقل الأداتي : قد ظهر في العديد من مؤلفات الفلاسفة والمفكرين السابقين على هابرماس أهمهم هوركهمير، وادورنو في كتابهما " جدل التنوير Dialectic Of Enlightnment عام 1972م وكتاب هوركهيمر (أفول العقل) Eclipse of Reason عام 1974م ، وكتاب هربرت ماركيوز (الإنسان ذو البعد الواحد One Dimensional Man عام 1964م، أن العقل الأداتي لدى هؤلاء هو منطق في التفكير وأسلوب في رؤية العالم ، أي أن العالم الاجتماعي ، أصبحت له طبيعة ثانية وأصبح كالطبيعة غير قابل للتغيير ومستقلاً عن أفعالنا . يحدد كا من هوركهايمر وأدورنو (في كتابهما: جدل التنوير) ذهب هابرماس في كتابه (التقنية والعلم كأيديولوجيا) إلى أن العقل الأداتي يعبر عن العقلانية الأداتية التي مارست دوراً مهماً في المجتمع الرأسمالي الغربي ، يقر هابرماس " بأن العلم والتقنية قد تعاظما إلى درجة أصبحنا معهما أهم قوى إنتاجية .

([1]) هوركهايمر وأدورنو ، جدل التنوير شذرات فلسفية، ترجمة : جورج كتورة ، (بيروت ، دار الكتاب الجديد ، 2006) ، ص 25.

*العقل التواصلي : طور يورجين هابرماس مفهوماً جديداً للعقل أكثر كفاءة وقوة وحداثة وهو العقل التواصلي ، فهذا العقل يرتبط بالحداثة وتنتجهُ ويستفيد من معطيات العقل النقدي ويتجاوز عيوب العقل الأداتي ويطرح نفسهُ بديلاً للممارسات العقلية والإجرائية . أنظر : أبو النور حمدي أبو النور حسن ، يورجين هابرماس الأخلاق والتواصل ، (بيروت ، دار التنوير ، 2012) ، ص 137.

Reason.ولذلك يعتقد هابرماس بأن بديل العقل الأداتي هو النسبية المدمرة لان العقل التواصلي يضمن النقد المستمر لاي حقيقة، فيدعو هابرماس كما قال فرانسوا إوالد» إلى المساواة بين جميع الافراد الذوات بمنحها حرية الحجاج والديمقراطية اللازمة للدفاع عن وجهة نظرها، أو الحقيقة الخاصة بها الى أن يتفق اطراف الخلاف او الجدال على حل». ويرى هابرماس أن على السوسيولوجيا النقدية أن تدرس شبكات التفاعل في المجتمع المشكل من علاقات أتصالية، ومن «اتحاد الاشخاص المتعارضين في الاتصال». ويعارض هابرماس » الفعل الاستراتيجي» اي العقل والفعل لذوي الهدف النفعي والاداتي الذي تشكل وسائل الاتصال الجماهيرية عدته المفضلة التي توشك ان تستعمر» العالم الاجتماعي المعاصر» ويقترح بدلاًعنه جملة من انماط الفعل الاخرى او العلاقات مع العالم التي تملك معيارها الخاص لاعتماد هذا العالم: الفعل الموضوعي، والفعل الادراكي الذي يفرض عليك قول الحقيقة، والفعل ما بين الذاتيات الذي يستهدف العمل الاخلاقي، والفعل التعبيري الذي يفترض النزاهة. ويشخص هابرماس ازمة الديمقراطية في الاليات الاجتماعية التي كان من المفروض ان تيسر التبادل وانتشار العقلانية الاتصالية، لكنها استقلت ذاتياً وسيرت ذاتها » تجريداً حقيقياً». تقوم هذ الاليات، فعلا، بتدوير المعلومات، غير انها تعرقل العلاقات الاتصالية اي تعرقل نشاطات تأويل الافراد، والمجموعات الاجتماعية، لذلك فإن الفعل التواصلي يكون مرتبطاً بتفاعلات اجتماعية، في حين أن الفعل الاستراتيجي يمثل بحد ذاتهفعلاً اجتماعياً ([1]).أي انها ليست نتاجاً بقدر ما هي فعل قائم مخطط له مسبقاً، بمعنى أن بناء التواصل يقوم على مبدأ، ان المجتمع اكثر تفككاًوبعثرة، ويحتاج الى مكون منطقي يربط افراد المجتمع،لا يقوم على اساس العرق او الاثنية، وهذا ما تترجمه دلالة التواصلية في الوقت الحاضر،" الكونية مرتبطة حصرياً بكينونة العقل وهو أساسها الحقيقي وبدونه تنعدم التواصلية بين الأفكار والبشر ويبقى الأختلاف بدون

([1]) إريك ميغريه ، سوسيولوجيا الأتصال ووسائل الإعلام ، ترجمة : موريس شربل ، (بيروت ، دار جروس برس ، 2009) ، ص 368.

معنى، وبالأحرى ستؤدي الاختلافات في حالة انعدام هذه التواصلية إلى الاستبداد والتناحر والحروب وسيفقد الإنسان رباطه مع الإنسانية"([1]). أن الالتزام بمبدأ الحواريؤدي إلى الالتزام بشرط التعايش الديموقراطي الذي تكون فيه نظرية المناقشة فعلاً حوارياً يرمي إلى نحت " هوية جماعية ذات بعد كوني تتجسد عن طريق جماعة سياسية تظل مفتوحة لاندماج كل مواطنين بمختلف أصولها" ([2]). وكانت مواقع التواصل الاجتماعي ومنها الفيسبوك الذي يشبه الى حد ما بالونه تتسع لتنفجر اخيراً، انالمجتمعات المحلية تحتفظ بالمنظومة القيمية التي تمثل خصوصية المجتمع وهي تفتخر به؛ لكن المجتمع العالمي الذي يسعى للاستحواذ ومسخ الاخر كان يحتاج الى ثغرة للنفاذ والاختراق عبّر المنظومة التكنولوجية التي أصبحت تمثل منظومة قيمية مسيطرة على جدارها الالكتروني وقد سمحت هذه المنظومة للمجتمع ان يكذب اكثر فقد اصبح الكذب مبرراً وقابلا للقبول في إستخدام الصورة والكلمات وغير ذلك وهي احدى متطلبات التواصل الحداثوي.

ان حرية الاتصال سمحت بانخفاض المنظومة القيمية، عن طريق توفير حرية النشر وعرض الافكار، وتفعيل العزلة الفردية، ففي دراسةٍ قام بها (نورمان ناي و لونز أيربرينغ)، توصلاً إلى أنه "كلما ازداد الوقت الذي يقضيه الإنسان على الإنترنت،يقل الوقت الذي يقضيه مع الأشخاص الحقيقيين " ([3]). التي تمتاز بها المجتمعات الغربية وبما أن تلك المجتمعات استطاعت منذ مدة ليست بالقصيرة ان تنسلخ من قيم الكنيسة في تصوراتها الجديدة نحو العلمانية، التي قامت على البناء الفردي والتصورات الذاتية وحرية التعبير واختيار العقيدة، وان منظومة التواصل الاجتماعي هي احدى تجليات العلمانية وثمرة ناضجة للعولمة التي تسعى لأن يكون

([1])الناصر عبد اللاوي ، الهوية والتواصلية ، (بيروت ، دار الفارابي ، 2012) ، ص 95.

([2]) الناصر عبد اللاوي ، المصدر السابق ، ص 12.

([3]) أميتاي إتزيوني ، الخير العام إشكاليات الفرد والمجتمع في العصر الحديث، ترجمة : ندى السيّد، (بيروت، دار الساقي ، 2005) ، ص 290.

خطاباً كونياً واحداً منبثقاً من تقارب ثقافي تذوب فيه المكونات الحضارية وتختفي فيه خصوصيات المجتمعات.

ويرى الباحث إن الإعلام الجديد هو الخطاب التفاعلي الاكثر تأثيراً والاقرب لمزاج المستخدم لتشكيل رأي رافض حول المجتمع المحلي الذي لا يمنح الفرد غير الانقياد نحو الجماعة التي في كثير من الاحيان يكون لها مزاج مختلف عن مزاج الفرد، فمثلاً وفر موقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) خصوصية لكل مستخدم يقوم عبّرها بفعل تواصلي يشترط ان يكون اخلاقياً كما يرغب الموقع وبذلك يجعل للمجتمع خصوصيات انفرادية يمحو بها شكل التواصل الجماهيري والرأي الواحد عندها يكون فيسبوك نافذة الى إعلام الفرد الجماهيري الفاعل.

قال بودريار في كتابه » نقد الاقتصاد السياسي : " إن تأثير وسائل الإعلام في العلاقات الاجتماعية لا يتأسس على اعتبارها حاملة لمضامين، بل هو قائم في تركيبتها للعمليات التي تقوم بها، فهذه العلاقات لا تنتمي إلى سجل الاستغلال، بل إلى التجريد، والفصل، والغاء التبادل المجرد. فوسائل الإعلام ليست معاملات بل هي مستجيبات للايديولوجيا. فهذه الوسائل ليست ثورية في غاياتها، بل أبعد من ذلك فهي ليست عملياً أو افتراضياً، محايدة أو غير مؤدْلَجة، توهمات وضعها التقني، أو قيم الاستخدام الاجتماعي المرتبطة بها، ان ما يميز وسائل الإعلام الجماهيرية، هو أنها ضد التوسط مكتفية بذاتها، وتنتج للاتصال إذا قبلنا بتعريض الاتصال باعتباره تبادلا وفضاءً تبادلياً قائم على الارسال والتلقي اي بمعنى فضاء للمسؤولية هذه المسؤولية ليست ذات طبيعة نفسية أو اخلاقية بل هي ارتباط تبادلي شخصي بين طرفي الاتصال ضمن عملية تبادل" ([1]).

من هذا المنطلق يرى الباحث : إن (الإعلام الجديد) هو انطلاق لمفهوم التبادلية الاختيارية، القائمة على وفق رأي بودريار على مستجيبات لايديولوجيا الفرد،تعمل

([1]) أرمان وميشال ماتلار ، تاريخ نظريات الاتصال ، ترجمة: نصر الدين العياضي والصادق رابح، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2005م)، ص113.

على تفعيل الفضاء المعلوماتي بمكوناته كلها : مـن الحيـز والمسـافة والحجـم الـتي هـي مقومـات الفضـاء التقليـدي، لكنهـا اسـتثمرت بشـكل اخـر، لتكـون مفهومـاً جديـداً للإعـلام يكـون أكثـر تمثـيلا وقبـولا في المجتمـع. إن فضـاء الانترنـت مفتـوح للمستخدم،للتعبير،حاله حال الفضاء التقليدي، فقد أفاد من مكوناته الذاتية،من مواقع الويب والمسافة بين ويب واخر وحجم المعلومـات المتـوافرة، وهـي مسـميات تجـد لهـا تفسيرات مشابهة في الفضاء التقليدي،لكنها تختلف في الشـكل والنـوع، والمسـتخدم في هذا الفضاء يسافر بعيدا في مجالات التعبير غير المعلن؛ في فضائه التقليـدي للاعتبـارات المحلية والتكوين المجتمعي المتغير، بحسب طبيعـة المجتمعـات وخصوصـيتها المنعزلة،وقـد أستطاع هذا الفضاء أن يجد له أدوات، تدير مزاج المستخدم وتحفزه للولـوج لها،بشـكل دائم بحثا عن الذات الضائعة في محددات وسـائل الإعـلام التقليديـة،التي تبحـث دومـا عن رسالتها التي تحاول ان توصلها للمتلقي لتحدث تـأثيراً يدفعـه لسـلوك مقصـود،في حينأعتمـد الإعـلام الجديـد علـى تعامـل مـن نـوع أخـر، يبحـث عـن رغبـات المسـتخدم،ويحاول أن يكـون هـذا الفضـاء بمفرداتـه كلـها منهجـاً لتمريـر رسـائل المستخدمين،التي تصل في كثير من الأحيـان إلى المبالغـة في التـذمر أو النشـوز المقصـود وغير المقصـود،عبّر سـلوكيات لا تعـبر عـن شخصـه الحقيقي،وهـي بـذلك أخرجـت المكنون غير الظاهر للمستخدم وسمحت بتعبير صريح، على الرغم من شكله السـاخر والفضفاض وربما العبثي،الذي يكاد يكون ارهاصات غير مدروسـة،وهي تمثـل تعـبيراً متعدد المراحل لتراكم سابق لوسائل الإعلام، التي مسخت الفرد بلونها،والـذي أجـبره التكرار أن يمثل حالتها أو أدوارها ومراحلها،وأحتفظ في عقله بتمثيلاتها الـتي تـنعكس عبّـر الاسـترجاع الـذاتي غـير المـرغم عليـه، في صـفحات المسـتخدم.ان الإعـلام الجديد،ليس أدوات معاصرة وتكنولوجيا متطورة فحسـب،بل هـو محاولـة لبنـاء واقـع مختلف،للمضمون الاتصالي الـذي يكـون نابعـاً مـن تصـورات المسـتخدم ومشـاركته الفاعلة،والفضاء المعلوماتي هو: نافذة التواصل التي يمر عبّرها ذلـك الاسـتخدام،الذي يمثل السلوك الصريح والمجرد،وربمـا غـير المهـذب،على الـرغم مـن اشـتراطات الفعـل التواصلي للفضاء المعلوماتي،لكنه في مجمله يمثل سلسلة التطـور المتسـارع نحـو العولمـة

الثقافية،التي تقوم على مفهوم المستخدم الجماهيري.فالتعليم في النظم الاتصالية لم يعد مستعملا بالشكل المطلوب وهو امر مهم في تحديد الاولويات التي تمثل رغبات المستخدم في الوصول الى أفق التعبير الحر.ويرى مارسيل لوبران إنه "لم يعد هناك تعليم.. ولا أدوات.. ولا سلطة.. ولا علاقات.. بل تعقيدّ تدريجيّ لكل هذه العوامل ولاندماجها في ما بينها، على وجه الخصوص" ([1]).وأن مخرجات التطور الصناعي كلها والثورة الرأسمالية وديمقراطية الرأي لا تمثل التعبير الحر للاتصال اذا لم تكن مقترنة بسلوكيات متقاربة من الذات الاتصالية،التي تمثل التعبير الصادق عن الرغبة في الحضور والمشاركة،ولا يمكن تعميم الايجابيات كلها على أنها مطلق دائم الحدوث، وأن كل تغيير في مجتمع نتيجته فعل اتصالي مدروس، ليس بالضرورة أن يكون هو نفسه في مجتمع أخر، فكل تغيير وأن اقترن بالفعل الاتصالينفسه، الذي يسوق نحو تواصلية مدركة، لا يؤدي دائما الى النتائج نفسها، بسبب المقترنات الحسية المرتبطة بالواقع الملموس في المجتمع؛فضلا عن خصوصيات ذلك المجتمع، ومنظومة السلطة، وشكل العلاقة بين الفرد والسلطة، إن الإعلام الجديديقوم على فعل تواصلي غير مخطط له، لذلك فهو ينتج سلوكيات عفوية، في أغلب الاحيان تكون نفعية، على عكس وسائل الإعلام التقليدية التي تعتمد الفعل الاستراتيجي المخطط له، والواضح الغايات والاهداف مسبقا، لذلك فإن تأثير وسائل الإعلام التقليدية يكون ذا غايات وأهداف ترتبط بالوسيلة الاتصالية ورأس المال الممول لها، ويحتاج إلى نوع من السلوكيات لافراد المجتمع تنسجم مع الاهداف المخطط لها، أخذاً في الحسبان،نوع الحدث وطبيعة الجمهور والهدف المراد تحقيقه، بغية التأثير وهو عمل قاصر بل هو سلوك شاذ تعمد لتحقيقه وسائل الإعلام والاتصال يقترن بالنفعية الذاتية في أغلب الأحيان،ولا ينطلق نحو الوظائف المثلى للإعلام. وهناك فرق كبير بين المفاهيم التقليدية ومفاهيم البنيوية والحداثة،في الإعلام والاتصال من حيث العنصر التكنولوجي والعنصر الانسوتكنولوجي،وهناك فرق أيضا بين البيئة الاتصالية

([1]) مارسيل لوبران ، تكنولوجيات للتعلم والتعليم ، ترجمة : سامي عامر ، (بيروت ، دار الفارابي،2009)، ص 104.

التقلـــيدية والبيئة الاتصـالية المعاصـرة، أو مـا يعـرف بفضـاء المعلوماتالقـائم علـى التفاعـل الاجتمـاعي،ويرى كـاهين وكيلـر: "إن الاحتيـاج الـذي يـدفع الإنسـان إلى المشاركة في التفاعل الاجتماعي هو، على الأقل بقـوة الاحتيـاج إلى المعلومـات نفسـها" ([1]).

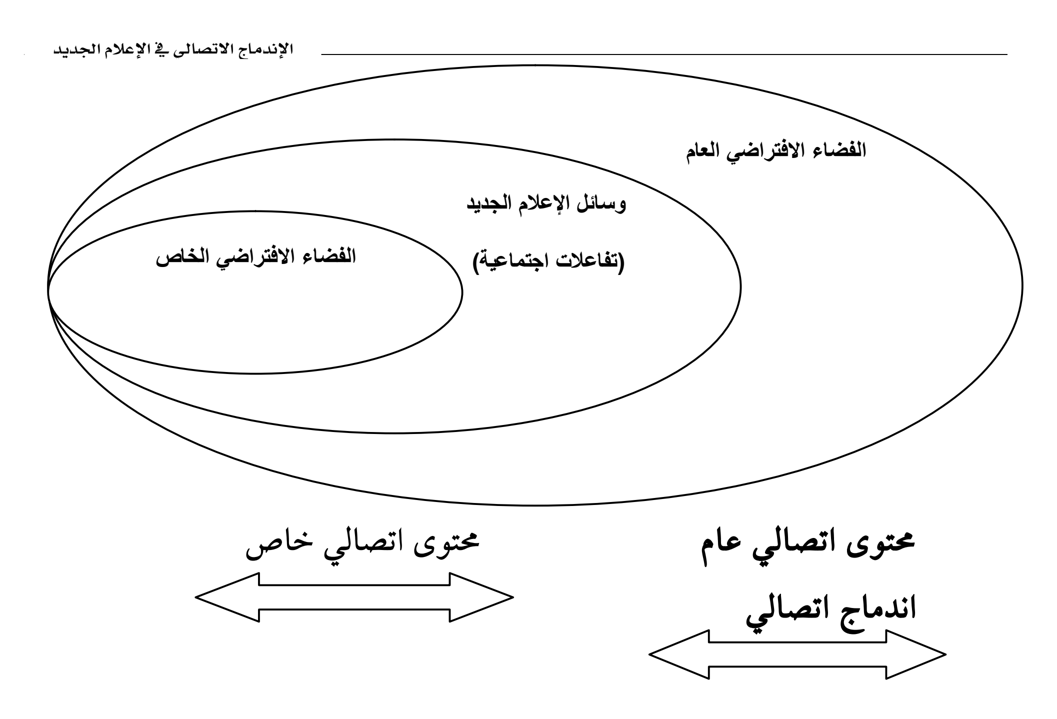
إن عمليـة ربـط عناصـر الاتصـال علـى وفـق مفهـوم الـزمن الفاعـل وسـرعة الاتصال أوجد انسان الانترنت او الانسوتكنولوجي الذي يحسن التعامل مـع عنصـري السرعة والزمن،ويكوّن مع أخرين مجتمعاً أفراضياً هـو نسـيج مـن عقـول المسـتخدمين على شبكة الانترنت،الذي يصفه الدكتور علي محمد رحومة في كتابـه (علـم الاجتمـاع الآلي)، (بالعقـل الجمعـي الاكترونـي) ([2]). لكـي يسـتطيع ان يبحـر في عـالم رقمـي مفرداته متداخلة كلها،ويصعب تحليلها لأنها تعمل في منظومة اتصالية تقوم على اوامـر المستخدم فكل ما في هذه البيئة قائم على مبدأ الرغبة الذاتية التي تـوفر مجـالات مختلفـة لا حصر لها من التعارف والتعلم والتثقيف غير المقترن بمحددات الانتمـاء الجغـرافي او السياسي او الديني، لكنه يسمح للأفراد كلهم من دون تفرقة ان يفعلوا كل ما يرغبـون به وتحت اي سلوك، وكثير مـن البـاحثين يعيبـون هـذه الميـزة ويعـدّونها بنفسـها عيبـاً وانتهاكاً واضحاً لمبدأ الإعلام القـائم علـى منظومـة الاخـلاق المهنيـة، في جانـب مـن كلامهم يحتمل الصواب وفي جوانب اخرى يحتمل التنوير فهذا الفضاء المعلومـاتي هـو مجال للاستخدام وليس مجالأللإرشـادفهو يـوفر فـرص الانتقـال بـين العـوالم مـن دون جـوازات لـذلك كـان مـن الواجـب خـرق قـوانين البنـاء التقليـدي لنقـل المعلومـات وتداولها، ان الحداثة لا تعني بالضرورة ادوات التكنولوجيا بقدر ما تعني تفكـيراً متنـوراً في النفعية. يرى الباحثإن كل ما يقـوم بـه الإعـلام التقليـدي في ربـط ادواتـه بأشـكال الحداثة، تمثل محاولات حقيقية لكسب الجمهور بعد أن استطاع الإعـلام الجديـد، تغـير إتجاه الجمهور من التلقي السلبي، إلى الاسـتخدام الإيجـابي للوسـيلة الاتصـالية، وكـي

([1]) علي محمد رحومة ، علم الاجتماع الآلي ، مصدر سابق ، ص 100.

([2]) علي محمد رحومة ، المصدر نفسه ، ص 180 .

يكون واضحا ما هو الإعـلام الجديـد فهـو لا يمثـل مـنهج الحداثـة ولا بنيويـة فكريـة جديدة بل هـو حاجـة اعتباريـة تحولـت مـن سـلوك عفـوي عنـد الـبعض إلى سـلوك استخدامي بعد اقترانها بالفعل التواصلي الذي يمثل انتقالة جادة من فعـل الاتصـال الى فعل التواصل الذي يمثـل حجـم رغبـات النـاس في بنـاء الواقـع علـى وفـق مـزاجهم وأفكارهم ومنع احتكار الرأي،أنه إعلام يستحوذ على مزاج الافراد ولا يجـبرهم علـى التعرض بل يسمح لهم بالاستخدام.إن الفعل التواصـلي يقـوم علـى الفضـاء الخـاص للمستخدم في الإعلام الجديد، وهذا الفضاء هو في حقيقة أمره جـزء مـن المجـال العـام

ويوضح الشكل رقم (6)دور وسائل الإعلام الجديد في الاندماج الاتصالي بـين المجـال العام والمجال الخاص، إذ يفترض الباحث إن كل فضاء خـاص هـو حالـة منعزلـة عـن الفضاءات الاخرى للمستخدمين، فإن التفاعلات الاجتماعيـة تولـد انـدماجاً اتصـالياً ينتج محتوى اتصالياً عاماً، أي ان المجال الخاص بالمستخدم يعمل الاندماج الاتصالي إلى تحويله الى محتوى اتصالي عام وفي الوقت نفسهفإن المحتوى العام هو جـزء مـن المحتـوى الاتصالي الخاص للمستخدم، أي أن ما ينشره المستخدم في الإعلام الجديـد يسـمح لـه ان يطلع على محتوى اتصالي جديد، وبذلك تكون الفضاءات الافتراضـية مندمجـة مـع بعضها لتكون فضاءً أوسع هو الفضاء الافتراضي العام.



شكل* رقم (6) يوضح دور وسائل الإعلام الجديد في الاندماج الاتصالي بين المجال العام والمجال الخاص

عاشراً: بحوث الإعلام الجديد

1- **بحوث النص التشعبي** Research on Hypertext :

هو نص على شاشة الحاسوب عند النقر عليه، يقود المستخدم إلى معلومات أخرى. تمثل النصوص التشعبية تقدما مهما في واجهات المستخدم، إذ إنها تتغلب على قيود النص المكتوب؛ ولا تبقى ثابتة كالنصوص التقليدية، بل تمكن من تنظيم المعلومات بواسطة روابط ووصلات تعرف بالروابط التشعبية. يمكن تصميم النصوص التشعبية لتأدية مهام متعددة؛ على سبيل المثال: عندما ينقر المستخدم على نص تشعبي أو يضع مؤشر الفأرة فوقه، تظهر فقاعة تحوي تعريفا قاموسيا، أو تظهر صفحة ويب مع معلومات متعلقة بالموضوع، أو تشغل مقطع فيديو، أو تشغل تطبيقا ([1]).ولفهم

* الشكل أعده الباحث

([1]) أنظر موقع الويكيبيديا : النص التشعبي : / http://ar.wikipedia.org/wiki/

عمل النص التشعبي، يجب أولا فهم عملية نقل المعلومات داخل النظام الشبكي، إذ يسهم الفيض المعلوماتي الذي يسري داخل البنية الشبكاتية، في تشكيل ماهية الفضاء الرقمي الذي تنتشر مادته على حواسيبنا المترابطة معه. وتتم عملية الارتباط، ونقل بيانات هذا الفيض عبر إنموذج معلوماتي يطلق عليه **(إنموذج الترابط المفتوح Ooen system Interconnection –OSI- Model)**، الذي يعد اللبنة الرئيسة في بناء الشبكات المترابطة. وتتألف الشبكات المترابطة من مجموعة شبكات خاصة، ترتبط في ما بينها عبّر أدوات ومعدات وسيط للشبكات،إذ تسلك جميعها سلوك شبكة متكاملة. ويتألف أنموذج الترابط المفتوح (OSI) من نسق ارتباط شبكاتي يحتوي على سبع طبقات، تمارس كل منها مجموعة محددة من المهام لضمان تدفق المعلومات عبر وسيط شبكي (Network Medium) ([1]).

وقد قامت المنظمة الدولية للتقييس (ISO) بأبتكار هذا النموذج عام 1984م، وعمدت إلى تطويره فقد أصبح الأنموذج المعياري المعتمد في ميدان الشبكات المعلوماتية. ويقوم الأنموذج بتقسيم المهام الخاصة بنقل المعلومات بين حواسيب الشبكات على سبع مجاميع من المهام، كي تسهل عملية إدارتها ومتابعة تقّدمها. وبعد ذلك تباشر عملية تسمية المهمة، أو مجموعة المهام التي سيلتحق كل منها بطبقة من الطبقات السبعة العائدة للأنموذج الشبكاتي (أنظر الجدول رقم 2). وتندرج الطبقات السبعة للأنموذج كما يأتي (يتم ترتيب الطبقات بصورة تنازلية) ([2]).

([1]) حسن مظفر الرزو ، مصدر سابق ، ص 160-161 .

([2])حسن مظفر الرزو ، المصدر السابق ، ص 161.

الطبقة السابعة	التطبيقات (Application)
الطبقة السادسة	التقديم (Presentation)
الطبقة الخامسة	الجلسة (Session)
الطبقة الرابعة	النقل (Transport)
الطبقة الثالثة	الشبكة (Network)
الطبقة الثانية	رابط البيانات (Data Link)
الطبقة الأولى	الفيزيائية (Physical)

جدول رقم (2) الطبقات الأنموذج الشبكي

بصورة عامة تقسم الطبقات السبع على مجموعتين :

المجموعة الأولى : الطبقات العليا، وتشمل كل من الطبقات (7، 6، 5)، وتعرف بطبقات التطبيق.

المجموعة الأخرى : الطبقات السفلى، وتشمل كل من الطبقات (4، 3، 2، 1)، وتعرف بطبقات تنافر البيانات.

تعني الطبقات العليا بمسألة التطبيقات، وتمارس دورها على قطاع البرمجيات التطبيقية، وتكون أشد قرباً من المستخدم الذي يجلس قبالة حاسوبه الشخصي.أما الطبقات السفلى فتنهض بمهمة إدارة عمليات تناقل البيانات، وتكون أشد قرباً من الوسط الفيزيائي للشبكة (الوسط الناقل للنبضات الرقمية).

ويرى الباحث : إن النص التشعبي يمر بهذه المراحل كلها، و بسرعة فائقة،وتمثل حالة الاندماج الاتصالي بين الذات الاتصالية الممثلة بالمستخدم،أدوات النص التشعبي كلها، حالة من نسيج إندماجي، بين ذات غير مادية، وأدوات مادية فيزيائية، ففي نظرية (تقديم الذات)، يجد الأفراد أن لديهم الفرصة لقديم ذواتهم المثالية،بإستخدام تكنولوجيا الاتصال،إذ تفترض هذه البحوث إن الفرد، يندمج مع

النص الألكتروني، هذا ما يسمح له بالبوح بشكل أكبر.. إذتتيح المحادثات والتعليم عبّر النص التشعبي، فرص تمثيل الذات بثقة كبيرة.إذ إن الموانع التي قد توجد لدى بعض الأفراد وتمنعهم من الأندماج إيجابياً في واقع المجتمع الحقيقي، أو في أداء التفاعل الاجتماعي الطبيعي، لا توجد على الشبكة، وهناك من يستخدم النص التشعبي، لأغراض آخرى تتمثل في وضع قناع على شخصيته، بشكل خاص في غرف الدردشة، وكما يرى سانيكولاس: "أنه في كثير من الأحيان، قناع ضد سيطرة الآخرين، وإملاءاتهم غير المرغوبة" ([1])

أخذ البحث حول النص التشعبي أشكالاً متعددة، فقد أهتمت بحوث عديدة بدراسة تأثيرات النص الفائق في عملية التعلم من وسائل الإعلام الجديدة، وعلى سبيل المثال فقد أختبر (ماكدونالد وستيفنسون)،تأثيرات عدد مختلف من أشكال النص التشعبي على التعليم من جانب المستخدم. واستخدم الباحثان الرسالة نفسها مع تغيير طريقة بناء النص التشعبي، وقدما الرسالة في بناء هرمي تم فيه ربط، كل صفحة بالصفحة التي تسبقها والصفحة التي تليها فقط. ثم قدما الرسالة نفسها في بناء غير خطي تم فيه ربط الصفحات بطريقة تجعلها تشكل شبكة متكاملة، وبناءً مختلطاً يتضمن البناء الهرمي الأساسفضلا عن روابط أخرى تسمح للمستخدم بالخروج من البنية الهرمية. وتوقع الباحثان أن البناء غير الخطي سيكون أكثر البنى إرباكاً للمستخدمين، وأن البناء المختلط قد يسهل عملية الاستعراض بشكل أفضل من البناء الهرمي الجامد. وثم طلب من المبحوثين أن يستخدموا الرسالة المشكلة بلغة النص التشعبي ومن ثم الاجابة عن عشرة أسئلة. وسجل الباحثان الوقت الذي استغرقه المبحوثين للعثور على إجابات للاسئلة؛ وكذلك عدد الصفحات التي تم فتحها للعثور على كل إجابة. وخلص البحث إلى أن المبحوثين الذين أستخدموا البناء المختلط للنص التشعبي عثروا على الاجابات أسرع؛ وعن طريق عدد أقل من الصفحات، يليهم الذين أستخدموا البناء الهرمي، ثم الذين استخدموا النص غير الخطي، وانتهى الباحثان إلى إن

([1]) علي محمد رحومة ، مصدر سابق ، ص 145-146 .

المستخدمين أربكتهم الخيارات المقدمة لهم في النص التشعبي المقدم في بناء غير خطي، وأن النص المختلط قدم للمستخدمين أفضل مزيج من الحرية والتقييد في الاستعراض (1).

ويستنتج الباحث : أن البحوث التي أجريت على النص التشعبي لا يمكن الخروج بتعميمات نظرية منها.إذ يجب على البحوث التركيز على تفاصيل النص التشعبي، الذي يتم بحثه، كما أنه من المهم أن يتم الأخذ في الحسبان سياق المضمون ومحتواه المقدمان في هذه البحوث والمهارات التي تم بها إنتاج النص التشعبي، والمعرفة المسبقة للمستخدم بالمعارف المقدمة فيه. ومن المؤكد أن النص التشعبي قد يكون مناسباً لتحقيق بعض الأهداف عن غيره من النصوص.

2-بحوث الوسائط المتعددة :

بالرغم من أن البحث في الوسائط المتعدد واستخداماتها في وسائل الإعلام لايزال حديثاً نسبيا؛ فإن البحوث القليلة التي أجريت في هذا المجال أنتهت إلى بعض الخلاصات النظرية التي قد تكون مرشدة في تطوير نظريات في المستقبل تتعلق بهذه السمة الفريدة التي يتميز بهاالإعلام الجديد.من هذه الخلاصات إن وسائل الإعلام التقليدية، لم تستفد حتى الآن بكامل المميزات الكثيرة التي تتيحها الوسائط المتعددة، على صعيد رواية القصة الإخبارية. ويشير (ديوز) الباحث في مجال الصحافة الرقمية إلى: "أن الصحافة الالكترونية لا تحركها الرغبة في الاستفادة القصوى من الوسائط المتعددة، بمعنى أن هذه الوسائط لازال ينظر لها على أنها إضافة للنص – تضيف قيمة في عرض النص – وليس عنصراً رئيساً، يمكن أستخدامه لرواية القصة الخبرية" (2).وقد خلص (كوانديت)* إلى : "أن القصص التي تم ربطها بالصفحة الرئيسة في

(1) McDonald , S., and R. J. Stevenson , " Effects of text structure and prior Knowledge of the learner on navigation in hypertext " , The Journal of the Human Factors and Ergonomics Society , (1998) No : 40 .pp 18-27.

(1) Deuze, M. " What is multimedia Journalism ? " Journalism Studies , No : 5 ,(2004) . pp 139-152.

المواقع الأخبارية الرئيسة على الويب في الولايات المتحدة وأوربا تؤكد النقص الواضح في محتوى الوسائط المتعدد" ([1]).وقد وصف (مانوفيتش)* التغيرات التي تنتج عن تحويل منتج ثقافي قائم إلى تكنولوجيا جديدة بأنه "ترميز تحولي Transcoding في أشارة إلى عملية نقل المنتج الإعلامي من نمط إلى نمط أخر، والمثال على ذلك تحويل أنماط إنتاج الفيديو التقليدي إلى فيديو رقمي، وتستخدم هذه الطريقة حالياً لتحويل النص التشعبي إلى تطبيقات للهواتف الذكية" ([2]).وقد درست (جابسون)* نمط التحول الذي استخدمته جريدة نيويورك تايمز الأمريكية عندما طوعت منتجها الصحفي للاستخدام على شبكة الويب عن طريق تقويم الحزم الإخبارية متعددة الوسائط التي نشرتها الصحافة في المدة من 2000 إلى 2008، وأشار الباحث إلى أن عدد حزم الوسائط المتعددة في الصحافة كانيتزايد بمرور الوقت، ويتضخم ليشمل عناصر جديدة مخصصة فقط للبيئة الرقمية مثل روابط النص

---

*كوانديت: باحث امريكي توصل إلى وجود منافسة متزايدة من أشكال جديدة من المحتوى المقدم من المستخدمين في المدونات ومواقع التواصل الاجتماعي ، يمثل صحافة جديدة ذات أبعاد ديمقراطية تمثل إعلاماً جديد . هذا التحليل للمحتوى اجراه على عشرة مواقع الكترونية في خمس دول (الولايات المتحدة، وفرنسا، المملكة المتحدة وألمانيا وروسيا) هو"دراسة واقعية"تضمنت 1603 مقالأت تمتحليل محتواها الاتصالي فضلاً عن الاتجاهات العامة للإعلام الجديد في أوروبا والولايات المتحدة.

(1) Quandt ,t. " No news on the World Wide Web : A comparative content analysis of online news in Europe and the United States " , Journalism Studies , No :9 (2008) . pp 717 – 738 .

*مانوفيتش: استاذ الفنون البصرية في جامعة كاليفورنيا في سان دييغو. له بحوث في مجال الإعلام الجديد ، وكتابه لغة الإعلام الجديد يشير به إلى مراحل تطور وسائل الإعلام والتحولات النظرية منذ مارشال موكلوهان .

(2) Manovich . L. " The Language of New media" Cambridge (2001) , MA : MIT Press . P 87.

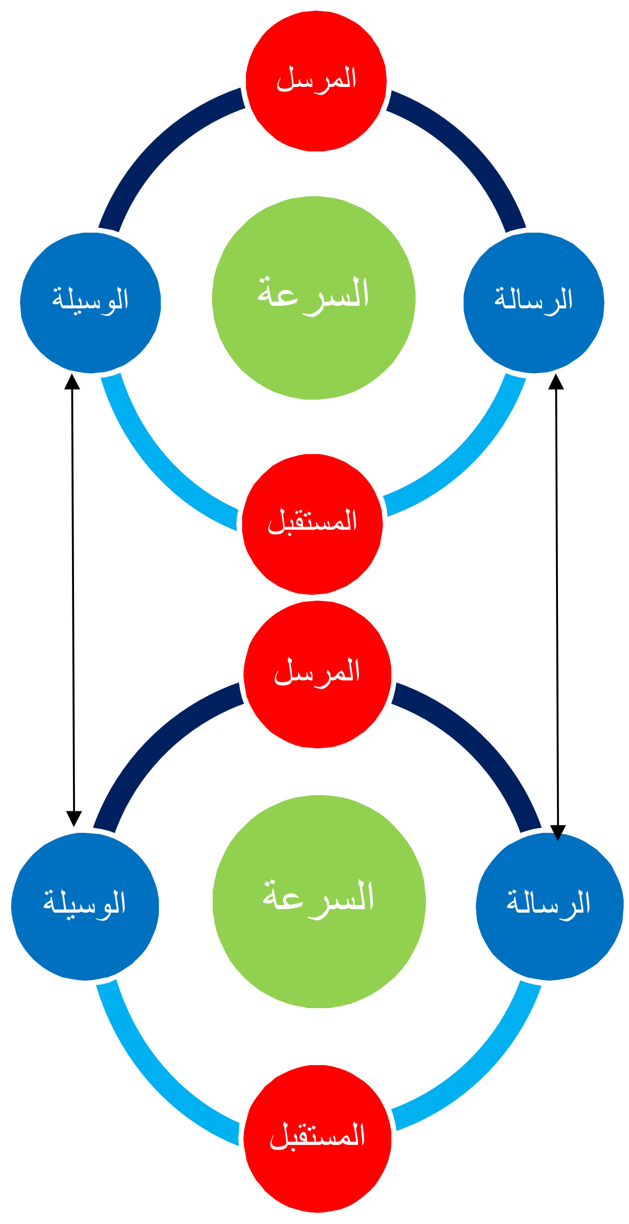
*سوزان جاكوبسون: استاذ مساعد ، في قسم الصحافة، (جامعة تمبل) ، في الولايات المتحدة الامريكية ، درست أغلب وسائل الإعلام الجديد ، ولها دراسات مقارنة بين التفاعلية الرقمية والتفاعلية التقليدية .

التشعي، والتفاعلية المستمدة من الألعاب الرقمية، وأدوات وسائل الإعلام الاجتماعية. وخلص البحث إلى أن معظم هذه الحزم تم إنتاجها لتكون إضافة جانبية للقصص الإخبارية المنشورة في الصحيفة،ومن ثمَّ فإن الوسائط المتعددة استخدمت لتكون امتداداً للكلمة المكتوبة،وليست نمطاً رئيساً لرواية القصة الإخبارية ([1]).وفي مجال الاستخدام الفعلي للوسائط المتعدد في الإعلام الجديد، خلص (بيرجلاند) إلى : " أن نصف مواقع الصحف الأمريكية على الانترنت تستعمل المقاطع السمعية المصاحبة للقصص الإخبارية " ([2]).ويرى الباحث : إن نظريات الإعلام الجديد وبحوثه، درست بشكل أساس آليات عمل هذا النظام الجديد في الاتصال،إذ انها درست المحتوى الاتصالي مقارنة، بالمحتوى الاتصالي المقدم في الإعلام التقليدي، وكذلك أدواتها مثل : مقاطع الفيديو، والصور، والصوت،فضلا عن النص الإلكتروني،ودرست أيضاً بحوث مستوى تأثير الإعلام الجديد على الإعلام التقليدي، ونجد القليل من البحوث التي درست البنية التشكلية للإعلام الجديد، بمعنى الكيفية التي يعمل بها هذا النظام الاتصالي الجديد، بشكل أكثر تجريدية، من دون الغوص في البيئة الاتصالية التقليدية التي يعتقد البعض إنها السبب الرئيس في ظهور الإعلام الجديد، وتعد نظرية التشكيل العضوي لوسائل الإعلام Mediamorphosis هي الاقرب عند كثير من الباحثين في الغرب، على أساس أنها تبرر مراحل تطور وسائل الإعلام مقارنة، بالتطور العضوي للكائنات الحية، أي أنها لا تعد حالة منفصلة بنفسها، ولكنها مرحلة من مراحل التطور في وسائل الإعلام، وعلى الرغم من قرب هذه النظرية من الواقع الفعلي لوسائل الإعلام والاتصال من المنظور التكنولوجي،

(1) Jacobson , Susan . " Transcoding the news : An investigation into multimedia Journalism Published on nytimes , com 2000-2008 " . New Media and Society , (2012) . No : 14 , pp 867-885 .

(2) Bergland R, Crawford L, Noe S. and Ellsworth M . " Multimedia features and newspaper websites : A2007 content analysis of daily newspaper , paper presented to the Convergence and Society Conference, Columbia, SC,October . (2008).

لكنها تبتعد من المنظور السيميولوجي، فكل عنصر في عملية الاتصال يحمل دلالات، تمثل بعداً، نفسياً واجتماعياً، ويمارس دوراً في إعطاء تصورات للمستقبل، فالمستقِبل أو المتلقي ذا الدلالات التبادلية الاتصالية، تحولت إلى بعد سيميولوجي أخر، هو الاستخدام، وإلى تصورات عن (الشغل) الذي يكون بشكل مشاركة إتصالية،وإن حالة الإندماج الاتصالي ضمن المعنى والدلالة، لها تمثيل مقبول في الإعلام الجديد، فهو لا يمثل بناءً جديداًعلى وفق نظرية التشكل العضوي، وإنما هو حالة مستمرة في التفكيك والبناء، وإعادة التشكيل ضمن الرقعة البيانية نفسها، وكأنما الحالة هي تطور سلالات جديدة، تحمل الجينات نفسها، وربما تظهر بعض الصفات العضوية المتطابقة أو ربما الشاذة في أجيال من هذا البناء التطوري، ولذلك فالنظرية تتنبأ ضمناً، إن جيلاً من الإعلام التقليدي سوف ينقرض ويحل مكانه جيل جديد، هذا الجيل هو أيضاً مهدد بالانقراض، ليحل مكانه جيل أخر، لكن مفهوم الاندماج الاتصالي، يجعل التصور أقرب،في الدلالة والمعنى،إذ إنّ العملية الاتصالية قائمة،وبأبعادها كلها ودلالاتها جميعها، ولكن الفرق هو تأثير عنصرين هما الزمن والسرعة، في مجرى العملية الاتصالية، إذ يتحول المعنى من معنى تقليدي الى معنى جديد، وزيادة سرعة الاتصال، عندها تحدث عملية من الاتصاق الاني بين عناصر العملية الاتصالية: ثنائي التركيب (المستقِبل،والمرسل) و(الرسالة، الوسيلة) ويوضح الشكل رقم (7) العلاقة الثنائية بين المرسل والمستقِبل والرسالة والوسيلة في عملية الإندماج الاتصاليعلى وفق تصورات الباحث.



الشكل* رقم (7) يوضح العلاقة الثنائية بين المرسل والمستقبل والرسالة والوسيلة في عملية الإندماج الاتصالي

* الشكل أعده الباحث .

فقد ساعد تطور التقنية، على إيجاد معاني اتصالية جديد، ذات مدلولات ثنائية البعد والتركيب،ويرى الباحث : إن إندماج البعد الزمني للمرسل مع البعد الزمني للمستقبل في بعد واحد، هو بعد زمن الأستخدام، الذي يقسم بحسب الاستخدام إلى:

1- **زمن الاستخدام التام** : وهو الزمن الذي يمثل المجال النشط للاستخدام، عندها يكون المستخدم مستقبلاً ومرسلاً، موجود على الخط - On–line active.وتكون نسبة الاستخدام كبيرة، ويمثل زمن أستخدام إيجابي.

2- **زمن الاستخدام الجزئي** : وهو الزمن الذي يكون فيه المستخدم غير نشط، بمعنى انه موجود على الشبكة، لكنه لا يستخدمها - inactiveOn–line، وتكون فيه نسبة الاستخدام قليلة، تقتصر في أغلب الأحيان على الاطلاع، ويمثل زمن استخدام.

3-**زمن الاستخدام الصفري** : يكون فيه المستخدم خارج الشبكة Of–line، ويكون فيه زمن الاستخدام (صفر)، وتستخدم القيمة الصفرية فقط للاغراض الحسابية، التي تخص قياس الفاعلية.

في عملية الاندماج الاتصالي، يندمج البعد الزمني للمرسل، مع البعد الزمني للمستقبل على وفق حالة تناظرية، ليكون بعداً جديداً، هو البعد الزمني للامستخدم.

ويحصل الشيء نفسه مع (الوسيلة، والرسالة)، إذ يمثل الموقع الالكتروني للمستخدم، طبيعة الاختيار الذي يتبع ميول المستخدم ورغبته، ومدى شعوره بالانتماء لفضاء الكتروني معين، يمثل مجاله الذاتي للاتصال، ولكل موقع نظامه الخاص به، والقائمة على طريقة خاصة في النشر والمشاركة، لذلك تحصل حالة الاندماج بين شكل الموقع ورغبة المستخدم التي تنعكس بشكل نشاط، يشارك فيه، ويكون هذا النسيج الاتصالي، بسبب الاندماج والتماهي بين البعد النفسي والاجتماعي للمستخدم، والبعد التنظيمي للموقع الالكتروني، وفي أغلب الأحيان يكون هذا الاندماج، ممثلاً لرغبة المستخدم في الاندماج مع موقع الكتروني،ويمثل رغبته، وكما

موضح في الشكل رقم (7) فإن كل مستخدم في الشبكة يندمج فضائه الخاص مع فضاء خاص لمستخدم أخر.

إن الإعلام الجديد يمثل حالة جديدة، في طبيعة الاستخدام، هي نتاج طبيعي لتطور المجتمع، وليس بالضرورة لتطور الوسيلة،فالوسائط المتعدد والنصوص التشعبية، والفضاء الافتراضي والمستخدم، والشبكة، وغيرها من المعاني كلها، لا تعدُّ إمتداداً، طبيعياً لمعاني أخرى، ولا اشتقاقات لفظية، بقدر ما هي تمثل، دلالات لبناء جديد، يحتاج إلى تصورات جديدة، فيما يخص التركيبة الفكرية والنظرية له، أكثر من التصورات الاستخدامية، الخاصة بعلم النفس، التي تهتم بدراسة التأثيرات والمؤثرات،وأكثر من اهتمامها بالعمق القائم عليه هذا البناء الإعلامي الجديد، وهنا لا نقلل من تلك الاشتقاقات بقدر تأكيدنا على دراسة المفهوم النظري لهذا المجال الجديد من الإعلام



المجال العام في الإندماج الإتصالي

الفصل الثالث

المجال العام في الإندماج الإتصالي

المبحث الأول

المجال العام في نظريات الاتصال

أولاً : المجال العام والإعلام الجديد

لم تكن فكرة المجال العام* حديثة، بل تجذرت في النقاشات الفلسفية منذ عهد الاغريق، ولاسيما تلك المتعلقة بالدولة والفضاء خارجها، فمثلاً لا نجد لدى أرسطو تمييزاً بين مجال عام سياسي تمثله الدولة، والمجال العام الاجتماعي الذي يمثله الافراد. ويرى أرسطو أن (الحيز العام الوحيد هو الدولة/ المجتمع أو المجتمع السياسي) ([1]). أي أننا لا نجد تمايزاً بين الدولة بمفهومها الحديث والمجتمع،ومن ثمّ فإن مفهوم المجال العام عند أرسطو هو مفهوم جمعي لا يمايز بين التفاعلات المجتمعية من جهة وتلك المؤسسية التي تمثّل الدولة من جهة أخرى، أما فيما يتعلق بالعلاقة بين المجال العام والإعلام، فقد بدأ اهتمام علماء الاجتماع بنظريات الإعلام وتأثير وسائل الاتصال سوسيولوجيّا منذ خمسينات القرن العشرين، ويعود الفضل إلى كلٍ من هارولد إينس Harold Innisومارشال ماكلوهان Marshall Mcluhan، في فتح المجال أمام

---

*هناك اجماع بين العلماء الاجتماعيين على أن المفكر الذي وضع أسس نظرية المجال العام هو الفيلسوف الالماني "هابرماس" في كتابه "التحول البنيوي للمجال العام" Stuctural Transformation OF the public sphere الذي صدر عام 1962م وكان في الواقع أطروحة للحصول على درجة الأستاذية في علم الاجتماع ، والذي كتب في الأصل باللغة الألمانية 1961م، ثم ترجم لأحقاً إلى الإنكليزية 1989م.

([1])عزمي بشارة، المجتمع المدني: دراسة نقدية، ط6، (الدوحة ، مركز دراسات الوحدة العربية، 2012)، ص 56.

"التنظير" لأنشطة الاتصال ودورها سوسيولوجيا، إذ وجد إينس " أن طبيعة وسائل الاتصال تترك آثاراً قوية في تنظيم المجتمع " ([1]).

وقد قدم إينس دراسة عن تأثير وسائل الاتصال في ما أطلق عليه(الحيّز الاجتماعي)، وخلص إلى نتيجة مفادها أن تأثير وسائل الاتصال استمر على نحو محدود " تفاعلياً " منذ آلاف السنين " الكتابة الهيروغليفيّة في حيز اجتماعيّ واسع، ومن ثمَّ " فإن المجتمعات التي تقتصر على هذا النوع فقط من أوجه التواصل تظل محدودة الاتساع والانتشار"، وبحسب إينس، فإن القيمة المضافة التي أنتجتها وسائل الاتصال تتجلى في كونها حلقة وصل ضعيفة بين بيئات أجتماعية متباعدة بعضها عن بعض.

وحلل هابرماس طريقة تطور وسائل الاتصال منذ أوائل القرن الثامن عشر حتى عصرنا الراهن. لكنه لاحظ أن هذا التطور يمثل متغيراً تابعاً يرتبط بمتغيّر مستقل يرتبط بدوره بالحيّز الذي تدور فيه النقاشات وتتكوّن المواقف والاتجاهات التي تجسد اهتمامات الناس وهمومهم وطموحاتهم وتأثرهم بالوسيلة الاتصالية، وهذا الحيّز يسميه (المجال العام). عرّف هابرماس المجال العام بأنه (ظاهرةأوليّة شأنها شأن الفعل والفاعل، والجمعية والجماعة، ولكنها ظاهرة تستعصي على المفاهيم التقليدية للنظام الاجتماعي التقليدي) ([2]). انطلاقا من هذا التعريف للمجال العام لا يمكن فهمه كمؤسسة أو كمنظمة فحسب، بل يمكن وصفه بالإطار المفتوح المستند إلى شبكة تواصل تؤمن تبادل المعلومات ووجهات النظر والمواقف حول موضوعات محددة.ومن ثمَّ فإن فكرة المجال العام هي تحفيزية للفعل السياسي، وهي وسيلة تصحيحية

([1]) أنتوني غدنز، علم الاجتماع: مدخلات عربية، ترجمة : فايز الصايغ، ط2، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2005) ، ص 510.

([2]) Jurgen Habermas , " Between facts and Norms : Contributions to a Discourse Theoy of Law and Democracy , Studies in Contemporary German Social " . Cambridge, MA: MIT Press . 1996 , p.360.

للانحرافات والفساد في المؤسسات، وترسيخ الممارسة الديمقراطية خارج المجال الذي تنشأه السلطة ([1]).

لذلك يمكن تعريف المجال العام على وفق ما سبق على أنه (**اجتماع الافراد في مجتمع مفتوح غير مقيد يسمح بعرض الاراء والافكار وتبادل الحوارات من دون قيود السلطة عليها، مثل المنتديات ومواقع التواصل الاجتماعي الإلكترونية**). ويمثل القاعدة التي يعتمد عليها مفهوم الإعلام الجديد.

ولقد ساعد التطور التكنولوجي الهائل، وثورة الاتصالات، والانترنت، ونمو الصحافة الإلكترونية على ظهور مفهوم (الإعلام الجديد)، الذي مارس دوراً مهماً في تشكيل مشهد إعلامي تغيب عنه الرقابة، فسمح بظهور جيل جديد تميز بالحس التقني والقدرة على التعامل مع أدوات عصر المعلومات، فالإعلام الجديد إنتقالة بدأت في مطلع العقد الحادي والعشرون، وهي آخذة بالانتشار والتوسع والامتداد، فقد دخلت عالم التنظير والدراسات وتحولت إلى مادة للدراسة والبحث العلمي. ولقد مارس التقنية دوراً مهماً في إضفاء التفاعلية على الإعلام، فقد أصبح بإمكان المستخدم التفاعل مع الطرح الإعلامي وقراءته والتعليق عليه، فمثلاً الصحف الإلكترونية إحدى أدوات الإعلام الجديد، تتيح للقارىء التفاعل مع النص وطرح آراء كثيرة ومتعددة حوله والخروج بمجموعة من الرؤى والأفكار حول الموضوع الواحد، مما يثري الحوار والنقاش حول مواضيع الصحف الإلكترونية وتفاعل القراء معها. وظهرت آدوات أخرى للإعلام الجديد من أهمها مواقع الشبكات الاجتماعية على الإنترنت منها: فيسبوك، وتويتر، وماي سبيس، ويوتيوب، وغيرها من شبكات التواصل الاجتماعي،فقد استطاعت هذه الشبكات أن تنشأ إعلاماً مختلفاً عن الإعلام التقليدي، في الطرح والتفاعل وسرعة نقل الخبر وتدعيمه بالصورة الحية والمعبرة. وتعرف الدكتوره مي العبد الله الإعلام الجديد بأنه : (جميع أشكال الإعلام الرقمي،

([1]) هاني عود ، دراسة في تفاعل الشباب الفلسطيني مع الحّيز الأفتراضي ، (رام الله ، الهيئة الفلسطينية للإعلام وتفعيل دور الشباب ، 2010) ، ص 14 .

الذي يقدم في قالب رقمي وتفاعلي، ويعتمد على اندماج النص والصورة والفيديو والصوت، إضافة إلى استخدام جهاز الكومبيوتر كأداة محورية من أجل عملية الإنتاج والعرض. والتفاعلية هي جزء منه وهي أيضاً ما يميزه) ([1]). ويطلق الباحثون على الإعلام الجديد العديد من الألفاظ والمسميات التي تصفه أو تعرفه وفقاً لوظائفه وأدواته، فهناك من يصفه بأنه (إعلام عصر المعلومات) على أساس أنه ناتج عن تزاوج ظاهرتي تفجر المعلومات والاتصالات عن بعد ([2]). وهناك من أطلق عليه (الإعلام البديل) بعد أن نجح في كسر أحادية إعلام السلطة([3]). وأيضاً (إعلام المواطن) عن طريق نشر افراد المجتمع ومشاركتهم في المدونات الألكترونية ومنتديات الحوار، ومواقع التواصل الاجتماعي([4]). وكذلك (الإعلام الرقمي والتفاعلي) الذي اتاح إمكانية مشاركة المستخدم وتحقيق درجة أعلى من التفاعلية والتحكم في الاتصال، وهناك من يسميه (إعلام الوسائط التشعبية) لطبيعته المتشابكة وإمكانية بنائهشبكة من المعلومات المتصلة مع بعضها بوصلات تشعبية، كما يطلق على بعض تصنيفاته (إعلام الوسائط المتعددة) لحالة الاندماج التي تتم داخله.

ويوضح الباحث في الإعلام والاتصال يحيى اليحياوي أن عبارة (الإعلام الجديد)، جاءت نتيجة انتقال الإعلام التقليدي، بروافده المختلفة المكتوبة والمسموعة والمرئية، إلى مرحلة جديدة من مراحل تطوره، بحكم الطفرة التكنولوجية التي طالت ميادين الإعلام والمعلومات والاتصال كافة، وانتشار استخدام شبكة المعلومات العالمية الانترنت، وظهور مواقع التواصل الاجتماعية، كذلك القنوات الفضائية التي تبث عبّر

([1]) مي العبد الله، المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام والاتصال، (بيروت، دار النهضة، 2014)، ص 47.

([2]) سمير شيخاني، الإعلام الجديد في عصر المعلومات، مجلة جامعة دمشق العددان 1-2، 2010م، ص 442.

([3]) هاني عواد وأخرون، السياحة العشوائية عبّر الانترنت- دراسة في تفاعل الشباب الفلسطيني مع الحيز العام الافتراضي، (رام الله، الهيئة الفلسطينية للإعلام ، 2010م)، ص 11.

([4]) حسنين شفيق، الإعلام التفاعلي، (القاهرة، دار فكر وفن ، 2010م)، ص 20.

الأقمار الصناعية، أو تكنولوجيا كوابل الألياف البصرية، والملتقطة بالحواسيب، كما بالهواتف النقالة، فالتسمية تستحضر البعد التكنولوجي، وجانب الإنترنت تحديداً. كما يعرف الإعلام الجديد على أنه (تسخير التكنولوجيا في نشر الأخبار والمعلومات والمعارف عن طريق عملية دمج وسائل الإعلام القديمة مع الأدوات الرقمية وشبكة المعلومات العالمية بما يحقق الاتصال التفاعلي بين المرسل والمستقبل بسرعة فائقة عبّر تكنولوجيا الانترنت ومواقع الشبكات الاجتماعية التي تستخدم تقنية الويب) ([1]).

إن تعريف الإعلام الجديد بالاعتماد على البعد التكنولوجي فقط،يعدُّ إفقاراً لمفهوم الإعلام الجديد،إذ يمثل البعد التكنولوجي احد روافد مفهوم الإعلام الجديد،فضلا عن روافد أخرى لا تقل أهمية، فالبعد الاجتماعي الذي يمثل جوهر النظام الاتصالي في الإعلام الجديد، القائم على مستوى ادراك الفرد وشعوره بالمسؤولية الاجتماعية، وهو يختلف عن البعد الاجتماعي في الإعلام التقليدي القائم على سلوكيات التلقي المفرط في السلبية،وكذلك شكل بدائي من المشاركة المقننه،والإعلام التقليدي قائم على التخطيط المسبق بهدف، إلى الحصول على سلوك خاص، يهدف القائم بالاتصال للوصول له باستخدام ما يمكن استخدامه من ادوات، قد تصل في بعض الاحيان إلى ممارسة اساليب الدعاية والتضليل الإعلامي، بمعنى إن الإعلام التقليدي يعمل على احكام السيطرة، على مجال مغلق من المجتمع، يسهل السيطرة عليه، وعندما يرغب القائم بالاتصال بتوسيع المجال ليشمل فئات اكبر من المجتمع، فإنه يقوم بمجموعة من الاجراءات، التي تؤمن للقائم بالاتصال، تأثيراً متساوياً داخل فئات المجتمع، فكل توسع في نطاق مجاله، بمثابة أختبار لادواته في التأثير،إن جيل الإنترنت هو دليل وأضح على سياسة جديدة للإعلام يكون المستخدم هو صانع الحدث فيها وليس المتلقي السلبي الذي يستمر في متابعة الإعلام التقليدي، أما الوسيلة فقد تغيرت لتلائم جيل الانترنت، وتسمح للمجال العام أن يكون وسطاً مشاركاً للتعبير وطرح الافكار.

([1]) هزوان الوز، الإعلام أدوار وإمبراطوريات، (دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2012)، ص 14.

صنف كل من ريتشارد ديفيز وديانا أوين الإعلام الجديد إلى ثلاثة أنواع هي([1]):

1- الإعلام الجديد بتكنولوجيا قديمة: يعود إلى مجموعة الأشكال الصحفية في الإذاعة والتلفزيون والصحف، كالمجلات الإخبارية وبرامج الأخبار المباشرة.

2- الإعلام الجديد بتكنولوجيا جديدة: وتمثله الوسائل جميعاً التي ألفنا استخدامها، والتي مكنت من سريان حالة التبادل الحي والسريع للمعلومات.

3- الإعلام الجديد بتكنولوجيا مختلطة: وفيه تزول الفوارق بين القديم والجديد، فقد أصبحت الحدود الفاصلة بين أنواع الوسائل المختلفة حدوداً اصطناعية، بعد أن حدثت حالة التماهي بين الإعلام القديم والجديد وتبادل المنافع.

وهناك من حاول ان يفسر ربط المجتمع الصناعي بنوع من وسائل الاتصال الجماهيرية ومجتمع المعلومات بالإعلام الجديد، كما يرى كل من س. غيرناويتي-هيلي وأ. دوفور إن مجتمع المعلومات الذي يتميز بوسائل الإعلام المتطورة والتفاعلية مثل الانترنت يأتي بعد المجتمع الصناعي الذي تميّز بوسائل الإعلام الجماهيري مثل الإذاعة والتلفزيون. ويشكل مجتمع المعلومات ثورة إعلامية حقيقية (غيّرت وبشكل مُزلزِل طُرق معالجة وحفظ المعلومات وعدلت أنماط سير المنظومات والمجتمع بشكل كلي). ومن ثمَّ فإن هذه الوسائل الإعلامية الفردية والتفاعلية تؤدي إلى حدوث قطيعة في الاتصال وقد توُلد نموذجاً أتصالياً جديداً([2]).

ويمكن تعريف الإعلام الجديد على وفق مفهوم المجال العام إنه : (**مجال عام لا تحكمه عوامل السلطة،وهو مجال اجتماعي للحوار والتبادل الثقافي بين المجتمعات، ومجال تندمج فيه عناصر العملية الاتصالية، وتعتمد شدة الاندماج على عنصريالسرعة**

([1]) هزوان الوز ، المصدر نفسه، ص 17.

([2]) مجموعة من الباحثين، نقد مجتمع المعلومات، ترجمة: خالد طه خالد، (بيروت ، منشورات ضفاف، 2013)، ص 29.

والزمن، ومجالاً عاماً قادراً على إحداث التغيير في المجتمعات عبّر المشاركة، ومجالاً عاماً يسمح للمستخدم بإدارة مزاجه على وفق مايريده وليس على وفق ماتريده الوسيلة الإعلامية).

من ذلك يتضح ان هناك اربعة محاور أساسية للتعريف هي :

1- مجال عام هو أساس الإعلام الجديد.

2- الاندماج الاتصالي بين عناصر العملية الاتصالية يتناسب طرديا مع سرعة الاتصال وعكسيا مع زمن الاتصال.

3- يُحدث المجال العام تأثيراً في سلوك افراد المجتمع عن طريق المستخدمين وينتج عنه تغيير متوقع في نواحي الحياة المختلفة، سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية.

4- المستخدم قادر على أدارة مزاجه الخاص عن طريق الاختيار الذاتي غير المفروض من وسائل إعلامية اخرى.

فألاعلام الجديد : هو مجال عام قائم على منظومة شبكية لتبادل المحتوى الاتصالي، ولا يمكن تميز قطب معين ووصفه بالمرسل العام – القائم بالاتصال - ولا قطب اخر بالمستقبل العام – الجمهور – ومجاله غير محدد وغير قابل للتحديد بشكله العام ولكن بالامكان تصنيفه ضمن اطار التخصص في كل موقع. على العكس من المنظومة الخطية او الدائرية التي تعتمد على تحقيق الاهداف الاستراتيجية للفعل الاتصالي ضمن مجاله، فإن الإعلام الجديد يعتمد في مجاله على الفعل التواصلي غير المحدد بأهداف استراتيجية مرسومة مسبقاً.

لذلك فإن الإعلام الجديد، يحقق مجالاً عاماًيختص به، يتكون بفعل التسارع المستمر في عناصر العملية الاتصالية التي تؤدي إلى الاندماج الاتصالي، الذي بدوره يزداد كلما زادت سرعة عناصر الاتصال، بمعنى ان لكل عنصر في عملية الاتصال، سرعة تمثل حجم نشاط هذا العنصر، فهناك زمن المرسل، وزمن الرسالة، وزمن الوسيلة، وزمن المستقبل. على أساس ان هذه هي العناصر الفعلية في بناء الاتصال،

أما العناصر الأخرى، فتمثل التشكيلات القائمة على فعل الاتصال. إي ان رجع الصدى مثلاً : هو نتيجة فعل اتصالي يرمي إلى تحقيق ديمومة تواصلية وليس عنصراً أساساً في الاتصال. فعدم وجوده لا ينفي عملية الاتصال. لذلك فإن كل زمن لكل عنصر مقيد بنظام سرعة، ونظام السرعة هو نتيجة فعلية لعوامل التكنولوجيا وتطورها، لذلك فإن كل ما ينتج من تطور في المجال التكنولوجي يصب في خدمة تطوير منظومة السرعة،وبما أن العملية الاتصالية تحصل في زمن واحد، لذلك فإن سرعة كل عنصر في العملية الاتصالية يساوي سرعة العنصر الاخر، فكلما كان زمن الاتصال الكلي للعملية الاتصالية قليلاً،يعني أن كل عنصر في عملية الاتصال يتحرك بسرعة كبيرة مولداً، حالة من التماهي بين عناصر الاتصال وهذا ما يعرف بالاتصال فائق السرعة او الاتصال الرقمي ومثال عنه الاتصال عبّر الإنترنت، يصعب التمييز بينها، وإذا حدث العكس وكان زمن الاتصال كبيراً فهذا يعني إن، كل عنصر يتحرك بسرعة قليلة نسبياً، مما يسهل التمييز بين عناصرها وهذا ما يطلق عليه بالاتصال التقليدي.

أما فيما يخص الأثار التي يحدثها المجال العام في الاتصال بشكل عام والإعلام الجديد بشكل خاص، فإنه يسمح بفرص كبيرة للحوار، فهو يمثل منتدى لتبادل الاراء والافكار، لان هذا المجال ينشط بفعل عوامل اساسها المجتمع المدني، وتطوير منظومة السلطة، وتوسيع نطاق الحريات، لذلك فإن هذا المجال يفتح الباب واسعاً لإعلام يديره الفرد ويتأثر به المجتمع، كما إن السلوك الذي ينتجه هذا المجال، لا يمثل السلوك نفسه الذي ينتجه المجال التقليدي في الإعلام التقليدي،والذي يمثل حالة غلق المجتمع، في حدود ما تقبل به السلطة.لذلك فإن التأثير الناتج عن إعلام يولد في مجال عام خارج نطاق السلطة، والرقيب، والترهيب المتعمد او غير المتعمد، هو في حقيقة أمره تعبير عن رأي الفرد بالمجتمع الذي يعدُّ هو جزء منه، في الوقت الذي يحاول الإعلام التقليدي الحفاظ على مجاله في المجتمع بطرق مختلفة، لكن مستويات الثقة التي انتجها هذا الإعلام لم تعد بالمستوى الكافي لتحقيق قبول الجمهور، الذي أصبح يتطلع إلى مساحة للتغيير، وهذا بحد ذاته هو تغير في سلوك الفرد، الذي بدأ يشعر بأنه جزء من

منظومة التغيير،فضلا عنزيادة الثقة بالـذات، والإعـلام الـذي كـان في يـوم جـزءاً مـن المعركة مع العدو في اساليب الحرب النفسية، لم يعد من الممكن السيطرة عليه وتوجيهـه بالاتجاه الذي يحقق الأهداف المطلوبة، وهذا ما جعل الكـثير مـن الانظمـة الـتي لـديها خوف من سلطة الفرد، أن تسمح للاعـلام الجديـد أن ينمـو في مجتمعهـا، عـن طريـق اعتماد اسلوب التقنين في الحزم الاتصالية الناقلة للمعلومات، مما فسـح المجـال واسـعا للمجتمع عن العزوف بشكل أبرز عن وسـائل الإعـلام التقليديـة، وإعتمـاد اسـاليب الاحتيال على منظومة الاتصال الحكومية في كسر قيود الرقابة.

ثانيا : البيئة التواصلية الجديدة

إن مفهوم المجال العام يتداخل مع مفهـوم البيئـة التواصـلية، وهـذا التـداخل في المسميات يعود الى تشعب مجالات وتنوعها المفهوم الذي يرتبط بمفهـوم الميـديولوجيا أو علم الإعلام وهو مصطلح جديد، إسـتعمله ريجـيس دوبريـه (Re'gis Debray) في كتابـه علـم الإعـلام العـام*أي علـم دراسـة الوسـائط الماديـة الـتي يتجسـد عبرهـا الكلام،فقدقسم ريجيس دوبريه بيئة التواصل الإعلامي للبشر،على ثلاثة مجالات وهـي تمثل مراحل تطور عصور علم الاعلام كما يراها دوبري([1]) :

1- المجال الكلامي Logosphere أو الدائرة الكلامية،وأساسه حوارات الانسان.

2- المجال الخطيGraphosphereأو الـدائرة الخطيـة المطبوع،وفيـه تبعيـة الصـورة للنص.

*الكاتب الفرنسي ريجيس دوبريه وصف بـ «المفكر» وبـ «الفيلسوف» وبـ «الثوري» له كتب عدة قيمة ومفيـدة وأهمها كتابه الشهير "، كان له الدور في اطلاق مصطلح الميـديولوجيا، في كتابـه ال محاضـرات في علـم الإعلام العام- الميديولوجيا الذي صدر بالفرنسية وترجمه الى العربية فؤاد شـاهين وجورجيـت حـداد عام 1996، تضمن الكتاب الكثير من الافكار الثورية في مجال الإعلام وأكد على التغـيير النـوعي في المضمون المرافق للتغير الكمي في التكنولوجيا.

([1]) ريجيس دوبريه ، مصدر سابق ،ص 248.

3- المجال التلفازي Videosphere أو الدائرة التلفازية، وفيه المرئي هو صاحب السلطة.

وهو بذلك يقترب من تقسيمات مارشال ماكلوهان في عصوره الاتصالية عندما تحدث عن الحتمية التكنولوجيه. لكن الاختلاف هو ان دوبريه ينطلق من مفهوم التواصل بين المفهوم المادي الممثل بأشكال الميديا المختلفة والتواصل الحسي النابع من الرغبة في الاختيار، في حين أنّ ماكلوهان كان يعتقد أن المفهوم المادي للاتصال هو من يفرض نفسه على المضمون على أساس ان الوسيلة الاتصالية تحدد الحاجة الحسية وليس العكس. إلا أن العصور الميديولوجية لم تتوقف عند الحد الذي وصل له ريجيس دوبريه، إذ إننا نشهد عصراً ميديولوجياً جديداً ظهر مع حضور الإنترنت في العالم، نسميه بـ (عصر الإنتاج السايبري وركيزته الإنترنت المتمثل بالمجتمعات الافتراضية والفضاء السايبيري) يشرح لنا دوبريه في كتابه المذكور عن هذه العصور([1]). العصر الأول ويطلق عليه اسم المجال الكلامي (Logosphere) أو الدائرة الكلامية، وهو عصر لاهوتي ترسل الكتابة من الله، (الله يملي والانسان يدون ويملي بدوره)، وهنا يبرز مكانة الكلام المقدس والأزلي، (العقل البشري لا يخترع، فهو ينقل حقيقة تلقّاها)، ويطلق على العصر الثاني اسم المجال الخطي (Graphosphere) أو الدائرة الخطية، و فيه تبعية الصورة والنص، وضمان الحقيقة عبر الإنتاج الخطي ووفرته وفتح المجال للاختراعات والإبداعات، اما العصر الثالث فيسميه المجال التلفازي (Videosphere) أو الدائرة التلفازية، فقد انتقلت سلطة الإعلام إلى المرئي والمسموع، ونزول الكتاب عن منصته الرمزية، أما العصر الميديولوجي الذي نتحدث عنه فنسميه بالمجال الإنترنتي (Internetsphere) أو الدائرة الإنترنتية، وما يميز هذا العصر انه يضم العصور الميديولوجيه السابقة كلها، فهو يحتوي على المجال الكلامي، لكن الكلام في هذا العصر لم يبقِ حوارات بشرية لنقل ماهو إلهي، إنما إتخذ شكلاً جديداً من الكلام اعتمد على الحوار الألكتروني بين إنسان- وآلة، ينقل عن طريقها

([1]) نديم منصور، المصدر السابق ، ص 54 .

كل ما يريده من معلومات وكل مايحتاجه من تواصل، كما يحتوي على المجال الخطي، إذ تبرز الصحيفة الإلكترونية والكتاب الإلكتروني(e–book) والمواقع الإلكترونية التي اعتمدت على النص المكتوب، والاهتمام بالقراءة الإلكترونية على حساب القراءة الورقية التي من المتوقع أن تزول مع أرتفاع سيطرة هذا العصر الميديولوجي الجديد. وكذلك يحتوي على المجال التلفازي عن طريق ما يقدمه من إمكانية مشاهدة الأفلام والأخبار والرياضة والفيديو كليب وغيرها عن طريق المواقع الإلكترونية الكثيرة ولا سيما موقع يوتيوب (YouTube)، ويتميز هذا العصر الميديولوجي بنشوء المجتمعات الافتراضية التي سمحت للمشتركين في تكوين المجتمع الذي يرغبون به والتواصل ضمن الفضاء السايبري الرحب من دون حواجز مكانية وزمانية. هذا ما أدى إلى ولادة إعلام جديد –New Media– متقدمة عن الميديا التقليدية ([1]).

إن الطبيعة المتنوعة، المكثفة والمرنة لاستخدام الإنترنت تتناسب مع محتوى المعلومات وشكلها والتي يتم بناؤها وتوفيرها ([2]). لذلك فإن هذه البيئة التواصلية الجديدة استطاعت، ان تحقق نوعاً من المشاركة الواسعة للحوار بين المجتمعات،بمشاركة تقنيات وسائل الإعلام التقليدية ووسائل الإعلام الجديد معاً،إذ أستطاع الفرد ان يتجول مع المعلومات من دون قيود المكان والزمان، مثلاً يستطيع مواطن أن يشاهد برنامجاً حوارياً مسجلاً عرض سابقاً في أحدى القنوات الفضائية أو تصفح صحيفة فاته النظر لها، وهو يتجول في الشارع أو جالساً في مقهى، بل أكثر من ذلك يستطيع المشاركة في محتوى اتصالي هو يصنعه،أو التعليق عليه، هذا ما يوضح إن كلاَ من وسائل الإعلام التقليدية والجديدة قد تم استخدامهما في آن واحد،وإن هذه البيئة التواصلية المفتوحة استطاعت ان تكون مجالاً عاماً واسع المشاركة للمجتمعات كلها،ففي حين إن هناك مجال عام محلي لوسائل الإعلام التقليدية، يقوم على مفردات

([1]) نديم منصور، المصدر السابق ، ص 55.

([2]) اندريا بريس وبروس ويليامز ، البيئة الإعلامية الجديدة، ترجمة : شويكار زكى ، (القاهرة ، دار الفجر ، 2012) ، ص 35 .

المجتمع ضمن البقعة الجغرافية، فإن الإنترنت هو عالمي فقط لذلك فإن المجال العام المقترن بالبيئة التواصلية الجديدة هو عالمي وكوني أيضاً.

ويعتقد هابرماس أن المجال العام في المجتمعات الغربية قد بدأ ينشأ أول الأمر في الصالونات والمقاهي في لندن وباريس وعدد من المدن الأوربية الأخرى، وكان الناس يلتقون في هذه الأماكن ويناقشون قضايا الساعة عن طريق ما يقرأونه في النشرات والصحف التي بدأت بالصدور آنذاك، وأكتسبت المناقشات السياسية أهمية بالرغم من قلة عدد المشاركين فيها، إلا أن الصالونات أدت دوراً حيوياً في نمو الديمقراطية في مراحلها الأولى، لأنها أتاحت الفرصة لتداول الآراء وتبادلها حول القضايا السياسية عن طريق النقاش العام، ويمثل المجال العام، من حيث المبدأ على الأقل، التقاء الناس بوصفهم أفراداً متساوين في منتديات شبه مفتوحة للمناقشة العامة، غير أن الوعود التي انطوت عليها المراحل الأولى من تطور المجال العام لم تتحقق بكاملها، فقد أوشك النقاش الديمقراطي على الاختناق تحت وطأة صناعة الثقافة، وأدى انتشار وسائل الإعلام الجماهيرية وسطوة صناعة الترفيه الجماهيرية إلى تشويه طبيعة المجال إلى حد بعيد، ذلك أن مناقشة القضايا السياسية أصبحت مرهونة بما يدور في البرلمانات وفي وسائل الإعلام، فيما تجذّرت سطوة المصالح التجارية والاقتصادية وهيمنت على الصالح العام، ولم يعد " الرأي العام " يتشكل عن طريق النقاش العقلاني المفتوح، بل غدا محصلة لعمليات الاستمالة والتلاعب والسيطرة المفروضة عليه، كما تبدو على سبيل المثال في الحملات الدعائية والترويجية([1]).

يرى جون تومسون الذي تأثر بافكار هابرماس، إن موقف مدرسة فرانكفوت* من صناعة الثقافة كان يتسم بالسلبية البالغة، فوسائل الإعلام الحديثة، في رأيه، لا

([1]) انتوني غدنز، علم الاجتماع ، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2005) ، ص 511

* مدرسة فرانكفورت للفكر الاجتماعي: على الرغم من تأثر هذه المدرسة بأفكار كارل ماركس، إلا أنها دعت إلى مراجعة جذرية للأفكار الماركسية وعملت على تحديثها لتكون أكثر انسجاماً مع متطلبات القرن العشرين، وتعتقد مدرسة فرانكفورت أن الماركسية لم تول اهتماماً كافياً بآثار العوامل الثقافية عموماً في المجتمع الرأسمالي الحديث، ووضعت مدرسة فرانكفورت دراسات مكثفة وواسعة لما

تحرمنا من فرصة التفكير النقدي ; بل إنها في واقع الأمر تقدم أشكالاً كثيرة من المعلومات التي لم يكن بوسعنا أن نحصل عليها في الماضي، إن هابرماس ومدرسة فرانكفورت عموماً يعاملوننا كمتلقيين سلبيين لرسائل وسائل الإعلام أما تومسون، فيقول: " إن الأفراد يناقشون رسائل وسائل الإعلام عند استقبالهم لها، ويحاولون فور ذلك سردهم وإعادة سردهم لها وتفسيرها وإعادة تفسيرها والتعقيب عليها والسخرية منها وانتقادها، إن امتلاكنا لهذه الرسائل، وإدماجها في حياتنا يجعلنا قادرين على تنمية مهاراتنا ومخزوننا المعرفي وإعادة تشكيله، ثم اختيار مشاعرنا وأذواقنا، وتوسيع آفاق تجربتنا الحياتية " ([1]). ويرى فيليب ريتور " إن مفهوم المجال العام يقوم على أطار نظري صلب، يتسم ببعض مواطن الضعف – إذ يخفض المجال العام المعاصر إلى حركات موازية لـ (تخصيص المجال العام) و (تعميم المجال الخاص) الذي من شأنه أن يغير المجتمع، فقد حدّد تساؤلاً نجمت عنه السجالات اللاأحقة، صحيح أن هابرماس أهمل، في احتفائه الاسترجاعي بمجال عام موجّه كلياً نحو العقل، الرقابات المختلفة، والمساعدة على التوليف بين المشاركين، التي كانت تسهم في التقريب بين وجهات النظر: إن الازدهار الخجول لـ " مجال عام شعبي " لم يحظَ هكذا قط بحق الوجود ويترك " للشعب " على صعيد الكل يزوّد أي أن يجد لنفسه " ممثلين "، كما إن قواعد مدنية المجال العام لا تتهاود أطلاقاً مع الحضور النسائي، غير أن إحدى الفوائد الكبرى، بين فوائد أخرى كثيرة لهذا التحليل هي الإلحاح، كما أبرز ذلك كالهون " أن التوترات على مبدأ انفتاحي يُخضع كل مقترح للفحص النقدي، عملياً، بالمتعلمين

أسمته"صناعة الثقافة"، التي تعني في نظرها الصناعات الترفيهية والترويجية التي تدخل في عدادها أنشطة السينما والتلفاز والموسيقى الشائعة والاذاعة والصحف والمجلات، ويرى ممثلو هذه المدرسة أن انتشار صناعة الثقافة ، بما تنطوي عليه من منتجات سهلة نموذجية الطابع، من شأنها أن تقوض قدرة الأفراد على التفكير النقدي المستقل، مما أدى إلى أضمحلال الفنون الإبداعية ، وحصر انتشارها وتوزيعها في ترويج منتجات تجارية تتم فيها المتاجرة بجوانب منتقاة من التراث الفني.

(1) Thompson, John B: "The media and modernity,A social Theory of the Media" , Cambridge: polity, (1995).pp 42.

المثقفين، أي بأقلية ضئيلة من السكان، بينما صارت مشاركة العدد الأكبر لازمة ديمقراطية، فإن المسألة المعاصرة لنطاقات المجال العام تستحق فحصاً على الأقل" ([1]).

فإذا كانت المبادىء المكوَّنة للمجال العام البرجوازي تبدو قابلة للصمود بصعوبة في المجتمعات المطبوعة بالاقتراع العام وبوسائل الإعلام التعميمية، فإن قابلية المجال العام لاختراقات منطقيات أخرى غير المنطقيات المدنية، مهما كانت العصور، تستحق التشديد عليها. إن بناء قضية تستحق أهتمام "الجمهور" يستوجب التقيد بمجموعة قواعد واضحة حتى تشيد شرعيتها، ففي مجال عام تديره وسائل الإعلام إلى حد بعيد، غالباً ما يتعلق الأمر بالاستحواذ على الأهتمام، وأحياناً بدعم الصحافيين، لجعل القضية مرئية ولبلوغ الجمهور([2]).

إن المجال العام عند هابرماس قائم على اساس مفهومين، الاول : هو العقل الاداتي،والآخرالفعل التواصلي.فالعقل الاداتي يمتاز بالاستحواذ على كل منتجات التطور التكنولوجي وتأهيل القدرات العقلية لتفعيل ممارسة استخدام التكنولوجيا، حيث ينغمس العقل البشري في التعامل مع المنتجات التقنية بعقل المنتج وخياراته، وكل ما هو ابداع لا يعدو أكثر من جودة في الاستخدام، بسبب أن خيارات الاستخدام محدودة، والعقل البشري يحاول الاتصال بالعقول الاخرى عن طريق خيارات التكنولوجيا، لذلك فإن كل اتصال يمثل خياراً تقنيا، قبل أن يكون خياراً عقلياً،اما العقل التواصلي الذي هو مرتبط بالمجال العام فيقوم على فعل التواصل القائم على التفاعل الانساني غير المخطط له،وهو بحسب رأي هابرماس أساس التفكير والبلوغ العقلي، وهو بذلك يحتاج الى مجال غير الآلة لكي يتفاعل وقيمة التفاعل هنا تستند إلى تسخير التكنولوجيا للتواصل وليس العكس فعندما يكون العقل هو منبع التعبير والابتكار يكون بمقدوره الوصول الى الاهداف وتصبح الآلة وسيلة

([1]) فيليب ريتور، سوسيولوجيا التواصل السياسي، ترجمة : خليل أحمد خليل، (بيروت ، دار الفارابي، 2008)، ص 132-133.

([2]) فيليب ريتور، المصدر نفسه ، ص 134.

حقيقية وليست بديلاً للعقل الانساني. كما إن للتراكم المعرفي والثقافة دوراً في بناء المجال العام وزيادة مساحته، فقد شهدت السنوات التي اعقبت ظهر الانترنت تغير في مجال التواصل، وظهور انماط من التعامل الانساني الساعي الى إيجاد بدائل لوسائل تواصل غير التقليدي، ومع تنامي التكنولوجيا الاتصالية أصبح الفعل التواصلي يحتاج الى فضاء غير محدد بسبب اتساع المدارك العقلية للانسان.

ثالثاً: المجال العام والمجتمع الافتراضي

عندما نناقش شكل المجتمع الجديد على وفق ما انتجته التكنولوجيا من تغير في سلوك افراد المجتمع،فقد اثرت وسائل الاتصال على شكل المجتمع الذي يستخدمها؛ فإن ما لا يدع مجالاً للشك أن الملامح الأساسية للحياة الأنسانية قد أصابتها تغييرات جوهرية يتم ملاحظتها بشدة فيما يتعلق بالاتصال والاجتماع بين أفراد المجتمع. إن المجتمع المعاصر (الافتراضي) تبدلت وسائل الاتصال فيه بأخرى شبيه لها في المضمون، فعلى سبيل المثال أستبدلت الرسائل الخطية بالرسائل الالكترونية، والجلسات الأسرية والاجتماعية بالدردشة (chatting) التي يبدو من المستحيل أن تتوقف، فلا الزمان ولا المكان أصبح لهما تأثيراً يذكر، فلم يعد شرطاً، لان تتواصل مع المجتمع أن تتواجد بجسدك في المكان الذي يتواجدون فيه، حتى ولو كان هذا المجتمع في اليابان وانت في العراق. قد يبدو الأمر أن هناك تشابهاً بين ما سبق وبين أن تجري اتصالاً هاتفياً مع أحد على المسافة نفسها، ولكن الفرق كبير، فالاتصال بين فردين لا علاقة له باتصال الفرد بمجتمع قد يضم عشرات الأشخاص، وضعٌ كهذا كان غير قابل للتحقُق في الماضي.

إن المجتمع الجديد قد تجاوز الزمان والمكان، ففي حين يكون الفرد بداخل هذا المجتمع؛ فإنه يصبح في اللاّمكان واللاّزمان، فإن كنت تقوم بإجراء اتصال بعشرة أفراد مثلاً من الولايات المتحدة واليابان والمغرب... إلخ، فما هو الزمان والمكان الذي تكون فيه بالفعل ؟

يرىالدكتور بهاء الدين مزيد : (يبدو أن البشر طوال تاريخهم ظلوا يبحثون عن عالم موازٍ يعبرون فيه عما لا يستطيعون أن يعبروا عنه في عالمهم الواقعي، ويحققون عن طريقه ما لا يستطيعون تحقيقه في حياتهم المحدودة بقيود الزمان والمكان، والقواعد والتنظيمات الاجتماعية، لقد ظل البشر منذ فجر التاريخ يتطلعون إلى الانعتاق من حدودهم التي يرونها خانقة أحياناً بسبب ظروفهم الاجتماعية أو الاقتصادية أو النفسية) ([1]). كيفما كانت الصور التي أرادها البشر للعالم الافتراضي من قبلُ؛ فقد كان من الممكن أن يتم دراستها عن طريق علماء النفس والاجتماع، أما هذا الشكل الجديد للمجتمع فليس مجتمعاً واقعياً ملموساً، بل هو مجتمع افتراضي؛ لذلك يقوم بدراسته علم يجمع بين الحاسوب وعلم الاجتماع،إذ يرمي إلى بحث مسألة الاتصال عبّر الحاسوب، والعلم الذي يدرس العلاقة بين الإنسان والانترنت هو (علم اجتماع الإنترنت- الويب Sociology of the Internet)، وأحياناً يذُكر علم اجتماع الشبكات Sociology Network، وأهمها شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)؛ بالتركيز على الاستخدام المنتشر، والمتزايد سريعاً لشبكات الحواسيب، لاسيما الإنترنت، وتأثيراتها، أو تأثيرات هذا الاستخدام في المجتمع البشري.ونظراً إلى أن الإنترنت أصبحت لدى الكثيرين، فكثيراً ما يشار إلى هذا الميدان البحثي في دراسات الإنترنت بـ (علم اجتماع الويب Web Sociology) ([2]).إذ يتفاعل الإنسان مع الحاسوب، ويتحوّل إلى (إنسان رقمي افتراضي) يعيش على الشبكة المعلوماتية، ويتواصل مع غيره في أنحاء عالمنا الكبير كافة،لكن مع وجود الفضاء الافتراضي فإن طبيعة العلاقة بين الفرد والشبكة الاتصالية (الإنترنت) سوف تكون ضمن نطاق علم خاص هو علم الاجتماع السايبري Cybersociologyإذ يشير مفهوم هذا العلم إلى الدراسة العلمية الاجتماعية للمجتمعات الافتراضية، والحياة على الخط On-Line،

([1]) بهاء الدين مزيد ، المجتمعات الافتراضية بديلاً عن الواقعية - كتاب الوجوه نموذجاً، (جامعة الامارات العربية المتحدة،2012) ، ص 3.

([2]) علي محمد رحومة ، علم الاجتماع الآلي ، مصدر سابق ، ص 54-55.

ويمكن القول في هذا الصدد، إن علم الاجتماع السايبري، يركز في معظم أبحاثه على ما يجري من حركة رقمية، في (مجتمع الإنترنت) تحديداً. ونادراً ما يهتم، بتأثيرات مجتمع الإنترنت (السايبري) في المجتمع البشري الطبيعي ([1]). لذلك فإن دراسة هذا المجتمع، تحمل سمات خاصة، يكون من الصعب أن تفهم ضمن علم اجتماع المجتمعات البشرية في الواقع الملموس، والسبب يكمن في جوهر المستخدمين للشبكة فكل فرد في المجتمع له سمات خاصة تميزه وهذه السمات والخصائص هي التي يعتمدها علم الاجتماع في دراساته وتحليلاته، اما المجتمع الافتراضي فهو قائم على مستخدمين رقميين، وقد يكون لكل مستخدم وجوداًضمن فضاءالإنترنت في أكثر من موقع وقد يكون فاعلاً في جميعها ونشطاً في أخرى، بمعنى أن المستخدم يكون فاعلاً في مجالات متعددة في زمن واحد، وهذا ما لا ينطبق على مقاييس علم الاجتماع، وعند الولوج إلى شبكة الويب، نستطيع أن نشعر بفضاء أخر مغاير للذي نعيش فيه وفي كثير من الأحيان، يستطيع هذا الفضاء عزلنا بشكل جزئي او كلي عن الواقع الفعلي الذي نعيشه، لذلك فدراسة الفضاء الافتراضي، يحتم دراسة نوع خاص من المجتمعات الافراضية، التي تضم مستخدمين افتراضيين، وهناك من يرى إن المجتمعات الافتراضية تعتمد في جوهرها على المجتمعات الواقعية، وهذا الكلام صحيح، لكن عند النظر بدقة نجد إن شكل العلاقة الارتباطية التي تحكم المجتمعين هي في حقيقتها انعكاس لنوع المجال الذي تدرس فيه، فإن المجتمع الافتراضي هو امتداد للمجال العام، في حين أن المجتمع الواقعي هو امتداد للمجال الخاص او المحلي، بمعنى انه محدد بحدود الجغرافية والزمان والمكان والعادات والتقاليد... إلخ،وكل ما له علاقة بتحقيق روابط مشتركة قائمة على عوامل يجتمع عليها شكل المجتمع ونوعه. فمثلاً إن قيام واقع افتراضي لمجتمع واقعي محدد مغلق هو في حقيقة الامر لا يمثل المجال العام،بل يمثل مجالاً خاصاً محدوداً.

([1]) علي محمد رحومة ، المصدر نفسه ، ص 57-58.

يمكن لنا أن نلاحظ، عن طريق المعاينة المثابرة، إن التكنولوجيا الجديدة تتسم بأنها تتطور ضمن فضاء (مغلق)، وهو ما يجعل عملية تعميمها على مجموع الفضاءات الاجتماعية تواجه الكثير من الصعوبات. فهذه الخاصية التي تطبع نموها تظهر لنا المحدودية والقصور الذي يحكم تفاعلية الإنترنت، هو أمر يتعارض مع رؤية القائلين بـ (الأثر الشبكي)*، والتي يرى أصحابها أن تفاعلية الشبكة مرتبط بعدد المستخدمين لها. هذه السمة يتولد عنها أيضا ظهور فئة اجتماعية تربطها بالتكنولوجيا (علاقة جفاء)، على عكس (الألفة الحميمية) التي تميز علاقة بعض الفئات الأخرى بلأدارة نفسها.

وقد أكدت النتائج التي توصل إليها المجلس الأعلى للإعلام (CSA)* بفرنسا مثلاً، هذه الظاهرة في ثنائية بعديها.

لذلك فإن توسع المجال العام في فضاء الانترنت، عن طريق توسيع نطاق المجتمع الافتراضي، يتطلب مجموعة من الاجراءات التي تأخذ بالحسبان خصوصية كل مجتمع وثقافته وطبيعة استخدام التكنولوجيا، التي تعتمد على طبيعة السلطة ونظام الحكم في المجتمع الذي قد يفرض قيوداً على استخدامها.

---

*الأثر الشبكي : يطلق عليه البعض قانون ماتكالف Metcalfe (نسبة إلى مخترع برتوكول ايثرنات Ethemet Protocol) هذا القانون يفترض أن فائدة أو قيمة الشبكة مرتبط ، جدلياً ، بعدد مستخدميها . أنظر : الصادق رباح ، فضاءات رقمية قراءات في المفاهيم والمقاربات والرهانات ، مصدر سابق ، ص 60.

*استطلاع قام به المجلس الأعلى للإعلام فيما يتعلق بمسألة عوائق إقتناء التكنولوجيا ، أشار 44٪ من البيوت التي شملها الاستطلاع إلى أنها لا ترى فائدة في وجود الكمبيوتر بالبيت ، في حين تعتقد نسبة 37٪، وهي عموما من فئة الشباب المهمشين اجتماعياً، أن سعر الحاسوب مرتفع جداً في مقابل ذلك فإن 12٪ من البيوت التي لا تتوافر على تجهيزات حاسوبية، عدّت أن الحاسوب سلعة/جهازاً صعب التركيب ومكلفاً من ناحية الصيانة" . انظر : تحليل الاستطلاع الذي أجراه المجلس الأعلى للإعلام الفرنسي لصالح وزارة الصناعة ، أنظر :

https://fr.new.yahoo.com/030625/5/39zuy.html

لـذلك يمكـن تعريـف المجتمـع الافتراضـي أنـه : (جماعـة مـن البشـر تـربطهم أهتمامات مُشتركة، ولا تربطهم بالضرورة حدود جغرافية، أو أواصـر عِرقيَّـة أو قَبليَّـة أو سياسية أو دينية، يتفاعلون عبّـر وسـائل الاتصـال ومواقـع التواصـل الاجتمـاعي، ويطوّرون فيمـا بيـنهم شـروط الأنتسـاب إلى الجماعـة، وقواعـد الـدخول والخـروج، وآليـات التعامـل، والقواعـد والأخلاقيـات الـتي ينبغـي مراعاتهـا) ([1]).فـالمجتمع الافتراضي مجتمع يضم الأفراد كلهم من الجنسيات والقوميات واللغـات كلـها، مـن الأفكار والمعتقدات والخلفيات كلها، من الديانات والثقافات كلها، وهو مجتمع معقـد، لكنه شامل وموحد، ومن هنا كان على مصممي البرمجيات التكنولوجية.

أن يفهموا هـذا التعقيـد، ويرتقـوا إلى مسـتواه، ليحققـوا الانـدماج الاجتمـاعي الآلي، الذي عجزت عنه الكثير من المجتمعاتالحقيقية على تحقيقه ([2]).

لذلك فالمجتمع الافتراضي يمثل مجتمعـاً تشـاركياً غـير منعـزل يقـوم علـى مبـدأ الحوار العام، بدون قيود المجتمع الواقعي، وعلى الرغم من سلبيات المجتمع الافتراضـي التي قد يستغلها البعض للتضليل ونشر الكراهية في المجتمع، لكنـه مجتمـع مفتـوح بعيـد عن الرقابة، كما هو الحال في المجتمع الواقعي،وهذا لا يمنع من كونه مجتمعاً يفتح المجـال واسعاً للابداع والتصور في فضاء يوفر ادوات كثيرة للمستخدم لنشـر رسـائله ومعرفـة رسائل أخرى، مما يساعد على توسيع مداركـه بشـكل اكـبر ممـا كانـت تقدمـه وسـائل الإعلام التقليدية ضمن مجالها المحلي،إذ نجد على سبيل المثال إن التلفيزيون يقدم رسـالة محلية، عن طريق خطاب محلي حتى لو استخدمت بعـض القنـوات الفضـائية، أسـاليباً متعددة منها، مخاطبة الجمهور الاجنبي بلغته، لكن يبقى الخطـاب الإعلامـي هـو محلـي الطابع، وهذا الحال نفسه في وسائل الإعلام التقليدية، أما في فضاء الإنترنـت فالوضـع مختلف، بحكم مجاله العام غير المتجانس، الذي وفر أدوات التكنولوجية لخدمة الوظيفـة الاتصالية بين شرائح المجتمع غير المتجانسة، وقد سـاعد في انشـاء فجـوة معرفيـة، بـين

([1]) بهاء الدين مزيد ، المجتمعات الافتراضية بديلاً عن الواقعية ، مصدر سابق ، ص 4.

([2]) نديم منصوري ، سوسيولوجيا الإنترنت ، مصدر سابق ، ص 87.

المجتمع الافتراضي والمجتمع الواقعي، هذه الفجوة المعرفية تـزداد كلمـا انتقـل الجمهـور من مجاله المحلي الى المجال العام. هذا لا يعني الهجرة الرقميـة كمـا يـذكر ذلـك الـدكتور حارث عبود : (إن الحديث عن بيئة اتصالية جديدة أو واقـع إعلامـي جديـد لا يعـني الحـديث عـن حداثـة التقنيـة وحسـب،أو آليـات انشـغالها، وجـودة عمليـة التواصـل وسلاستها فقط، بل كذلك ما نشأ عن هذا الواقـع وبيئتـه مـن أنسـاق عـيش ومنـاهج حياة وبنى فكرية وظواهر اجتماعيـة اسـتدعتها ضـرورات التحـولات الجديـدة هـذه) (1) .

لقد تسببت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات على مدى العقود الثلاثة الماضـية في تقسيم المجتمعات البشرية في العالم الثالث على فئات ([2]) :

1- فئة أغمضـت عينيهـا عمـا يجـري مـن تحـولات في البيئـة الاتصـالية، وأدارت ظهرهـا للتطـورات المتجـددة في هـذا الحقـل، واكتفـت ببقايـا مـا تـوفره التكنولوجيا التقليدية من معارف وخبرات.

2 - فئة هاجرت إلى العصر الجديد القائم على تكنولوجيا العصر، وأتقنـت بعـض مهارات التعامـل مـع مبتكراتـه الرقميـة، لكنهـا لم تـزل تفكـر طبقـاً لوعيهـا التقليدي، وتتعامل مع الواقع المعاصر بكثير من الحذر والتردد.

3 - فئة انتقلت بوعيها كله وأنتمائها إلى العصر الجديد، وأندفعت بقـوة للانـدماج كلياً مع معطياته التقنية دون الالتفات إلى الخلف، حتى باتت جزءاً أصيلاً مـن مكونات بيئته الجديدة.

وتمثل الفئتان الثانية والثالثة حالة الهجرة نحو المجال العـام للحـوار المعتمـد علـى التقنية وكل منتجاتها. ويعد المجال العام للحوار الأساس في قيام المجتمـع الافتراضـي،إذ

([1]) حارث عبود ، مزهر العاني ، الإعلام والهجرة إلى العصر الرقمي ، (عمان ، دار الحامد ، 2014) ، ص 74 .

([2]) حارث عبود ، مزهر العاني ، المصدر نفسه ، ص 14 .

يمثل الحيز الذي يسمح بنمو المجتمع، فكلما زاد فهم افـراد المجتمـع لحقيقـة التقنيـة ومـا ترمي له يزداد الانـدماج الاتصـالي بـين الفـرد والتقنيـة، حيـث تمثـل أغلـب حـالات الادمان التكنولوجي في مجال الانترنت، اندماجاًاتصـالياً للمكـون الفكـري للفـرد مـع المكون المادي للتكنولوجيا، بالاعتماد على مهارات الاتصـال وتكنولوجيـا المعلومـات المتطورة.

رابعاً : نظريات التقنية والمجتمع

لا يوجد معارض للعلاقة الوثيقة المتبادلة التي تجمع التقنيـة* بـالمجتمع الحـديث، لكن لا يوجد إجماع على طبيعة تلـك العلاقـة ومـدى التـأثير المتبـادل بينهمـا. بعبـارة أخرى، وبالعلاقة مع التقنية المخصوصة التي نتناولها هنا، يمكن تقديم الجـدل القـائم في شأن طبيعة العلاقة بين التقنية والمجتمع الحديث كما يأتي : هل المجتمع هو الـذي يجعـل الإنترنت على ما هو عليه؛ أم أن الإنترنت هو الذي يجعل المجتمـع علـى مـاهو عليـه؟ بعبارة أخرى : هل الحواسيب الشبكية مجرد أدوات، أم أنها شيءٌ يفـوق ذلـك ؟ وهـل التقنيات مجرد وسائل لبلوغ غايـات خارجـة عنهـا وأبعـد منهـا ؟ أم أنهـا تحـدد تلـك الغايات (ولا تقتصر على خدمتها) ؟ والاهـم مـن ذلـك، هـل تلـك الغايـات تخـرج

---

*__التقنية__: كلمة "Technology" (التقنية) التي تجمع بين الكلمتين اليونانيتين القديمتين "techne" و" logos " وتشير كلمة "techne" إلى الفنون العملية ، تلك الأشكال من المعـارف التطبيقيـة الـتي تـؤدي، في حـال تنفيذها بمهارة إلى صناعة أشياء مفيدة . ويفضي التركيز على هذا الجانب من الكلمـة إلى النظـر إلى التقنيـة على أنها أداة أو آلة محايدة يستخدمها البشر لتحقيق غاياتهم، وهي غايات لا علاقـة لهـا بالوسـيلة التقنيـة المستعملة لتحقيقها . أما كلمة "logos" فتشير إلى "الكلمة" أو المنطق، وفي مدلولها الأوسع تشير إلى تقـدير البشر لشيء ما، وهو تقدير يجمع العناصر المتفرقة لتتحول إلى مكونٍ منطقـي متجـانس . ويوصـل التركيـز على هذا الجانب من الكلمة إلى النظر للتقنية بعدّها ممارسة توحّد البشر ونشاطهم على نحو مخصـوص مـن حيث كينونتهم في العالم ، وهي منطق جامع لمجموعة محددة من الغايات والعلاقات الاجتماعية، وهي بمنزلة نتاج يجسّد تلك الكينونة وتلك الغايات والعلاقات. وهكذا تحمل كلمة تقنية في طياتها معنيين على الأقـل. وغالبًا ما تتحوّل النقاشات في شأن طبيعة التقنية وعلاقتها بالممارسات الاجتماعية والتشـكيلة الاجتماعيـة إلى جدال يتعلق بطريقة الفصل في التجاذبات القائمة بـين المعـاني المختلفـة الـتي تبـدو متناقضـة . أنظـر : دارنبارني، مصدر سابق ، ص 52.

التقنية نفسها ؟ هناك عدد من النظريات التي أعطت تصورات عن العلاقة بين التقنية والمجتمع ومنها ([1]) :

1- النظرية الأداتية :

تقوم هذه النظرية على فرضية أن التقنية هي أدوات محايدة ووسائل لا جوهر لها، تتمخّض عنها نتائج تعتمد تماماً على استخدام الناس لها. وتوصف هذه النظرة بـ" الأداتية "؛ لأنها تحصر التقنية في كونها أدوات صمّمها الإنسان بفضل مهارته كوسائل لإتمام عدد من الغايات التي يراها ذات فائدة. وبهذا المعنى، تكمن أهمية التلفيزيون مثلاً، بعدّه تقنية، فاعلة لنقل المعلومات إلى الأفراد وتزويدهم بالمعارف والاخبار ذات المنفعة لهم.وتكمن أهمية الإنترنت أيضاً في تيسير تبادل أحجام هائلة من المعلومات بسرعة فائقة بين الأفراد تفصل بينهم مسافات شاسعة. على وفق المقاربة الأداتية، فإن الوسائل التقنية يمكن أن تستخدم لتحقيق غايات مختلفة -على سبيل المثال، يمكن أن تنقل الإنترنت ثقافة المواطنة الديمقراطية و/ أو الرقابة للحريات- ويمكن أن تُعَدّ تلك الغايات إما جيدة وإما سيئة، وإما مهمة وإما تافهة، لكن في العموم، لا تعدُّ التقنية هي السبب لذلك كله بنفسها. وبحسب هذا الانموذج، لا يمكن توجيه اللوم إلى التقنية إلا في ما يتعلق بفاعليتها في إتمام ما كلفت بها من غايات. ولا يمكن الحديث عن تقنية جيدة وأخرى سيئة، وإنما على تقنيات فاعلة وأخرى قاصرة، لذلك ينصب التقويم الأخلاقي والسياسي على الغايات لا على الوسائل. والإنترنت مثلاً لا يمكن تقويمه استناداً إلى معياري الخير والشر، وإنما إلى معيار الكفاءة والقصور.

لكن من الضروري القول إن المقاربة الأداتية لا تُقصي الأخلاق؛ ذلك أنه على الرغم من أنّ تلك المقاربة تلتزم بالمبدأ القائل إن التقنيات حيادية تجاه الغايات، تُعَدّ كذلك جزءاً من التقليد الحديث الذي يرى التجديد التقني بشكل عام ممارسة ضرورية.

([1]) دارن بارني ، المصدر السابق ، ص 53.

وتشهد الوقائع في خضمّ التطورات السريعة أن هناك قوة تتجاوز إرادة الإنسان ومراقبته، لأنها لا تصدر عنه، بل وتمنع كل مشروع سياسي أو أخلاقي يريد السيطرة عليها، بمعنى اخر إن التحكم في التقنية أصبح أمراً صعباً، وذلك لان التقنية تراقب نفسها بنفسها، مثال ذلك : موقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك، يضع بعض الضوابط الاخلاقية في نشر المحتوى الاتصالي وتداوله، وهناك خطوات، يتبعها الموقع للسيطرة على المخالفات وحظر من يخالف أخلاقيات الموقع وخصوصياته والتي وافق عليها المستخدم قبل التسجيل،ويحاول اختراق بعض الحسابات، حيث يعمل في شركة موقع الفيسبوك عدد كبير من الموظفين للسيطرة على الموقع ومراقبته على مدار الساعة، لكن موقعاً مثل الفيسبوك الذي ينمو بشكل كبيرفقد وصل عدد مستخدميه النشطينإلى1.44 مليار واربعمائة واربعة واربعين مليون مستخدم نشطب حسب تقارير موقع الفيسبوك للربع الاول من عام 2015 ([1]). لذلك فالموقع يحتاج إلى عدد هائل من الافراد لغرض المراقبة، والذي حصل إن شركة الفيسبوك والمطورين الذين يعملون فيها، أوجدوا نظاماً خاصاً للمراقبة متكوناً من تقنيات اخرى، هي برامج تعمل على وفق نظام خاص في المراقبة، إذ أصبحت التقنية تراقب نفسها بنفسها. وهذا ما أكده مارتن هايدغر في حوار له مع صحفيين من جريدة شبيغل : "التقنية في كينونتها شيء لا يستطيع الإنسان التحكم فيه" ([2]).

([1]) انظر الموقع الالكتروني لتقرير الربع الاول لموقع الفيسبوك :

http://investor.fb.com/releasedetail.cfm?ReleaseID=908022

([2]) محمد عابد الجابري ، التواصل نظريات وتطبيقات ، مصدر سابق ، ص 136.

2- النظرية الجوهرانية* :

تفترض هذه النظرية إن طبيعة الوسائل التقنية تكمن في جوهرية الغاية الـتي صممت لأجلها، وتعمل التقنية بمعزل عن التأثيرات المحيطة، ويمكن ألا تكون الآلات مسؤولة عن الغايات التي استخدمت للأجلها. مثلما يرى غرانت : " لا يفرض علينا الحاسوب الطريقة التي يتعين استخدامه بها " (1).وقد صاغ هذه النظرية كل من علماء الاجتماع: ماكس فيبر ومارتن هايدغر وجاك إلول وجورج غرانت وألبرت بورغمان، إن المنظرين لهذه النظرية يرون أن التقنية ليست حيادية بل تجسد قيّما معينة. ولذلك فإن انتشارها ليس بريئاً تماماً. والأدوات التي تستخدمها تشكل نمط حياتنا في المجتمعات الحديثة،إذ إنّ التقنية هي الفاعل الرئيس في حياتنا. وفي هذه الحالة، لا يمكن الفصل بين الوسيلة والغاية، بمعنى إن وسائل الاتصال مثلاً، هي في جوهرها أدوات لا معنى لها، ويكمن المعنى الاساس لها في المجتمع الذي تعمل فيه هذه الأدوات، فجوهر التقنية كما يصفها ماكس فيبر إنها (قفص حديدي) يقبع في داخلها اسرار. فالأنترنت،يمثل الحيز الذي يتجلّى فيه مزيج من تلك السمات التي هي جزء لا يتجزأ من جوهر التقنية وروحها وكينونتها، وبهذا المعنى، فإن التغييرات التقنية هي لدى منظري الجوهرانية ضرب من الاسترسال والتمادي للمسار الأساس الذي أتخذه مجتمع التقنية. وهنا يطرح سؤال مهم، هل تمثل الإنترنت قطيعة مع التقنيات السابقة لها، أم أنها على العكس من ذلك كانت برهاناً قاطعاً على الاستمرارية والتواصل مع تلك التقنيات ؟ ولكي نجيب بشكل دقيق عن هذا التساؤل، من الضروري الفهم

* الجَوْهَرُ (في الفلسفة) : ما قام بنفْسِه وضده العرض (الظاهر) . وهو الاصل ، الجوهر هو الموجود لا في الموضوع ، يقابله العرض (accident) أي الموجود في موضوع ، والجوهر عند ديكارت هو الشيء الدائم الثابت الذي يقبل توارد الصفات المتضادة ، من دون أن يتغير ، كاللون والرائحة والبرودة والحرارة التي تتوارد على قطعة الشمع ، فهي أعراض متغيرة ، أما جوهر الشمعة فدائم لا يتغير ، وعند اسبينوزا الجوهر هو الذي لا يحتاج تصوره إلى حمله على غيره . انظر : جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، (بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1971) ، ص 245.

(2) Grant. " Technology and Justice ", Toronto, House of Anansi,(1969), p. 21.

المسبق، للدور الذي كانت تقوم به وسائل الاتصال التقليدية قبل ظهور الإنترنت في المجتمعات بشكل عام،إذ كان المجال العام للحوار التشاركي غير معروف بشكل واضح وذلك لأن الانظمة الشمولية بحكم طبيعتها لا تسمح إطلاقاً بوجود مجال عام يعتمد بحسب رأي هابرماس على : الشمولية، والمصداقية، والملاءمة، والإخلاص إذ يتم التشارك بالحوار بعقلانية والتواصل إلى توافق بشأنها، وفي الواقع فإن التوزيع غير المتساوي للقوة والموارد يؤدي إلى تشويه الاتصال، إذا لم يكن هناك مجال عام بالشكل الذي وصفه هابرماس في مجتمعات وسائل الاتصال التقليدية، واقتصر الحوار على المجتعات المتفقة والاحزاب، ولم يتعدَ ذلك، وكان دور وسائل الإعلام والاتصال محدوداً ولم يحقق البناء الفعلي لمجال عام بسبب سيطرة الدولة عليه والرقابة على المحتوى الاتصالي له، لذلك فقد كان المحتوى الاتصالي الذي سبق ظهور الإنترنت، محتوى محلي بأمتياز،وفي بعض الأحيان يكون اقليمياً بحسب طبيعة المجتمعات المجاورة ومستوى التقارب في الفهم بينها لمضمون الرسائل الاتصالية ذات المنفعة المشتركة، فضلا عن الرقابة المحلية للمحتوى الاتصالي، لكن ظهور الانترنت وتطور مجالاته، مكّن من سيطرة وسائل الاتصال على المجتمع والسلطة، والسلطة هنا تعني الرقابة وأحتكار المحتوى الاتصالي،وقد استطاع جوهر التقنية في مجتمع الإنترنت إن يجد المستخدمين النشطين والمؤثرين في المجتمع، بالاعتماد على مضامين اتصالية تمثل جوهر التقنية السابقة التي تم توظيفها عبّر مجال عام وفره الإنترنت، وإذا كان من المفترض على الإنترنت إن يغني الحياة الثقافية والعلمية للإنسان، فيُفترض كذلك إنه سيجلب المزيد من الوئام والوفاق بين بني البشر، مما يؤدي إلى مزيد من فهم البشر لبعضهم بعضاً، وزيادة الروابط الأخوية بين بني الإنسان لتكون النتيجة تحسين ظروف التوترات الاجتماعية والدينية والسياسية،وتؤيدتلك التوقعات الإيجابية للمفكرين والعلماء، إن الإنترنت ألغى الحواجز والمسافات التي كانت تفصل بيننا مما يسمح بمزيد من الوئام والوفاق، وقد مكنت الإنترنت من معرفة كيف يفكر الآخرون، وكيف يتحدثون وسمح بفضاء من الحرية للمجتمع كي يبدي وجهة نظره، ووجهة النظر هذه يراها الكثير من المفكرين وعلى رأسهم نيكولاس نيجربونتي مدير معهد ماساشوت

للتكنولوجيا لصناعة الإعلام فقد قال في كتابه (كن رقميّاً) : " في الوقت الذي تُجمع فيه التوترات السياسية بين الفرقاء، فإن هناك جيلاً جديداً ينشأ من رحم الإلكترونيات الرقمية، والخالي من التوترات القديمة.. والتكنولوجيا الرقمية هي الخيار الطبيعي لنا لنجعل العالم أكثر دفئاً وسعادة " ([1]).لذلك لا يمثل الانترنت قطيعة مع التقنية السابقة، بسبب إن جوهر الاستخدام قائم على مبدأ الاعتماد التشاركي ويهدف في جوهره إلى ما ترمي له وسائل الاتصال التقليدية في جوهرها من تحقيق المنفعة للمجتمع.

3- نظرية البناء الاجتماعي :

تستمد هذه النظرية جذورها من التحليلات السوسيولوجية والتاريخية للعلوم التي أجراها مفكرون، مثل توماس كون، وبول فيرابند، وساندرا هاردنغ، ومثلما توحي تسميتها، فإن الافتراضات الأساسية لنظرية البناء الاجتماعي تتمثّل في **عدّ منتجات التقنية غير منبثقة عن روح التقنية نفسها– هذا إن كان لهذا المفهوم وجوداً أصلاً، فالنظرية البنائية الاجتماعية تنفي ذلك كلياً- بل هي نتاج تفاعل بين التقنية المعنية والعلاقات – البيئة الاجتماعية التي توجد فيها – أما المبدأ الذي يتحكم بنتائج التقنية فليس بالامر الضروري.**

يرى منظّروالنظرية البنائية إن طرقاً كثيرة تنبع من الأشكال الأولى للتقنية الجديدة وفيما يكون الإقبال على بعضها كبيراً جداً، يُهجر بعضها الآخر سريعا... وكان في الإمكان لبعض البدائل التقنية التي تركت أن تستعيد نشاطها بدلاً من تلك التي لقيت رواجاً ونجاحاً. ولا يكمن الفرق في الفاعلية والتفوق اللذين تتسم بهما بعض التصاميم الناجحة من التقنية، بقدر ما يكمن في الظروف المحيطة بظهور كل نتاج. فالبيئة المحلية هي المحدد لنجاح نتاج أو فشله ([2]).

والمثال على ذلك : البريد الالكتروني الذي يعد من أولى الخدمات التي تم تطويرها على الإنترنت، كما أنه يعد وأحداً من أهم الخدمات المرتبطة بالاتصال

([1]) عبد الله علي الشنبري ، ماذا فعل بنا الإنترنت ، (دبي ، دار مدارك ، 2014) ، ص 363-364.

([2])Feenberg." Questioning Technology ", London , Routledge, (1999) , p.10 .

الشخصي وينطوي البريد الإلكتروني على إمكانية إرسال رسالة من كمبيوتر – أو جهاز مرتبط بشبكة الـ wifi مثل الهاتف الخلوي - إلى لآخر ويستطيع الناس استخدامها في الاتصال ببعضهم بسرعة فائقة مهما كانت المسافة الفاصلة بينهم([1]). وتقنية البريد الإلكتروني تمثل إحدى تقنيات النشر الإلكتروني بالاعتماد على الإنترنت، لكن هل استمرت هذه التقنية بالاستخدام للغرض نفسه، أم ان الاستخدام بدأ يتقلص ويختزل لاستخدامات محدودة ؟ مثل نقل الملفات والصور والمراسلات التجارية وغيرها، والجواب هو ظهور تقنيات جديدة أكثر انسجاماً مع البيئة الاتصالية الجديدة،فمواقع التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك، وتويتر، ويوتيوب، وماي سبيس، تمثل التقنية البديلة للتقنية السابقة، وهي في حقيقة الامر جزء من

الاستخدام السابق للبريد الإلكتروني تطور بحكم تطور البيئة الاتصالية، فقد اتسع نطاق المجال العام للمشاركة في الحوار بين افراد المجتمع مما تطلب تطوير المجالات التقنية للاستخدام بما يحقق أهداف الاتصال،إذ إن ما ينتج عن استخدام البريد الإلكتروني يمثل نطاقاً محدوداً في الاتصال وهذا الاختزال في الاستخدام ناتج عن تأثير البيئة الاتصالية الجديدة، التي تسمح بأختزال مجالات الاستخدام وتصنيفها لما هو في صالح المستخدم. كما إن تقنية البريد الإلكتروني لم تهمل،إذ نجد أن كل موقع من مواقع التواصل يرتبط بالبريد الإلكتروني للمستخدم، فلا يمكن التسجيل في موقع من دون كتابة البريد الإلكتروني، ولكن على الرغم من أهمية البريد الإلكتروني إلا أن المستخدم تجاهل دوره الفاعل، والسبب إن ما نتج عن تطور تقنية النشر الإلكتروني من فروع أصبحت أكثر أهمية من المنتج الأساس.

بناءً عليه، لن يكون الطابع الاجتماعي للتقنية، بحسب النظرية البنائية، متجانساً أو شاملاً أو تتحدد خصائصه، على نحو كلّي، على وفق منطق التقنية وجوهرها، بل على العكس، فالإنترنت : تتسم بطابع تعددي وغير متجانس، وستظل خاضعة على

([1]) ماجد سالم تربان ، الإنترنت والصحافة الإلكترونية رؤية مستقبلية ، (القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، 2008) ، ص 60.

الدوام لنمط العلاقات الاجتماعية السائد والأوضاع المحيطة التي تـدعم أحكامـاً معينـاً للتقنية وتنفيذ الإمكانات الأخرى في سـياق معـين، وبهـذا المعنـى يمكـن للإنترنـت أن تظهر بأشكال عدة في أماكن عدة، بل بأشكال عدة في مكان واحـد. وهـذا يعـني أيضـاً أن قيمة الإنترنت الواقعي ليست قيمةً في الحقيقة؛ فالأثر الذي ينجم عـن تلـك التقنيـة سيكون نتاجاً للتنافس التفاوضي، أي أنه نتاج للسياسة، ويختلف طابعه تبعاً للأوضـاع الأيديولوجية وميزان القوى السائدين في منطقة ما.

ومثال ذلك أن موقع الفيسـبوك، عنـدما أنشـأه مـاركزوكربيرج كـان يهـدف إلى تعريف مجتمع الكلية التي ينتمي لها مـاركزوكربيرج، بـالطلاب في اقسـام اخـرى وبمـن تخرج من الكلية، وكان بمثابة كتاب لوجوه الطلاب، لكن الموقع غير سياسته بعـد أن تم شرائه من قبل شركة للاتصالات، أي بمعنى أخـر أن الطبيعـة التقنيـة للموقـع لا تمثـل التأثير بقدر السياسات والايديولوجيا التي أعيد بها تصـميم الموقـع وتطـويره، وبـذلك يكون مستوى التأثير للموقع يتبع بشكل كبير سياسات الموقع وأهداف الشـركة المالكـه له.

خامسا : المجال العام والإعلام الجديد

إن وسائل الإعلام (هي بصورة أساسية حاملة لغـة، أي مكـبرات للتواصـل اللغوي، كمـا أنهـا لهـا ميـزة إزاء الزمـان والمكـان، إذ إنهـا تجعـل تـداول الخطـاب – الإعلامي- مكثفاً للغايـة) ([1])، وذلـك التواصـل إنمـا يصـاغ مـن متطلبـات الإعـلام والدعاية والعلاقات العامة، وبذلك فالمجال العام على الـرغم مـن التشـكيك بفاعليتـه بفعل الدعاية المهيمنـة، فإنـه يمتلـك مقومـات الفاعليـة والإمكانيـة للـتفكير بعقلانيـة، وتداول النقاشات، بما فيها المشكلة السياسية ([2]). وعليه فالإعلام يؤدي دوراً أساسـياً

([1]) مارك جيمنز ، ما الجمالية ؟، ترجمة : شربل داغر ، (بـيروت ، المنظمـة العربيـة للترجمـة ، 2009) ، ص 407.

([2]) ألن هاو ، النظرية النقدية مدرسة فرانكفورت، ترجمة : ثائر ديـب ، (دمشـق ، منشـورات وزارة الثقافـة السورية ، 2005) ، ص 102 .

في عملية التواصل، فهو عامل إشهاري لمواضيع النزاع والنقاش داخل المجتمع، كما وهو عامل محفز للنشاط السياسي – الاجتماعي، فهو يجعل من الفعل الاجتماعي قوة مؤثرة بإتجاه السلطة، ويصح العكس أيضاً، حينما تستخدم الدولة المؤسسة الإعلامية للتزييف أو الهيمنة والحفاظ على النمط والنسق الحاكم، فمن الوسائل المهمة والمسائل المركزية لتقديم النقاش العام في العالم، دعم الصحافة الحرة والمستقلة، والحاجة إلى وسائل إعلام جماهيرية حرة وقوية، تُدرَك بسرعة في أرجاء العالم شتى([1]). وتشكل وسائل الإعلام أهمية شديدة، لدعم التواصل مع بعضنا البعض، وفهم العالم الذي نعيش فيه، كما في حالات حرية التعبير، وإشهار مواضيع النقاش، بذلك تمثل وسائل الإعلام الحرة، غير المقيدة، عاملاً مهماً في الحياة الاجتماعية- السياسية، لاسباب عدة منها ([2]) :

1- إن غياب هذه الوسائل بصفتها الحرة، ومنع الناس من التواصل السليم بصورته الإشهارية، يقلل من أهمية الحياة الإنسانية ويحط من نوعيتها.
2- إن للإعلام دوراً أساسياً في نشر المعرفة والنقد، فهي تمارس دور الكشف عن المعلومات من جهة، وتحليلها والتحقق منها والتحقيق فيها من جهة أخرى.
3- للإعلام وظيفة حماية المهمشين والمهملين، عن طريق إيصال أصواتهم، إسهاماً في الأمن الاجتماعي، والاتصال بين الحكام والسياسيين، الذين غالباً ما يكونوا منعزلين عن المجتمع.
4- إن تشكيل القيم، عبّر التواصل والأنفتاح والنقاش تعتمد الإعلام لجعل العملية التفاعلية لإنتاجها خاضعة لمعايير عامة كونية عبّر نقاش ممكن، تسهله وسائل الإعلام تلك.

([1]) أمارتيا سن ، فكرة العدالة ، ترجمة : مازن جندلي ، (بيروت ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، 2010) ، ص 472.

([2]) أمارتيا سن ، المصدر نفسه ، ص 473-474.

يـرى هابرمـاس : " إن فاعليـة الإعـلام تنبـع مـن متطلبـات اسـتقلال النظـام الإعلامي المنظم ذاتياً، والشكل الصحيح للعلاقة بـين المجـال العـام السياسـي والمجتمـع المدني، وتلـك الفاعليـة تكشـف بـدورها عـن أزمـات الشـرعية ونواقصـها في النظـام السياسي، لذلك يجب التمييز بين النظام الإعلامـي وبيئتـه المنتجـه لـه مـن جهـة وبـين التدخل الذي قد يقع عليه من قبل الأنساق السياسـية والاقتصـادية مـن جهـة أخـرى " (1).

ولذلك يعتقد هابرماس : " إن مـواطني المجتمعـات الحديثـة مسـتعدون لإنتـاج نظام ديمقراطي ثابت عن طريق نقاشاتهم حول الفضاء العام وفيه، وينبغي أيضـاً أن لا يكون مكان السجال السياسي هذا صغيراً أو مستعمراً من وسـائل الإعـلام وسـلطات أخرى تصادر الكلام، ولذلك تعاني الديمقراطية مـن انصـراف المـواطنين عـن الفضـاء العام، لأنه لم يعد فيـه مـن يصـغي إلـيهم أو حتـى يسـمعهم، ولعجـزهم عـن إحيائـه بأنفسهم " (2).

لذلك فإن المواصفات كلها التي تمثـل تكـوين المجـال العـام، مـن الصـعب أن تتحقق في بيئة اتصالية وإعلامية، تفرض سلطة رأس المال السيطرة عليهـا، وإن ابتعـدنا عن سلطة الدولة، فإن رأس المال هو من يدير الخطـاب الإعلامـي، ويحـاول السـيطرة عليه، بما يحقق له المنفعة المادية،ومن الواضـح إن سـلطة المـال وسـلطة الدولـة، تمـثلان محور عمل وسائل الإعلام التقليديـة، ومثـل هـذه البيئـة الاتصـالية لا تسـمح بتـداول الخطابات الإعلامية والرسائل التواصلية، لانها تحاول تمرير الايـديولوجيا المخطـط لهـا مسبقا من سلطة الدولة أو سلطة المال، لذلك لا وجود لمجال عام بـالمعنى الحقيقـي لـه، قائم على حوار تشاركي غير مقنن ولا مقيد، ولكل فرد فيـه حريـة ومسـاحة للتعـبير،

---

(1) Habermas, " Political communication in Media Society : Does Domocracy Still E an Epistemic Dimension? International Communicatio Association, communication theory , Vol 16, 2006, p.420.

(2) إيريـك كيسلاسـي ، الديمقراطيـة والمسـاوات ، ترجمـة : جهيـدة لاونـد ، (بـيروت ، معهـد الدراسـات الاستراتيجية ،2006) ، ص 78-79 .

وهنا نجد إن تأثير التقنية انعكس بشكل إيجابي على بناء منظومة اتصالية تمثل بيئة جديدة للحوار وتبادل الافكار. هي بئية الإعلام الجديد القائم على النشر الإلكتروني الحر للمستخدم.

ويمكن عدّ واقع المجال العام الافتراضي على الإنترنت، مجرد انعكاس للوجود الواقعي وإعادة إنتاج له، ولا يقدم مجالاً عاماً بديلاً عن المجال العام الواقعي.

لكن الواقع بحسب جان بودريار Jean Baudrillard، عندما ينتقل بفعل وسائل الاتصال يصبح صورة للواقع، ومن ثمَّ فإن الإعلام يقدم صورة عن صور الواقع الموجود. وعليه يمكن للإعلام هنا أن يكون منتجاً لـ (المعنى) بحسب الفرضية الأولى التي يقدمها بودريار في كتابه المصطنع والاصطناع، عن طريق ما يطلق عليه (عامل زيادة الفاعلية). والمعنى بحسب بودريار هو **قيمة***، تُعرف على وفق نظرية المدخلات والمخرجات لديفيد إيستون في (كتابه النظم السياسية المقارنة)، بأنها تمثل إحدى مرتكزات تفاعل النسق الاجتماعي والسياسي. من هنا يمكن التوقف عند مصطلح (الاصطناع) الذي يقوم به الإعلام بوصفه عملية (إنتاج القيم) أو ما يسميه بودريار (انغماس المعنى في الميديا)، القائم على عملية إعادة إنتاجه على مستوى القاعدة، وهي عملية يسميها (أيديولوجيا حرية الكلام) ([1]).

هذه الأيديولوجيا نجد تطبيقها في الإعلام الجديد والتي نشأت افتراضياً في وسائل التواصل الاجتماعي؛ وعند متابعة مواقع التواصل الاجتماعي، نجد أنها ساعدت في تداول مجموعة من القيم والرموزالاجتماعية والسياسية بين افراد المجتمع وترسيخها، مما أحدث تغييراً كبيراً ضمن الرأي العام حول قضايا المجتمع مثل : كشف الفساد في السلطة الحاكمة والحث على مكافحته، وقضايا وطنية أخرى ذات تأثير

---

*القيمة : لا يمكن النظر إلى القيمة في المدلول اللفظي الإيجابي ، وإنما القيمة تحمل مدلولات بحسب طريقة إنتاجها اجتماعياً .

([1]) جان بودريار ، المصطنع والاصطناع ، ترجمة : جوزيف عبد الله ، (بيروت ، المنظمة العربية للترجمة ، 2008) ، ص 147.

مجتمعي، وهذا التغيير سببه تطور هذه الوسائل التي تساعد على التفاعل ضمن الإطار الجماهيري، وتنتج التغير بسرعة وفق النتيجة التي توصل إليها (جون تومسون) لدى دراسته المجال العام عند هابرماس، حيث رأى : "أن وسائل الإعلام الجماهيرية تغير التوازن بين ما هو عام وما هو خاص في حياتنا، وأن المجال العام لا يمكن أن يضيق، بل يتزايد بصورة أكبر مما كان عليه نتيجة الحداثة والتقنية الرقمية التي تفضي إلى تزايد المناقشات والمساجلات حول القضايا العامة" ([1]).

ومن ثمَّ كانت درجة تأثير المجتمع الافتراضي مرتبطة عموماً بالسياسات الحكومية في مجالات الاتصالات، والقيود المفروضة. وهذا يخص مواقع التواصل الاجتماعي، ولاسيما موقع الفيسبوك Facebook الذي تعرض للحجب من السلطة الحاكمة مع كل تغير عسكري أو سياسي يتعرض له بلد معين ولاسيما أماكن النزاع والثورات التي شهدها المجتمع العربي،والتي تأثرت بشكل مباشر بتطور مجال الاتصالات، لكن هذا الحجب لم يمنع مستخدمي مواقع التواصل من إيجاد بديل أو الضغط على السلطة لالغاء الحجب، في الوقت الذي تخطط السلطة لتقليص المجال العام في الإعلام الجديد، نلاحظ العكس،إذ يشهد هذا المجال زيادة ملحوظة في الولوج له والمشاركة فيه، مما يزيد ذلك من فاعلية مواقع التواصل الاجتماعي ومن ثمَّ زيادة في التأثير المجتمعي.

وبنظرة سوسيولوجية، نجد أن استخدام وسائل التواصل الاجتماعي يكثر عادةً في أوساط فئة الشباب الذي كان المستخدم الأكبر بالدرجة الأولى للتطور التقني الحديث، بحكم إدماج مادة المعلوماتية في المناهج الدراسية، وشيوع اقتناء جهاز الكومبيوتر والهواتف المحمولة الذكية،فضلا عن الفئات الوسطى في المجتمع التي تكيفت مع هذه التقنيات وظيفياً، والتي أصبحت جزءاً من تفاعلات هذه الفئات ضمن نمط الاستخدام الإلكتروني الحديثة الشائعة من جهة، ومن جهة أخرى فإن مواقع

([1]) أنتوني غاندز ، علم الاجتماع – مع مدخلات عربية ، ترجمة : فايز الصياغ ، (بيروت ، المنظمة العربية للترجمة ، 2005 ، ط 4) ، ص 516-517 .

التواصل الاجتماعي تتطلب تلقائياً ارتباطاً دائماً بالإنترنت،ومن ثمّ تتطلب القدرة على دفع مستحقات الولوج إلى الشبكة، وهذا ما يجعل الفئات الوسطى في مقدمة المتفاعلين افتراضياً معها. وهذا يتبع انماط استهلاك الفرد في المجتمع، ومستويات الانفاق – المستوى المعاشي لفئات المجتمع – وهو متغير بين مجتمع وأخر، لكنه يبقى عاملاً مؤثراً في مستوى الاستخدام للإعلام الجديد، فالطبقة الفقيرة في مجتمع أما أن تكون ذات تفاعل محدود مع الشبكة الإلكترونية، أو راكنة إلى المعطيات التي يقدمها جانب الإعلام التقليدي الاقل كلفة، المتمثل بالقنوات الإعلامية (تلفاز، صحافة)، عن طريق التفاعل بين المجال العام الذي أنتجته وسائل التواصل الاجتماعية، والقنوات الإعلامية التي تعدّ الفاعل الرئيس في المجال العام الواقعي.

ومن ثمَّ يمكن القول إن زيادة الاعتماد على وسائل التواصل الاجتماعي سببها الرئيس احتكار الدولة للإعلام من جهة، وعملية التنمية التي تؤدي إلى توفير المستلزمات التقنية من حواسيب وغيرها، وانتشارها على نحو يسهل عملية التواصل الاجتماعي افتراضياً عبّر الإنترنت من جهة أخرى. في إنتاج واقع كسر حاجز التعتيم أو فقدان المعلومة المحتكرة، إذ أضحى من غير الممكن تطويق الحدث بمنع المراسلين أو الصحفيين من تقصي المعلومات في مدينة أو قرية ما، وبرز المواطن المراسل الناقل للحدث بأدواته البسيطة التي قد تقتصر على هاتف محمول من الجيل الثالث أو الرابع، وإرسالها عبّر وسائل التواصل الاجتماعي التي مثلت مجالاً عاماً قادراً على توصيله إلى وسائل الإعلام التقليدية المتابعة التي أخذت على عاتقها إرادياً أو نتيجة افتقاد هامش حركتها في مصدر الحدث، تعميمه ونشره. وبغض النظر عن مدى صدقية الرسالة السياسية واقترابها أو ابتعادها من الحقيقة، ففي حالة الخبر، يكمن القول إنه ينشر بتصرف مع تعليق نقدي من دون الالتزام بقواعد التحرير ومحدداتها في الصحافة الرسمية ([1]).

([1]) عزمي بشارة ، الثورة التونسية المجيدة : بنية ثورة وصيرورتها من خلال يومياتها ، (الدوحة ، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، 2012) ، ص 144.

لقد أحدثت مواقع التواصل الاجتماعي ووسائله فجوة معرفية برزت نتيجة تدفق المعلومات،من فئات اجتماعية ذات سمة انتاجية تعرضوا لهذه المعلومات بمعدلات أسرع من فئات ذات سمة استهلاكية، ومن ثمّ نلحظ أن فجوة المعرفة بين الفئتين تزداد وذلك نتيجة هيكلية وسائل التواصل الإلكتروني، والسيطرة الإعلامية، وقوة الانتشار، والرغبة الجارفة نحو الإخبار.

تبرز أهمية وسائل التواصل الاجتماعي بعدّها نظاماً للمعلومات، لا يتوقف دورها على الحصول على المعلومات، ولكن يرتبط بالنظام الاجتماعي والحراك المعرفي والسلوك الشخصي، وهي تتطلب اجراء عمليات متعددة من الضبط والسيطرة تظهر آثارها في التباين في حجم المعلومات وما تنتجه من أثر اتصالي. لذا نجد أن مفهوم العرض الانتقائي للمعلومات مع المفاهيم الخاصة بترتيب الأولويات والغرس الثقافي وتوجيه الرأي العام، عن طريق الأفكار والمعاني المنتقاة التي تستهدف رسم صور ذهنية معينة للوقائع الاجتماعية، ومن ثم تتفق مع أهداف المستخدم لوسائل التواصل الاجتماعي وعلاقاته وانتماءاته. في إطار النظريات الوظيفية نجد أن الجانب الترفيهي الذي تهتم به وسائل التواصل الاجتماعي، يعدُّ ضمن نظام المعلومات، ويقوم بدور كبير في التعامل مع الصور الرمزية المؤثرة في الاتجاهات، والبعد عن الواقع الاجتماعي وتحدي الضبط الاجتماعي ([1]).

ويكمن النظر للتغير الاجتماعي برؤية (حتمية) التحول في ثلاثة مسارات هي :

1- الحتمية التقنية Technological Determinism.

2- الحتمية الاجتماعية Social Determinism.

وإن لكلا المسارين وجهات نظر تدعم تفسيره، إلا إن التفسير الذي قدمه بعض المفكرين في اختلاف معدل التغير في كل من الثقافة المادية واللامادية، نتيجة التأثير التقني في المجتمعات يعد الأساس في التحليل الاجتماعي لتقنية الاتصال، مع احتمال

([1]) عبد الرحمن بن ابراهيم الشاعر ، مواقع التواصل الاجتماعي والسلوك الإنساني ، (عمان ، دار صفاء للنشر ، 2015) ، ص 240-241 .

حدوث تصادم بين التغير التقني والتغير الثقافي، ويترتب عليه خلل وظيفي مما يؤثر في تفكير أفراد المجتمع، وتتوتر القيم والإيديولوجيات السائدة (1).

وتبرز الحتمية الاجتماعية في مقابل الحتمية التقنية على أساس أن القوى الاجتماعية بأنواعها تمتلك زمام تطوير التكنولوجيا، وتؤثر في تطورها وتوجيهها. وأشتهر في هذا الاتجاه الأمريكي لزلي وايت، وقدم وايت الطرح الآتي : "إن النسيج الاجتماعي هو الثقافة المتقدمة بخطى التكنولوجيا، وتبني المجتمعات البشرية ثقافياً بواسطة المادية التكنولوجية، وتبنى اجتماعياً بفعل التطور الاجتماعي، بمعنى جدلية الاجتماع / التقنية" (2).

تعد وسائل الاتصال عنصراً أساساً في المجتمع، لكن النظر إليها على أنها أساس عملية التغير الاجتماعي ينقلنا إلى دائرة الحتمية، وهذا ما رفضه علم الاجتماع المعاصر، وتؤدي الثقافة اللامادية، كالإيديولوجيات السياسية والاجتماعية إلى تغير واسع في حياة المجتمع، وأكثر من تأثير الثقافة المادية في بعدها التكنولوجي، ولكن يصعب قياس هذه التغيرات المادية واللامادية، مما أدى إلى ان تكون النظرة نسبية في فهم العلاقة بينهما.

ويعد التحول عبّر التطور التكنولوجي هو جوهر الإعلام، وما يبدو اليوم جديداً يصبح قديماً بظهور تقنية جديدة، ألم يكن الإعلام جديداً مع ظهور الطباعة، والصحافة، والاذاعة، والتلفيزيون، ذلك كله لأن طبيعة التحول التي تقود إليها التقنية، في بعدها العلمي والإيديولوجي، تقتضي النظر في أمر ما يسميه ماكلوهان بالحتمية التكنولوجية. اذن مفهوم الإعلام الجديد هو في واقع الامر يمثل مرحلة

---

(1) علي محمد رحومة ، الإنترنت والمنظومة التكنو – اجتماعية ، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2007) ، ص 75.

(2) علي محمد رحومة ، المصدر نفسه ، ص 83 .

انتقالية من ناحية الوسائل ([1]). أما من ناحية المحتوى الاتصالي، نجد أن التكنولوجيا الجديدة، سمحت لشكل جديد من المحتوى الاتصالي، وذلك عن طريق دمج المحتوى الاتصالي للإعلام التقليدي وإعادة إنتاجه،فضلا عن محتوى اتصالي يقوم على مبدأ المواطن الصحفي أي ان قواعد التحرير تكون في أغلب الاحيان غير موجودة، ويغلب عليها الطابع العفوي، ولعل هذه الميزة، هي التي تعطي المحتوى الاتصالي بعداً يختلف كلياً من حيث المفهوم الاكاديمي والمهني للرسائل الاتصالية المنظمة التي تعدها جهات ذات دراية ومعرفة في مجالات العمل الصحفي المحترف، الذي لا يبتعد كثيراً عن الايديولوجيا التي يعتمدها وفقاً لسياسة جهة النشر، لذلك فإن البعد التكنولوجي أثر في المحتوى الاتصالي.

ويجد الباحث أن مفهوم الإعلام الجديد هو الافضل إعتماداً من مفاهيم كثيرة، متداولة في هذا المجال، بالاعتماد على دلالات المستخدم والمحتوى الاتصالي، الذي يمثل تجديداً جذرياً في مفاهيم البناء الصحفي وقواعده المعتمدة في الإعلام التقليدي، فمستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي يمثلون الجمهور الناقد، والمستخدم الفاعل، والمحتوى الاتصالي المستخدم أيضا، فكل صفحة للمستخدم تمثل نشراً ذاتياً وهي محتوى عام للجمهور، إذن فكل مستخدم هو في حقيقة ذاته محتوى اتصالي رقمي، متداول في سياق نظام التشبيك العام – الإنترنت – ومعنى الجديد لا يقاس على وفق منطق القديم، ولكن الجديد يعني التغير الذي يحصل على الفكر البشري والذي ينعكس على التطور التكنولوجي، والفكرة القائلة إن ظهور وسائل الاتصال التقليدية وتطورها على مر الزمن لم يلغِ ما سبقها من وسائل. هذه الفكرة قد تبدو منطقية، لكن عند التدقيق فيها نجد أن الفجوة الزمنيةبين تطور كل وسيلةأتصالية وأخرى كان متبايناً بشكل كبير، فظهور الصحافة كان مصاحباً لتطور الطباعة. وكانت الصحف دائمًا الوسيلة الرئيسة للصحفيين منذ عام 1700م، ثم أضيفت المجلات في القرن الثامن

[1] عبد الله زين الحيدري ، الإعلام الجديد النظام والفوضى ، ابحاث المؤتمر الدولي ، "الإعلام الجديد : تكنولوجيا جديدة لعالم جديد" ، (جامعة البحرين ، 2009) ، ص 128 .

عشر، والإذاعة والتلفزيون في القرن العشرين.إذ نجد إن الفجوة الزمنية لظهـور وسـيلة إعلامية جديدة تتقلص مع ارتفاع مستوى التطور في حقل الاتصـالات. وعلـى الـرغم من أن كل وسيلة اعتمدت على شكل خاص من النشر، لكـن تشـترك كلـها في البنـاء المؤسسي،إذ تمثل قاعدة متينة للدولة فضلا عـن كونهـا واجـه للمجتمـع،إذ تمثـل مـرآة مشوشة للمجتمع المحلي، ولا يخفـى تحيزهـا للسـلطة،لأنها أداة مـن أدوات السـلطة في نشر ايـديولوجياتها في المجتمـع، فكـل تطـور في وسـائل الاتصـال كـان يفـرض علـى المؤسسة الإعلامية، آليات جديدة في تسويق الخطـاب الإعلامـي – المحتـوى الاتصـالي المخطط له – لذلك فكل ما هو جديد في وسائل الاتصال والاعـلام، كـان يعـني طرقـاً جديدة لتسويق الخطاب الإعلامـي ولـيس تغـيير الخطـاب الإعلامـي، وهـذا يعـني إن التغيير في محتوى الرسائل الاتصالية كـان تغـييراً ظاهريـاً – في الشـكل ولـيس المحتـوى الجـوهري- لـذلك نجـد إنالوسـيلة لم تسـتطع إحـداث تغـيير في المنظومـة الصـحفية للمؤسسة الاعلامية، والتغيير الذي حصل هو في تطوير نظام تحرير الخطاب الإعلامـي وتسويقه إلى الجمهور، ويبقى الهدف هو الجمهور بنفسـه،فهو المتلقـي الصـامت، فكـل سلوكظاهر لدى جمهـور وسـائل الإعـلام التقليديـة، هـو نـاتج عـن تلـوين في شـكل الخطاب الإعلامي بما ينسـجم وإحـداث أكـبر تأثير،فقـد كـان الجمهـور لـدى وسـائل الإعلام بمثابة المتحسس – المجس- لما يجب تغييره في نـوع الخطـاب الإعلامـي، وبمـا أن التأثير في الجمهور يعتمد علـى الكـثير مـن المـؤثرات وابرزهـا المسـتوى المعـرفي لـدى الجمهور، لذلك فإن مستوى الثقة للجمهور بدأ يقل بوسائل الإعـلام التقليـدي، شـيئاً فشيئاً بسبب عوامل كثيرة لاربما أهمها سيطرة الدولة عليهـا وأنتشـار تقنيـات اتصـالية جديدة أكثر قبولاً واستخداماً فضلا عن انصراف قسم كـبير مـن الجمهـور إلى قنـوات اتصال جديدة أقـرب إلى مزاجـه، لـذلك فـإن الصـحف بـدأت تتراجـع فمـثلا، عـام 1959م كان 80٪ من الامريكيين يقرأون الجرائـد يوميـاً. وقـد هـبط عـام 2011 م ليصبح 50٪ ولا يزال يتراجع. والأمر مماثل في أنحـاء العـالم. فمـا بـين عـامي1995م و2003م، تراجع توزيع الجرائد نحو 5٪ في العالم أجمع. وفي عام 1892م، كان يوجـد في لندن 14 جريدة مسائية؛ ولا يوجد فيها عام 2011 م غير واحـدة (أو ثلاثـة، تبعـاً

لتعريفك للجريدة). وفي المملكة المتحدة أيضاً، عادت 19٪ من نسخ الجرائد المسلّمة إلى البائعين في الربع الأول من سنة 2006 م مرتجعات، وتقترب معدلات ارتجاع – عدم بيع – ثلاث صحف وطنية من 50٪. وإذا تواصلت هذه الاتجاهات، فربما تخرج آخر نسخة من الجرائد من المطابع في وقت ما من عام2040م، بل إن الناس لم يعودوا يثقون بالجرائد. بحسب دراسة أجريتعام 2006م،أظهرت إن 59٪ من الأميركيين لا يصدقون ما يقرأونه في الجرائد، مقارنة بنحو 80٪ في عام 1985م ([1]).وفي الاتجاه الآخر تشهد مجالات الإعلام الجديد تطوراً واضحاً، إذ نجد أن شبكة الإنترنت تسمح بمرونة أكثر لتغيير أنماط الاستخدام،إذ إن تطور الاستخدام من شكل المدونات الالكترونية، إلى مواقع للحوار التشاركي الاكثر فاعلية، ولم تكن تلك برغبة من المدونين بل برغبة التكنولوجيا،فيجد المستخدم – المدون- نفسه أمام خيارات جديدة للنشر، فيقوم بأستبدال مجاله المعروف به من الجمهور – المدونه الخاصة بالمستخدم- إلى مجال متاح أكثر شعبية، وحتى مواقع التواصل الاجتماعي التي تشهد منذ العام 2005م الذي يمثل انطلاق موقع مثل (الفيسبوكFacebook) لعموم افراد المجتمع؛ تتنافس مع بعضها البعض في استقطاب أكبر عدد من المستخدمين، وقد يبدو موقعاً مثل (تويترTwitter) أقل شعبية في مجتمع معين، في الوقت الذي يشهد إقبالاً كبيراً في مجتمع أخر، فقد لا يروق لمستخدم تعود على الكتابة والنقد المفصل، قبول تقنية 140 كلمة التي يفرضها الموقع على المستخدم، بالتقنية الجيدة في وقت تمثل هذه التقنية أفضل خيار لمن لا يجد الوقت الكافي للكتابة،في حين يفضل مستخدمين أخرين التعبير عن طريق تصوير مقاطع الفيديو للحياة الخاصة، أو ما يعتقدون أنه مهم وقد يحقق مساحة كبيرة للمشاهدة والاعجاب، فأنهم يلجؤون إلى موقع (اليوتيوب YouTube) الذي يعد أكبر أرشيف للافلام المتحركة ومقاطع الفيديو، وهناك من

([1]) رتشارد واطسون ، ملفات المستقبل موجز في تاريخ السنوات الخمسون المقبلة ، ترجمة: عمر سعيد الايوبي، (ابو ظبي ، دار كلمات ، 2011) ، ص 103- 104.

يفضل نشر الصور الخاصة به أو الصور العامة، مستخدماً موقع مثل (فليكرFlickr) وهو موقع لمشاركة الصور والفيديو، وحفظها وتنظيمها. يعدُّ أيضاً جمعية لهواة التصوير على الإنترنت. وهناك مواقع أخرى تحقق رغبات مختلفة للمستخدم لكنها في مجملها ترمي إلى تعزيز مبدأ المشاركة، من مرجعية عفوية وغير منتظمة تأخذ من مبدأ حرية التعبير والإستقلال عن الإلتزامات كلها الإيديولوجية أو الإقتصادية القائمة دون قيود وهو ما يشير إلى أن الإعلام الجديد هو حصيلة مواقف فكرية، تعمل بالإعتماد على قاعدة التشكيل الذاتي وبعيداً عن النظرة القيمية، لذلك يعد من الضروري أن نتعامل مع هذه الظاهرة الإتصالية والإعتراف بها بحثياً، وتأطيرها ضمن تحولات المثل الجماعية التي تشقها العديد من الإفرازات، ومنتجة لسلطات رمزية خصوصية ([1]).

وقد وضعت (جمعية الإعلام البديل) الأميركية ثلاثة معايير يمكن عن طريقها تمييز ما هو جديد عن ما هو سائد ومهيمن من الإعلام ([2]):

1- يجب أن لا يكون المحتوى الاتصالي ذا صبغة تجارية

2- يجب أن يتجه إلى تقديم عنصر المسؤولية الاجتماعية أي خدمة الصالح العام.

3- على المستخدم أن يقدم نفسه بعدّه مستخدماً يعبر عن تيار جديد في الإعلام.

ويمكن تحديد الإعلام الجديد – الإعلام الاجتماعي – كنسق فكري وعملي يبحث عن الرقي بالإنسان – فرداً أو جماعة – كفاعل أو كموضوع للاتصال. ويمثلالإعلام الجديد الفرصة للمجتمع المدني ليقدّم مكوناته المختلفة، ليتعرفوا بعضهم على بعض وليتحاوروا في ما بينهم، وهو الإمكانية المفتوحة لكل مواطن أو مجموعة من المواطنين للدخول بحرية وبفعالية للاتصال مع مواطن آخر أو مجموعة أخرى في

([1]) جون هارثلي وأخرون ، الصناعات الابداعية ، ترجمة : بدر السيد سلمان الرفاعي ، (الكويت ، عالم المعرفة ، 2007) ، ص 73.

([2]) جون هارثلي وأخرون ، المصدر نفسه ، ص 76.

جو من التسامح والاحترام ([1]).من ذلك يتبين إن الإعلام وحده لا يصنع التغييرفي المجتمع، وأن التغيير هو نتاج إرادة عامة، يحركها دافع افراد المجتمع الطبيعي نحو التغيير والاصلاح، والإعلام إنما هو أداة من مجموعة أدوات،قال ميشيل فوكو : " إن الثورة الإيرانية انتشرت بشريط الكاسيت" ولم يقل إن شريط الكاسيت - الذي كان في حينها تقنية جديد من تقنيات الإعلام- هو الذي صنع الثورة" [2] لذلك إن هذه الإدوات بدون وسائل الإعلام الجديدة قد لا تساوي شيئاً، والعكس صحيح، لذلك فإن التغيير في مجتمع هو نتاج عوامل تفاعلت مع بعضها لتنتج لنا تغييراً بأسلوب جديد، غير أنماط الحياة، مضيفاً عليها مزيداً من التفاعل والتواصل، لان الإعلام الجديد لا يحتاج إلى تمويل كبير، فكل ما يحتاجه الفرد في المجتمع ليكون مشاركاً وربما صانعاً للتغيير نحو الافضل، هو هاتف ذكي وكاميرا وحاسوب، وتواصل مستمر مع قنوات الإعلام التقليدي، لان اللإعلام الجديد يستفيد من قنواته، فالكثير من الأحداث كان السبق فيها للمدونين أو لبعض مواقع التواصل الاجتماعي. من ذلك جاء اعتقاد البعض بأن الإعلام الجديد هو الإعلام القادم، فالكثير من قنوات البث الفضائي يمكن أن توقف بثها المباشر وتعرض خدماتها على الإنترنت، فضلا عن أن اغلب القنوات الفضائية لديها حسابات مثلاً على فيسبوك،ويوتيوب. وعليه فإن الإعلام الجديد هو مرحلة انتقالية من الركود إلى الوعي السياسي، وبالتأكيد مرحلة أنتقالية في تغيير شكل المجتمعات، من مجتمعات مغلقة إلى مجتمعات مفتوحة بفعل تعزيز دور المجال العام وتفعيله.

([1]) نهود القادري عيسى ، قراءة في ثقافة الفضائيات العربية الوقوف على تخوم التفكيك ، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2008) ، ص 231.

([2]) ميشيل فوكو ، فوكو صحفياً ، ترجمة : البكاي ولد عبد الملك ، (بيروت ، جداول ، 2012) ، ص 79.

المبحث الثاني

مفهوما الزمن والسرعة في عملية الاندماج الاتصالي

أولاً : الزمن

لعل المجال التعريفي الذي يمكن الاستناد إليه هنا أن نعرض تعريفات موجزة للزمن، يجسده مصطلحاً متناولاً في مباحث كثيرة مختلفة، وهي بمجملها لا يمكن تجاهلها، لأنها تعاريف مهمة، يُلجأ إليها أحياناً للتشخيص والحكم والدلالة.

فالزمن أو الزمان في اللغة العربية كلمتان مترادفتان من حيث المعنى والدلالة، فالزمن أو الزمان يعني أسم لقليل الوقت وكثيره، والزمان في أصله من الزمن. والزمن في قواعد اللغة ما دلّ على الماضي والحاضر أو الحال والآتي أو المستقبل (زمن الفعل)[1].

أما الزمن الطبيعي أو الفلكي أو الاصطلاحي فهو ما أقره الإنسان في مجتمعه من وحدات زمانية اختبارية اصطلاحية، اصطنعها العلم من أجل تنظيم خبرة الإنسان، التي قسمها على وحدات السنين والشهور والاسابيع والايام..إلخ. والزمن الفيسيولوجي لا نعرف له وجوداً حقيقياً، بل نعرف آثاره التي تدل عليه، فهو يظهر فيما يعترينا من تغيرات في أجسامنا ووظائف أعضائنا، أما (الزمن الفيزياء الحديثة) فيقسمه نيوتن على زمانين، مطلق وتقريبي، أما الزمان المطلق فهو الزمن الحقيقي الرياضي، وهو زمن قائم بنفسه، مستقل بطبيعته لا ينسبإلى شيء خارجي، ويسير بتتابع ورتابة، ويسمى أيضا المدة، أما الزمان الآخر فهو الزمن المعياري ظاهرياً، وهو مقياس حسي خارجي لأنه مدة بواسطة الحركة، وهو الزمان المستعمل في الحياة العادية، ويكون الزمن على هيئة ساعات وأيام وشهور وأعوام، وينظر العالم سحاق نيوتن إلى أن كلا الزمانين المطلق والمعياريموجودان في الخارج، وليس شيئاً من وضع النفس، أما آنشتاين فإنه يؤكد معيارية الزمن، إذ لم يعد للزمن المطلق وجود في نظريته، حتى الزمن المستعمل في الحياة العادية، الساعات والشهور والاعوام، وإن الزمن على

([1]) أنطوان نعمة ، وأخرون ، المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، مصدر سابق ، ص 622.

الأرض لا يتماثل مع الزمن في كواكب أخرى، وليس التباين في الزمن قائماً بين الكواكب والأجرام السماوية فحسب، بل إن الزمن نفسه لا يجري في أنحاء الكون جميعه بالتساوي، ولعل أبرز ما تثيره نظرية آنشتاين في مسألة الزمن هو تكثيف الزمن أو اختراقه عبّر سرعة الضوء، فالزمن يتغير بحسب السرعة بالعامل نفسه الذي يغير فيه البعد السرعة (انكماش الطول)*، ويصبح الزمن صفراً في اللحظة التي يصبح فيها الطول صفراً، وذلك عندما تصبح سرعة الجسم هي سرعة الضوء، أي إن السائر بسرعة الضوء لا زمن له. والزمن النفسي هو أنبثاق الزمن من داخل الذات، ومن أعماق مشاعرنا، أو هو الزمن الذي يكمن في الخبرة الإنسانية، ويخضع لحركة الزمن في مجرى الأحداث، أو هو سرعة تتابع الحالات الشعورية، أو بعبارة آخرى هو النظام الإيقاعي الذي يعطي شكلاً ذاتياً خاصاً لتتابع هذه الحالات الشعورية ([1]).

إن إحساس أفراد المجتمع بالزمن وإدراكه متجذر في مناحي الحياة كلها، وعبّر مراحل الحياة الفردية، فالإنسان كائن ذكي وله توقعات مدروسة، أي إنه ينظم حياته، ويصوغها في طيات الماضي والحاضر والمستقبل، أي إن الزمن متغير، يحمل في طياته دلالات نفسية واجتماعية، سواء أكان الزمن في الإنسان أم الإنسان في الزمن.

فالإنسان دائماً أمام حالات ثلاثة، يستوعب فيها الزمن، إي إنه إما أن ينصرف إلى الحاضر، فيغوص في انطباعاته الحياتية الراهنة، فيكون الزمن لديه اليوم، واما يلتفت إلى الماضي بذكرياته، فيكون الزمن لديه الأمس، وإما يتشوق إلى المستقبل أو يتوقعه، ويكون الزمن لديه حينذاك الغد. وينبثق إثر ذلك مسألة مهمة جداً، يتأملها ويدرسها علماء النفس والفلاسفة والفيزيائيون على السواء، تتمحور حول عملية (عزل الحاضر) أو (وصف الحاضر وتحديده). وذلك بالإجابة عن التساؤل الآتي : ما

---

*انكماش الطول : بمعنى أذا كانت المسافة بين نقطتين تساوي صفر فإن الزمن المستغرق للوصول من نقطة إلى أخرى صفراً ايضاً. انظر : ميشيو كاكو ، كون إنشتاين كيف غيرت رؤى ألبرت إنشتاين من إدراكنا للزمان والمكان ، ترجمة : شهاب ياسيت ، (القاهرة ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، 2012، ط2) ، ص 74.

([1]) علي شاكر الفتلاوي ، سيكولوجية الزمن ، (دمشق ، دار صفحات ، 2010) ، ص 16-17.

الحاضـر [*]؟ إذ إن إدراك الحاضـر يعـد عمليـة حاسمـة، بـل أساسـية لممارسـة الـزمن ومعرفته ومعايشته. إن كل فرد يدرك أفقاً زمنياً له، يتحدد بناءً عليه الكثير من سـلوكنا وحركتنا خلال الحياة، وتعمل على بلورتهوتحديده عوامل متشابكة عدة، مثل العمـر – الطفل يختلف أفقـه عـن المراهـق والراشـد – والمهنـة والمسـتوى الأكـاديمي وأسـلوب الحياة، وغيرها إذ إن للآفاق الزمنية دلالات نفسية مهمة.ويمثل مدى تأثر الـزمن الـذي يعيشه الإنسان بفقدان المعنى في الحياة أو توافره، فحين يعيش الإنسـان مرحلـة خاويـة أو خالية من المعنى يبدو له الزمن بلا نهاية، وذلك لأنه يفكـر في الـزمن الـذي يجـري، وهو يتوقع أمراً لا يأتي، ويعاش الزمن خلاف ذلك إذا مـا تـوافرت للإنسـان مرحلـة مشبعه بالمعنى.

ويمثل الزمن بنية اجتماعية وثقافية، تتحدد فيه أو خلاله مجالات ثقافة المجتمعات وروافدها، في أثناء الإحساس بالزمن وإدراكه تتجسد السـمات الثقافيـة والاجتماعيـة، وتتكثف على نحو يصبح الإحساس بالزمن عاملاً أساساً في المقارنة بين أبنيـة الثقافـات البشرية، فهنالك علاقة وثيقة بين سمات المجتمـع الإنسـاني السـيكولوجية والحضـارية والاجتماعية وحتى الاقتصادية.فالزمن الاجتماعي والثقافي شـديد الارتبـاط بالمشـاعر الإنسـانية، إذ يمكـن أن يـثير أي تعـديل للتقـويم السـنوي مـثلاً انفعـالات قـد تكـون عاصفة، فمـا بالـك بالإصـلاحات الاجتماعيـة الكـبيرة الـتي تمـر في حيـاة المجتمعـات والشعوب، والتي تمر بظلالها على مشاعر الإنسان ووجدانه، مروراً بـالتغير أو التصـدع أو التطور الذي يحصـل في الجـدار القيمـي لأي مجتمـع، ربمـا يغـير إحسـاس الإنسـان وتفاعله مع الزمن وآفاقه الزمنية.فضلا عن أن الزمن يفسر مصـطلح (الانتظـار) كونـه نمط من أنماط الانتباه المتجه نحو المستقبل، فنجد الزمن ليس مكتملاً هنا، ونساهم نحـن في صياغته، فهناك نوعان من الانتظار هما: التلهف، والصبر فالأول يسعى للقفز فـوق

---

[*]الحاضر : يرى وليم جيمس W.james أن الحاضر الحقيقي هو في الواقع لا زمني، أي إن المدة ، أيـة مـدة ، لا زمنية Durationless، لأنها اللحظة التي تفصل الماضـي عـن المسـتقبل ، فالحاضـر لـيس إلا تجريـداً رياضياً، يمكن تشبيهه بالنقطة في الهندسة . انظر : عبد اللطيف الصديقي ، الزمان أبعاده وبنيته ، (بـيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، 1995) ، ص 35 .

الوسائط، وتجاوز المراحل، ليصل إلى الخاتمة،أما الصبر، فهو الخشوع والتواضع والرضا بقانون التعاقب والوسائط، وقانون الأوقات المتعارضة مع الاكتمال الآني. والزمن يمكن أن يدرك على نحو مختلف بأختلاف الافراد وتوجهاتهم، فالزمن لدى بعض الافراد يعني الأمس، ولدى البعض الاخر يعني اليوم،في حين يجد أفراد أخرون أن الزمن هو الغد فقط.

في رأي مينكوفسكي*: "إن الزمن هو الذي يحدد غريزة الحياة لدى الإنسان، كما يحدد حياته ذاتها". كما يرى عالم النفس مارلو بونتي Ponty : "إن الزمن يولد من علاقتي بالأشياء، أي إن الزمن يولد عندما تكون هنالك علاقة للأشياء بالفاعل الذي يعيش التجربة، ولا تقتصر التجربة على علاقة الأشياء ببعضها فحسب" ([1]).

ثانياً : الزمن في العملية الاتصالية

أصبحت تتشكل بفضل شبكة الإنترنت فضاءات تواصلية عدة هي بمثابة أمكنة إفتراضية، في مجال عام يتشكل عن طريقة نوع من الحوار التشاركي ذا الطابع الحر، لا تقيده سلطة معينة، وبدون حدود وتاريخ، إذ يتعامل المستخدمون مع هذه الفضاءات بِعدّها أمكنة، ذات طابع ثقافي يكون الحوار والتواصل أساسها. وتشمل هذه الفضاءات المعلوماتية عناصر مترابطة ومتلاحمة داخلياً مع عناصر أخرى

---

*هيرمان مينكوفسكي (بالألمانية: Hermann Minkowiski) هو عالم رياضيات وفيزياء ألماني روسي المولد، ولد في 22 يونيو 1864موتوفيفي 18 يناير 1909م. عمل أستاذ اللرياضيات في كوني جسبيرجوزيورخوجوتنجن. طور هندسة الأعداد واستخدم أساليباً هندسية لحل المشاكل في نظرية الأعداد والفيزياء الرياضية ونظرية النسبية. وهو يعدُّ من مؤسسي علم الهندسة المحدبة.

ولعل أشهر إنجازات مينكو فسكي هي تطويره النظرية النسبية الخاصة عام 1907م وهي النظرية التي صاغها تلميذه السابق ألبرت آينشتاين عام 1905م. نتيجة إسهامات مينكو فسكي أمكن فهم النسبية هندسياً نظرية زمكان رباعي الأبعاد، وهو ما يعرف باسم زمكان مينكوفسكي. أنظر : موقع الويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki

([1]) علي شاكر الفتلاوي ، المصدر السابق ، ص 25.

لفضاءات متباينة،ولكنها بالرغم من ذلك يمكن أن تعرّف، وتعامل، وتحدّد، على أساس كونها نوعاً واحداً من الحيز المكاني.

وإذا افترضنا أن كل حيز معلوماتي يستقل بوجوده عن غيره من الموجودات، يمكن أن نوفر فرصة أعتماد تعريف دقيق ومقياس كمي تسهل عملية تبنيه في تبويب هذا النوع، وأنواع أخرى من الحيز المعلوماتي الذي يصعب علينا تشخيصه بشكل دقيق. وبصورة عامة تعد المواقع والفضاءات المعلوماتية عبارة عن كيانات لها حيز مكاني مرئي (Spatialize Visualization) تصف بأسلوب رمزي/ صوري المعلومات جميعها الموجودة في نظام معالجة المعلومات العولمية، وعبّر مسارات تم توفيرها بواسطة شبكات الاتصال الرقمي الحالية والمستقبلية، وتوفر إمكانية الوجود المصاحب والتفاعل الآني بين مجموعة من المستخدمين، مع السماح بعمليتي الإدخال والإخراج من /إلى الحواس البشرية كافة، مع إتاحة الفرصة أمام عملية محاكاة الواقع التقليدي والمتخيل وتحقيق تكامل تام مع الأدوات الذكية والبيئات التي بناها الإنسان على أرض الواقع الذي يعيش فيه ([1]).

يمكن لمواقع الفضاء المعلوماتي أن توصف على أساس أنها مجالات زمانية أو بنيوية لحزم المعلومات التي توفرها تقنيات الاتصال والمعلوماتية على حد سواء. وتسهم مواطن الحدث في هذا الفضاء بدعم عمليات إدراك التشكيلات المستبطنة في العقل البشري التي يصعب استظهارها للعالم الواقعي. وتتطلب الوسائط، والبرمجيات المستخدمة في توليد أمكنة الفضاء المعلوماتي مثل : مواقع الويب، ومواقع الدردشة على الأنترنت،ومواقع التواصل الاجتماعي، ويمكن أن يتم التعامل مع الأمكنة المعلوماتية بوصفها فضاءات نستطيع عن طريقها استثمار قنوات الإحساس، والتحسس الموجودة في أجسادنا، موفرة لخبراتنا فرصة التوجه والتركيز بواسطة الصور

(1) Susan Tanney, " Evidence of Place in Electronic Space " , (1997) . Retrieved 3 November (2015) , from :

http://www.hitl.washington.edu/people/susan/musings/e-place3.html

المرئية، والاصوات واللمس، والحدس، ومن الواضح أن البعد المكاني للواقع الرقمي يوفر مجالات وآفاقاً جديدة بحاجة إلى عمليات استكشاف ومسح جغرافي من نوع جديد، ويساعد في إيقاظ نزعة تنويرية مستحدثة، لدى الإنسان المعاصر، عن طريق منحه القدرة على ممارسة عمليات إدراك متطورة للمكان، وفي عالم موازٍ للعالم الذي أقامت فيه السلالات البشرية منذ بداية الخليقة، ونتيجة التعامل مع الأنماط والنهج الجديدة للتفاعل مع هيكل الحيز المكاني الرقمي وداخله، ستظهر الحاجة إلى إعادة صياغة مفاهيمنا لتفسير دلالة الفضاء والمكان، كي تنعكس بوضوح العلاقات الداخلية الفريدة بين مفردات العالم الفيزيائي التقليدي والعالم الافتراضي – الرقمي.

ومن بين مزايا المكان الافتراضي هو نهاية فوبيا المكان، إذ إن الخوف من المكان دليل على تملكنا مكاناً آخر، وعندما ندخل في منظومة المكان الافتراضي نصبح لا نخشى شيئاً، بحكم عدم مقدرتنا على تملك الإفتراضي بعدّه فضاءً. لذلك وصفت شبكة الإنترنت كفضاء إفتراضي بأكثر الأمكنة تحررية، وعدم مقدرة أي طرف على إمتلاكها ([1]).

إن الزيادةا لاستثنائية في المرونة والقدرة على التكيف تسمح بها التكنولوجيات الجديدة([2]). وهي من الخصائص البارزة للإنترنت،التي تتجلى في قيام نظام الإنترنت، على معادلة زمنية تجمع في الوقت نفسه، السرعة اللحظية، وسرعة الطواف، وهذا ما يصف البعض من خبراء الاتصال بالزمن العالمي الذي هو بمثابة الزمن العابر للحدود بين القارات والمجتمعات واللغات عبّر طرقات الإعلام المتعدد، التي تنقل الصور والرسائل بالسرعة القصوى من أية نقطة في الأرض إلى أية نقطة اخرى، ويقبل هذا الزمن، الذي يطلق عليه الدكتور عبد الله الحيدري (الزمن

([1]) جمال الزرن ، هندسة المكان الإفتراضي منتجة لخطاب ثقافي ، مدونة مقعد وراء التلفيزيون : الإعلام والاتصال والمجتمع . أنظر الموقع الإلكترونية: http://www.afrigatenews.net/content

([2]) Manual Castells , " The Rise of the network Society". (2000), op.cit , P. 302.

الميدياتيكي)*، وصورة ذلـك هـو أن حيـاة الفـرد في عصـر الإنترنـت، ظلـت متصـلة اتصالاً لا فكاك منه بوسـائل الإعـلام الإلكترونيـة إلى حـد تفكـك الـروابط الحميميـة الأسرية والاجتماعية الأخرى([1]).

وتتكون العملية الاتصالية من مجموعة من العناصر الرئيسة الـتي تمثـل جـوهر عملية الاتصال ضمن الشكل العام وهـي المرسـل، والرسـالة، والوسـيلة، والمسـتقبل، والتغذية العكسية. ويمثل زمن الاتصـال في الإعـلام التقليـدي مجمـوع زمـن العناصـر الاتصالية، بمعنى أن الزمن في الإعـلام التقليـدي يجـزء علـى وفـق زمـن كـل عنصـر، وبالنتيجة فإن زمن الاتصال هو حاصل جمع أزمنـة عمليـة الاتصـال، مـثلاً : الـبرامج التلفازية التي تبث بشكل تسجيل تختلف من حيث الزمن عن البرامج التي تبث بشـكل مباشر وفي كلتي الحالتين يمكن السيطرة على المحتوى الاتصالي عن طريق الرقيب، وقـد يُقطع زمن البث بحجج مختلفة لبث محتوى اتصالي أخر، لذلك فإن محـددات الـزمن في الإعلام التقليدي تتطلب معرفة زمن كل عنصر في عملية الاتصال، لان كل عنصـر لـه زمن مختلف يحدده الرقيب، لكن في الإعلام الجديد، نظام الاتصال يكون لا خطيـاً ولا دائرياً بل شبكي، ولا وجود لمحددات الرقيب، وعليه يكون نظام الارسـال والاسـتقبال مختلفاً أيضا على وفق مبدأ (الزمن التوافقي)، وهناك نوعان مـن الاتصـال علـى وفـق طبيعة كل مجتمع (المجتمع الافتراضي والمجتمع الواقعي):

1- الاتصال على الخط On – Line :هم الاشخاص الموجودون علـى الخـط أي الموصولون على شبكة الإنترنت – المستخدم – أبناء المجتمع الافتراضـي([2]). إذ

* الزمن الميدياتيكي : هو الزمن الذي نحققه في صلاتنا المستمرة مع وسائل الاتصال بوصفنا أفراداً اجتمـاعيين ولا يعدو أن يكون زمناً وسائطياً لاعتمادنـاً، في الإنتـاج والـتفكير والتواصـل والتفاعـل، علـى تقنيـات الإعـلام والاتصـال، ويحتضـن ميـول الأفـراد واتجاهـاتهم بوصـفهم متـأبهين، ومسـتهلكين ومنتجـين للصناعات الإعلامية المتدفقة بحجم لم يشهده تاريخ صناعة المضامين، كل مجتمع ينـتج تمثّلـه للـزمن عـن طريق الأنشطة التي يقوم بها، في المقابل كل مجتمع تقوده منظومة القيم الميدياتيكية إلى بناء تمثّله للزمن .

أنظر : خليدة صديق ، مصدر سابق ، ص 216.

([1]) خليدة صديق ، المصدر نفسه ، ص 217.

([2]) نديم منصور ، سوسيولوجيا الإنترنت ، مصدر سابق ، ص 22.

يكون الزمن فيه توافقاً، بمعنى أن زمن الاتصال هو زمن كل عنصر في عملية الاتصال،فزمن المرسل هو زمن المستقبل وهو زمن الرسالة،أي أن زمن الاتصال يعني زمن المستخدم على الخط وهو يتطلب أن تتواجد عناصر العملية الاتصالية جميعها في زمن واحد على خط الاتصال، وعندها يتحقق الاندماج الاتصالي على وفق مبدأ التوافق الزمني للاتصال،فبتساوي الزمن الاتصالي تتساوى سرع عناصر الاتصال وهذا يحقق اندماجاً لعناصر الاتصال ضمن سرع فائقة ومتساوية وزمن توافقي محدود جداً إذ يمكن التواصل وأرسال مضامين أتصالية إلى أماكن بعيدة جداً وفي الوقت نفسه نستقبل الجواب، ويشار لها ضمن النظام الاتصالي الجديد، بـ (تم الارسال) و (تم الاستلام) وهناك مؤشرات توضح وصول الرسالة الى المستقبل، وفي حال عدم الاجابة فإن المرسل يكون له علم مسبق بأن المضمون الاتصالي وصل فعلاً وقد تم تجاهله لاسباب معينة،وما يهمنا هنا أن شكل الاتصال في الإعلام الجديد يقوم على زيادة عالية في سرعة الاتصال وتدفق مرن للمعلومات وزمن توافقي موحد، مكوناً اندماجاً في عناصر الاتصال يصعب فصل مكوناتها أو التمييز بينها، لذلك فإن كلمة مستخدم، هي في حقيقة امرها، نتاج عملية الاندماج الاتصالي لعناصر الاتصال، فالمستخدم هو كل عناصر الاتصال ضمن زمن توافقي واحد.

2- الاتصال خارج الخطOff – Line: هم الاشخاص خارج خدمة الاتصال الشبكي، أي غير موصولين بالشبكة، وهم جزء من المجتمع الواقعي،إذ يكون الزمن لا توافقياً،فكل عنصر له محدداته الزمنية على وفق نظام الاتصال التقليدي، الذي تحكمة ظروف المجتمع، فكل عنصر مستقل بزمنه لذلك، فإن زمن الاتصال هو حاصل جمع أزمنة كل عناصر عملية الاتصال، وإن أي قطع في زمن كل عنصر يعني بالضرورة تقليص الزمن الكلي للاتصال، بخلاف الزمن في النظام الشبكي فكل زيادة أو نقص في زمن كل عنصر يمثل زيادة ونقصاناً بالمقدار نفسه لزمن عنصر أخر.إذ أن التكنولوجيا لا تحدد

المجتمع([1])،لكنها تؤثر فيه عن طريق بعض عناصره، فالزمن هو مؤثر مهم في تحديد المجتمع وطبيعة تطوره، والتكنولوجيا استطاعت أن تحقق إنجازاً مهماً في تغيير مفهوم الزمن،بمعنى أن الزمن في المجتمعات التقليدية، له علاقةبتجاذبات الفضاء الكوني، لكن في المجتمع الافتراضي، الزمن تحدده العلاقات والتجاذبات بين وصلات الاتصال –link– فسرعة انتقال المعلومات بين عناصر عملية الاتصال وطبيعة المعلومات المرسلة ونوع الرابط أو البرنامج المستخدم في فضاء الانترنت، وطبيعة الاستجابة والتفاعل في الشبكة، كلها عوامل تحدد الزمن في الفضاء الافتراضي.

ثالثاً : الزمن في المجتمع الافتراضي

أنعكس أثر التطور التكنولوجي على قنوات الإعلام جميعها، صحافة وإذاعة وتلفاز، وأنعكس كذلك – وهو الأخطر – على طبيعة العلاقة التي تربط بين منتج الرسالة الإعلامية وموزعها ومتلقيها. لقد انكمش العالم مكاناً وزماناً وسقطت الحواجز بين البعيد والقريب، وكادت تكنولوجيا الواقع الافتراضي أن تسقط الحاجز بين الواقعي والوهمي، وبين الحاضر والغائب، وبين الاتصال مع كائنات الواقع الفعلي والكائنات الرمزية التي تقطن فضاء المعلومات ([2]). إن عوامل كثيرة ساعدت في ظهور المجتمع الافتراضي، ليس فقط العامل التقني فقط، فالوضع السياسي والاقتصادي، والاجتماعي، فضلا عن العامل النفسي، دفعت الافراد إلى الدخول في عالم جديد، يختلف عن عالمهم الواقعي، وبطبيعة الحال فإن لكل فرد زمن خاص به، يسجل الانشطة الخاصة به جميعها، وهذا الزمن هو جزء من زمن المجتمع الذي يعيشه، ويمثل ذلك الزمن التاريخ بما يسجله من أحداث ونشاطات وإنفعالات. كان الفرد في المجتمع الواقعي، يعتمد – في بعض الاحيان – على التسجيل الداخلي ضمن الذاكرة

---

(1) Manual Castells , " The Rise of the network Society ",Blackwell publishers Ltd . USA . (2000) , op.cit , p5.

(2) نبيل علي ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، مصدر سابق ، ص 344.

الفردية التي قد تكون مسجلة بالاعتماد على وسائل الاتصال المعدة لهذا الغرض كالمذكرات، والسير الذاتية الصوتية باشكالها المختلفة،فضلا عن الحوارات المجتمعية مع أطراف أخرين من المجتمع، يشكلون جزءاً من خزين الذاكرة الزمنية المشتركة بين الافراد أو قد لا تسجل فتضيع تلك الذاكرة. لذلك فإن لكل فرد في المجتمع الواقعي زمن له علاقة بمضمون أتصالي مسجل، لكن عملية أسترجاع هذا الواقع– الاحداث– قد لا تكون دقيقة بالشكل الكافي، والسبب يعود إلى العقل البشري الذي يتعامل دائما مع الصور والمضامين الداخلة له على وفق مبدأ النمذجة، وليس على وفق الترتيب الزمني للاحداث، لذلك يصعب تحديد زمن الحدث لاسيما عندما يمر عليه زمن بعيد، ويحاول العقل ربط زمن الاحداث المهمة بأحداث أخرى ليسهل استرجاعها ضمن الذاكرة البشرية.إن ظهور الإنترنت كان بداية لظهور شكل أخر من التسجيل الزمني للاحداث، فالنظام العام لشبكة المعلومات العالمية، يعتمد بشكل أساس على نظام خزن المعلومات وأرشفتها، ووجود الخوادم الخاصة – روابط الكترونية– التي تعمل على أستدعاء المعلومة المطلوبة من مستخدم مربوط بالشبكة، وهذا بحد ذاته أحدث ثورة في مجال الذاكرة الزمنية، وقال ديفيدجيلز David Giles:" إن الإنترنت أهم ابتكار من شأنها أن تغيرالمستقبل بشكل مستمر"([1]). وكان يقصد أن الإنترنت أستطاع أن يفهم لغة المستقبل المتمثلة (بالنص الزمني) الذي يمثل الذاكرة الزمنية للمستخدم على الشبكة،فأحداث الحياة كلها، وما يعتقد أنها مهمة تسجل، عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي مثلاً وقبلها المدونات الالكترونية، وهذا الحفظ الزمني للاحداث قد يفاجىء المستخدم،بمضمون اتصالي قام بتسجيله في وقت سابق، ليظهر له على شكل مضمون أتصالي مقترح من الموقع للمشاركة، آنياً أو لاحقاً، في كلا الامرين،فإن المستخدم سوف يسترجع زمن الحدث، وقد استخدمت بعض مواقع التواصل الاجتماعي ومنها الفيسبوك : نظام الاسترجاع الزمني للاحداث، فتقوم بين

([1]) David Giles , " Media Psychology " , Lawrence Erlbaum Associates, New York . (2003) , p.272.

حين وأخر بأسترجاع صورة أو مضمون أتصالي، مر على تسجيله زمن معين، لتذكير المستخدم بالحدث أذا ما رغب بأعادة نشره مرة أخرى، إن دلالات الزمن في مواقع التواصل الاجتماعي، ترتبط بالعامل النفسي والاجتماعي للمستخدم، فزمن الحدث وما يحتويه قد يكون ذو ابعاد عاطفية مؤلمة أو سعيدة، تنعكس بتذكر حالة معينة أو واقعة مؤلمة، فمثلاً : تداول عدد كبير من مستخدمي موقع الفيسبوك جريمة (سبايكر)* التي أقدم عليها مجرمو عصابات (داعش)*، وعلى الرغم من أن الحادثة مر عليها زمن، لكن بعض المستخدمين يعيد نشرها والتعليق على بعض الاحداث فيها، عندما يستجد حدث معين، يعتقد المستخدم أن له علاقة بالجريمة، عندها يحدث التواصل الزمني للاحداث، فزمن الحدث في هذه الجريمة لا يعدُّ قديماً، عندما ينشر شيء جديد له علاقة بالمضمون الاتصالي، لأنه يحدث تأثيراً فيه ويجعله متجدداً، وينظر له من جوانب أخرى، لذلك نلاحظ أن الزمن في مواقع التواصل الاجتماعي يتحول إلى ثقافة، ويؤكد أستاذ الإعلام في جامعة القدس والباحث في الشؤون الدولية محمد فطافطة أنه: " يمكن الجزم أن الفيسبوك لن يتراجع انتشاره بين الناس على الاطلاق، لأنه تحول إلى ثقافة وليس أداة تقنية فقط"([1]).لذلك نحن هنا نتكلم عن تحول في مفهوم

---

*جريمة سبايكر: وهي مجزرة جرت بعد أسر طلاب القوة الجوية في قاعدة سبايكر الجوية من العراقيين في يوم 12 حزيران 2014م، وذلك بعد سيطرة ما يعرف بنظيم (داعش)على مدينة تكريت في العراق وبعد يوم واحد من سيطرتهم على مدينة الموصل حيث أسروا (2000-2200) طالب في القوة الجوية العراقية وقادوهم إلى القصور الرئاسية في تكريت، وقاموا بقتلهم هناك وفي مناطق أخرى رمياً بالرصاص ودفنوا بعض منهم وهم أحياء. أنظر : موقع ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org

* داعش : هو أختصار لما يعرف بالدولة الاسلامية في العراق والشام ، وهو تنظيم سلفي يدعي تطبيق الشريعة وإحياء الخلافة الاسلامية عن طريق العنف تحت عنوان (الجهاد). وتعود جذور التنظيم إلى تشرين الأول عام 2006م أثر اجتماع عقدته مجموعة من الفصائل المسلحة ضمن ما عرف بـ (معاهدة حلف المطيبين). أنظر : فؤاد أبراهيم ، داعش من النجدي إلى البغدادي، (بيروت، مركز أوال، 2015) ، ص116.

([1]) مصعب حسام الدين قتلوني ، ثورات الفيسبوك مستقبل وسائل التواصل الاجتماعي في التغيير ، (بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، 2014) ، ص 220 .

الزمن بين المجتمع الواقعي والمجتمع الافتراضي،في دلالات هذا المفهوم للفـرد، فـالمجتمع الواقعي تمثل التقنية جزءاً منه، ويمثل الإنسان الجزء المحرك لهـذه التقنيـة وبنسـبة كـبيرة، لذلك فـإن الـزمن يـرتبط بشـكل أكـبر بـالفرد، في حـين تمثـل التكنولوجيـا في الواقـع الافتراضي الجزء الرئيس، والمحور الأساس في بناء هذا المجتمع، ويمثل الفـرد دلالـة مـن دلالاتـه كمسـتخدم للتكنولوجيـا، لـذلك فـإن الـزمن يـرتبط بالعامـل الـتقني بشـكل أكبر،فإستخدام الفرد التقنية في المجتمع الافتراضي يمثل جانب من جوانـب هـذا العـالم، والزمن في المجتمع الافتراضي هو أحد الاهداف التي تسعى التقنية لاختزاله، عن طريـق تطوير سرعة نقل المعلومات ومعالجة البيانات، وتصنيف الزمن في المجتمـع الافتراضـي يختلف أيضاً عن تصنيف الزمن في المجتمع الواقعي، إذ أن الزمن في المجتمـع الافترضـي يرتبط بالمستخدم أي بالفاعل وليس بالفعل،والزمن في المجتمع الواقعي هو زمـن الفعـل أو الحدث، أي زمن وقوع الحدث، لكـن الامـر مختلـف في الواقـع الافتراضـي إذيمثـل الزمن، طبيعة الاستخدام كونه تاماً، أو جزئياً أو صفرياً، بمعنى طبيعة زمن الاسـتخدام للتقنية، هي الفاعل الاساس وليس الحدث فقـط، لـذلك فـإن التفاعـل مـع المضـمون الاتصالي هو في حقيقته تفاعل المستخدم مع المضمون الاتصالي، أمـا الـزمن الحـدث، فلا يشكل عاملاً أساساً كما هو عليه في وسائل الاتصـال والإعـلام التقليديـة، لـذلك فإن الزمن في المجتمع الافتراضي يمثل الاستخدام للمضمون الاتصـالي – التفاعـل مـع المضمون- بمعنى أن تفاعل مع حدث معين لا يعني تسجيل زمـن الحـدث بـل تسـجيل زمن الاستخدام، مع الحفاظ على زمن الحدث نفسـه كارشـيف، ولا يـدخل في معادلـة الزمن الفاعل للاستخدام.

رابعاً : التفاعلية في المجتمع الافتراضي

تعد التفاعليـة أهـم الملامـح المميـزة للاعـلام الجديـدوأقواها، وتعـدُّ طريقـة أو أسلوباً في الاستخدام أكثر منها منتجاً اتصالياً. وقد تم عرّف باحثون التفاعلية على أنها القوى الدافعة نحو أنتشار استخدام وسائل الإعلام الجديد ([1]).

وعرفها ويليـامز ورايـس وروجـرز بأنهـا " درجـة تحكـم المشـاركين في عمليـة الاتصـال في الحـوار المتبـادل، وقـدرة كـل مـنهم علـى تبـادل الأدوار في العمليـة الاتصالية"([2]).

ولا يوجد تعريف محدد للتفاعليـة، لـذلك يعتقـد بعـض البـاحثين أن التفاعليـة مفهوم معقد متعدد الأبعاد. وقد حدد ماكميلان وداونز ستة أبعاد للتفاعلية هي ([3]) :

1- التفاعلية الأكبر تتوافق مع الأخبار لا الاقناع.
2- قدرة المستخدم على التحكم في الاتصال التفاعلي تكون أكبر.
3- الاتصال التفاعلي يسير في أتجاهين.
4- يحصل الاتصال التفاعلي في زمن مرن لا زمن ثابت.
5- يعطي تصوراً بأن المكان مصطنع (غير واقعي).

ويرى الباحث إن اغلب تعاريف التفاعلية، كانت تهتم بشـكل أسـاس بالعلاقـة التي تنـتج عـن التغذيـة العكسـية، فقـد عمـدتالكثير مـن البحـوث العلميـة، إلى فهـم

([1]) حسنين شفيق ، مستجدات الإعلام الجديد والتحولات المستقبلية ، (القاهرة ، دار فكر وفـن ، 2014) ، ص 38.

(2) Williams,F.,R.E., Rice, and E.M. Rogers, " Research Methods and the New Media" .(1988), New York, The Free Press .p.23-24.

(3) McMillan, S.J.,and E.,J. Downes, " Interactivity: A qualitative exploration of definitions and models" Paper presented to the Association for Education in Journalism and Mass Communication, August, (1998) . Baltimore, Maeyland . p. 22.

التفاعلية على وفق منظور الاتصال الدائري، وكان التركيز على التغذية العكسيةنتيجة لتأثير القائم بالاتصال على المتلقي، مما يدفع المتلقي إلى التفاعل مع المضمون الاتصالي، وأرسال ردود وأفكار للقائم بالاتصال، وقد فهمت التفاعلية على وفق هذا المنظور، لكن في حقيقة الامر لم يكن ذلك هو المفهوم الحقيقي للتفاعلية بقدر كونه تفسيراً منطقياً، لمعادلة المؤثر، والتأثير، والسلوك. والفرق واضح بين التأثير والتفاعلية، فالاول له علاقة بالمؤثر والسلوك، وهي علاقة تعتمد على عوامل إحداث الأثر بطرقه جميعها، أما التفاعلية فتهتم بدراسة العلاقة بين عناصر العملية الاتصالية،إذ الشكل وطبيعة الاستخدام والتبادلية في الادوار، والتجانس، وعوامل أخرى لها علاقة بفهم طبيعة التكوين لكل عنصر، فقد يحصل تفاعل ولا يحصل تأثير وقد يحصل تأثير ولا يحصل تفاعل،فلو فرضنا أن متلقٍ يتعرض إلى برنامج تلفيزيوني معين، والمتلقي قد تأثر في المضمون الاتصالي الذي تعرض له فرحاً أو حزناً، لكن هذا المستخدم لم يستطع ايصال أو لم يرغب بإيصال ردود أفعاله إلى القائم بالاتصال،هنا المتلقي تأثر لكن لم يتفاعل،ويسمى بالمتلقي السلبيل أن العملية الاتصالية لم ينتج عنها سلوك معين، خطط له القائم بالاتصال مسبقاً وإن حدث فإن القائم بالاتصال لم يتعرف عليه ومن ثمَّ لم يستطع تحليله على وفق ما تتطلبه الرسالة الاتصالية الجديد. وكان يعتقد أن السبب يعود إلى أن العملية الاتصالية ذات إتجاه خطي، لاسباب كثيرة منها اجتماعية وسياسية، لكن العامل الاهم هو العامل التقني فعدم وجود وسائل تتيح الفرصة للمتلقي بالتصريح بالرأي والتعليق على المحتوى الاتصالي، يعد عاملاً مهماً وجوهرياً في تفسير: لماذا كان إتجاه عملية الاتصال بشكل خطي؟وأن عدم حصولتغذية عكسية أو كونها محدودة،لا يلغي حصول التأثير،اما التفاعلية فتعتمد في الأساس على فهم طبيعة كل عنصر وعلاقته بالعنصر الاخر بما يحقق علاقات مشتركة تمثل جوهر التفاعلية وحقيقة تكوينها.

لذلك يرى الباحث من الضروري الفصل بين التفاعلية والتأثير،فقد وجد الباحث أن نظريات الاتصال في الأغلب تعتمد مبدأ التأثير لا مبدأ التفاعلية،لأنها كانت تفسر عملية الاتصال من منظور علم النفس القائم على التأثير وعلاقته بعلم

الاجتماع وعلم النفس، وهو مقبول لاسباب أن تكنولوجيا الاتصال كانت محدودة، وشكل الاتصال كان واضحاً فلجأ الباحثون في بحوث الإعلام إلى تفسير الظواهر الإعلامية بالاعتماد على ما قدمته نظريات علم الاجتماع وعلم النفس ومنها التأثير بأنواعه كلها ومنها دراسة كوبر (Cooper) وزملائه([1]) التي قامت بتحليل مضمون (1326) دراسة علمية نشرت في ثماني دوريات علمية دولية متخصصة في المدة من 1965م إلى 1989م، وتوصلت الدراسة إلى نتيجة مفادها أن 25٪ من هذه الدراسات تناولت موضوع التأثير، منها 22,4% تناولت تأثير وسائل الإعلام على المستوى الشخصي، و 2,5٪ فقط على المستوى المجتمعي،لكن مبدأ التفاعلية لم يعطِ الاهتمام الكافي وهو مصطلح استعير من علم الكيمياء،إذ يرى الباحث أن التفاعلية هي : العلاقة المتبادلة بين عناصر ذات نفعية مشتركة منتجة، مثلاً : أن عنصر (أ) إذا تفاعل مع عنصر (ب)، هناك أحتمالات هي :

1-(أ)+(ب)= (ج) ⟸ علاقة نفعية منتجة(عملية تفاعلية بين العنصرين).

2-(أ)+(ب)≠ (ج) ⟸ لا منتجة(لم تحصل عملية تفاعلية).

3-(أ)+(ب) +عامل مساعد = (ج) ⟸ علاقة نفعية منتجةبفعل عامل مساعد

بمعنى أن نظريات الاتصال السائدة، كانت تنظر إلى العلاقة بين عناصر عملية الاتصال من منظور علم النفس القائم على درجة التأثير ونوع المؤثر،ولم تفسر عملية الاتصال من منظور إعلامي قائم على تفاعل عناصر الاتصال كمكونات ذات علاقات ترابطية متبادلة تنتج (المعنى)،بل فسرته من منطلق التأثيرولم تفسره من منطلق المعلومات، وهي المادة الأساس للإعلام، من حيث: كيف تنقل المعلومات بين عناصر العملية الاتصالية؟ وماذا يحصل في أثناء نقل المعلومات؟وكيف تتم معالجة

([1]) Cooper, Roger W., Potter, James, and Dupagne,Michael." A status report on methods used in mass communication research " , Journalism Educatars, (winter-1994) . Vol.48, pp 54-61.

المعلومات، وتعد نظرية معالجة المعلومات هي الاقـرب إذ تهـتم هـذه النظريـة بدراسـة الذاكرة البشرية عن طريق محاولات تفسـير نسـيان الارتباطـات المتعلمـة بـين المـثيرات والاستجابات. وهناك شبه إجماع بين الباحثين على ان نسيان الارتباطات يعود إلى آثـار التدخل بين الارتباطات التي يتم تعلمها في أوقات مختلفة وقد أيدت العديد من التجـار بصدق هذا التفسير كما تؤيده خبرات الحيـاة اليوميـة فقـد ينسـى الفـرد رقـم الهـاتف لتداخله مع أرقام هواتف أخرى. وتعنى نظرية معالجـة المعلومـات في بحـث الخطـوات وتوضيحها والتي يسلكها الأفـراد في جمـع المعلومـات وتنظيمهـا وتـذكرها. وتؤكـد في إحدى أهم فروضها على (**أن نظام المعالجة الإنساني نظام تفـاعلي**). لكنهـا لم تفسـر الكيفية التي يتم عن طريقها تبادل المعلومات بين عناصر الاتصال ؟ وكيف يـتم تبـادل الادوار بين عناصرها ؟ وقد فسرت التفاعلية بالاعتماد على التأثير الذي ينظر لـه مـن جانب التغذية العكسية كنتيجة طبيعية لتفاعل عناصر الاتصال. بمعنى إن لكـل عنصـر في عملية الاتصال له أبعاده الاجتماعية والنفسية، التي قد لا تنسـجم مـع أبعـاد نفسـية وأجتماعية لعنصر أخر في عملية الاتصـال، فـلا تُحـدث تـأثيراً، لـذلك نجـد أن هنـاك تفاوتاً في درجات التأثير لكل عنصر في عملية الاتصال، فالقائم بالاتصال في الصـحف مثلاً هو أكثـر تـأثيراً مـن شـكل الوسـيلة الاتصـالية والمـؤثرات الاخراجيـة -تصـميم ولون- ونجد العكس في التلفـاز، فـالمؤثرات مـن صـوت وصـورة متحركـة وعوامـل الاخراج الاخرى تؤثر بشكل أكثر على المتلقي من المضـمون الاتصـالي، ونلاحـظ أن المتلقي للمضمون الاتصالي للصحف هو أكثر حاجة للـزمن لغـرض (الفهـم) القـائم على التصور للمعنى المقروء، هذا ينعكس على المحتوى الاتصالي سـلبأ، حيـث يحتـاج المتلقي إلى مستوى عالٍ من الفهم والتصور، لمعرف على بعض المضامين الاتصالية التي تحتاج إلى فهم مسبق للمعلومات الواردة فيها،فضلا عن المتابعة المستمرة للمعلومات.

ويرى الباحثـان في مجـال الإعـلام التفـاعلي Sheizaf Rafaeli, and Fay Sudweeks : "أن التفاعـل في الاتصـال يسـمح للجمهـور باسـتخدام الوسـيلة الإعلامية كأحـد وسـائل المشـاركة الاجتماعيـة خاصـة عنـدما تسـاهم هـذه الوسـيلة

الإعلامية في تدعيم ميلهم أو نزعتهم للتفاعل مع الأخرين " ([1]).بمعنى أن الوسيلة الاتصالية تصبح أكثر مرونة إذ يمكن أن تتفاعل مع عناصر الاتصال الاخرى، وهي بذلك توفر مجالات واسعة للمشاركة التي تنبع من التفاعلية، فمثلاً النشر الفوري عبّر شبكة الإنترنت تمثل بيئة تفاعلية مرنة للصحيفة الفورية لا مثيل لها في نظيرها الورقية، لان الصحيفة الورقية لا تحتوي على روابط تواصلية، تسمح بالمشاركة والتفاعل مع المضمون الاتصالي، في الوقت الذي تسمح الإنترنت بربط الصحيفة بمواقع التواصل الاجتماعي، التي توفر بدورها المشاركة والتفاعل الفوري. وتنطبق ملاحظات مارشال ماكلوهان في نظريته - الحتمية التكنولوجية – التي عبر عنها في جملته (الوسيلة هي الرسالة الإعلامية) على الوسائل الإعلامية التفاعلية الحديثة، إذ ترتبط كفاءتها في نقل المحتوى بمدى كونها تفاعلية، مع ملاحظة أن التوظيف الجيد للتفاعلية ينشأ عن العلاقة بين الوسيلة والمحتوى الاتصالي الذي تقدمه في الوقت نفسه.

لذلك يستنتج الباحث طائفة من الخصائص لفهم التفاعلية في الإعلام الجديد :

1-التفاعلية سمة طبيعية في الاتصال الشخصي وسمة مفترضة في الإعلام الجديد. فالجمهور في المجتمع الواقعي يتفاعل ضمن محددات الزمان والمكان على وفق مقتضيات الظرف الذي يعيشه ومدى حاجته لمثل هذا التفاعل، في حينأن الإعلام الجديد هو حالة مفترضة، تفرضها ظروف الاندماج بين عناصر الاتصال وتلاشي محددات الزمان والمكان، بفعل التطور في حقلي تكنولوجيا المعلومات والاتصال.

2-هناك فرق في فهم التغذية العكسية والتفاعلية في الإعلام التقليدي، عنها فيالإعلام الجديد الذي يعطي تفسيراً مختلفاً لمفهوم التفاعلية،لأنها ترتبط بتكنولوجيا الاتصال الحديث والمتمثلة في مواقع التواصل الاجتماعي في شبكة الانترنت. ويكمن الفرق في أن مفهوم التغذية العكسية يمكن أن يكون مفهوماً

---

(1) Sheizaf Rafaeli, and Fay Sudweeks, "Networked Interactivity", Journal of Computer-Mediated Communication Volume 2, (March- 1997), Issue 4, p14

مقبولاً لفهم عملية الاتصال في الإعلام التقليدي ومدى فهم الجمهور للمضمون الاتصالي، لكن مع ظهور الإعلام الجديد أصبح من غير المنطقي الجمع بين التفاعلية والتغذية العكسية، لان الاثنين ذو دلالة واحدة من حيث المعنى، مع الاخذ في الحسبان اختلاف دور كل منهما في عملية الاتصال، فمفهوم التفاعلية هو الاقرب للتداول في الإعلام الجديد لأنه يعطي تفسيراً مقبولاً، لما يحصل من تفاعل بين مكونات العملية الاتصالية، لذلك فإن ردود القراء في الصحف وتعليقات المشاهدين والمستمعين في التلفاز والمذياع لا تعد سوى تغذية عكسية، تخضع لمحددات الزمان والمكان والبيئة الاتصالية التي قد تعيق حصولها في أغلب الاحيان، وإن الاعجاب والتعليق والمشاركة في مواقع التواصل الاجتماعي، هي تفاعلية المستخدم للمضمون الاتصالي في الازمان والامكان،إذ يحصل التفاعل الذي لا بد من ظهور نتائجه بالرغم من الظروف كلها،انظر الجدول رقم (3).

3-التفاعلية في الإعلام الجديد، تحصل بين كل عنصر من عناصر الاتصال والعناصر الاخرى، فهناك مستخدمون لا يتفاعلون مع بعض البرامجيات على مواقع التواصل الاجتماعي ويفضلون التفاعل مع أخرى، في موقع الفيسبوك مثلاً، لا يفضل المستخدمون جميعهم التفاعل مع المجاميع، أو المناسبات، فقد يفضل التفاعل مع الالعاب مثلاً، أي له حرية الخيار بالتفاعل مع بعض الوسائل داخل الموقع الواحد، فضلاً عن حصول تفاعل بين المضمون الاتصالي والوسيلة بما يساعد على دفع المستخدم للتفاعلية بشكل اوسع، مثلاً موقع تويتر الذي يمثل مدونة محدودة ب 140كلمة، الوسيلة تفرض استخداماً محدوداً للتدوين، ولم تسمح بأكثر من 140 كلمة، لذلك فهي تقبل التفاعل كحد اقصى لمحتوى محدد مسبقاً، هذا يدفع المستخدم إلى اختزال الفكرة على وفق محددات الموقع الالكتروني.

4-في الإعلام التقليدي تمثل التغذية العكسية، مقدار فهم الجمهور للمضمون الاتصالي، لذلك فإن الاتصال يكون ذا اتجاهين من المرسل إلى المستقبل

وبالعكس. لكن في الإعـلام الجديـد فـإن التفاعليـة تسـمح بتفاعـل كـل عنصـر وتبادل أدوار بين العناصر الاتصالية.

5-تمثل الاستجابة جوهر فهم التغذية العكسية في الإعـلام التقليـدي، وهـي تعتمـد على المؤثرات المختلفة التي يعتمدها القـائم بالاتصـال للتـأثير بـالمتلقي لاحـداث سلوك معين، فإذا لم يحصل القائم بالاتصال علـى مؤشـرات تـدل علـى حصـول هذا التأثير لا يستطيع تغيير المضمون بما ينسجم ورغبة المتلقي، بمعنـى إن التغذيـة العكسية تتعلق بالعامل النفسي وبالتحديد بمزاج المتلقي. لكن في الإعلام الجديـد فإن التفاعل يحصل بشكل ديناميكي، وليس مزاجياًفكـل عنصـر يتفاعـل بشـكل دائم ومتواصل وذلك يعود لاسباب كثيرة،ربما أهمهـا إن المضـمون الاتصـالي – الرسالة- تكون متنوعة ومتغيرة وبشكل غير تقليـدي، إذ أن المسـتخدم لا يتوقـع مضموناً معيناً بل يجد مضامين اتصالية مختلفة ومتنوعة بشكل كـبير فهـو يتفاعـل في الاحوال كلها معها.

6- مشاركة المتلقيفي العملية الاتصالية هـي شـرط لحـدوث التغذيـة العكسـية في الإعلام التقليدي، فالمتلقي يستطيع تعديل أو تغيير شـكل ومضـمون الرسـالة الاتصالية الموجه إليه من المرسل. لكن في الإعلام الجديد هنـاك تشـارك لـيس لعنصر واحد فقط بل أن كل عنصر يتفاعل بشكل مستمر مع العنصر الاخـر، لذلك فإن التفاعلية قائمة على مشاركة العناصر كلها وليس اعتمـاد اسـتجابة عنصر واحد فقط. فكل عنصر يحمل صفات العنصر الاخـر علـى وفـق مبـدأ التبادلية.

التغذية العكسية في الإعلام التقليدي	التفاعلية في الإعلام الجديد
1-لا تعـد التغذيـة العكسـية، شـرطاً أساسـاً في الإعـلام التقليدي، إذ يستطيع الإعلام أن يؤدي وظائفه بـدون وجود تغذيـة عكسـية، وتعـدُّ عـاملاً مسـاعداً ولـيس أساساً.	1- تعــد التفاعليـــة عنصـــراً أساســـاً في الإعــــلام الجديد،فبدونها لا يؤدي الإعلام الجديد دوره، الذي يعتمد بشكل أساس على شبكة المعلومات الانترنت.
2- تعــني مســتوى فهــم المتلقــي لمضــمون الرســائل الاتصالية، والتي تصل للقـائم بالاتصـال علـى شـكل ردود.	2- تعني درجة التوافق والتجانس، بين عناصر الاتصال، بما يسمح بتبادل الادوار بينها.
3- تعني انعكاساًاجتماعياً، للمضمون الاتصـالي، يسـمح للقائم بالاتصال بتعديل مسـار مضـمونه، بمـا ينسـجم ورغبة المتلقي.	3- تعني تفاعلاًاجتماعياً بين عناصر العملية الاتصـالية، ينتج عنه مضمون اتصالي يتفاعل من جديـد، لينـتج مضموناً جديداً.
4-تعتمد قوة التغذية العكسية على مستوى وعي الجمهور للمضمون الاتصالي، وطبيعة وسيلة الاتصال.	4- تعتمد قوة التفاعلية على مستوى التوافق بين عناصر العملية الاتصالية، في الشـكل والمضـمون، وسـرعة تبادل الادوار.
5-عملية تبـادل الادوار في الإعـلام التقليـدي لا تحصـل بسبب أن كل عنصر له دور يختلـف عـن دور العنصـر الاخــر، وأي تبــادل يُحــدث خلــلا في العمليــة الاتصالية،ويمكن التمييز بين عناصر الاتصـال بسـهولة لذلك فالتغذية العكسية لا تمثـل عنصـراً قـابلاً لتبـادل الدور مع العنصر الاخر.	5- كل عنصر في عملية الاتصال يسـتطيع التفاعـل مـع العنصـر الاخـر، وتبـادل الـدور معـه، وكلمـا كـان التفاعل اسـرع،يتبادل الادواربشـكل أسـرع، ضـمن عملية الانـدماج الاتصـالي، ويصـعب التمييـز بـين عناصر الاتصال.
6-تعدّ عاملاً مساعداً في تطوير الاتصـال الجمـاهيري، إذ إن الإعـلام التقليـدي يعتمـد علـى التغذيـة العكسـية لتطوير الاتصال الجماهيري.	6- تجعـل مــن الإعــلام الجديـد أقـرب إلى الاتصــال الشخصي من بـاقي أنـواع الاتصـال بسـبب سـرعة الاتصال العالية التي تلغي محددات الزمـان والمكـان ضمن الفضاء الافتراضي.
7-ليس بالضرورة أن تحصل التغذية العكسية بشكل آني، فقد تستغرق زمناً طويلاً نوعـاً مـا، والسـبب يعـود إلى إعتماد وسائل اتصـال ذات سـرع وتقنيـات محـدودة، تعيق وصول التغذية العكسية بشكل فوري.	7- تحصل التفاعلية بين عناصر عملية الاتصـال بشـكل آني، بما يعرف بالاتصال اللحظي، ويصعب التمييـز بــين عناصــر عمليــة الاتصــال بســبب الانــدماج الاتصالي الحاصل بينها.

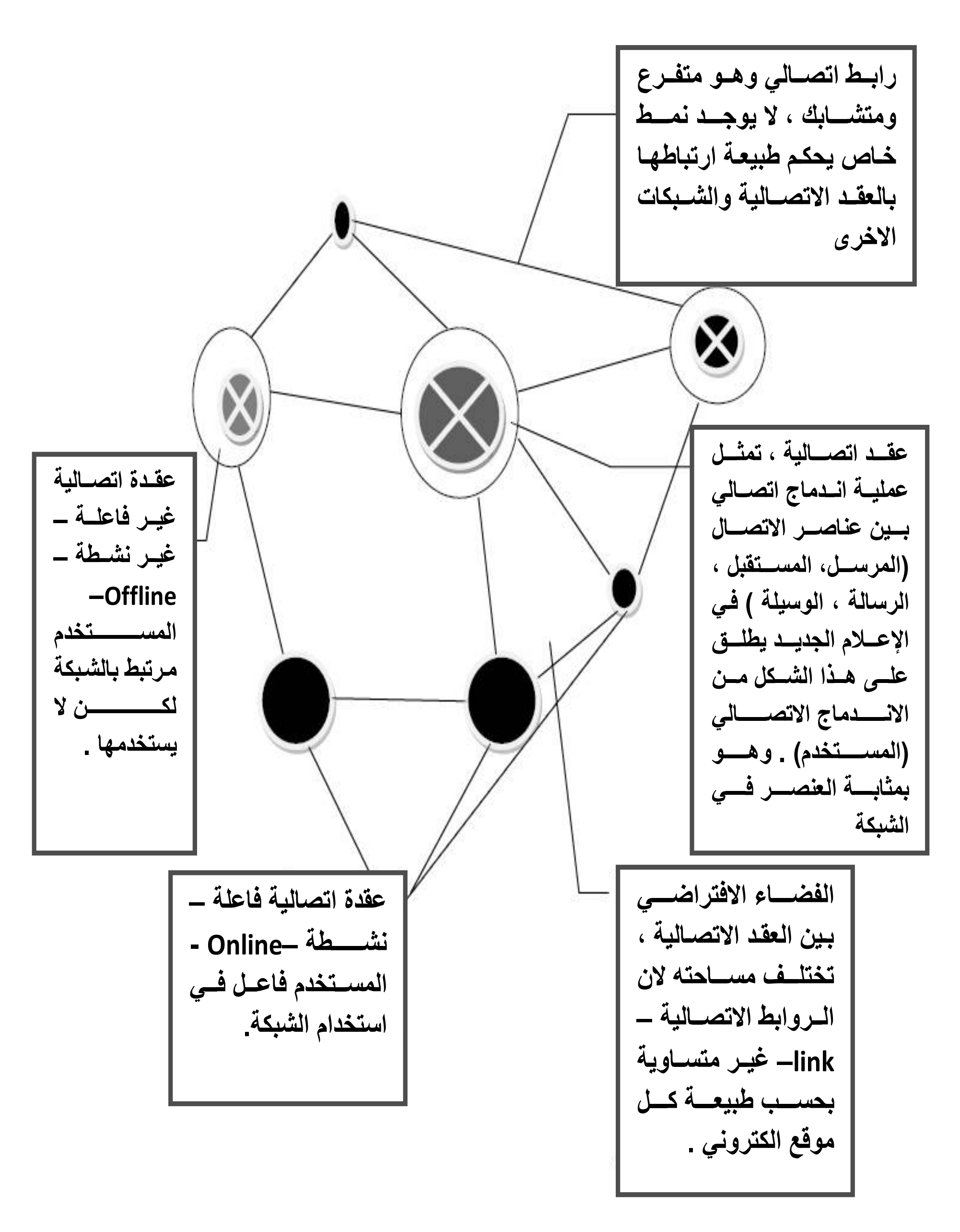
جدول* رقم (3) يوضح الاختلاف بين التفاعلية في الإعلام الجديد والتغذية العكسية في الإعلام التقليدي

*الباحث نظم الجدول.

خامساً : السرعة في عملية الاتصال الشبكي

يمثل مفهوم الشبكة الاساس لفهم عملية الاتصال في فضاء الانترنت،إذ تمثل الشبكة مجموعة العقد الاتصالية المرتبطة مع بعضها بوصلات – روابط اتصالية – وقد تكون العقد الاتصالية متفاوتة الصلة بالشبكة، ويطلق عليها العقد الخاصة، بمعنى اخر قد تكون الشبكة الاتصالية مرتبطة بشبكات اخرى عن طريق عقد اتصالية خاصة. ولا تنبع الأهمية النسبية لعقدة ما من مزاياها الخاصة، لكن من قدرتها على المساهمة في فاعلية الشبكة في تحقيق أهدافها كما تحددها القيم والمصالح المبرمجة داخل الشبكة لكن العقد كلها في شبكة ما ضرورية لأداء الشبكة بالرغم من أن الشبكات تسمح ببعض التكرار كضمان لعملها بشكل ملائم، وعندما تصبح العقد ضرورية لتحقيق أهداف الشبكة، تميل الشبكات لأن تعيد تشكيل نفسها بحذف بعض العقد وإضافة عقد جديدة ولا وجود للعقد ولا عمل لها إلا كعنصر من عناصر الشبكات ([1]). بمعنى أن مفهوم العنصر في الشبكة تمثله العقدة الاتصالية وليس مكونات العملية الاتصالية انظر الشكل رقم (8) الذي أعده الباحث والذي يوضح شكل العقد الاتصالية في الاتصال الشبكي. فالعقدة الاتصالية باللون الاسود تدل على أن العقدة الاتصالية غير نشطة لكنها متصلة بالشبكة، والعقدة الاتصالية باللون الرصاصي تدل على أن العقدة الاتصالية نشطة وهي في حالة اندماج اتصالي في مكوناتها الاتصالية كلها، بمعنى انها في حالة تفاعلية مستمرة مع باقي العقد الاتصالية النشطة وغير النشطة،وترسل رسائل الاعجاب والمشاركة والرأي، كما انها في الوقت نفسه تحث العقد الاتصالية غير النشطة بالتفاعل معها،على وفق مبدأ ان العقد الاتصالية جميعها متصلة بالشبكة.

([1]) مانويل كاستلز ، سلطة الاتصال مصدر ساب



شكل*رقم (8) يوضح شكل العقد الاتصالية في الشبكة الاتصالية

---

*الشكل أعده الباحث.

وتبين للباحث أن سرعة عملية الاتصال تعدُّ من أهم المحددات لجودة التفاعلية في العملية الاتصالية، فكل عنصر في عملية الاتصال له سرعة خاصة، فمثلا المضمون الاتصالي تعتمد سرعته على نوع المضمون، فعند تحميل مقطع فيديو يحتاج الى سرعة خاصة ربما تكون عالية لتحميل مقطع فيديو طويل، لذلك تسعى مواقع مشهورة مثل موقع الفيسبوك لتطوير مجال سرعة التحميل وتعزيز نطاق التحميل ليتسع لمحتوى اكبر وبمجالات مختلفة، في حين أن موقع يوتيوب الذي يعتمد بالاساس على مقاطع الفيديو قد وفر للمستخدم نطاقاً واسعاً من التحميل، أو طلب مجالاً أوسع من الموقع للتحميل في حال كان المقطع كبيراً. وهذا يعني فرصاً للتمتع بمشاهدة سريعة. وغير متقطعة لذلك فإن مبدأ السرعة هو معيار جودة للموقع الالكتروني. اما فيما يخص سرعة المستقبل فتمثل جودة المستقبل للمضمون الاتصالي من حيث الادوات أو الذي يدير الادوات في استقبال عدد غير محدود من المضامين الاتصالية وارسال الردود من دون تأخير. إذ يمثل التأخير في استقبال المضمون الاتصالي او الرد عليه أحد أهم المعرقلات لعملية الاندماج الاتصالي إذ أن المستخدم يشعر بالملل والضجر في الوقت الذي لا تصل فيه الرسالة الاتصالية بسرعة، وفي أحيان كثيرة فأنه يترك الموقع وربما الشبكة ويغادر. وتعدُّ سرعة الوسيلة ويقصد بها هنا الموقع الإلكتروني في شبكة الانترنت. معيار نجاح الموقع في الاستخدام أو فشله، فربما يكون الموقع الالكتروني يحتوي الكثير من المضامين الاتصالية التي تجذب المستخدم لكن الموقع بطيء، وقد تعرضت الكثير من المواقع المشهورة مثل موقع فيسبوك وتويتر ويوتيوب وماي سبيس وغيرها للمشكلة نفسها، فحينما يزداد عدد المشتركين في الموقع يزداد الضغط على وحدات المعالجة المركزية مما يسبب تقليل السرعة، لذلك لجأت الكثير من هذه المواقع إلى مجموعة من الإجراءات لمعالجة هذا الخلل، منها زيادة مساحة التخزين وخيارات التخزين.

المبحث الثالث

الاتصال في مواقع التواصل الاجتماعي

أولا : مواقع التواصل الاجتماعي

بعد التطور الكبير في مجال الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات،ولاسيما في نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين، تطورت شبكات الاتصال في الانترنت، لتشهد انتقالة على الصعيد التقني الذي انعكس بشكل كبير على المجال الفكري للمجتمعات،وتعد مواقع التواصل الاجتماعي، إحدى أهم نتاجات هذا التطور، ليس على صعيد تبادل المعلومات فقط، بل على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، التي تأثرت جميعها في نطاق المجال العام بحرية الرأي وتبادل المعلومات، ففي الوقت الذي كانت المجتمعات تسعى لايجاد منافذ للحوار تخرجها من رقابة السلطة، وكل ما تحمله من اساليب التسلط والتحكم والتوجيه،كانت الافكار تتبلور على الصعيد التقني لتحقيق هذا الهدف. لذلك فإن ظهور مواقع التواصل الاجتماعي يعد استجابة لحاجة المجتمعات للتعبير عن الرأي ضمن نطاق من الحرية. بعد أن ابتعد الإعلام عن اهدافه الحقيقية في المجتمع.

لذلك تَعدّمواقع التواصل الاجتماعي،من أهم فرص التواصل التي تتيحها شبكة الإنترنت للأفراد والجماعات من أرجاء العالم المختلفة فـ (Web) ليس مجرد مصدر معلومات فحسب؛ بل له وظيفة اتصالية، لا تقل أهمية عن وسائل الاتصال الاخرى، إذ يستخدمه عدد من الأفراد للتواصل مع الأهل والأقارب والأصدقاء، عن طريق مواقع الشبكات الاجتماعية التي تعد وسيلة جديدة لتبادل الآراء والأفكار، وحشد المناصرة والتأييد لقضية من القضايا، وتكوين الوعي حول القضايا المختلفة، أو تدعيم القائم منها سلفا، عن طريق المواد المنتجة باستخدام الوسائط المتعددة، عوضاً عن المنتديات الإلكترونية التي يقوم على إدارتها أشخاص، يقومون بالدور التقليدي لـ (حارس البوابة)، والمجموعات البريدية محدودة الفاعلية، والمواقع المجانية المتخمة بالإعلانات التي تفرضها المواقع الموفرة لهذه الخدمة، فقد وجدت المدونات طريقها إلى شبكة الإنترنت، ومواقع الفيديو، وألبومات الصورة، فمستخدمو مواقع التواصل

الاجتماعي، ينتمون إلى مشارب مختلفة، ولهم أهتمامات واحتياجات مختلفة، وبعضهم يرى أن هذه الاهتمامات والاحتياجات، لا تجد من وسائل الإعلام والاتصال الاهتمام اللائق لتلبيتها بصورة كافية، فضلاً عن عدم تغطية هذه الوسائل للأنشطة جميعها التي يقومون بها، مما دفع هؤلاء الأفراد لتقديم محتوى يخصهم وحدهم، وبما يمكنهم من نقله لغيرهم، معبرين عن طريقه عن أهتماماتهم المتفاوتة، وعلى نحو يفي بأحتياجاتهم الاتصالية كافة، ويشيع رغباتهم الاتصالية بوجه عام ([1]).لذلك فإن مواقع التواصل الاجتماعي تمثل بيئة إعلامية جديدة.

تتسم بيئة الإعلام الجديد بحالة اتصالية غير مسبوقة لا يمكن التعامل معها ضمن النطاقات المنهجية المتعارف عليها في علم الاتصال الجماهيري، سواء من حيث النوع (صحافة، إذاعة، إعلان) أو من حيث الوظيفة المحددة (الترفيه، التعليم، الإرشاد، الأخبار) ولا من حيث الأبعاد الثقافية المتضمنة في وسائلها التي تعمل على تحقيق (نقل التراث، التنشئة السياسية، التعبئة والحشد)، ولا من حيث تكوينها البنائي كمؤسسات ذات تنظيم محدد وتراتب معروف، ولا من حيث تعبير النشاطات الاتصالية عن مجتمعات ودول، فقد صارت الشبكات الاجتماعية وحدة تحليل تتسم بعدم الأنتماء المرجعي الواضح لدولة أو ثقافة محددة. هذه الامور كلها تؤكد أننا في الحقيقة لا نقف أمام وسيلة اتصال بل أمام بيئة اتصالية متكاملة ومتغيرة ([2]).

هذه البيئة الاتصالية لم تأذن فقط بولوج العالم إلى عصر المشاركة وقرب نهاية عصر الرقابة والتحكم في المعلومات، ولكنها أذنت بثورة من نوع أخر؛ ثورة سياسية ضد أشكال التحكم والتسلط والاستبداد كافة. إن المشاركة هي مفهوم يعكس في

([1]) عبد الرحمن محمد سعيد الشامي ، أفاق الاتصال والتواصل في بيئة الإعلام الجديد دراسة ميدانية لعينة من الشباب الجامعي اليمني ، مجلة الاتصال والتنمية ، العدد 2 ، (بيروت ، دار النهضة العربية ، 2011)، ص 99.

([2]) حسام إلهامي ، أحمد سمير حماد ، مها عبد المجيد ، مناهج البحث في الإعلام الجديد ، (القاهرة ، شركة الوابل الصيب ، 2013) ، ص 60.

بعض أبعاده التمرد ورفض كثير من الأوضاع القائمة، التي تستند إلى مبدأ التسلطفي كثير من جوانب الحياة ابتداءً من التنظيم الأسري في كثير من الأوضاع التي تركز سلطة اتخاذ القرارات المؤثرة في حياة ومصير الآخرين في أيدي فئة محددة من الأشخاص ([1]).

إن مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت تمثلالإعلام الجديد الذي يصوغ عقول الجمهور، والناشئة منهم على وجه الخصوص؛ فالشباب، من الجنسين، يتعاملون اليوم مع وسائل اتصالية رقمية إلكترونية لا تخضع للإشراف أو الرقابة، وهذا ما يجعل الإعلام قوةً مؤثرةً على الجميع دون استثناء بحكم أن مستخدمي الإنترنت من فئات المجتمع وشرائحه جميعها. ويضع المفكر الفرنسي سيرج لاتوش Serge Latouche الإعلام الجديد كجزءاً من شبكة العولمة التكنو- أقتصادية وثقافية التي تجتاح العالم اليوم، ليبيّن قدرة العولمة الهائلة على زعزعة نظام القيم، وتوليد أزمات أخلاقية في بنية المجتمع الدولي برمته، في ظل بروز هذا النموذج المجتمعي الناشىء والقائم أساساً على الإعلام والاتصال على المستوى المحلي والاقليمي والعالمي الذي يعد إطاراً للتلاعب بالعقول ([2]).لذلك فإن مواقع التواصل الاجتماعي وعلى الرغم من أنها نظام اتصالي سهل الاستخدام، لكنها في الوقت نفسه يعد نظاماً اجتماعياً معقداً.

هذا التعقيد الاجتماعي ميزة عالمية للمنظومات التكنولوجية جميعها، ولكن هذه الميزة واضحة لاسيما في مجال الاتصالات لأسباب عده. منها: إن عمليات العولمة- التي تعدُّ مُنتجاً للفضاء الالكتروني ومساهماً فيه في الوقت نفسه- تؤدي إلى تكثيف المزيج المؤلف من الأطراف الفاعلة والثقافات والمصالح والأفكار في حوض الاتصالات الذي يزداد كثافة باطراد، مع أن الأمر قد يبدو نمطياً إذا قلنا إن الأحداث في إحد جوانب الكرة الأرضية يمكن أن تنتشر بسرعة الضوء لتؤثر في كل ما يحدث في

([1]) أسامة هيكل ، حروب الجيل الرابع الإعلام وتفتيت المجتمعات ، (القاهرة ، دار سما ، 2015) ، ص 69.

([2]) هزوان الوز ، الإعلام أدوار وإمبراطوريات ، مصدر سابق ، ص 20 .

الاطرف الآخرى من العالم، كما يجب عدم التقليل من أهمية انتشار المستخدمين الفاعلين الذين يمكن لأعمالهم أن تساعد في تشكيل الفضاء الالكتروني، والذين يتشكلون بدورهم عن طريق تفاعلهم ضمن الفضاء الإلكتروني. وهذه (الكثافة الديناميكية)* تسهم أيضاً في تسريع وتيرة التغيير المتأصل في الفضاء الإلكتروني، مما يجعله هدفاً متحركاً.فالابتكارات التي قد تأتي من مستخدم من ملايين المستخدمين في الفضاء الإلكتروني، يمكن أن تحدث بشكل يومي. وهذا يعني أنه بدلاً من أن يُنظر إلى الفضاء الإلكتروني على أنه عمل ساكن من صنع الإنسان، فمن الأفضل أن نتصوره على أنه حقل متطور بصورة دائمة. أي أنه نظام بيئي (إيكولوجي) متعدد المستويات يضم البنية التحتيه المادية، والبرمجيات، والقواعد الناظمة، والأفكار([1]).لذلك يرى الباحث أن مواقع التواصل الاجتماعي هي نظام اتصالي متكامل ومختلف عن النظام التقليدي للاتصال القائم على الفعل الاستراتيجي، وهو نظام أجتماعي وحداته كلها مرتبطة بشكل شبكي، يمثل فيه المستخدم المحور المنتج للحركة والذي يستمد ديمومتها من النشاط الاجتماعي الذي يمارسه ضمن نطاق عالمه الافتراضي الذي هو جزء من الفضاء العام، لذلك فإن البعد الاجتماعي للمستخدم يمثل محور نشاطه الفعلي، فالمبدأ الاساس الذي تقام عليها مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها من الشبكات الاجتماعية هو مبدأ (التعارف) الذي يعد جوهر المشاركة، فالمستخدم لا يعد منعزلاً عن مجتمعه في نطاق من الاصدقاء الذين يمثلون عالمه الاجتماعي والذين هم بذاتهم

*الكثافة ديناميكية : إن الإنسان كائن عضوي نفسي اجتماعي فهو يعيش بالجماعة و فيها و بين أحضانها . لذلك يرى علماء النفس الاجتماعي ان دراسة الجماعة و ديناميكاتها هي نقطة البدء لفهم الإنسان من زاوية اجتماعية نفسية ، والكثافة الديناميكية ، تعني طبيعة حركة الافراد داخل الجماعات الكثيفة. ولمعرفة المزيد عن مفهوم الكثافة الديناميكية ، أنظر :

John Gerard Ruggie, " Continuity and Transformation in the World Polity: Toward a Neorealist Synthesis" World Politics No: 32 (January 1983) :pp 85-261

([1]) لاري دايموند ومارك بلاتنر، تكنولوجيا التحرُر وسائل الإعلام الاجتماعي والكفاح في سبيل الديمقراطية، (أبو ظبي ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، 2013) ، ص 67-68.

يمثلون عوالم اجتماعية أخرى، لذلك فإن طبيعة التعارف بين الاصدقاء قسم كبير منها قائم على الصدفة، والقسم الاخر على القصدية في التعارف، والكثير ممن يحاول أن يغلق عالمه الاجتماعي،يجد نفسه مطوقاً بمجتمع يسعى للتعارف، لذلك فمواقع التواصل الاجتماعي نافذة للإعلام الجديد تمثل بعداً اجتماعياً للمستخدم وانعكاساً لمجتمع المستخدم الفعلي.

فقد ساعد الانترنت على ظهور آليات جديدة من الروابط الإنسانية التي تتشكل عن طريق تطوير وسائل جديدة للاتصال. والرأي القائل بأننا منخرطون بشكل متزايد في أشكال التفاعل الاجتماعي التي أصبحت انعكاسية بشكل مكثف للتطور التقني([1]).

وقد مكنت التطورات الكبيرة والسريعة في المجال التقني من تقليص المسافات كما حظيت الاتصالات الإلكترونية بأهتمام كبير لأنها غيرت من شكل ونوع العلاقات التبادلية بين أفراد المجتمع، فنحن نعيش في مجتمع عالمي لا يمكن تجاهل الطرف الأخر فيه أو نكون بمعزل عن مشاكلهم وأوضاعهم وبذلك ظهرت طرقاً بديلة للحياة، ويرى تومسون : " أن شبكة الاتصالات الجديدة زادت من إمكانية التدفق العالمي للعلوم والمعارف واوجدت رؤية جديدة للعالم أضافة لذلك ساعدت في الاستجابة التبادلية للاتصال " ([2]).

(1) James Slevin , " The Internet and Society " ,printed in great Britain by MPG book, Bodmin , Cornwall. (2003) , p 90 .

2()James Slevin , " The Internet and Society " , Op.cit, p 200 .

ثانياً : البعد الاجتماعي للمستخدم

ليس مستخدمو وسائل التواصل الاجتماعي، ذرات منفصلة أو وحدات منعزلة، بل هم ينتمون، بشكل أو بآخر، إلى شبكة من البنى الاجتماعية، التي تؤثر على قراراتهم واتجاهاتهم نحو مخرجات عمليات الاتصال. ومن هنا يبرز مفهوم البيئة الاتصالية وتأثيرها على عملية الاتصال، وذلك لأن المستخدمين هم نتاج خبراتهم وتأثيرات بيئتهم، وأن بيئة المستخدمين هي التي تفرض نمط الاتصال، وهي التي تقوم بتشكيل الاتجاهات والقيم والمعتقدات. وفي ضوء ما تقدم تبرز ضرورة تحليل عملية الاتصال الجماهيري على أن الاتصال الجماهيري نظام أجتماعي بين أنظمة أخرى في السياق الاجتماعي العام.

يرى هربرت ماركوز* : "أن وسائل الاتصال الجماهيرية تقوم بدور الوساطة بين السيد والعبد، إلا أنها متشبعة بنوع من الرفاهية بهذه البنية الفوقية الإنتاجية القائمة على قاعدة المجتمع التعيس، بينما وكلاء الإعلان يصنعون عالم الاتصال الذي يُترجَم فيه السلوك الأحادي البعد" ([1]).

ويرى الباحث إن المفاهيم التي يطرحها الإعلام غير قابلة للنقاش؛ لأن الإعلام يخاطب الجماهير بمفاهيم تنزل منزلة الطقس المقدس، وذلك عن طريق مجموعة من الادوات الإعلامية التي تعمل على التأثير على المتلقي، وكما يريد ويراها القائم بالاتصال، بمعنى أن المتلقي يقف عاجزاً عن النقض أمام اساليب الاقناع المختلفة التي تمارسها وسائل الإعلام الجماهيرية والتي تهدف لغايات هي في الغالب أمتداد طبيعي لرأي السلطة، أو المعلن في أقل تقدير، بحيث يصبح المتلقي مقلداً في كثير من الاحيان

---

*هربرت ماركوز: (1898 – 1979) فيلسوف ومفكر ألماني أمريكي ،معروف بتنظيره لليسار الراديكالي وحركات اليسار الجديد ونقده الحاد للأنظمة القائمة. انظر موقع ويكيبيديا : https://ar.wikipedia.org/wiki

([1]) هربرت ماركوز ، الأنسان ذو البعد الواحد ، ترجمة : جورج طرابيشي ، (بيروت ، دار الاداب ، 1969) ص 122.

للصور التي ترسل له عن طريق وسائل الإعلام، وتظهر انعكاسات هـذه الصـور علـى شكل سلوك في المجتمع، وهذا ناتج طبيعي عن أساليب التأثير النفسي التي تمارس علـى افراد المجتمع المغلق ضمن مجاله الخاص، هذه العزلة هـي في حقيقـة أمرهـا واحـدة مـن أهداف السلطة، فليس من المنطقي أن يحكم الفرد وهو حر الارادة والتصرف وبأمكانـه الاندماج في مجالات اخرى لمجتمعات قد تحتوي سلوكيات تخالف ايديولوجية السلطة.

هذا بالضبط ما ذهب اليه ماركوز فهو يعدُّ الواقعية التي يعيشها الفرد والتي تمثـل نمـط الحريـة السـائد، هـي في الحقيقـة تعبيرللعبوديـة، وأن نمـط المسـاواة السـائد هـو اللامساواة المفروضـة فرضـاً. أو عنـدما تسـمى الحكومـة المسـتبدة حكومـة ديمقراطيـة وعندما تسمى الانتخابات المزورة انتخابات حرة. إن صـناعة الـرأي العـام علـى هـذا النحو يجعل هذا المجتمع يقبل بالاكاذيب عن طريق الآلة الإعلاميـة بـدون أن يناقشـها، حتى ولـو حملـت تناقضـاً شـديداً، ومـن هـذه الكلمـات الـتي تحمـل هـذا النـوع مـن التنـاقض- إلا أنهـا تظـلُ مقبولـة بصـورة مسـتغربة – مـا وضـحه مـاركوز في بعـض العناوين مثل (الحركة العاملة تسعى لتنسيق الصـواريخ)، والإعلانـات مـن شـاكلة : (مخبأ فخم ضد الإشعاعات الذريـة)، وهـذه الكلمـات يصـعب جمعهـا فـإن (الحركـة العاملة، والصواريخ، والتنسيق) هي مصطلحات متناقضة غـير قابلـة للتوفيـق، أو أن يصرح المـرء بأنـه لا يمكـن للغـة وللمنطـق أن يجمعـا بـين مصـطلحات (الفخامـة) و (الإشعاعات الذرية) من غير أن يقعا في خطأ. في هذا السـياق يؤكـد مـاركوز أن للغـة طابع استبدادي يدعمه الإعلام عن طريق تعابير تضخم أو تقلـص بنـاء الجملـة الـذي يمنع تطور المعنى بخلقه صوراً ثابتـة تفـرض نفسـها فرضـاً، تلكـم هـي تقنيـة الإعـلان المعروفة، التقنية المستخدمة منهجياً لإيجاد صور مثبتة في الذهن. وإن الآلة الاعلاميـة لم تتوقف فقط عند تغيير الكلمات والتلاعب بها،بل إلى أبعد من ذلك فـإن مفـاهيم مثـل الخير والشر والصواب والخطأ تحددها اللغـة وبحسـب طبيعـة تفسـير القـائم بالاتصـال معتقداً ان المتلقي سوف يفهم تلك الصور نفسها. لذلك فـإن مـاهو كـائن لا يمكـن أن يكون حقيقياً كما يرى ماركوز فهـو يتصـور أن العـالم الـذي نحيـا فيـه يجـب أن يعقـل

ويتحول، بل أن يُقلب رأساً على عقب؛ ليصبح ما هو كائن فعلاً ([1]). هذا التصور الذي ذهب إليه ماركوز، كان حقيقياً إلى درجة حاجة المجتمع له، لكن ما كان غير ممكن لافتقار التقنية، أصبح في عصر الانترنت ممكناً، وأمكن بالفعل قلب الصورة عن طريق الشبكات الاجتماعية، التي تمثل التطور الطبيعي لشبكة الإنترنت والويب 2.0، ظهر مصطلح الشبكات الاجتماعية في عام 1954م من جون بارنر الباحث في العلوم الانسانية في جامعة لندن، وفي منتصف التسعينات من القرن العشرين بدأت شبكات التواصل بشكلها الحديث بالظهور مدفوعة بالطبيعة الاجتماعية للبشر وحاجتهم للتواصل، وشهد عام 2002م الميلاد الفعلي للشبكات الاجتماعية كما نعرفها اليوم، عندما ظهر موقع (Friendster) في ولاية كاليفورنيا، وقبل ظهور الفيسبوك أنشىء موقع (My Space) عام 2003م وأصبح أكبر شبكات التواصل حتى عام 2009م. ويطلق على الشبكات الاجتماعية تسميات عدة منها (الشبكات الرقمية،أو وسائل الإعلام الاجتماعي،أو مواقع الشبكات الاجتماعية)، وتمثل مساحات أفتراضية على شبكة الإنترنت يستطيع بواسطتها المستخدمون إنشاء صفحات واستخدام الأدوات الاتصالية المتنوعة للتفاعل والتواصل مع من يعرفونهم. وتركز الشبكات الاجتماعية على عملية بناء العلاقات الاجتماعيةالمتبادلة وتدعيمها عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني، وعلى الرغم من أن هذه المواقع أنشئت في الأساس للتواصل الاجتماعي بين الأفراد، فإن استخدامها امتد ليشمل النشاط السياسي لاسيما عن طريق تداول المعلومات الخاصة بالاحداث السياسية وكذلك الدعوة لحضور الندوات والتظاهرات([2]). ويرى الباحث ان مواقع التواصل الاجتماعي، جاءت في حقيقة الامر لإحداث تغيير جوهري في عملية التواصل في المجتمعات،لأن الهدف الرئيس هو بناء مجتمعات متكاملة متعارفة، نحو ثقافة مجتمعية متجانسة، وليس من الغريب أن نجد الكثير من أفراد المجتمع يتصفح في مواقع التواصل الاجتماعي

([1]) هربرت ماركوز ، المصدر السابق ، ص 126-163.

([2]) نها السيد عبد المعطي ، مصدر سابق ، ص 78-81.

محتويات اتصالية غير متجانسة ولا منسقة، بل والاكثر من ذلك قد تجد بينها متناقضات الخير والشر والصدق والكذب، والصياغات والاساليب المختلفة لغوياً ومعرفياً، وبالرغم من ذلك نجد الاقبال عليها كبيراً،فقد استطاع كل مستخدم أن ينضم بمجاله الخاص في سياق المجال العام للحوار، من دون قيود بدافع الترفيه وبدوافع سياسية في كثير من الاحيان، في سعي حثيث للتغيير الاجتماعي.

ويرى مانويل كاستلز* : " أن التغيير الاجتماعي في مجتمع الشبكات يتم عن طريق إعادة برمجة الشبكات الاتصالية التي تشكل بيئة رمزية لاستغلال الصور ومعالجة المعلومات في عقولنا، وهي المحددات الجوهرية للممارسات الفردية والجماعية. وبناء سياق جديدوصيغ جديدة في الشبكات التي تربط العقول وبيئتها الاتصالية([1]).بمعنى أن التغيير المجتمعي يسبقه تغيير في بيئة الاتصال، وعليه فإن البقاء على نمط أتصالي يدعونا للتفكير،والبحث في الاسباب التي تبقي نمطاً اتصالياً سائداً في مجتمع، فكل مجتمع له نظام من الاتصال الذي تجري فيه العمليات الاجتماعية جميعها، لكن السؤال المهم هنا : ما التغيير الاجتماعي الذي يحصل للمجتمعل و تغيرنظامه الاتصالي ؟ وللجواب عن هذا السؤال يجب أولا فهم العلاقات الانسانية في المجتمع،إذ شمل مفهوم العلاقات الانسانية عوامل ضابطة لعمليات الاتصال والتواصل تمثلت في المهارات والمواقف والمعرفة والثقافة والنظم الاجتماعية، فأعطت بعداً إنسانياً تجاوز وجهات النظر إلى بلورة الفكر وتحليله ومن ثم إعادة صياغته بأسلوب إنساني يتوافق مع الموقف والثقافات والقيم الاجتماعية. والاتصال فبِبُعده الأنساني هو فكرة في طبيعة العلاقات الإنسانية طورت لتصف وتفسر وتنقل مفردات ذات علاقة مباشرة

*مانويل كاستلز : بروفسور في علم الاتصالات، يشغل كرسي الأستاذيّة في مدرسة أننبرغ لاتصالات والتكنولوجيا والمجتمع، التابعة لجامعة جنوب كاليفورنيا، لوس أنجلس، الولايات المتحدة، ومدير مشروع الإنترنت كاتالونيا في جامعة أوبرتا في كاتالونيا، برشلونة، إسبانيا. أنظر موقع ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki

([1]) مانويل كاستلز، سلطة الاتصال ، ترجمة : محمد حرفوش ، (القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، 2014) ، 578.

باهتمامات الأفراد بفكرة عملية فحص ظواهر إنسانية تلخص وتبسط على شكل رسائل معرفية توظف في الظاهرة والنشاطات الاجتماعية وتؤدي إلى الحراك الاجتماعي والتعامل مع البيئة التي يعيش فيها الإنسان ويمثلها التفاعل المستمر والعلاقات التي تفرضها ثقافة المجتمع ويؤدي إلى التغير النوعي لأشكال المعرفة وتوليد معرفة أخرى تشمل القيم والمعتقدات والثقافة بشكل عام ([1]).

لذلك فإن ثمة علاقة بين العلاقات الانسانية والبناء الاجتماعي في المجتمع، وحلقات الربط بينها هو الاتصال، فقد تطور الاتصال بشكل مستمر تبعاً لحاجة الأفراد في المجتمع، ونجد أن بعض مراحل التاريخ الانساني شهدت أستمرار نمط اتصالي لمدة طويلة، من حوارات الجماعات إلى خطاب الفرد للجماعة ثم خطاب الافراد لجماعات مختلفة وفي أغلبها كان الاتصال الشخصي هو الغالب حتى خطاب الفرد لجمهور واسع لم يعدُ سوى اتصال شخصي، فلم يكن هناك تأثير للتقنية بشكل جوهري تساعد القائم بالاتصال على إيصال خطابه لفئات المجتمع بشكل أوسع، لكن مع ظهور التقنية ظهرت إتجاهات جديدة من الاتصال القائمة على دور الوسيلة في تفعيل خطاب الفرد للجمهور، فأطلق على الخطاب بالجماهيري وكذلك أصطبغت الوسيلة بصفة الخطاب نفسها، وذلك جعل شكل الاتصال ينعكس على المجتمع وطبيعة العلاقات الانسانية.

ثالثاً : علاقات المستخدمين في مواقع التواصل الاجتماعي

إن مواقع التواصل الاجتماعي ساعدت وبشكل كبير على بناء تحولات في عالمنا واوجدت طرقاً فاعلة لربط الأفراد ونقل ثقافات المجتمعات فالدور الذي يؤديه التطور التكنولوجي في الوسيلة الاتصالية يدفع بشكل إيجابي المحتوى الاتصالي ليكون

([1]) عبد الرحمن بن إبراهيم الشاعر ، مصدر سابق ، ص 205.

أكثر ملاءمة معه وينمي أيضاً القابليات الاتصالية لطرفي الاتصال فلا يمكن التمييز بينهما وذلك للترابط المنظم للمكونات الاتصالية بشكل دقيق([1]).

ويرى الباحث إن بناء العلاقات بين المستخدمين لمواقع التواصل الاجتماعي، تعتمد على مجموعة من العوامل التي تسهم في تحديد شكل العلاقة الافتراضية، مثل نوع الموقع الالكتروني، وخصوصية الموقع،والمضمون الاتصالي المتداول في الموقع،فلكل موقع من مواقع التواصل الاجتماعي سمات وخصائص تميزه عن غيره، وقد تنسجم خصائص الموقع مع مزاج المستخدم ورغباته وما يهدف له، وإن توسع شبكات التواصل الاجتماع ساعد على حرية أكبر في الاختيار، وفي الوقت نفسه صعب عملية الاختيار، فالكثير من مواقع التواصل الاجتماعي ربما لم يسمع بها المستخدم، أو ربما لم يتوافر له حيز زمني لتصفحها ومعرفة نوعها، فضلا عن التباين والاختلاف بين المستخدمين لمواقع التواصل الاجتماعي من حيث مستويات الوعي والثقافة الالكترونية، بمعنى الجهل في عمليات التسجيل أو ادارة المحتوى الاتصالي وبناء العلاقات مع مستخدمين اخرين،ولكل موقع الكتروني نظام من الخصوصية يعمل على حفظ بيانات المستخدم من التجاوز عليها،فضلا عن حماية المحتوى الاتصالي الذي يشارك به في الموقع، وفي كثير من الاحيان يتم التجاوز على موقع المستخدم والتطفل عليه، بدافع سرقة البيانات أو الفضول، أو بدوافع أخرى، وقد يلجأ الكثير من المستخدمين إلى حماية نظام الخصوصية العائد لهم عن طريق أستخدام خيارات الموقع في هذا الشأن، وهذا قد يعيق بناء علاقات جديدة مع المستخدمين، فقد يختار المستخدم، خيار عدم الاطلاع على الصور، أو المحتوى الاتصالي بالعموم، أو معرفةأطلاع عموم أو خصوص المستخدمين على اصدقاء المستخدم، وهي خيارات تحافظ على الخصوصية لكن في الوقت نفسه تحجم صفحة المستخدم وتقلل من فرص المشاركة والتفاعل، وبناء علاقات جديدة،فإن مصدر ديمومة مواقع التواصل الاجتماعي هي (التعارف)، وتوسيع الفضاء العام للتداول والحوار،وأن طبيعة

(1) Deanna Zandt, " Share This! How you will you change the world with social networking " , Berrett – Koehler publishers , Inc.San Francisco, (2010) . p1.

المضمون الاتصالي تسهم في تحديد نوع العلاقات في مواقع التواصل الاجتماعي إذ إن الاقتصار على مضمون معين، يسهم وبشكل كبير في تحديد وتحجيم نوع العلاقات مع المستخدمين في الموقع، فهناك بعض المستخدمين يفضلون الحديث في السياسة فقط وهناك من يفضل أن يكون جاداً في طرح الافكار ولا يقبل بفرص من الترفيه،وهناك من يخرج عن حدود الجوانب الاجتماعية لمواقع التواصل، وهذا بدوره يسبب عزوف الكثير من المستخدمين عنبناء العلاقات الاجتماعية وتطويرها، وربما يقتصر البعض على متابعة المضمون الاتصال من دون المشاركة وهي سمه لا تنسجم مع سمات مواقع التواصل الاجتماعي وخصائصهاوالتي من ابرزها التفاعلية والمشاركة.وهناك أيضا مؤثرات تتعلق بالفضاء الافتراضي للموقع الالكتروني ومدى الاعتماد على مكوناته،إذ يرى كيب ويليامز، أخصائي علم النفس الاجتماعي في جامعة بوردو : "أن الناس يعتبرون العلاقات التي تتم على شبكة الإنترنت سطحية ولا تتمتع بالعمق، ولكن مع تزايد الاعتماد على الوسائل التكنولوجية للتواصل، بات من المهم لكل شخص جمع أكبر عدد ممكن من الأصدقاء على شبكة الإنترنت"([1]).لذلك يستنتج للباحثطائفة من المؤثرات التي تسهم في بناء العلاقات بين المستخدمين في الفضاء الافتراضي وهي :

1- **البيئة المادية** : يمثل المكان الذي يحدث فيه الاتصال والتفاعل على علاقة المستخدمين،ودرجة تقبل المضمون الاتصال والاستجابة له، والتفاعل معه، وتشير بعض الدراسات إلى أن للمكان تأثير نفسي في المستخدم، فقد وجد ليسوبر " أن تفاعل الافراد حول محتوى اتصالي معين يكون أكثر في حجرة صغيرة عنه في أخرى كبيرة، كما لوحظت زيادة إمكانية استقطاب الآراء في حجرة صغيرة، وأيضاً فقد وجد أن مواقع الأثاث ووجود دعامات داخل المكان من شأنها أن تؤثر على التفاعل البينشخصي*. وقد لاحظ كل من ميهرابين

([1]) حسنين شفيق ، الإعلام الجديد والتحولات المستقبلية ، مصدر سابق ، ص 134.

*التفاعل البينشخصي : وتمثل التأثيرات المتوقعة من أفعال الافراد وتصرفاتهم ، وتشتق هذه التوقعات من المعتقدات المتعلقة بالسمات الديموجرافية مثل (العمر ، والنوع ، والحالة الاجتماعية والاقتصادية)

ودايموند أن انشغال المشاركين بإحـد الملصـقات الملفتـه، يخفـض قـدر سـلوكيات الاندماج في المناقشة، مثل مقدرة الحوار والتواصل البصري، والتأييـدات اللفظيـة ([1]).لذلكفإن مواقع التواصل الاجتماعي لأنها مكان أفتراضي يخضـع للعوامـل التي يخضع لها المكـان الـواقعي، بمعنـى أن المحتـوى الاتصـالي يتـأثر بنـوع الموقـع والمواصفات والخصائص الـتي يتصـف بهـا،والتي تسـهم كعامـل جـذب لتفاعـل المستخدم مع المضـمون، مـثلاً موقـع فيسـبوك يحتـوي مضـامين اتصـالية مختلفـة متوزعة بين الإعلان والإعلام والدعاية والحـرب النفسية،فضـلا عـن خصـائص تسمح للمستخدم بتوظيفها كما يرغـب بشـكل إيجـابي أو سـلبي، وبحسـب نـوع الاستخدام، كما تؤثر البيئة المادية على سـلوك المسـتخدم مـن حيـث الاسـتجابة للمضـامين الاتصـالية والتفاعـل معهـا، إذتحصـل بعـض الصـفحات في موقـع الفيسبوك على عدد هائل من الاعجابات والتفاعـل المسـتمر مـع كـل مـا ينشـر، وهي في الغالب شخصيات مشهورة، وذات تأثير مجتمعي، وفي كثير مـن الأحيـان عندما يكـون المحتـوى المشـارك في الصـفحة كـبير لا يسـتطيع صـاحب الصـفحة إدارتها كما يجب، ويلجأ إلى الاستعانة بمستخدم أخر وربما مجموعـة مسـتخدمين، وتكون هذه الصفحات ذات محتوى أتصالي دائـم التجديـد، وفي الجانـب الأخـر هناك صفحات لا تجد أقبالاً و تفاعلاً، وتمتاز في الغالب بأنها ذات مضمون قليـل وغير متنوع، مما ينعكس سلباً على جـذب المسـتخدمين ولفـت انتبـاههم. لـذلك فإن مواقع التواصل الاجتماعي تمثل أماكن متجددة وذات تنوع خاص من حيث المحتوى الاتصالي الذي يعمل على تركيز أهتمامات المسـتخدم أو بـالعكس علـى تشتيتها بسبب تنوع المحتوى الاتصالي.

والسمات الشخصية والسمات الجسمانية مثل (المظهر والملبس) وكذلك من خبرات الماضي . انظر : دافيـد ستيورات ، بريم شامداساني و ديني سروك ، الجماعات البؤرية النظرية والتطبيـق ، ترجمـة : راقيـة جـلال الدويك ، (القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، 2012) ، ص 57 .

([1]) دافيد ستيورات ، وأخرون ، المصدر نفسه ، ص 68.

2-**الاقليمية** : تؤثر الإقليمية والتي تشير إلى توجه يتبناه المستخدم نحو مناطق جغرافية (في بيئته المباشرة) وموضوعات تخص هذه المناطق، بشكل واضح على تفاعلات البيئة في الجماعات الصغيرة، بمعنى عندما يفترض مستخدم في مواقع التواصل الاجتماعي حق ملكيته لشيء معين لأنه يخص منطقته الجغرافية أو الاقليمية أو القومية، فإن انسيابية أداء الأدوار في مجموعة الاصدقاء له، تعتمد على درجة احترام المستخدمين الآخرين لهذا الحق الإقليمي المفترض لهذا المستخدم، وعلى سبيل المثال : إذا نشر أحد المستخدمين محتوى أتصالي معين مثل مقطع فيديو أو صورة، أو كتب موضوعاً أو مقالاً،عادّاً إياه ملكاً خاصا به يخص نظامه الجغرافي أو الاقليمي، ثم قام صديق له أو مستخدم أخر بأخذ المحتوى الاتصالي نفسه مدعياً أنه ملكه أو قام بتحريفه، ورفض أن يتنازل عن هذا الحق، بعد أن يحذره المستخدم صاحب المحتوى الاصلي أو مستخدمين أخرين، فإن التشاحن الداخلي بين المستخدمين سيكون أمراً محتوماً.

2-**الترتيبات المكانية:** يمكن أن تؤثر الترتيبات المكانية على إدراك المستخدمين في مواقع التواصل الاجتماعي، ودرجة المشاركة وأنماط التفاعل وسلوكيات أدارة المستخدم لصفحته،بمعنى أن ترتيب المحتوى الاتصالي يؤثر على شكل العلاقات الاجتماعية بين الاصدقاء، وكما هو واضح فإن هذه المواقع تمتاز بالتنوع في المضمون الاتصالي، وعملية توزيع هذا المضمون تخضع لمزاج ورغبته المستخدم، لذلك فإن عملية أختيار التنويعة المناسبة التي تمثل الترتيب في الفضاء الافتراضي وهو بمثابة المكان الافتراضي للمضمون، تساعد على إعطاع تصورات إيجابة للمستخدم صاحب الموقع، فقسم من المواقع الالكترونيةتزدحم بتنوع كبير ومنظم،لأن المستخدم يحاول أن يعطي تصوراًإيجابياً لصفحته، فعندما ينتقل من مضمون إلى أخر نجد أنه يراعي مجموعة الاصدقاء له بشكل واضح، وهناك مستخدمون أخرون لديهم التنوع نفسه في المضون لكنه غير منظم، فينشر مضموناً من دون مراعاة الاصدقاء، فقد تكون هناك مناسبة حزينة قومية أو

وطنية والمستخدم لا يهتم لها وينشر مظاهر الفرح، مما يدفع الاصـدقاء إلى توجيـه النقد أو عدم الاعجاب بالمضمون الاتصالي.

3-**المسافات البين شخصية** : تتأثرطبيعـة التفاعـل في مواقـع التواصـل الاجتمـاعي بالمسافات البينية والحدود الفاصلة بين المستخدمين، فعلـى سـبيل المثـال : تكـون المسافة الشخصية بين الاصدقاء أقل منها بين الغرباء، وحتى بـين الغربـاء تختلـف المسـافة الشخصـية تبعـاً للسـمات الديموغرافيـة للافـراد، مثـل العمـر، والنـوع والخلفيات الاجتماعيـة والاقتصـادية والثقافيـة، وتتزايـد المسـافات البينشخصـية بتزايـد العمر،وتـؤثر طبيعـة العلاقـات بـين المسـتخدمين علـى المسـافة الفاصـلة بينهم،إذ تكون المسافات بين الغرباء أكبر منها بين المعارف، وتكون بـين المعـارف أكبر منها بين الأصدقاء، وفي العموم تميل الإناث إلى مسافات بينية أكبر من تلـك التي يفضلها الذكور ولاسيما في المجتمعات المغلقـة، ونجـد العكـس في المجتمعـات المفتوحة التي لا تسيطر عليها المنظومة العرفية والعقائدية، ويمكـن أن يـؤثر إدراك وضع القرابة الاجتماعية على المسافات البينية المفضلة،وتشـير لـذلك دراسـة ل. لوت وسومر Lott&Sommerإذ إن المسافات البينشخصـية لا تعـبر بالضـرورة عن الشخص الذي يملك المكانـة الأعلـى، لأن الجميـع يميلـون إلى إيجـاد مسـافة بينهم وبين الأخرين، سواء مرتفعي المكانـة أو منخفضـيها ([1]). لـذلك فمواقـع التواصل الاجتماعي وضمن الخارطة الشبكية لها لا تجد تساوٍ في المسافات البينيـة بين العقد الاتصالية التي تمثل المستخدم، وفي حقيقة الأمر فإن الفضاء الافتراضـي يمثل إجتماع وترابط شبكات اجتماعيـة مختلفـة تشـكل في النهايـة منظـراً شـبكياً واحداً يعطي تصوراً أن الشبكة وأحدة، لكنهـا في الحقيقـة هـي مجمـوع شـبكات مترابطة.

4-**المصلحة والفاعلية** :تمثل مواقع التواصل الاجتماعي جزء من الفضاء الافتراضي العـام وهـو يشـبه المجتمـع الـواقعي، وهـذا المجتمـع المكـون مـن عـدد كـبير مـن

([1]) دافيد ستيورات ، وأخرون ، مصدر سابق ، ص 70-71.

المستخدمين، لهم مستويات معرفية مختلفة أو متباينة في المواضيع العامة والخاصة، ينعكس ذلك على مواقفهم واتجاهاتهم و ومن ثمَّ على فاعليتهم في المواقع الالكترونية، إذ أن مشكلة الفاعلية تفسر بالناحية العنصرية، بمعنى أن عنصراً ما يكون متفوقاً دائماً، وعنصر آخر لا يمكن إلا أن يكون متخلفاً، ولكن تلك النظرية منقوضة في المجتمع الافتراضي،لأن كل عنصر هو جزء من منظومة المستخدم، والعناصر جميعها في حالة أندماج اتصالي، وديناميكية الاندماج تقوم على تبادل المحتوى وليس على أفضلية العنصر ومدى تأثيره. لذلك فإن هذه المواقع الاجتماعية تسعى لتحقيق الإنتاج الاجتماعي الذي يرتقي بقدر ما يكون النشاط للمستخدم موجهاً لسد حاجات غير فردية، أو بعبارة أخرى بقدر ما يكون موجهاً لمصلحة عامة، فإذا كانت المصلحة هي التي تفسر لنا الفاعلية، فما هي المؤثرات التي تختلف بأختلاف المصلحة في مجتمعات مختلفة، لو تناولنا ذلك في نطاق المجتمعات الافتراضية لتبيّن لنا أن ثمة أختلاف في مفهوم المصلحة، يناسب وضع كل مجتمع، بأعتبار تقدّمها أو تخلفها.حين نُعرف المصلحة العامة في المجتمع المتطور بأنها تلك التي تمد المستخدم بالمعلومات والمعارف العامة في حدود معينة، بمعنى أن طاقة كل مستخدم في هذا المجتمع الافتراضي مسخّرة بصورة مباشرة أو غير مباشرة لمصلحة عامة، وهذا يؤدي إلى أن يتكفل المجتمع للمستخدم بمساحة أوسع من حرية التعبير والمشاركة الفاعلة. في حين أن المجتمع المتخلف لا يحمل ذلك المعنى، لان هذا المجتمع لا يستطيع أن يقدم إلى المستخدم الحرية الكافية في المشاركة فضلا عن محدودية الحصول على المعارف. وبناءً عليه فالفاعلية في المجتمع الاول وهو المجتمع الافتراضي أكبر منها في المجتمع الثاني. وهذا الأمر يبين الفارق في مجال الفاعلية بين مجتمعين على وفق المصلحة.

رابعاً : تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على المستخدم

هناك العديد من القضايا التي تؤثر فيها مواقع التواصل الاجتماعي على المستخدمين، وهناك من يعد بعض هذه التأثيرات عيوباً ومنها الحصول على معلومات المستخدم دون إذن مسبق على الرغم من أن أغلب مواقع التواصل الاجتماعي ضمن عقدها مع المستخدم في التسجيل تضمن حرصها على الخصوصية لمعلومات المستخدم جميعهاوتتعهد بعدم نشر معلومات من غير إذن المستخدم، فقط المعلومات التي تتعلق بطبيعة الموقع وخصائص المستخدم،وهناك سمات أصبحت هي الدافع الاساس في اقبال المستخدمين للتسجيل والتفاعل بل والادمان، على الرغم من أن علماء النفس يعدونه مرضاً يجب علاجه، لذلك فإن مستوى التأثير يعدُّ بمثابة المؤشر على مدى فاعلية مواقع التواصل الاجتماعي، في المجال الفكري والاجتماعي والنفسي، وأنماط حياة المستخدم وهي كما يأتي :

1- **المبادىء الفكرية والاجتماعية** : والتي يرمي المستخدم إلى تحقيقها عن طريق المضامين الاتصالية التي ينشرها، ويدخل في ذلك ارتباط المضمون الاتصالي بالافكار التي يتبناها المستخدم والتي يريد أن يشارك باقي الاصدقاء في الموقع الالكتروني بها، وليس بالضرورة أن تحقق هذه المضامين أعجاب الاصدقاء جميعهم أو استحسانهم، لكن المطلوب ان تصل لهم ويطلع عليها باقي المستخدمين، إذ إنّ الكثير من الافكار قد تكون غائبة عن قسم من الاصدقاء، أو قد يتفاجىء قسم أخر لأنها أفكار يسمع بها لاول مرة،وقد يسعى المستخدم عن طريق المضامين الاتصالية التي ينشرها لتعزيز الهوية الوطنية والتي تفهم استناداً إلى أفق الهوية كتجلّ أعلى للخير المشترك. أما إذا انحسر فهمنا للمواطنة كتعبير عن واقع الحريات الفردية التي يؤمّنها الدستور، فستفتقر مبادىء المواطنة لقيم الوطنية. ويتعيّن إذن إقران المواطنة بالوطنية، أي مطالب الحريات الفردية بمطالب التعايش الجماعي، أو ما يسميه البعض (العيش معاً)([1]).

(1) مصطفى بن تمسك ، مصدر سابق ، ص 290

بمعنى إن مواقع التواصل الاجتماعي تسعى لتحقيق التعايش معا وتشارك الهموم والمشاكل والترفيه، وهي بذلك تسهم في ظهور المواطن العالمي، الذي يعيش خارج حدود المكان والزمان، ويكون فاعلاً ومؤثراً على افراد المجتمع الحقيقي، ويسعى المستخدم أيضاً إلى تنشيط الذاتية الثقافية وإيجاد توازن بين المضامين الاتصالية التي تهتم بالجوانب الثقافية والتعليمية، وبين المضامين التي تعنى بالترفيه والتسلية.

2-**القيود الاجتماعية** :وتشمل العقباتالخاصة بالظروف الاجتماعية للمجتمع الواقعي – الذي يعيشه المستخدم- وتتضمن المنظومة المجتمعية جميعها التي تعايش معها المستخدم، والتي قد يقبل جزءاً منها ولا يتفق مع الجزء الاخر، لكنه لا يستطيع البوح بالرفض، بشكل علني في مجتمعه الواقعي، لان ذلك قد يتسبب بعواقب على المستخدم، وقد يسبب كبت ذلك الرفض لبعض العادات التي لا تتفق مع رغبات المستخدم، ويشعر أنها تقيد حياته، وربما تعيقها بشكل أو بأخر إلى نوع من تنامي السخط المجتمعي وتضخيم الشعور بالرفض العام للمنظومة المجتمعية، لذلك فوجود مجتمع رديف للمجتمع المستخدم، يسمح له بالبوح بما يشعر به. أن مثل تلك التفاعلات الافتراضية ساعدت على توحيد المشاكل الانسانية، والتعاطف مع القضايا السياسية والاجتماعية في المجتمعات والثقافات المختلفة، مما يساعد الشباب في حال الاستخدام المعتدل والهادف لمواقع التواصل الاجتماعي، في معرفة سمات إنسانية متعددة ومختلفة باختلاف المجتمعات، بل قد يكون ساحة جيدة لعرض العديد من الأفكار المتناقضة والمختلفة أحياناً مما وقد يساعد على تعلم قبول الأخر والتفاعل الإيجابي معه.

3-**ادمان العالم الافتراضي** : عندما أشيع خبر غلق بعض مواقع التواصل الاجتماعي، ومنها موقع الفيسبوك في العراق على اعقاب احتلال عصابات – داعش- الارهابية محافظة الموصل، تسبب ذلك الخبر في حالة من الذعر لدى عدد كبير من المستخدمين، على الرغم من أن الجهات الحكومية قد بررت ذلك

الحجب لبعض مواقع التواصل الاجتماعي بالحفاظ على المجتمع من الاشاعات التي قد تزعزع الروح الوطنية، لكن الكثير من المستخدمين رفضوا هذا السلوك الحكومي والبعض الاخر استطاع أن يتخلص من حجب الموقع عن طريق تحميل برامج الكترونية مصممة لهذا الغرض. هذه الظاهرة تؤكد عدم قدرة المستخدمين على الاستغناء عن مواقع التواصل الاجتماعي، التي تخلق عالماً اجتماعياً وهمياً موازٍ للعالم الحقيقي، يعتقد مستخدميهفي مصداقية العلاقات التي تنشأ عن طريقه،بالرغم من سرعة تكوينها أو التخلص منها، مما يزيح عن كاهل الشباب المسؤولية الاجتماعية أو النفسية التي تصحب تكوين العلاقات والصداقات في العالم الواقعي، ويأتي هذا متسقاً مع عدم النضج الانفعالي والعاطفي للشباب في هذه المراحل العمرية. فنشوة تكوين العلاقات السريعة التي قد تتجاوز القيود الأخلاقية أو الاجتماعية في المجتمعات العربية مثلاً، قد تؤدي إلى الرغبة في الاستمرارية والتعود على استخدام هذه المواقع الإلكترونية، ينتج عنها حالة صنفها علماء النفس بأنها إدمان قد يحتاج إلى علاج لما فيه من فضولية للتعرف على الحياة الشخصية للآخرين،بالرغم ممّا قد يسببه هذا من اضطرابات نفسية لا يعيها الشباب. وترى سيسيلي آندرسن Cecilie *Schon Andreassen المتخصصة في علم النفس : "أن استخدام موقع الفيسبوك يتزايد بطريقة سريعة، نحن هنا بصدد التعامل مع أحد جوانب إدمان الإنترنت المتعلقة بوسائل التواصل الاجتماعي" ([1]).في حقيقة الامر يبدأ كل شيء بالتسجيل في موقع من مواقع التواصل الاجتماعي أشبه إلى حد ما بعملية إدخال بيانات طفل حديث الولادة في السجلات المدنية، غير أن المستخدم قد يفضل أحياناً تسجيل بياناتٍ وهمية لا شخصيته الواقعية،

---

* آندرسن: باحثة في مجال مواقع التواصل الاجتماعي ترأس مشروع أبحاث إدمان موقع الفيسبوك في جامعة بيرغن، وقد تم مؤخرا نشر مقال عن نتائجه في مجلة التقارير النفسية" الشهيرة Psychological Reports .

([1]) انظر : الموقع الالكتروني للدراسات الطبية الحديثة: www.medicalnewstoday.com

ومن هنا تبدأ أولى إشارات الإزدواجية، والقلق في الشخصية الجديدة لهذا المستخدم؛ لأن الذي يفضل التسجيل ببيانات وهمية يعاني من مشكلةٍ ما بالضرورة، فإما أنه لا يشعر بالأمان داخل العالم الإفتراضي كَكُلٍ، ويفضل البقاء متخفياً خلف بعض المعلومات الكاذبة، وقد ينتهي به المطاف إلى تصديقها، أو أنه يشعر بالنقص، ويحاول أن يملأه بإدعاءات كاذبة بخصوص العمر، أو المهنة، أومكان الإقامة، أو حتى نوع الجنس.

يمكن القول إذن أن الإنسان لا يلجأ إلى المجتمعات الإفتراضية قصد الترفيه فقط، بل أن البعض يجد فيها دواءً لآلامه ومعاناته في العالم الحقيقي. هي إذن عوالمٌ كاملةٌ، أويوتوبيات*لامآسي فيها ولا أحزان. ما الذي يخطر ببالك؟ يلاحظ المستخدم الجديد لمواقع التواصل الاجتماعي بعد إضافة الأصدقاء، أن هناك محتويات يتم تبادلها عن طريق المشاركة عبّر الصفحات فالبعض ينشر كلمات أو أشرطة فيديو، والبعض الآخر يختار نشر الصور أو كلما يمكن عرضه.

يساعد الموقع منذ البداية على تسجيل الإعجاب بالصفحات المثيرة للإهتمام، وعلى اقتراح صداقات جديدة، فضلاً عن إمكانية النشر، مثلاً في موقع الفيسبوك توجد عبارة بداخل مربع الكتابة هي : (ما الذي تريد القيام به الان؟) والتي تنبه المستخدم لأول مرة على أنه بإمكانه نشر أي شيء يخطر بباله، وهذه العبارة لها تأثير سيكولوجي (نفسي) كبير على المستخدم في هذه المرحلة، فضلا عن عدم وجود أشخاص يثق بهم في الواقع ليخبرهم بما يشعر به، وما يطمح إليه، فإن الموقع قد أحسنَ استعمال هذه الورقة الرابحة وبسهولة

* يوتوبيا : بالانجليزى Utopia بمعنى مثالية ، توماس مور 1516م الف كتاباً باسم يتوبيا و كان اول من استخدم التعبير وصور فيه دولة مثاليةيتحقق فيها الخير و السعادة للناس وينتهي الشر. ثم أصبحت الكلمة تصف كل عمل ادبي او فلسفي بخصوص المدينة الفاضلة. من اشهر كتب اليوتوپيا كتاب أفلاطون "الجمهورية" (جمهورية أفلاطون) ، و "مدينة الرب" ل سانت أوغسطين ، و "مدينة الشمس" ل كامبانلا 1623م، و "اتلنتس الجديده" ل فرانسيس بيكون 1627م، و "يوتوپيا حديثه" ل ويلز، إضافة لقصص ليها طابع يوتيپى . أنظر موقع الويكيبيديا : https://arz.wikipedia.org/wiki

يكسب الموقع ثقة المستخدم، من ثـم يبـدأ بتـدوين مـا يخطـر ببالــه. يـأتي دور الأصدقاء، والذين يملكون إمكانية التعليق على كتاباتـه، أو تسـجيل الإعجـاب بـها، مثلاً مع أول تسـجيل(إعجـاب)يحظـى بـه المسـتخدم، يتحـرك شـيء مـا بداخله يخبره بأنه حقق إنجازاً ما فتزداد ثقته بالموقع، وبأصدقاء الموقع، الذين قد يساعدونه بإضافات أو نصائح عبر التعليق. مع مرور الوقــت يبدأ بمشـاركتهم كل شيء، ولا يبقى هناك معنى لشيء يدعى(سر) الذي كان في السـابق يخشـى أن يطلع عليه الآخرون، خوفاً من رفضهم لـه، وعـدم تجـاوبهم، أوصـدمةٍ قـد يسببونها له بـلا مبالاتهم. وهذا الامر يكـاد يكـون موجـوداً في أغلـب مواقـع التواصل الاجتماعي حتى مواقع الفيـديو مثـل موقـع يوتيـوب لـه الخصـائص نفسها ولكن ضمن آليات مختلفة بحسب طبيعـة الموقـع. والمواقـع جميعهـا تنمـي المستخدم ليصبح متمرسـاً علـى الكتابـة والنشـر في صـفحته الخاصـة، ويـزداد الإعجاب والتعليقات بزيادة عـدد الأصـدقاء المهـتمين، وهنـا يتشـكل مجتمعـه الخاص الذي قد يسلبه وقته كله، ويحرمه من أشكال التواصل كلـها مـع العـالم الخارجي، لأنه ببساطةٍ قد وجد مجتمعاً ينسجم معه ويتفاعل مع ما ينشـره. مـع تطور مستوى الكتابة يصبح كـل مسـتخدم بمثابـة مـدير جريـدة أو مجلـة علـى حائطه، أو حتى صفحته – إن كان يملك واحدة – فيبدأ في صـناعة أيـديولوجيا (تيار فكري) خاص به، يبنيه بنقده لأقـوال الآخـرين وتركيبـه لمـواقفهم عـن طريق التعليقات التي تتحول إلى تدوينات جديدة، ممّا يشـكل لـه مرحلـة وعـيٍ جديـد، وعيـب العـالم وبالـذات. مـن هنـا يمكـن القـول إن مواقـع التواصـل الاجتماعي كمجتمع آلـي-سايبورغي*كما يعبر عنه في علم الإجتمـاع الآلـي- بدأ يبني شخصيات جديدة بداخل الشخصيات الواقعية، ويسـاعد المسـتخدمين

*سايبورغ : يعني كائن بشري ذو جسد، أو جزء من أعضائه، إلكتروميكانيكي. فهو كائن مُجَسّم، حي بضبط وتحكم آلي. وقد يشار إليه أحياناً، على أنه ذات سايبورغ، أي ذات إنسانية حية بمساندة تقنيات الحاسـوب وتشكيلها، وبهذا المعنى فإن السايبورغ دائماً وراءه إنسان ما. انظر : علـي محمـد رحومـة، علـم الاجتمـاع الآلي ، مصدر سابق ، ص 22.

على نشر الأفكار بسهولة والتواصل مع الجميع، مفكرين أو إعلاميين وكتاب وفنانين، عبر صفحاتهم الخاصة. حينما يصبح المستخدم متعلقاً جداب الموقع الإلكتروني، فإنه ينتقل مباشرة إلى حالة الإدمان، بمعنى إن الدخول إلى هذا العالم الإفتراضي يصبح عنده ضرورة مُلحةً في كل لحظة، ولا سيما أن الإنسان بطبعه يفكر في كل لحظة في شيء ما، وتخطر بباله أشياء كثيرة، فيأتي تأثير تلك العبارة على مكان الكتابة(ما الذي تريد القيام به الان؟)، فيشعر المواطن المستخدم أنه من الضروري أن يقوم بمشاركة ما يفكر به مع الآخرين.

قامت دراسات في علم النفس، مؤخراً، بدراسة التأثير النفسي للزر(أعجبني) الذي نضغط عليه على الأقل مرة في اليوم، وبما أنه سبقو ذكرنا الجانب الإيجابي منه، فإنه الآن قد ينعكس على المستخدم سلباً، لأنه لا بد أن يفقد الأصدقاء يوماً الرغبة في تسجيل الإعجاب بما ينشره، نظراً لضيق الوقت مثلاً، أول أن عدد الأصدقاء الذين قد يصل في-غالب الأحيان إلى الالف أو يزيد- كبيرٌ جدا ولايسمح الوقت للآخرين بتسجيل الإعجاب أو التعليق على كل ما ينشر، في تلك اللحظة يشعر المواطن المستخدم أنه بدأ ينشر أشياء لاتثير الإعجاب، وقد يفقد ضعيف الشخصية الثقة بنفسه، ويضيع بين هويته الإفتراضية وهويته الواقعية، ثم يتحول ذلك العالم المثالي الذي كان يهرب إليه أويحاول أن يهرب منه بلافائدة. بقدر ماهناك من المستخدمين الذين يسجلون في مواقع التواصل الاجتماعي، هناك من المستخدمين الذين يعانون الإدمان بسبب هذه العوالم الإفتراضية عامةً. ماالحل؟أولا علينا البحث عن حلول لهذا الإدمان الجديد الذي أصبح يعاني منه أغلب مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي، فبرغم أن أهميته تفوق الوصف، لكن ينتهي الأمر بدفع ثمن الإفادة منه بطرق مختلفة، حتى أن البعض يلجأ إلى العلاج النفسي بالضرورة ليساعده على هجران العالم الإفتراضي، واسترجاع شخصيته الواقعية؛ لأنه تأكد أن شخصيته الوهمية لنتفيده أكثر مما ستضره. من الواجب، قبل الوقوع في حالة الإدمان، تحديد وقت معين لدخول العوالم الإفتراضية، وعدم عدّها

ذلك البديل الكامل عن الواقع المؤلم، لأنها هي أيضاً مؤلمة لمن يشتد تعلقه بهـا، مثلاً حين ينقطع الكهرباء وهو غارق في بحورها، فيصاب بنكسةٍ وفقدان الرغبـة في العودة إلى الواقع.

4-**القلق في مواقـع التواصـل الاجتمـاعي** : تنـتج التفـاعلات الإلكترونيـة بـين المستخدمين قلقاً إلكترونياً مستمراً لا يظهر للعلن الفضـائي بقـدر مـا يـنعكس على الشـعور الإنسـاني. ويكمـن هـذا القلـق عـن طريـق الفعـل وردة الفعـل المتفاعلة بين طرفين افتراضيين، فواضع صـورة معينـة علـى صـفحته الخاصـة، ينتظر بفارغ الصبر تعليقات أصدقائه، إذا تأخرت ردات الفعـل أو لم تـأتِ أبـداً يشعر الفرد بالانزعاج أو التهميش من أصدقائه. وإذا أرسـل رسـالة إلى صـديق معروف أو مجموعة فهو ينتظر الجواب بفارغ الصبر، ويرافـق لحظـات الانتظـار قلق وتوتر حتى يصله الرد الذي قد لا يصل أصـلاً. هـذا التفاعـل في الأخـذ / الرد، القبول/ الرفض، الجواب/ لا جواب... تكون لدى الفرد الافتراضي قلقـاً نصفه بالقلق الإلكترونـي([1]).وتـرى كـوين أوكيـف Gwenn O'keeffe*: " لمواقع التواصل الاجتماعي سمات فريدة تجعل منها مجـالات اجتماعيـة قاسـية لبعض الأطفال الذين يعانون مـن ضـعف الثقـة بـالنفس. إن مواقـع التواصـل الاجتماعي لها فوائد فهي وسـائل للتواصـل مـع الاهـل والأصـدقاء وتشـارك الصور وتبادل الأفكـار والكـثير مـن الامـور الـتي تجـري في الموقـع هـي أمـور صحيحة جداً، إلا أنها يمكن أن تتجـاوز الحـد" ([2]).ويـرى الباحـث إن القلـق والتوتر والكثير من الامراض النفسـية لا تصـاحب اسـتخدام مواقـع التواصـل الاجتماعي فقط، بل هي كانت مصاحبة لوسائل الاتصال والإعلام جميعها، بل إن وسائل الإعلام التقليدية كانت ولا تزال تمثـل مصـدر قلـق بشـكل مسـتمر

([1]) نديم منصور ، مصدر سابق ، ص 25-26.

*كوين أوكيف : طبيبة أطفال ومختصة في إرشادات التواصل الاجتماعي للأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال.

([2]) انظر الموقع الالكتروني : http://www.huffingtonpost.com/gwenn-okeeffe/

للجمهور، وذلك يعود لأسباب كثيرة ربما أهمها سيطرة رأس المال ومن يديره على توجيه الخطابات التحريضية والشحن المستمر للعنف، ولم تقتصر على هذا الحد بل حاولت أن تنقل خطابها التحريضي عبر وسائل التواصل الاجتماعي،وربما بدأ شكل القلق يتغير من قلق المستخدم من تفاعل الجمهور أو عدم تفاعله مع مضمونه الاتصالي إلى قلق زاحف من الإعلام التقليدي الذي يحاول الاستحواذ على مضامين المستخدم عبّر تحفيز المستخدم لنقل ما ينشر في الإعلام التقليدي عبر صفحات المستخدمين، لذلك فإن القلق الحقيقي يكمن في خوف المستخدم من أستحواذ الخطاب التحريضي على مضامينه الاجتماعية المتنوعة وغير المؤدلجة.

5- **الاختراق الاجتماعي**: تعمل مواقع التواصل الاجتماعي على الاختراق الاجتماعي، عن طريق بناء علاقات حميمية مع الاصدقاء قد تتطور الى مستويات عميقة، إذ يرى فريدمان وسيرز وكارل سميث : " إن الاختراق الاجتماعي والكشف الذاتي له ارتباطاً أساسياً وقوياً مع العلاقات الحميمية. وينتقل من المستويات السطحية إلى المستويات الحميمة من التبادل، وهو يحدث على طول بُعدين، العرض والعمق" ([1]).

ويعود العرض إلى عدد المجالات المختلفة التي يتشارك فيها الاصدقاء علاقاتهم، وهكذا فقد يكون هناك شخصان صديقان ولكنهم لا يحبون بعضهم البعض قد تندمج طبيعة معرفتهم وأنشطتهم بشكل قوي مما يؤدي إلى أن تصبح علاقتهم حميمية أكثر وتتوسع علاقتهم في مجالات اتصال اخرى، أما العمق فيعود إلى درجة الاختراق التي تحدث ضمن مجال من مجالات التواصل، بمعنى عندما يشارك المستخدم مضموناً اتصالياً ويتفاعل معه صديق بشكل مزاح، يختلف عن تفاعل مستخدم أخر يتفاعل بشكل معمق مع المضمون ويعلق بوجهة نظر وربما تحليل، فإن المستخدم في أغلب الاحيان يرد عليه بتحليل أخر ويتبادل معه وجهات النظر، مما يدفع مستخدمين أخرين

([1]) حابس سليمان العواملة ، الدافعيّة ، (عمان ، دار الاهلية ، 2010) ، ص 158.

بالتفاعل مع الحوار المشترك، وقد ينتقل هذا العمق في الحوار من مجالـه العـام إلى المجـال الخاص عن طريق غرف الدردشة للموقع نفسه.



الفكر الاتصالي ونقد النظرية الاتصالية وتصورات

إنموذج الاندماج الاتصالي

الفصل الرابع
الفكر الاتصالي ونقد النظرية الاتصالية
وتصورات إنموذج الاندماج الاتصالي

المبحث الأول
الفكر الاتصالي بين النظرية والتطبيق

أولاً : الفكر الاتصالي

إن التصور الذي يجعل من الاتصال أو من الإعلام عنصراً عابراً للتقسيمات سواء المتعلقة بعلوم المادة والحياة أو المجتمع، نجدها في تيارات فكرية مختلفة فهناك، السيبرنطيقا*فضلا عن مقاربات النزعة الارتباطية، بل وحتى في بعض الفلسفات المعاصرة -الحداثة وما بعد الحداثة- فإن هذه التوجهات -أو المحاولات- لا ترمي فقط إلى الوصل بين حقول معرفية متباينة، لكنها تحاول أن تتفاعل معها لتنتج أفكاراً جديدةً ذات طابع مميز وسمات خاصة، وتسمح بمجالات أوسع للتاويل والتفسير للظواهر الحياتية، فالإعلام لم يكن في بداية ظهوره كما هو عليه الان، فقد أعتمدت الافكار التي كانت مصاحبه له على مستوى هذه الظاهرة الإعلامية وحجمها، لكن

---

* السيبرنطيقا أو السِبرانية Cybernetics: وهو علم حديث ظهر في بداية الأربعينيات من القرن العشرين ويعدُّ الرياضي نوربرت وينر من أهم مؤسسيه وقد عرف وينر السِبرانية أنها "علم القيادة أو التحكم control في الأحياء والآلات ودراسة آليات التواصل communication في كل منهما.والسيبرنطيقا تقوم على التغدية العكسية عن طريق متابعة وضعما،في أوقات زمنية معينة لتحديد الوضع اللاحق، أي أنها تقوم أساساً على المعلومة، وعليه نجد أن السيبرنطيقا تتداخل مع وسائل الإعلام من حيث المعلومة فضلا عن الهدف الذي يمثل التحكم والضبط، وكل من السيبرنطيقا ووسائل الإعلام يشكلان ظاهرتين مهمتين تمارسان دوراً رئيساً في تحديد وتوجيه السلوكيات الإجتماعية وتوجيهها. أنظر : بن سولة نور الدين ، السيبرنطيقا ووسائل الإعلام ، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثاني ،(الجزائر، 2014)،ص 123 .

الإعلام في القرن الواحد والعشرين، أصبح يمثل تشعبات كثيرة تتداخل مع علوم عديدة ومجالات مختلفة، مما سمح بأفكار أكثر نضجاً في تحليل الظواهر الاتصالية والإعلامية.

أنطلاقاً من ذلك فإن السؤال الخاص بمعرفة ما أذا كانت علوم الإعلام والاتصال تشكل مبحثاً واحداً أم ينبغي عدّها مبحثاً متداخل التخصصات، وبشكل أكثر دقة حقلاً، لذلك كان من المهم فهم الفكر الاتصالي والعناصر المكونة لهذا الفكر الذي أعتمد بشكل أساس على تطور حقول علمية أخرى، ولاسيما تطور حقل الاتصالات، الذي طبع الفكر الاتصالي بطابع التفكير التأملي والإنتاج العلمي. وقد قدم المختصون نتاجهم الفكري الاتصالي، الذي كان مثار جدل ونقد، ويرى الباحث أن هناك اسباباً للنقد الموجه للفكر الاتصالي منها :

1- **الاستقلالية:** ويقصد بها مستوى الخصوصية التي يحتفظ بها علم الاتصال والإعلام، فكثير من النقد يوجه،لأن هذا الفكر قائم على نظريات وافكار تعود إلى علوم أخرى مثل علم الاجتماع وعلم النفس.

2- **الثبات:** ويقصد به مستوى استقرار الظاهرة الاتصالية، التي بحسب منتقديها تعتمد على التقنية التي تؤثر في مستوى الظاهرة الاتصالية وحجمها، فالظواهر الاتصالية تقع ضمن ثلاثة محاور هي: (التقنية، والإنسان، والبيئة). أما الفكر الاتصالي فيتأثر ويؤثر في وضعيات اجتماعية وسياسية داخل الاوساط العلمية -الاكاديمية- أو الاوساط المهنية وينعكس هذا التأثير في طبيعة الظاهرة الاتصالية ومداها واستقرارها.

3- **الاندماج:** أو بالاحرى الربط بين إشكاليات منبثقة عن تيارات نظرية متباينة، بمعنى أن الفكر الاتصالي بمراحل تطوره أستطاع أن يندمج مع أفكار مشابه له ضمن حقول علمية أخرى، بفعل تطور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات. فأصبحت الظواهر الاتصالية تفسر بأنها ظواهر تقنية أو إعلامية، انطلاقاً من

تأثير التقنية التي اندمجت بشكل أصبح من الصعب فهم الفكر الاتصالي بمعزل عن التقنية.

لذلك كان من الضروري دراسة الفكر الاتصالي والتيارات المؤسسة له ضمن مراحله تطوره.

وقد قسمها الباحث على خمس مراحل هي :

1-مرحلة التأسيس* والسيبرنطيقيا : ظهرت في الثلاثينيات من القرن العشرين بعض الافكار الاتصالية المتمثلة بالنصوص التي كتبها هارولدلاسويل عام 1927م ونشرها على شكل مقالات والتي أدرجها ضمن الدعاية السياسية. والتي تركزت حول الميكانيزمات*، التي تسهل تطور العلاقات الإنسانية وتشجعها، ومنها ظواهر الترميز وآليات إرسال المضامين الاتصالية، وتوصلوا إلى أن الاتصال والتواصل

* ملاحظة : من الواضح أن النصوص التي أشتغلت على قضايا التواصل – والاتصال ، لا يعود تاريخها إلى منتصف القرن العشرين ، ذلك أن بعضها سابق على هذه المدة بكثير، إذ كتبت منذ عصر اليونان ، لكن عملية إعداد لائحة بأسماء الرواد الأوائل هي عملية صعبة ودقيقة، كما لم يتم الاتفاق على جميع المحاولات في هذا الشأن. أنظر : Roger Bautler , " De La Rhetorlque a La ccmmunication " , PUG – Collection, grenoble, Paris , (1994) , pp 26-33.

*ميكانيزم (MECHANISME): تأخذ كلمة ميكانيزم معنى آلية وتأتي هنا بمعنى منظومة وفي مكان آخر نظام تشغيل قد ينطبق على الآلة اكثر من انطباقه على الإنسان. المصطلح في الاساس فلسفي وذو علاقة بالعلوم الطبيعية، والمحاولات جرت ولاتزال تجري لتفسير تصرفات الانسان وردود فعله على أساس القوانين التي تسير مكونات الطبيعة. ولايزال التشابه قائماً بين الإنسان والطبيعة لكن الفلسفات الإنسانية المعاصرة قطعت شوطا كبيراً في تميز الإنسان بعقله ولاسيما في نمو الجدل وتطوره في المنظومة المعرفية التي تتحكم في رغباته وتصرفاته. اي بين الرغبة والمباشرة بالفعل لتحقيق هذه الرغبة. لتبسيط الامر نقول ان الإنسان وقبل ان يقوم بعمل لتحقيق رغبة تراوده يخضع هذا التصرف لثلاثة شروط: الرغبة – الجدل – الفعل – هذا هو ميكانيزم – او نظام تشغيل – الإنسان الذي يميزه عن الحيوان مثلاًإذ لا يملك ميكانيزم الحيوان سوى حلقتين: الرغبة و الفعل.

انظر : الموقع الالكتروني لجريدة اليوم http://www.alyaum.com/article/1082671: مقال بعنوان "الميكانيزم"... أونظام تشغيل انسان"، منشور بتاريخ يونيو5/6/ 2003.

هو في حقيقته انتاج وإعادة إنتاج للمضامين الإنسانية ضمن آليات مختلفة. وقد تطورت هذه المفاهيم في مرحلة الاربعينيات من القرن العشرين ونتج عنها ما أطلق عليه ابراهام مولز* (الخطاطة* المعيارية للاتصال)الذي يرى أنه " من أجل الإلمام بعدد أكبر من الظواهر الاتصالية التي تنتج عن وسائل الاتصال الجماهيرية ووسائل الاتصال عن بعد، كان من الضروري أن نعيد سبب تنوع الوضعيات الواقعية – مظاهر التواصل الاجتماعي- إلى وحدة معيارية أساسها الخطاطة " بمعنى أن خطاطة: مرسل – وسيلة- مستقبل، هي التي ترمز إلى الترابط الزمكاني، وإلى أنتقال الأشكال عن طريق أستعمال السجالات أو السنن المشتركة، وبالتالي تسمح الخطاطة لتحليل الانماط الممكنة للاتصال من أجل وضع ترتيب للافعال"([1]).

وقد كانت الخطاطة فكرة شهدت أضافات متتالية مثال ذلك (التغذية العكسية) التي صاغها عدد من الباحثين، لكن المهم فيها هو الفكرة التي تقول بوجود رابط مادي – الوسيلة- تسمح بنقل رسائل بوسائل مختلفة. بمعنى أخر أنه أمكن الحصول على خطاطة بعناصر مختلفة من الخطاطة الاساسية، هذه النظرية تقوم على معالجة وضعية أساسية مستخلصة من تفكيك التجارب الاساسية، إذ إنها تختزل الحالات الأخرى جميعها في هذه الأخيرة، عن طريق سلسلة من الملاحظات.وهي تنتج خطاطة منمطة، وهو ما اطلق عليه (الوضعية المعيارية) والتي وصفها شانون وماير إبلر على وجه الاكمل بـ (نظرية المعلومة)، والتي تفترض أن الوضعيات الواقعية ستؤول إلى مجموعة

* مولز : عالم الماني جاءت مساهماته في نظرية الأخبار باللغة الالمانية الذي نشر عام 1955م بعنوان : "تطبيقات الاتصالات - بحث حول المشكلة الصوتية والمطبعية" أنظر : موقع الوكيبيديا https://fr.wikipedia.org/wiki/Abraham_Moles

* الخطاطة : هو علم دراسة الخطوط القديمة ومحاولة فك رموز وقراءة المخطوطات القديمة . أنظر موقع الوكيبيديا : https://ar.wikipedia.org/wiki

([1]) Moles A., " Theorie structurale de la communication, Masson. Paris, (1986).p43

من الخطاطات الأساسية وتشكل بمجموعها شبكات للاتصال تدرس في مجال قياس العلاقات الاجتماعية.

وفي الحالات كلها فإن الشكل المعياري يتضمن :

أ- مرسل، وهو شخص أو مجموعة من الأشخاص، يمثل مصدر المعلومات.

ب- قناة الاتصال، وهي قناة مادية معينة و قابلة للتعيين تمثل ممراً للمضامين الاتصالية.

ج-مستقبل، يمتاز بسلوك معين ملحوظ وناتج عن أستقبال المضامين الاتصالية.

د-سجل من العلاقات أو العناصر المشتركة، ويستفيد منها المرسل لبناء رسالته الاتصالية بموجب بعض الرموز والعلامات، التي يقوم المستقبل بفك شفرة تلك الرموز والعلامات ضمن منظومة تواصلية مشتركة الفهم.

لذلك فنظرية الاتصال هي في جوهرها نظرية بنيوية. ترمي إلى تقسيم المجتمع على أجزاء من المعرفة، والقدرة على وضع فهرست له، ثم أعادة تركيب نموذج مستنسخ لهذا المجتمع عن طريق تطبيق بعض قواعد الجمع والتصنيف، وهي بذلك تبحث عن قوانين تحكم الكل أنطلاقاً من هذه العناصر ومن أنواع التعارض الملائمة (شكل – عمق)، والتنيجة النهائية هي موقف جدلي يعارض بين الشكل والعمق، وبين الأشكال والرسائل وبين الاستقرار والأختلاف، وبين الاشارة والتشويش.لقد ولدت هذه النظرية الاتصالية في أطار تقني ضيق، تمحور حول تأثير الرسائل التلغرافية، وطبيعة العملية الاتصالية التي تحدثها تلك الرسائل، على وفق عملية التشفير- وفك التشفير، وكان ليوزبلارد من أوائل الذين أدركوا الطابع العمومي لوجهة النظر التي كانت تقدمها مشكلة تفكيك نظام قصدي يحدثه الفرد تحت تأثير متغيرات متسارعة يحدثها العالم المادي ([1]).

([1]) أ. مولز – ك. زيلتمان في التداولية المعاصرة والتواصل ، ترجمة : محمد نظيف، (الدار البيضاء ، أفريقيا الشرق ، 2014) ، ص 7-16

والتغذية العكسية تشير إلى رد فعل الأثر على المسبب له، ولا تقتصر هذه الآلية فقط على أن حجم المنتج الاتصالي يعكس جزءاً من قيمته إلى حجم المدخل، بمعنى أخر أن مدخلات العملية الاتصالية لا تساوي مخرجاتها التي ترتد نتيجة العملية الاتصالية بل هناك جزء من الاتصال مفقود، لذلك فإن هذا الأثر هو رهين بنية التقنية، التي يعود لها الفضل في وصول المعنى بشكل كامل ومن ثمّ تحقيق التأثير بالشكل الأكبر، فإذا كانت التغذية العكسية عالية فهذا يعطي تصوراً أن الأثر كبير لذلك ينجم عنه أستجابة كبيرة، ويرى حمدان السالم : " أن التغذية العكسية لا تعني فهم الجمهور لمضمون الاتصال بل مستوى تفاعل المتلقي مع مضمون الرسائل لأنه قد يكون الفهم موجود ولكن التفاعل غير موجود مثلاً : (أن تفهم كل الرسائل ولكنك لا ترد عليها جميعا)، في حين أن التفاعلية هي عنصر اساس في الإعلام الجديد لكن يعتمد على التوافق والتجانس التقني،إذ ينتج عنه فهم جديد للمضمون الاتصالي وليس ضموناً جديداً" ([1]). لذلك نجد أنفسنا أمام ظاهرة تراكمية، فعلى سبيل المثال يمكن عدُّ الثقافة الجماهيرية مركباً يتكون من أضافات متتالية تتراكم، لكن ضمن الطبيعة البنيوية للمجتمع المعني. بمعنى أن الاتصال الخطي يسير عبر الجمهور ويكون علاقات اجتماعية ناتجة عن أثر متراكم عبّر مراحل زمنية متتالية، لأن التغذية العكسية توفر فرصاً لمعرفة حجم الأثر على الجمهور ومن ثمَّ تعطي آليات جديدة لتطوير التقنية الاتصالية، فتتولد منظومة ثقافية تراكمية عند الجمهور قائمة على نظام من الرموز التي أستطاع الجمهور ضمن زمن طويل أن يكون نظام لفك التشفير بل والتحليل والتأويل لما يقدم له عبّر وسائل الإعلام.

([1]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور : حمدان السالم ، التدريسي في كلية الإعلام – جامعة بغداد، قسم الصحافة، بتاريخ 29-6-2016.

يعود الفضل بوضع هذه الخطاطة المعيارية، إلى كتاب النظرية الرياضية للاتصال لكلود شانون* ووارين ويفر. أقترح هذان المهندسان اللذان كانا يعملان في مختبرات بيل،ويدرج ان أعمالهما ضمن الخط الذي رسمه الفيزيائيان كارنو وبولزمان،في قياس الاختلاف في درجات الحارة المنعكسة. وقد اعتمد شانون وزميله ويفر على المعيار نفسه في قياس المعلومة، ففي الواقع يستند قياس المعلومة إلى فكرة أساسية بسيطة جداً، مفادها أنه يتم أخبارنا بدءاً من اللحظة التي توجه لنا فيها رسالة لسنا على علم مسبق بها أو تتضمن عناصر كثيرة جديدة أو غير متوقعة. يتم قياس قيمة الرسالة بواسطة مقياس يعرف بـ (المعلومة) والتي يمكن أن تُضبط وتُدرك بعدّها كمية العناصر الجديدة المرسلة إلى المستقبل.

وكان النقد الموجه إلى نظرية المعلومات، على نقاط أساسية من أهمها، أن النظرية لم تأخذ في االحسبان تفاعل المستقبِل، أي أن المستقبِل لا يتفاعل مع المضمون المرسل له،لأنه يستقبل معلومات بشكل سلبي، فضلا عن أغفال النظرية دور شبكات الاتصال في تعزيز العملية الاتصالية، وأهملت النظرية الجانب الدلالي للمضمون الاتصالي.ولم يعر المهندسان تلك الانتقادات الموجهة للنظرية، فقد كان المهم هو الوصول إلى الهدف الأساس وهو معالجة ظواهر التشويش الموجودة في كل قناة للاتصال. ويرى الباحث أن هناك لبساً واضحاً في فهم النظرية منها:

أ-النظرية تعالج جانباً تقنياً في عملية الاتصال وهو (التشويش)

*كلود شانون: عالم أمريكي في الرياضيات يعدُّ من مؤسسي نظرية المعلومات information theory وله أسهامات عديدة في علم التعمية والالكترونيكة، وقد بين أنّ استخدام التشفير الذي يعتمد على استخدام المفتاح مرة واحدة، هو تشفير آمن كلياً، informationtheoretically secure. وقد كانت هذه المساهمة الاولية في نظرية المعلومات هي الخطوة الاولى في بحث طرق التشفير رياضياً. وكتابه المشهور جداً والذي يبحث النظرية الرياضية في الاتصال A Mathematical Theory of Communication. في كتابه هذا طور افكاراً والتي تستخدم في اساسات طرق تشغيل الحواسيب الحالية وقد أسهم أيضاً في انشاء العدد الثنائي (البت) وكذلك علم التعمية الحديث. انظر موقع الويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org/wiki

ب-النظرية تهتم بنوع من الاتصال هو الاتصال عن بعد.

ج-تستخدم النظرية الجانب الرياضي في حساب قيمة المعلومة، على وفق نظام ادخال المعلومات ومعالجة المعلومات وأخراج المعلومات وهو بالضبط ما قام عليه نظام عمل الحاسوب.

د-عدم استخدام النظرية نظام التفسير الدلالي، والسبب يعود إلى أن بناء النظرية كان لغرض صناعي، وليس لاغراض التحليل الدلالي.

ويعود الفضل في أستخدامهافي مجال الإعلام لنوربرت وينر*، الذي أهتم بالجانب التواصلي للنظرية من منظوره السيبرنطيقيا، فقد قدم مع العالم الرياضي ألان تورين** ما عرف فيما بعد بنظرية (الأنساق العامة)، وتمثل تلك المحاولات الأولى للتسجيل الرياضي في مجال الإعلام، الأمر الذي مهد لظهور أولى الآلات المعلوماتية،

* نوربرت فينز : عالم رياضيات أمريكي. ولد عام 1894م في أمريكا درس الرياضيات ثم انتقل إلىجامعة هارفرد حيث درس علم الأنواع، لكنه انتقل ثانية إلى لكورنل ليدرس الفلسفة وعاد في نهاية المطاف إلى جامعة هارفارد حتى يكمل دراسته ببحث حول المنطق الرياضي ثم تحول ليدرس في إنجلترا وألمانيا. اشتغل فينر محاضراً في جامعة هارفارد وفي شركة جنرال إلكتريك. في الحرب العالمية اشتغل لحساب الجيش وطور الآليات المضادة للطيران أو ما يسمى الدفاع الجوي. أنظر : موقع الويكيبيديا:

https://ar.wikipedia.org/wik

** ألان تورين : يعدّ ألان تورين من أهم علماء الاجتماع المعاصرين. وهو فرنسي الأصل، من مواليد عام 1925م. عمل باحثاً في المجلس الوطني للبحوث الفرنسية حتى سنة 1958، أسس مركز دراسات علم الاجتماع وعمل في جامعة تشيلي في عام 1960م ، وأصبح باحثا في إيكول "إيتوديس" في العلوم بباريس، اشتهر بتطويره مفهوم مجتمع ما بعد الصناعي، إهتم بدراسة الحركات الاجتماعية، وكتب الكثير في هذا المجال، يعد تورين سوسيولوجياً مناضلاًفي كتاباته التي تتميز بجدة منظورها إذا لم نقل منظورها الثوري.له مؤلفات عدّة أغنى بها المجال السوسيولوجي، من بينها: نقد الحداثة عام 1998مCritique de la modernité، براديغم جديد: من أجل فهم عالم اليوم 2005م ، الحركات الاجتماعية، ما هي الديمقراطية؟، مؤلفات أخرى عدّة .أنظر :عبد الرحيم العطري، الحركات الإحتجاجية بالمغرب: مؤشرات الاحتقان ومقدمات السخط الشعبي ،(الرباط ، وجهة نظر، 2008)، ص22.

التي حاول عن طريقها تسويق (المشروع المثالي للإنسان التواصلي).والذي يصفه فيليب بروتون: " بأنه كاننمن دون مشاعر وجسد لا وجود له إلا عبّر المعلومة وتبادلها داخل مجتمع شفاف بفضل التقنية التي سهلت الاتصال ". إن الايدولوجيا القائمة على علاقة التقنية بالانسان تكونت بديلاً للأيديولوجيات للعلاقات الانسانية التي أمتازت بالتوتر والعنف ولاسيما في القرن العشرين والتي اسفرت عن اندلاع الحربين العالمية الاولى والثانية، وتدين الايديولوجيا الجديدة – التي أتخذت من الضوضاء والفوضى والتشويش أعداء لها- بجزء من نجاحها إلى أنها طرحت نفسها ايديولوجيا بدون ضحايا، لذلك ظهر مصطلح مجتمع الاتصال مشروعاً لبناء علاقات من نوع أخر تقوم على التشارك بين الانسان والتقنية وقد توقع، ونير:ان المجتمع الجديد سوف يمتاز بسمتين الأولى: سيكون نظاماً اجتماعياً يركز تماماً على انتقال المعلوماتالأخرى: ستمارس الاجهزة ولاسيما الاتصالية منها دوراً حاسماً في هذا المجتمع، أما السبب الرئيس لظهور هذا النظام الجديد فسيكون تزايد الفوضى التي تؤدي إلى إفساد المجتمعات الانسانية وتدفع، إلى حد ما إلى هلاكها([1]).إن النموذج السيبرنطيقي القائم على نسق المعلومة يمثل* نموذجاً مؤسساً لفكر اتصالي جديد ليس بسبب كونه مشروعاً مثالياًللانسان قائماً على مفهوم التواصلية، بل لانه تحليل نسقي قائم على المقاربة يركز على الظواهر الوظيفية أكثر من تركيزه على الظواهر البنيوية، حتى ولو كان استعماله بشكل قليل بوصفه مورداً للمعلومات، قدّم ونير: عن طريق نموذجه للمعلومة نسقاً جديداً من التواصل القائم على المعلومة التي يعدّها ذات دلالات متغيرة على وفق متغيرات التقنية، إذ تشكل التقنية الوعاء للمعلومات وبطبيعة الحال فإن هناك علاقة بين الاثنين ينتج عنها أشكالاً جديدة من التواصل الإنساني، التي يعدّها تطوراً مصحوباً بالتحدي، فكل تطور في حقل تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، ينعكس على طبيعة المعلومة ومن ثمّ يظهر ذلك الانعكاس في دلالاتها ضمن النسق الذي تقدم

([1]) فيليب بروتون – سيرج برو ، ثورة الاتصال نشأة ايديولوجيا جديدة ، ترجمة : هالة عبد الرؤوف مراد ، (القاهرة ، دار المستقبل العربي، 1993) ، ص 190-194.

* المعلومة : أسم ذات دلالة على مضمون يتم تبادله مع المحيط الداخلي أو الخارجي

فيه.إن التطور الحقيقي هو في ظهور مجتمع الاتصال الذي هو تعبير حقيقي لمجتمع المعلومات، الذي يمثل نوعاً جديداً من المجتمعات الانسانية، يختلف تماماً عن المجتمع الصناعي، لان قوة تشكيل هذا المجتمع وتوسيعه عبارة عن قيمة المعلومات وأهميتها وليست قيمة المادة، وإن أفراد المجتمع يحصلون على المعلومات من منابعها ويستفيدون منها([1]).

2-مرحلة المقاربة الإمبريقية الليبرالية :تمثل هذه المرحلة من تطور الفكر الاتصالي بداية التفكير التجريبي، وكان رواده الأوائل ثلاثة هم : بول لازار سفيلد وكارل هوفلاند وهارولد لاسويل فقد مارس كل واحد منهم دوراً محدداً، إذ قام بول لازار سفليد[*] بأولى الدراسات حول جمهور وسائل الإعلام وقد ظهر في كتابه (أختيار الشعب) الذي صدر عام 1944م الذي يمثل النموذج الاول الذي درس أراء الجمهور حول الانتخابات،في حين أهتم كارل هوفلاند بظواهر الاقناع داخل المجموعات الصغيرة، فضلا عن طبيعة تكوين الأفراد، ويرجع له الفضل في ظهور

مصطلح الأثر النائم[**]،أما هارولد لاسويل فقد ظهرت أهتماماته في مجال السياسة على أعماله في مجال الدعاية وبشكل واضح، لا سيما كيفية عمل وسائل الاتصال الجماهيرية، قدم لاسويل الذي عمل في مجال الدعاية منذ عام 1948م نموذجاً عاماً للاتصال، إذ وضح إن الطريقة المناسبة لوصف عملية الاتصال عن طريق

([1]) عامر ابراهيم قنديلجي- حسن رضا النجار، علم المعلومات والنظم التقنية ، (عمان ، دار المسيرة، 2015) ، ص 59.

[*] لازار سفليد : ولد في النمسا عام 1900م ، درس علم الرياضيات، في معهد البحث الاجتماعي الذي ظهر الذي تخرج فيه علماء مدرسة فرانكفورت النقدية جميعهم ، سافر للدراسة الى الولايات المتحدة الامريكية عام 1937م، وشغل منصب مدير مكتب برينسون للبحث الإذاعي ، الذي أسهم عن طريقه في إرساء نظام للتقييم التوقعي لنجاح البرامج الاذاعية، عُيّن أستاذاً بجامعة كولومبيا .

[**]الأثر النائم : يمكن لآثار رسالة معينة أن تكون أكثر قوة أو أكثر ضعفاً عند الاستقبال وفي غضون زمن معين . انظر : عصام سلمان موسى ، مدخل في الاتصال الجماهيري ، (القاهرة ، دار النور ، 1986)، ص 68.

صياغة عناصرها في شكل أسئلة، واتخذها أيضاً أساساً لتصنيف البحوث الخاصة بالاتصال وهذه الاسئلة هي، منْ يقول، ويقول ماذا؟ وبأية وسيلة؟ ولمن يقول؟ وبأي تأثير؟ وتقدم إجابات الأسئلة التي وضعها لاسويل تحديداً واضحاً لعناصر عملية الاتصال التي يجب توافرها في عمليات الاتصال كلهابأشكالها ومستوياتها جميعها([1]).
وقد قدم لاسويل شكلاً ناجحاً ليس من منطلق صيغة النموذج بل لأنه فتح الباب لدراسات متخصصة في عناصر الاتصال، ذلك أن التقسيم المقدم للاتصال يحدد بدقة اختصاصات كل عنصر في العملية الاتصالية، بمعنى أن لكل عنصر وظيفة، لذلك يعد لاسويل أول من نبه إلى الوظائف التي تؤديها وسائل الإعلام في المجتمع إذ يرى أنها تسهم في نقل التراث الإنساني من جيل إلى أخر، ويمكن تحديد الوظائف التي وضعها لاسويل كما يأتي([2]):

أ-**مراقبة البيئة:** وهي أساليب المراقبة السرية والعلنية التي يستعملها المجتمع للمراقبة ليبقى على أطلاع بما يجري في البيئة الخارجية والداخلية.

ب-**الترابط:** وسائل الاتصال تحقق الترابط بين أستجابة المجتمع ككل تجاه البيئة فالإعلام يسهم في تشكيل رأي عام.

ج-**نقل الميراث الثقافي والاجتماعي من جيل إلى أخر:** وسائل الإعلام تمثل المرجعية العامة اللازمة للمجتمع، وذلك بنقلها إلى الجيل الحالي قيم ومعارف الجيل الماضي.

([1]) سمير محمد حسين ، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام ، (القاهرة ، عالم الكتب، 1994) ، ص 63.

([2]) H. Lasswell , " The Structure and Function of Communication in Society" In W. Schramm and Ropers (eds), Urbana: University of iLLinois press, (1964) , p 79.

د-أضفاء الأهمية والمكانة الاجتماعية والقانونيةعلى الأشخاص والأشياء والموضوعات: إذ تقوم وسائل الإعلام والاتصال بتدعيم العادات والتقاليد الاجتماعية.

إذن يمككنا أن نعدَّ لازار سفيلد وهوفلاند ولاسويل المهدين الأوائل للمقاربة الإمبريقية – الوظيفية.ويجب أن نضيف أنّ منظومة لاسويل تكتسي لوحدها طابعاً مؤسساً على أساس أنها :

أ-تقترح بشكل واضح نظرية وظيفية لوسائل الاتصال التي تمثل جزءاً مهماً من طبيعة المجتمع بما تقدمه له من نشر للثقافة، والموروث الاجتماعي، ومراقبة البيئة، وبناء العلاقات بين مكونات المجتمع، والترفيه، وهذا التوجه في الوظيفه لعناصر الاتصال التي جاء بها لاسويل سوف يكمله مجموعة من الباحثين من أمثال : روبرت ميرتون*، وشال رايت، وتالكوت بارسونس.

ب-تدمج أسهامات الباحثين في مجال الاتصال وتبرزها.

ج-تعدُّ السبب الرئيس في ظهور نموذج لتحليل الاتصال يختلف بشكل واضح عن النموذج السيبرنطيقي.

وعلى الرغم من محاولات إبراهام مولز للتوفيق بين النموذجين والتي لم تحقق نجاحاً. بسبب وجود صعوبات في تحقيق توافق بين النموذج الدائري المنبثق من المقاربة

* روبرت ميرتون : ولد عام 1910م في فيلادلفيا، وأكمل دراسته في جامعة هارفرد، كان مؤسساً لمجموعة متنوعة من المفاهيم الوظيفية البنيوية ، ومنشيء علم الاجتماع المعاصر، ومساهماً بارزاً في المصادر المفهومية والتنظيرية للعديد من التخصصات السوسيولوجية، يعود له الفضل في بناء نظرية المدى المتوسط، انتقل مرتون إلى جامعة كولومبيا عام 1941م وظل يعمل في قسم الاجتماع لدة 38 عاماً، شارك في الاربعينات والخمسينات في العديد من البحوث التجريبية التي نفذها في مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية الذي أسسه مع بول لازارسفيلد، وكان أحدها دراسة حملة أذاعية عرفت آلة الحرب War–Bond drive تم تلخيصها عام 1946م في كتاب بعنوان الاقناع الجماهيري Mass Persuasion . انظر : جون سكوت ، خمسون عالماً أجتماعياً المنظرون المعاصرون، ترجمة: محمود محمد حلمي ، ط2، (بيروت ، الشبكة العربية للابحاث والنشر، 2013) ، ص 354-355.

السيبرنطيقية و نموذج الاثر – المنبه والاستجابة- ومن أهـم تلـك الصـعوبات: أنـه أذا كان السـيبرنطيقيون يهتمـون بتنـاول المعلومـات داخـل المجتمـع كلـه، فـإن الـوظيفيين يركزون تفكيرهم على دور وسائل الاتصال ونظرية التأثير المستقاة بشكل أسـاس مـن علم النفس، إذ تعد مفاهيم الحرية والاستقلال وفردانية الذوات البشرية بمثابة المفـاهيم المكونة للنزعة الوظيفية – لكن المعنى الذي ينبغي أن يعطى لهذه المفاهيم لم يعد ملائمـاً ليغطي المعنى المقبول لها في القرن الواحد والعشـرين – في الواقـع أن الوظيفـة هـي رد فعل ضد النزعة السلوكية والتي انبثقت من تجارب (بافلوف)، وترمـي إلى تحديـد ردود فعل افراد الجمهور على المنبهـات الموجهـة لهـم عـن طريـق وسـائل الاتصـال، ويعـبر النموذج السلوكي عن الاتجاه السلبي للجمهور، الـذي لا دور لـه غـير تقبـل الرسـائل الاتصالية والاستجابة لها وهذا هدف وسائل الإعلام والاتصـال في تطويـع الجمهـور، فيما يعطي الوظيفية دوراً أيجابياً للجمهور قائم علـى أن حريـة وأسـتقلالية الجمهـور، على حساب أضعاف وسائل الاتصال، إذ يعد الوظيفيون مـن الاوائـل الـذين دعمـوا الفكرة القائلة إن وسائل الاتصـال تسـهم في (ديمقراطيـة المجتمـع) الـتي تـنعكس علـى الثقافة بأشكالها كلها داخل المجتمع، ومـن هـذا المنطلـق يسـتند ميرتـون إلى أن وسـائل الاتصال تعمل على بناء الأثـر المتراكـم عنـد الأفـراد عـن طريـق بنـاء مخيلـة للرمـوز والشخصـيات البـارزة في المجتمـع والأطـلاع علـى المعـارف الاجتماعيـة في الثقافـات الأخرى، ولا يقف ميرتون عند هذا الحد للمفهوم الوظيفة بل أنه يؤكـد علـى الوظيفـة الأكثر أهمية للأفراد وهي الترفيه، لكنه يشير إلى أن هذا الأثر يمكن أن يحصل في حالـة ما أذا تم تصور العمل الإعلامي علاجاً يعوض عن عيوب بعض الادوار الاجتماعيـة، مثال ذلك حالات الحزن للفرد، إذ يقوم المنتج الإعلامي بتقديم الترفيه وإعـادة الامـل والسعادة للفرد. ويمثل عقد الخمسينات من القرن العشرين المدة الذهبية الـتي أزدهـرت فيها البحوث التجريبية – الوظيفية للاتصـال، فقـد ظهـرت الاسـس المنطقيـة لنمـاذج الاتصال ولاسيما القواعد الخاصة بأسلوب تحليل المضمون التي يصـفها بيريلسـون،بأنه

وصف موضوعي ونسقي وكمي للمحتوى الظاهر للاتصال ويؤكد على أن ما يميز تحليل المضمون عن القراءة العادية (مثلاً) هو ضرورة التناول الكمي للمضمون([1]).

وقد تطورت البحوث العلمية الخاصة بأثر وسائل الاتصال، ففي عام1955م ظهرت نظرية أنتقال المعلومات على مرحلتين، لإليهو كاتز* وبول لازرسفيلد والتي تعدُّ بمثابة التعديل الأول لنظرية الحقنة تحت الجلد أو الرصاصة السحرية، لأنها تفترض أن لوسائل الاتصال الجماهيرية آثاراً مباشرة وقوية على الجمهور.

ونجد ذلك في دراسة بعنوان (التأثير الشخصي) التي قام بها كاتز ولازارسفيلد على عينة من 800 أمراة في ولاية إلينوا الامريكية، وتحت أشراف ميرتون([2]). ونتائج هذه الدراسة هي التي دفعتهم إلى بناء تصور لوجود علاقة بين الاتصال الجماهيري والاتصال الشخصي، إذ أن الرسائل الاتصالية سواء كانت سياسية أو اقتصادية، أو ثقافية، أو ترفيهية، تؤثر بشكل مباشر وأساس بأصحاب المصلحة وهم (قادة الرأي)، وهؤلاء هم من ينشرون الرسائل الاتصالية، عن طريق علاقتهم وجها لوجه مع الجمهور، هذا التأثير في الاتصال على مرحلتين يقلل من شدة التأثير على الجمهور، على أن الجمهور يكون ذا صلات وثيقة بقادة الرأي. لكن حقيقة ألامر أن قادة الرأي يمثلون أجندات وسائل الإعلام، في السيطرة على الجمهور، ووسائل الإعلام تبني مصداقيتها وثقة جمهورها بالاعتماد على طريقة تعبير قادة الرأي ومن ثم مستوى التأثير الناتج عن الاقناع.

([1]) كريم محمد حمزة ، تحليل المضمون الخطاب كمادة للبحث ، (بيروت، دار مكتبة البصائر ، 2012)، ص 25.

*لإليهوكاتز: عالم اجتماع، ولد في مدينة نيويورك عام 1926م، أهتم بالدراسات الوظيفية للاتصال وأشترك بأبحاث في هذا المجال مع مجموعة من العلماء والباحثين، ويعود له الفضل في وضع الأسس النظرية للاستخدامات والاشباعات.

([2]) محمد بن سعود البشر، نظريات التأثير الإعلامي ، (الرياض ، العبيكان، 2014) ، ص 112.

وخلافاً للتوجه الوظيفي للاتصال، نجد فرانسيس بال*يلاحظ تشتتاً في بحوث التيار التجريبي- الوظيفي، فتأثير وسائل الاتصال غامضاً، طالما يصعب قياسه أو تقديره فيما بعد، ومن المستحيل بعد ذلك توقعه: فهو لا يتعلق فقط بما يعمله الناس بوسائل الاتصال؛ بل يتعلق بما ينتظرونه منها.. فوسائل الاتصال هي أكبر مما نعتقد أنها ضعيفة، وأضيق مما نعتقد أنها غير محدودة، وهو يتفق مع أراء جوزيف كابلر الذي لا يعدّالاتصال الجماهيري سبباً ضرورياً وكافياً للتأثيرات على الجمهور، فالاتصال الجماهيري يعمل بتظافر مجموعة من العوامل الثانوية([1]).

إن المقاربة الوظيفية تمتاز بمرونة مفرطة، إذ أنها تستقي القسم الاكبر من منهجها وأدواتها القياسية من علم النفس السلوكي، الذي يطلع بدراسة سلوك الافراد المنبعث من أثر المنبهات، وهناك الكثير من الامثلة الدالة على هذا التوجه، فيرجع الفضل لماكس ويل مكومبسودونالد شاو (MC Combs et Show) في إجراء أو لاختبار إمبريقي لنظرية ترتيب الأولويات، وكان الفرض الرئيس لدراستهما هو بالرغم من التأثيرات المحدودة في بعض الأحيان لوسائل الإعلام على نوع الاتجاه أو شدته إلا أنه يفترض أن تقوم وسائل الإعلام بتحديد الأولويات للحملات السياسية، ويكون لتلك الوسائل تأثير على شدة الاتجاهات نحو القضايا السياسية المثارة ([2]).

وجاءت الابحاث التجريبية التي قامت بها اليزابيث نويل نيومان، والتي عرفت فيما بعد بنظرية دوامة الصمت، والتي أثارت جدلاً واسعاً حول فرض النظرية الاساسية، أن معظم الناس يخافون بطبيعتهم من العزلة، وخوفهم هذا يجعلهم يتبعون

*فرانسيسبال : أستاذ العلوم السياسية في جامعة باريس الثانية منذ العام 1972، وله مجموعة بحوث وكتب في مجال الإعلام والاتصال وصناعة الرأي وتعد أراءه محط جدل ونقاش في الوسط الاكاديمي حول نقد نظريات الاتصال . أنظر : فرانسيسبال – جيرار إيميري، وسائط الإعلام الجديد ، ترجمة : فريد أنطونيوس، (بيروت ، عويدات للنشر، 2001) .

([1]) فرانسيس بال ، الميديا ، ترجمة : فؤاد شاهين، (بيروت ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2008)، ص 115.

([2]) حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد ، الاتصال ونظرياته المعاصرة ، مصدر سابق ، ص 290.

الأغلبية في محاولة للتوحد معهم حتى لو كان ذلك على حساب آرائهم أو وجهات نظرهم التي تختلف مع رأي أو وجهة نظر الأغلبية ([1]).

وقد قام جورج جربنر في مشروعه الخاص بالمؤشرات الثقافية Cultural Indicators والذي يرمي فيه إلى إقامة الدليل الإمبيريقي على تأثير وسائل الإعلام على البيئة الثقافية([2]).

تطور هذا الاتجاه في التحليل الوظيفي القائم على المنهج التجريبي فمنذ العام 1959م عمل كاتز ومن بعده ويلبر شرام، على دحض النموذج الخطي للاتصال واعتمدا على الدراسة الإمبريقية للآثر، وذلك عن طريق توجيه تساؤلات ليس نحو ما يفعله التلفاز للناس، لكن ما يفعله الناس –لاسيما الاطفال- تجاه التلفاز، وقد هيمن هذا التوجه للبحث في وظائف وسائل الاتصال وقد استمر البحث في انماط أستجابة الجمهور لوسائل الاتصال.

لذلك نجحت المقاربة بين الوظيفة التي تؤديها وسائل الاتصال والاشباعات الناتجة عنها، في بناء تصور فكري جديد قائم على أن الفرد الذي يتحاور مع وسائل الاتصالفي ضوء حاجاته. وبحسب رأي حسن كامل فإن "وسائل الإعلام التقليدية تقدم حاجات للجمهور وتمثل المعلومة الجزء الاساس بالاضافة إلى الضبط الاجتماعي وتشكيل الوعي والرآي العام" ([3]). وفي ضوء تلك الحاجات والوظائف قامت دراسات منها دراسة كاتز التي أنجزها عام 1973م التي كانت قائمة على هذه المقاربة وقد وصل في دراسته الإمبريقية إلى حد وضع فهرس لـ 35 حاجة مقسمة على خمس فئات هي : حاجات للمعرفة، وحاجات للعاطفة، وحاجات للهروب، وحاجات للاندماج، وحاجات للتواصل.

([1]) محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، مصدر سابق ، ص 355-356.

([2]) حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد ، المصدر نفسه ، ص 299.

([3]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور : حسن كامل ، التدريسي في كلية الإعلام – جامعة بغداد ، قسم الصحافة ، بتاريخ : 13-7-2016م.

وتم مقابلتها مع وسائل الاتصال التي تحقق لها تلك الحاجة، وقد تم توجيه أنتقادات لهذه النظرية مشابه إلى حد ما للانتقادات التي وجهت للنظرية الاقتصادية الكلاسيكية*، بمعنى أن فروض نظرية الاستخدامات والاشباعات تشابه إلى حد بعيد فروض العرض والطلب في السوق.

إن المرونة التي أمتازت بها الدراسات التجريبية الوظيفية لوسائل الاتصال جعلت الإنسان إلى حد بعيد شبيه بآلة تسجيل كبيرة،نتيجة الانغماس بالمعلومات المتدفقة عبّر وسائل الاتصال إلى الحد الذي يصل فيه الإنسان إلى مستوى يحجب فيه عن تقبل المعلومات بسبب فرط الاشباع، الناتج عن فائض المحتوى الاتصالي، ومثال ذلك : عند تعرض الفرد إلى محتوى اتصالي جديد – مادة خبرية- يكون متلهفاً لمتابعة التفاصيل الخاصة بالخبر، نتيجة الشعور بالحاجة للمعرفة، لكن مع تكرار المضمون عبّر الوسيلة نفسها أو وسيلة اتصال أخرى وضمن مدة طويلة، يحصل نوع من فائض الحاجة للفرد، الذي ينتج عنه عدم المبالاة في الاطلاع على وسائل الاتصال.

3-المرحلة البنيوية : تمثل المرحلة البنيوية مرحلة انتقالية في الفكر الاتصالي، والتي أعتمدت بشكل أساس على الانثربولوجيا البنيوية والتطبيقات اللسانية، فقد

*النظرية الاقتصادية الكلاسيكية : إن النظرية الكلاسيكية تتركز على افتراضات عدة منها توافر شروط المنافسة الكاملة في أسواق السلع والخدمات ومرونة الأسعار والأجور وعدم استحالة حدوث عجز في الطلب. وهذا الاعتقاد من النظرية مبني على إيمانهم بقانونس ايSay’s Low (نسبة إلى الاقتصادي الفرنسي "جانب اتستساي") ومضمونه أن عملية إنتاج السلع إنما تولد قدراً من الدخل يعادل تماماً قيمة السلع المنتجة. بمعنى أن إنتاج قدر من الناتج إنما يولد تلقائياً المال الكافي لسحب هذا الناتج، وينص القانون باختصار على أن "كل عرضي خلق الطلب الخاصبه. وفي ظل هذه الافتراضات تتمثل القوة الدافعة للنظام في تحقيق المصلحة الذاتية لكل من المنتجين والمستهلكين على حد سواء. وتستمد النظرية الكلاسيكية للاقتصاد من أسلوب التوازن الجزئي. ويعتقد الكلاسيك أن القطاع الأسري سوف يعرض الموارد في السوق وذلك فقط إذا كانت لديهم الرغبة في استهلاك بعض السلع والخدمات التي ينتجها الاقتصاد القومي. ولوفرضنا أن مكونات الناتج إنما هي متفقه مع رغبات وتفضيلات المستهلكين فلا بد من سحب ذلك الناتج من الأسواق بواسطة طلب المستهلكين. أنظر : بول كروغمان ، تحليل النظريات الاقتصادية ، ترجمة رانيا محمد عبد اللطيف، (القاهرة ، الدار الدولية للاستثمارات، 2007) ، ص 73.

أهتمت بالتوجهات القائمة على بناء العبارات والجمل وكيفية التواصل بين الأفراد، تمثل أعمال كلود ليفي شتراوس وميشال فوكوو رونارد بارت في الانثربولوجيا البنيوية، الأسس الأولى لهذه المرحلة، والتي سعى لفهم الطبيعة الاجتماعية لكل تجمع بشري وخصائصها وعفويتها، فإن لهذه التجارب الأنسانية وهذه التفاعلات المستمرة دوراً مهماً في بناء العلاقات القائمة على التواصل، فتأثير الفرد في الجماعة وتأثير الجماعة في الفرد، لا يمكن أستنتاجها بل ينبغي ان تراقب، فلكي نفهم الأشياء لا يكفي أن نعرف كيف هي الأشياء، بل كيف أنتهت إلى ماهي عليه، وهكذا بوسعنا تحديد ايقاع فكري موازٍ، وأستنتاج طابعه القريب. أن للابحاث الانثربولوجية موضوعاً علمياً وأهمية شمولية، إن المسألة تكمن في تحديد العلاقات بين عالم الإنسان الموضوعي وعالمه الذاتي ([1]).كما يرى ليفي شتراوس* : " أن التواصل داخل أي مجتمع يعمل وفق ثلاث مستويات على الأقل: تبادل النساء – يقصد بها الزواج كعلاقة اجتماعية – وتبادل الخيرات والخدمات- العلاقات التجارية والاقتصادية- وتبادل الرسائل – يقصد التبادل الثقافي- وبالتالي فإن دراسة نسق القرابة والنسق الاقتصادي واللساني تخلص إلى

([1]) كلود ليفي شتراوس، الانتربولوجيا البنيوية، ترجمة : مصطفى صالح ، (دمشق ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، 1977) ، ص 23.

* كلود ليفي شتراوس : ولد في بروكسل عام 1908م، درس القانون في السوربون، حصل على الدكتوراه في عام 1948م، عمل مديراً مساعداً لمتحف الانسان ، ثم أستاذاً (مدير للدراسات) في مدرسة براتك للدراسات العليا، اتنخب شتراوس عام 1959م لكرسي الانثربولوجيا الاجتماعية في كوليدج دوفرانس فقد أسس معمل الأنثربولوجيا الاجتماعية، وقبل ذلك بعام نشر كتابه الانثربولوجيا البنائية، الذي أصبح سفراً مرجعياً لمدرسة فكرية هي البنيوية، وأصبحت البنيوية بعدّها مدرسة فكرية أداة مهمة للتحليل، ليس في الانثربولوجيا فحسب، ولكن في مجالات متنوعة من العلوم الإنسانية منها علم الرموز (رولاند بارثز)، والفلسفة والعلوم السياسية(لويس ألتوسير) ، والتحليل النفسي (جاك لاكان) وكان الجدل في السبعينات والثمانينات يدور حول أن تكون بنيوياً أو لا تكون. أنظر : جون سكوت ، مصدر سابق، ص350-352.

وجود تشابهات([1]).يعد المنهج البنيوي والفكر الذي يؤطره، أي البنيويةأثراً عميقاً ومستديماً على الفكر الاتصالي وفق ثلاثة أتجاهات هي:

أ-النصوص الادبية وتحليل الخطاب: وتمثل التحليل البنيويلروايات النصوص الأدبية، إذ نجد رولان بارت يقترح التمييز داخل العمل السردي بين ثلاثة مستويات للوصف : مستوى الوظائف، ومستوى الأفعال، ومستوى السرد، وتشكل جميعها مستوى الخطاب، أن هذه المستويات ترتبط بعضها ببعض بواسطة شكل من الاندماج التدريجي، فلا يكتسب مستوى وظيفة ما، إلا إذا كان له دور ضمن الفعل العام، وهذا الفعل العام لا يستمد مكانه إلا لكونه فعل مسرود، إذ أن رولان قدم وصفاً للعلاقات البنيوية في النص والتي تمثل الفعل العام للتواصل في بنية النص، وتمت الإفادة من هذه الآلية المقترحة لدراسة النصوص الاتصالية. وقد أعتقد ميشال فوكو أن (الحديث، والنص، والخطاب) بمفردها ليست هي ما تجعل العالم في وضع صحيح، ومن ثم فقد أبتكر فوكو (التصرف) ليتيح الفرصة أمام إجراء تحليل أفضل للماضي والواقع الراهن، وفيما يتعلق بـمفهوم (التصرف)، فتتجلى الأهمية القصوى للتساؤل عن العلاقة بين الخطابي وغير الخطابي وكذلك العلاقة بين الخطاب والواقع. ويفترض فوكو وجود حالة من حالات التعايش بين الخطاب والأشياءلأنهما عنصرين مترابطين ضمن عناصر التصرف الأخرى، ويتضمن التصرف ككل الشبكة التي نُسجت بين هذه العناصر لتربطها مع بعضها، وعلى الرغم من هذا فإن فوكو لم يخبرنا عن ماهيةالعلاقة التجريبية التي تربط الخطابات بالاشياء([2]).

([1]) كلود ليفي شتراوس ، مدارات حزينة ، ترجمة : محمد صبح ، (دمشق ، دار كنان ، 2003) ،

([2]) روث فوداك، ميشيل ماير ، مناهج التحليل النقدي للخطاب ، ترجمة : حسام أحمد فرج ، عزة شبل محمد، (القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، 2014) ، ص 94.

ب-تحليل المضمون البصري: وتتضمن آلية تحليل الرسائل البصرية التي بدأت تظهر بشكل واضح بعد فصلها عن الإطار الاختزالي للتواصل اللساني الصرف، وهذا ما لاحظه أمبيرتو إيكو الذي يعدّ ظواهر التواصل ليست كلها قابلة للتفسير بواسطة مقولات اللسانيات. لذلك فإن محاولات التأويل السيميولوجي لأنواع التواصل البصري تمتاز بإنها تسمح للسيميولوجيا باختيار إمكانات الاستقلال عن اللسانيات، وقد أهتمت السيمولوجيا ببعض الموضوعات المتعلقة بشكل جزئي أو كلي بـ (المعالجة اللسانية)، ونجد نماذج كثيرة لتحليل الافلام السينمائية، بالاعتماد على رموز وعلامات دلالية، على وفق منظومة أعدت سلفاً فقد كانت أعمال دي سوسير وبورس نموذجاً مناسباً للتحليل في الكثير من الاعمال الاتصالية، فالسيمولوجيا عند بورس ليست صناعة جامدة تدرج أنواع العلامات في خانات خاصة وبشكل نهائي. إنها على العكس من ذلك، ترد الأنساق كلها إلى حركية الفعل الإنساني. وهي تجعل من الإنسان علامة وتجعل منه صانعاً للعلامة وتقدمه ضحية لها في الآن نفسه. فالانسان هو المنتج للسلوك الفردي وهو الذي يحول هذا السلوك إلى قاعدة جماعية، أي يجعل منه عادة تشتغل كنموذج يحكم السلوك الفردي. وهذه العادة هي التي تستمر بعد موت العلامة.ويرى بورس أيضاً أن الفكر بطبيعته ناقص ويحتوي على الضمني والكامن. ولهذا فإن كل فكر إنما يحيل إلى فكر أخر. بمعنى أن التعدد هو ما يبرر وجود النص ووجود قراءاته([1]).

ج-التوثيق المعلوماتي: يقصد به اضفاء الطابع الآلي على المعلومة، أي بوجود كم كبير من المعلومات تقوم الآلة بتصنيف المعلومات المدخلة لها ومعالجتها،على وفق خوارزميات تعد لهذا الغرض، وهي تقدم تحليلاً مفصلاًللأرشيف المعلوماتي المدخل لها، وقد مكنت تقنيات تحليل الخطاب من احراز تقدم فيه،إذ

([1]) سعيد بنكراد ، السميائيات والتأويل مدخل لسميائيات ش.ش. بورس، (بيرون ، المركز الثقافي العربي، 2005) ، ص 28-34.

تضاف إلى تقنية معالجة المعلومات التي تمارس دوراً مهماً ومعروفاً في التعامل مع البيانات. ويستعمل التوثيق المعلوماتي في وسائل الاتصال بشكل كبير، وهو يعد مشكلة بحسب بعض الناقدين لانه يجعل الاعتماد على الآلة أكثر من الإنسان ومن ثمَّ يفقد النص صفة الرؤية التي لا تفهمها الآلة.

4-**مرحلة الصراع الفكري**: في نهاية الستينات، انتشرت الكثير من الافكار الاتصالية التي تمحورت حول التيارات المؤسسة لها – المراحل الثلاثة السابقه- ونتج عن ذلك الانتشار حوارات ونقاشات،إذ خرجت من حلقاتها الضيقة التي نشأت فيها، وبدأت تجتذب الاكاديمين والمهنيين، وأنبثقت نتيجة ذلك أفكار جديدة كانت بداية ظهورها في الولايات المتحدة الامريكية ومن ثم في أوربا الغربية، والتي بدأت تظهر بشكل مستقل عن سابقاتها ومن هذه التيارات :

أ-**نظرية الثقافة الجماهيرية**: هي تلك النظريات التي تهتم بالرسائل التي توزعها وسائل الاتصال الجماهيري والتي تعتمد على نظرية السوق-على الأقل من الجانب الذي تتقبل فيه أن توزيع الرسائل يخضع عمليا الى نموذج السوق- وتهتم النظريات الثقافية بصورة خاصة بتحليل شكل خاص من السيرورة الاجتماعية، مرتبطة بعملية إعطاء معنى للواقع، وبتطور ثقافة وممارسات اجتماعية تشاركية وبحقل مشترك من المعاني، ترمي إلى تحديد أطر دراسة الثقافة في المجتمع المعاصر كمجال تحليل مهم على الصعيد المفهومي، ومناسب وراسخ على الصعيد النظري، وتدخل في مفهوم الثقافة سواء المعاني والقيم التي تظهر وتأثر في الطبقات والمجموعات الاجتماعية، عن طريق الممارسات الظاهرة التي يتم فيها التعبير عن المعاني والقيم. وتتجه الدراسات الثقافية نحو التخصص في نقطتين مختلفتين: إحداهما يُعنى بأعمال الإنتاج الإعلامي كنظام معقد من الممارسات المحددة لصناعة الثقافة وصورة الواقع الاجتماعي. والأخرى يُعنى بدراسات حول استهلاك الإعلام الجماهيري كمكان للتفاوض بين ممارسات اتصالية شديدة التباين. والمنطلق الأساس للنظريات الثقافية هو دراسة الثقافة الجماهيرية مبرزة عناصرها الانتربولوجية الأكثر أهمية والعلاقة

التي يتم وضع في نطاقها المستهلِك بالشيء المستهلَك. فلا ترتبط النظرية الثقافية مباشرة بالإعلام الجماهيري ولا بتأثيراته على المتلقين، فموضوع تحليلاتها هو تحديد الشكل الجديد لثقافة المجتمع المعاصر. ويرجع الفضل في هذه النظرية إلى الفرنسي ادغار موران *الذي حاول دراسة الثقافة الجماهيرية كظاهرة اجتماعية شاملة في مقاربة له نشرها في كتابه (روح العصر) إذ قال: " أن الثقافة الجماهيرية هي المواقف الجديدة التي تنشرها وسائل الإعلام والاتصال لدى الجماهير الواسعة وبصفة اصطناعية، وتمتاز بأنها ثقافة مصطنعة تخضع لمقاييس السوق وفق مبدأ العرض والطلب وظهرت بظهور وسائل الاتصال الحديثة"([1]).الموضوع في الثقافة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بخاصيته كمنتج صناعي وأستهلاكه اليومي، إذ تمثل إستجابة للنمط الجمالي وللإستهلاك الخيالي. وأن الثقافة الجماهيرية في نظر موران هي انتاج الرأسمالية الخالص في القرن العشرين، ويعالجها كإستجابة لرغبة الجمهور اللاواعية للمُنتج.

ب-النظرية النقدية: كان للفكر النقدي لمدة طويلة قطباً مقاوماً للأعمال التجريبية – الوظيفية، ففي عام 1983م أصدر جون لوي ميسيكا ودومينيك ولتون كتاب (لفافة المخيلة) وقد قسموا فيه المقاربات الاتصالية على قطبين : أعمال إمبريقية ومقاربة نقدية، وفي حقيقة الأمر أن النظرية النقدية لا تنسب لعالم معين بل تشمل مجموعة كبيرة من الأعمال التي ظهرت بشكل واسع في مدرسة فرانكفورت النقدية، ولا سيما أعمال تيودور أدورنو حول الصناعة الثقافية والوضع الاعتباري للفن داخل المجتمعات الرأسمالية المتقدمة،فضلا عن نتاجات هربرت ماركوز التي أثرت تأثيراً كبيراً في فئة الشباب، بسب نقده

*ادغارموران فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي معاصر. ولد في باريس عام 1921م. قام بتأسيس مجلة Argumentsبالفترة (1954-1962). وقام بإصدار كتابهAutocritiqueفي عام 1959م. كان الكتاب يوضح تمسكه ثم خروجه من الحزب الشيوعي. حاول دراسة الثقافة الجماهيرية كظاهرة اجتماعية شاملة في مقاربة له نشرها في كتابه روح العصر

([1]) جمال العيفة، الثقافة الجماهيرية، (الجزائر، منشورات جامعة باجي مختار، 2003) ، ص64.

مجتمع الاضطهاد القائم إذ يرى ماركوز : " أن المجتمع الصناعي يحرم النقد من أساسه الحقيقي، فالتقدم التقني يرسخ دعائم نظام كامل من السيطرة والتنسيق وهذا النظام يُوجه بدوره التقدم ويخلق أشكالاً للحياة (وللسلطة) تبدو وكأنها منسجمة مع نظام القوى المعارضة، وتبطل بالتالي جدوى كل احتجاج.. بأسم تحرر الأنسان" ([1]). فلم يعد الفلم والإذاعة في حاجة إلى تمرير نفسيهما كفن، لقد أصبحا مجرد عمل تجاري، وهنا تكمن حقيقتهما وايديولوجيتهما التي يستعملانها من اجل اضفاء الشرعية على البضاعة الرديئة التي ينتجانها عمداً، إنهما يعرفان نفسيهما يعدّهما صناعة، كما يبطلان الشكوك كلها حول الضرورة الاجتماعية لنتاجهما عن طريق نشر عائداتهما. فسلطة الاتصال تمثل عملية إنتاجية تخضع للسوق، على وفق النسق التجريبي في بحوث الاتصال، وهذا ما ترفضه النظرية النقدية. إذ إن النظرية النقدية ترى أن وظيفة الإعلام هي مساعدة السلطة في المجتمع لفرض نفوذها والعمل على تعزيز الوضع القائم، ولذلك انطلقت النظرية النقدية من دراسة الأوضاع الإعلامية وأنتشار الثقافة الجماهيرية بدلاً من الثقافة الراقية أو الرقيقة، التي ترتقي بأذواق الجماهير لوضع تفسيرات خاصة بإنتشار صور المحتوى الذي تنشره وسائل الإعلام للترويج لصالح الفئات أو الطبقات المسيطرة على المجتمع ([2]).

ج- **النظريةالبسيكوسولوجيا** :قدم إبراهام موليس مقاربة ليبيرانية يحاول بها توحيد حقل الثقافة، وحقل الإعلام الجماهيري، إذ يرى أن الثقافة التقليدية الإنسانية المثالية التي تتأسس على مفاهيم قاعدية مكتسبة من التفاعلات الاجتماعية في وسط النظام الاجتماعي، وتكتسب عن طريق الدراسة، والتعليم، والتعلم، والتربية والتنشئة، وهي ثقافة متطورة ومتدرجة إلى الأعلى وعامة وممتدة نحو الموسوعية والشمولية في كل مجتمع. هذه الثقافة تعارضها وتؤثر فيها وفي

([1]) هاربرت ماركوز ، الأنسان ذو البعد الواحد ، مصدر سابق ، ص 28.

([2]) مجد الهاشمي، الإعلام الدبلوماسي والسياسي ، (عمان ، دار أسامة، 2008)، ص 39.

مكتسبها من أفراد المجتمع والمجتمع ككل، هذه الثقافة هي التي تخلقها وسائل الاعلام لأنها تعدُّ كل التعبيرات والمواد الثقافية التي تنشرها وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري وتقوم بتطوير وسائلها الخاصة وعلى رأسها الراديو والسينما والمجلات والروايات والتلفزيون. وقال موليس أن: "هذا الضرب من الثقافة هي عبارة عن أكوام من العناصر المعرفية المحمولة على قنوات وسائل الإعلام، والموزعة على فروعه المتنوعة والمختلفة صحافة، راديو، تلفزة وتأخذ هذه العناصر أو الرسائل الاتصالية التي تحمل الثقافة شكلاً ومعنى، ثم تتحول إلى منتجات ثقافية على الإعلام الجماهيري وتصل إلى المستهلك"([1]).وبذلك تشكل دورة سوسي وثقافية. ومن المفاهيم الأساسية لموليس هي " الثقافة الفسيفسائية " بمعنى أن وسيلة الإعلام عبارة عن لوحة أو رسمة فسيفسائية متنوعة العناصر والمعارف والمفاهيم والافكار والتخيلات وشظايا أفكار وصور ومشاهد وأشكال وتتداخل فيما بينه التشكل الرسائل الإعلامية التي تنتج عن طريق المشاهدة المتلفزة والقراءات الصحفية والأخبار والدراما السينمائية..الخ. ويعتقد موليس أن دراسة اللوحة السوسي وثقافية مفيدة للمعرفة، ودراستها عن طريق تحاليل الموضوعات والمحتويات لهذه القنوات ومضامينها التي تحمل فيها ثقافة اتصالية، وهذا أحسن وأكثر بكثير من أستطلاعات الرأي وسبر الجمهور. إن لبال مقاربة الثقافية لم وليس ينصب بالدرجة الأولى على وصف إنتاج الإعلام الجماهيري بأنه ثقافة فسيفسائية، مؤلفة من معارف تقذفها وسائل الاعلام في عقول الأفراد الذين يمتصون بصورة سلبية بدون غربلة كلما يقترح عليهم.

د-النظريةالحتمية التكنولوجية (الماكلوهانية) :الفكرة الأساسية التي جاء بها مارشال ماكلوهان كانت مناقضة للتيار الذي ينظر في تأثير الرسالة الاتصالية (المدرسة

([1]) عبد الله محمد عبد الرحمن، سوسيولوجيا الاتصال والاعلام، (الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2006) ص 189.

الامريكية).في المجتمع سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة، حيث يرى ماكلوهان أن الوسيلة أبلغ من التأثير من الرسالة، وهو صاحب المقولة الشهيرة (الرسالة هي الوسيلة) ([1]). وان الوسائل كلها التي اخترعها الإنسان في الكون هي امتداد لحواسه ويرى أن وسائل وقنوات الإعلام الجماهيري ولا سيما التلفزيون لها أثر كبير في التحولات الانتربولوجية الحاصلة أي أنها وسائل مهمة فيتغير المجتمع وأصبح المجتمع قرية صغيرة أو بما أسماه هو(القرية الشاملة). فالحدود الجغرافية والأرض الفيزيائية تم تجاوزها، كما أن الزمن تلاشى بفعل التطور التكنولوجي والتقني لوسائل الاتصال والإعلام وفي مقدمتها الأقمار الصناعية ووسائل البث الفضائي، وكذا الإنترنت، الى درجة وصول مشاهدت أحداث تحدث في ناحية من نواحي العالم في زمن مباشر، وهذا كله من نتاج الإنسان بواسطة إدراكات الإنسان وحاجاته المتعددة. ويعد ماكلوهان من المفكرين المجتهدين للتكنولوجيا، ولا سيما فيما يتعلق بالتكنولوجيا الخيائلية، إذ يرى أن تكنولوجيا المعلومات لها قدرة توليد خيائلي هائلة، والتي تعود بدورها الى قدرتها على التجريد والمحاكاة والتمثيل الرمزي، فضلا عمّا ماتوفره من إمكانات هائلة للتفاعل آليا مع الواقع أوما يحاكيه أو يماثله من نظم ونماذج للإنترنت تمثل فضاءً عاماً تسكنه خائليات عدة. والتكنولوجيا وما تحمله من تقنية تؤثر على قناعات المتلقين وآرائهم، فنجد ماكلوهان ميز بين نوعين من هذه التقنيات : فالراديو والسينما والصور هي قنوات ساخنة مليئة بالمعلومات وتتطلب مشاركة ضعيفة من المتلقي، في حين أن الهاتف والتلفزة وأفلام الكارتون. هي قنوات باردة فقيرة بالمعلومات ولذلك فهي غنية بمشاركة المتلقي ([2]).

([1]) حسني محمد نصر، نظريات الإعلام، مصدر سابق ، ص 298.

([2]) نصر الدين العياضي ، وسائل الاتصال الجماهيري والمجتمع، (الجزائر: دار القصبة، 1996) ، ص 77.

ونتج عن هذا الصراع الفكري، الاتفاق على مجموعة من النقاط التي تمثل الانطلاقة لبناء فكر اتصالي جديد ويشخص الباحث نقاط الاتفاق في ما يأتي :

أ- يتجه المضمون الاتصالي في وسائل الإعلام إلى تسليط الضوء على العلاقات الاجتماعية بشكل غير متوازن، فهي تتجه بخطابها نحو فئات من المجتمع دون سواها.

ب- توظيف للمصالح الرأسمالية عن طريق تحليل الرموز والمعاني للمضمون الاتصالي لجذب اهتمامات الطبقات الفقيرة في المجتمع والتي تعاني من الاستغلال الاقتصادي.

ج- انتج الصراع الفكري قناعات أن(الدراسات الإعلامية الأمريكية غير حيادية)، كونها تنطلق من سمات تخص المجتمع الامريكي والتي توظفها وسائل الإعلام لتخدم الثقافات المهيمنة، التي يدعمها رجال الاعمال والسياسيون كشكل من الانحياز المخفي.

د-البحث عن بدائل لدراسة المضمون الاتصالي لوسائل الإعلام، بالاعتماد على الدور الفكري والعقائدي بدلاً من نظريات علم النفس التطبيقي التي تعتمد (المؤثرات- والاستجابات)، من منطلق أن الفكر والثقافة الاجتماعية يمكن لها أن تأخذ أشكالاً مختلفة يصعب أعتماد مقايس نفسية لفهمها.

ه-في تحليل المضمون الاتصالي من منطلق أن الفكر الإنساني يستطيع أن يتوصل وبشكل دقيق للحاجات الإنسانية على وفق الوضعية الاجتماعية، والموروث الشعبي الذي يمثل عمق المجتمع.

و-ليصل المجتمع إلى فهم دقيق للمضمون الاتصالي ولتجنب أستحواذ المصالح الشخصية على المصالح العامة -عندما تصبح وسائل الإعلامي تمثل سلطة على الجمهور- بسبب أستحواذ رجال الاعمال والحكومات عليها، في الوقت الذي يجب أن تكون وسائل الإعلام المدافع عن الجمهور ضد الاستغلال، ومن هذا المنطلق يجب تطوير قدرات الفرد ومهاراته ليتمكن من القراءة والفهم.

ي- تمـــارس وســـائل الإعـــلام دوراً مهمـــاً في تـــأمين مفـــاهيم الهيمنـــة الفكريـــة وتداولهاوتقـديمها، والـتي تختلـف تمامـا عـن الثقافـة الجماهيريـة والـتي تتنـاول الدراسات الامريكية.

5-مرحلة التجديد التقني: إن أهم ما ميز المراحل السابقة هو البعد الرياضـي والبعـد العقلي، في فهم الظاهرة الاتصـالية ومـن المهـم القـول إن الـدافع الـتقني هـو وراء ظهور تلك التحليلات، لكن التطور التقني شهد تحـولاً كـبيراً في بدايـة السـبعينات وأستمر بحالة من التصاعد والتطور ولاسيما ظهور الحاسـوب وشـبكة المعلومـات العالمية الإنترنت، تلك التقنية التي غيرت الكثير من مفاهيم التخاطب والحـوارات، في فضاء أفتراضي تندمج فيه عناصر العملية الاتصالي وبحسب عبد النبي خزعـل: " فمن الصعب التمييز بين عناصر العملية الاتصالية أيهما المرسـل وأيهمـا المسـتقبل ومن بإمكانه أنهاء الاتصال أو الطرف المستفيد من أستمرار الاتصال عندها يحـدث الاندماج"([1]). ولم تكن تلـك التقنيـة بالشـكل الـذي هـو عليـه في القـرن الواحـد والعشرين، لذلك كان التوجه منصباً نحو التلفزيون بشكل كبير لأنه يمتلك الشـعبية في المجتمع، وقد أحدث تغييراً كبيراً في المجتمعات،وصاحب ظهـور تقنيـة الإنترنـت تطور مفهوم العولمة ولاسيما العولمة الاقتصادية، التي ألقـت بظلالهـا علـى المشـهد الاتصالي والإعلامي في المجتمع، لذلك سعى رجال المال والسياسة للسـيطرة علـى وسائل الإعلام عن طريق توجيه الأفراد نحو الاسـتهلاك لمنتجـاتهم، سـواء كانـت سلعاً أو حملات أنتخابية أو غير ذلك بما يخدم مصالحهم، وكان على الباحثين ايجـاد آليات جديدة تنسجم مع التطور التقني، فقد أدخلـوا البعـد الاقتصـادي في دراسـة الظواهر الإعلامية والاتصالية، إذ ظهر مـا يعـرف بالاقتصـاد السياسـي (النقـدي) للاتصال، وقد تأثروا من دون شـك بطروحـات مدرسـة فرانكفـورت، فأصـبحت أعمال أدورنو في مفهوم العقل الأداتي الـذي ينفـي كـل قيمـة في حـد ذاتهـا عـن

([1]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور : عبد النبي خزعل، التدرسي في كلية الإعلام – جامعة بغـداد ، قسـم الأذاعة والتلفيزيون، بتاريخ : 12-10-2016م.

الثقافة التي تقدمها وسائل الاتصال الجماهيرية، إذ أن وسائل الاتصال أصبحت تمثل توجهات الرأسمالية في إدارة مصالحها الاقتصادية والسياسية.

ولم يعد الجمهور يمثل أكثر من مستهلك منقاد بشكل قسري لما يقدم له، بل أن العقل البشري أصبح يمثل السلوك المفترض حصوله – الذي خطط له القائم بالاتصال- من دون أن يراجع المنظومة الفكرية، فلم يعد هناك الوقت الكافي لبناء التصورات، فالعقل هو الماكنة التي تقدم لاصحاب المصالح المنتج، بمعنى أن الفرد أصبح جزءاً من التقنية يسير معها في الاتجاه نفسه.

ولم يعد هناك جمهور هو هدف عملية الاتصالي كما كان في السابق، فمعنى الجمهور قد تغير مع تطور التقنية التي أصبحت توظف الأفراد، وتحكم سلوكهم، فعندما تكون التقنية جزءاً من الفرد عندها تكون جزءاً من سلوكه وليس أنعكاساً لافعاله.

وفي هذا السياق يجد علي الشمري : "أن الإنترنت أصبح يمثل وسيلة أتصال جديدة لما لها من صفات كثيرة تميزها عن غيرها منها: أنها اتصال متطور وغير تقليدي بأعتمادها أدوات جديدة، أضافة لكونها وسيلة تفاعلية، تندمج فيها عناصر العملية الاتصالية"([1]). لذلك كان من الضروري لفهم طبيعة عمل وسائل الاتصال الجديدة، أن نجيب على سؤال محوري هل أن نظريات الاتصال المستخدمة في الإعلام الجديد تقدم تصورات جديدة لفكر أتصالي جديد ؟.

ثانياً : تحليل نظرية الإعتماد على وسائل الإعلام

تعد هذه النظرية كما أشرنا سابقاً من النظريات المهمة في دراسات الإعلام والاتصال لأن المجتمع الحديث يعتمد فيه الجمهور على وسائل الإعلام في بناء معارفهم وتكوين أتجاهاتهم نحو ما يحدث في مجتمعاتهم. وبعد أطلاع الباحث على البحوث المقدمة في كلية الإعلام- جامعة بغداد، وجد أن هذه النظرية أحتلت المرتبة

([1]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور: علي الشمري ، التدريسي في كلية الإعلام – جامعة بغداد ، قسم العلاقات العامة ، بتاريخ : 16-8-2016م.

الأولى في دراسات الإعلام عبّر الإنترنت، وكانت ضمن أربع تصنيفات وهي موضحة في الجدول رقم (6) وفيما يلي تقديم تحليل على وفق فروض النظرية:

أ- **صناعة الأخبار والاعلان في المواقع الالكترونية:** وقد تم بناء فروض الدراسات على وفق سياق مقارب لفروض النظرية، فالصناعة الخبرية في الصحف العراقية تطورت بفضل الإنترنت وظهر شكل جديد من النشر الالكتروني للأخبار بفضل تقنية الإنترنت، والتي مكنت من تقليص النفقات المالية، وذلك بالإعتماد على مواقع الكترونية أخبارية وانتشار مواقع البث الفضائي عبر الانترنت وغيرها من التقنيات التي ساعدت بشكل كبير على توفير فرص كبيرة للحصول على المعلومات وبشكل سريع، ونشرها وتداولها بشكل واسع محلياً وعالمياً، هذا التطور في نشر الأخبار عبّر الإنترنت، كان بالضرورة يحتاج إلى نسق خاص من صناعة الأخبار لكي تنسجم مع المستخدمين، فقد أصبح بالامكان دمج الاخبار مع مقاطع فيديو، وصور كثيرة وامكانية الحصول على تفاصيل الخبر بشكل موسع، وقد ساعد ظهور مواقع التواصل الاجتماعي على نشر الأخبار وتداولهاإذ ترى نزهت الدليمي : "أن الإعلام الجديد ممثل بمواقع التواصل الاجتماعي أحدث تغييراً في الإعلام التقليدي من حيث التغيرات والتطوات التقنية في مواقع التواصل وتطبيقاتها – شبكة الإنترنت عموماً- كوسيلة اتصال فسحت المجال للإعلام أن يكون مؤثر في المستخدم بشكل مباشر لتواصل المستخدم خلال يومه، ويكون على دراية بالاوضاع الاقتصادية، الثقافية والسياسية، وكذلك ما يقدمه وما يكتبه المستخدم من اراء ونقل معناها ومشكلات في هذه المجالات كافة مما أدى للتأثير النفسي والمعنوي عموماً للمستخدم، وساعد على حرية التعبير وتشجيع المواطن على النشر والمشاركة والحوار" ([1])، وساعد ذلك كله على فسح المجال واسعاً لصناعة نسق خاص من

([1]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتورة : نزهت الدليمي، التدريسية في كلية الإعلام – جامعة بغداد،قسم الصحافة ، بتاريخ : 27-9-2016م.

الأخبار. وهذا ما ذهب له حسن كامل إذ : "أن مواقع التواصل الاجتماعي لا تمثل أعلام جديد بحد ذاته، لكنها مواقع الكترونية يمكن الاستفادة منها في الحصول على المعلومات والأخبار بحسب نظرية الإعتماد على وسائل الإعلام"([1]).كما أن والإعلان هو الآخر قد تطور من حيث الشكل والمضمون لينسجم مع الإنترنت من حيث الطبيعة الاخراجية – الشكل والمضمون- والوظيفة التسويقية التي يقدمها الإعلان، وتمثل مواقع التواصل الاجتماعي منصة كبيرة للترويج والإعلان وقدمت البحوث والدراسات هذا التطور في صناعة الأخبار والإعلان على أنه أعتماداً على وسيلة أخرى هي الإنترنت، في حين أن النظرية وفق فروضها تعتمد على العلاقة بين الجمهور والوسيلة، إذ أنصناعة الأخبار والإعلان تمثل أنعكاساً لحاجة المجتمع لبيئة جديدة، لذا يجب بناء فرض جديد للنظرية يمثل الانعكاس الاجتماعي للبيئة الاتصالية، فأعتماد المجتمع على وسائل الإعلام هو الآخر يعتمد على مجموعة من العوامل النفسية والاجتماعية التي تحقق بمجموعها قناعات الجمهور، والنظرية تقدم في فروضها تصوراً مثالياً لحدوث التأثير القوي والذي يعتمد على الظروف المحيطة والخبرات السابقة،وهذا الفرض يعد مقبولاً لحد ما في وسائل الإعلام التقليدية، إذ إنها تمتاز بدرجة عالية من الاستقرار يمكنها من دراسة محيط المتلقي وخبراته، فهي لا تعتمد على ما يمتلكه المتلقي من خبرات وبيئة اتصالية بل تعمل على ترتيب أولوياته لبناء نموذج مثالي يمثل هدف وسائل الإعلام، فالمضامين الاتصاليةتمثل القاعدة المستقبلية لخبرات المتلقي وهي في الوقت نفسه تفرض محيطاً اتصالياً على المتلقي ضمن نطاقها عن طريق المحافظة على جمهورها. ولا ينسجم هذه الفرض مع فضاء أفتراضي، إذيرى هاشم حسن: "أن المستخدم في الفضاء الافتراضي يعتبر جزءاً منه وأنعكاس له، لذلك فإن التأثير لا يمثل هدف العملية الاتصالية بقدر ما هو انعكاس لها، فالمستخدم ضمن مجاله لا يمثل محيطه فحسب بل يمثل

([1]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور : حسن كامل ، بتاريخ : 13-7-2016م.

محيط المستخدمين. أما خبراته فتمثل الكيفية التي يستخدمها في أدارة مجتمعه" ([1]). لذلك فإن أولويات وسائل الإعلام التقليدية تعتمد لتحقيق هذا الفرض على جانبين هما بناء خبرات المتلقي بالاعتماد على مضامينها الاتصالي وثانياً بناء بيئة اتصالية للمتلقي قائمة على ايديولوجيتها عن طريق الاستحواذ عليه.

ب-توظيف الوسائط المتعددة في المواقع الالكترونية:إن توظيف أدوات التقنية مثل، الفيديو، والصورة، والصوت وغيرها..، تمثل إحدى وسائل التأثير المادي في المستخدم على وفق ما توصلت له بحوث مجتمع الدراسة، ونظرية الاعتماد على وسائل الإعلام تعتمد مجموعة من وسائل التأثير على الجمهور سواء كانت مادية أو معنوية، وكما يرى ميليباند Miliband : "أن مالكي المؤسسة الإعلامية – بصفتها مؤسسة إنتاج معرفي وثقافي- يمارسون قوة هائلة في التأثير على الجمهورمن خلال تدخلهم المباشر في تقرير شكل المنتج وطبيعته" ([2]). والتأثير ينبع من تفاعل الجمهور مع المضمون الاتصالي، وفي حقيقة الامر أن مفهوم التفاعل قد تغير، فالتفاعل في وسائل الإعلام التقليدية ينبع من التأثير الذي تمارسه المؤسسة الإعلامية على الجمهور، لكن مع الإعلام الجديد فالتفاعل ينبع من المستخدم نفسه لأنه جزء من فضاء عام، إذ يرى شريف السعدي : "أن التفاعلية في الإعلام الجديد، تعني درجة مستويات وتحكم المشاركين في النقاشات والحوارات والتعليقات المتبادلة، وقدرتهم على تبادل الادوار في العملية الاتصالية بشأن موضوعات مختلفة تعتمد بالدرجة الأساس على الخبرات المشتركة والمتراكمة فيما بينهم وكذلك كم المعلومات التي يمتلكونها بشأن الموضوعات الخاصة بالمناقشة"([3]).فالمستخدم يمثل المضمون ويعكسه في الوقت

([1]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور : هاشم حسن ، التدريسي في كلية الإعلام ، وعميد كلية الإعلام - جامعة ، بتاريخ : 8-7-2016م.

([2]) حلمي ساري ، التواصل الاجتماعي ، (عمان ، دار كنوز ، 2016) ، ص 123.

([3]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور : شريف السعدي، التدرسي في كلية الإعلام – جامعة بغداد ، قسم الأذاعة والتلفيزيون، بتاريخ : 20-9-2016م.

نفسه، فليس من المنطقي أن يمارس المستخدم تأثيراً على نفسه، لكنه يقدم نفسه للمجتمع كصورة لما يرغب فيه، والأدوات كلها التي يستخدمها من فيديو وموسيقى وصور وعبارات ورموز، هي تعبير لما يدور في داخله، والسؤال هنا، كيف يمارس المستخدم التأثير على الأخر؟ مما لا شك فيه أن هناك أهدافاً كثيرة للمستخدم في الفضاء الافتراضي الواسع، ومن هذه الاهداف ما هو عام يتحقق بنشر مبادىء حرية التعبير ورفض صور الظلم والاضطهاد وغيرها من صور المجتمع السعيدة والحزينة، فضلا عن سعيه وبشكل متواصل لتحقيق الذات عن طريق التواصل مع الاخر، فيرى عبد النبي خزعل : "في بعض الاحيان تحدث تقاطعات في عملية التواصل، حينما تختلف الآراء وتتعقد وجهات النظر كل يحاول أثبات رأيه ويعتقد بمخالفة الطرف الآخر لحقه في التعبير عن وجهة النظر فتكون الردود أكثر عنفاً، وفي الغالب بعض مواقع التواصل الاجتماعي تكون لأبداء وجهات النظر وأستطلاع آراء الغير أو كسب أعجابهم"([1]). لذلك نستطيع القول إن المستخدم يمارس تأثيره على الاخر من منطلق التواصلية نفسه، والدور الذي تقوم به أدوات الاتصال في المواقع الالكترونية تعتمد على توجهات المستخدم وليس توجهات المؤسسة الإعلامية، فنجد أن موقعاً مثل يوتيوب يقدم مقاطع الفيديو وموقع مثل فلكر يقدمان للمستخدم فرص المشاركة بمحتواهما الاتصالي ودمجه مع ما يريد تقديمه من مضامين اتصالية، ولا تحكم تلك العملية ضغوط سلطوية أو تخطيطاً مؤسساتياً يسعى لاحداث تأثير، بقدر ما هو حالة من تحقيق الذات والشعور بالتواصل.

3-توظيف العلاقات العامة في مواقع التواصل الاجتماعي:النظرية تفترض أن الجمهور يختلف في الإعتماد على وسائل الإعلام، فالصفوة قمة الهرم قد يكون لها وسائل خاصة بها. وبحسب وسائل الإعلام التقليدية فإن الجمهور مقسم على وفق فئات، لكي يسهل عملية تحرير المضمون الاتصالي بما ينسجم والجمهور

([1]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور : عبد النبي خزعل، بتاريخ : 12-10-2016م.

المستهدف، فالمؤسسة الإعلامية تستخدم العديد من الخطط للوصول لهذا الهدف، وبطبيعة الحال فإن تقسيم المجتمع على فئات يعني تقسيم المضمون أيضا، وهي استراتيجية للسيطرة على الجمهور تستخدم لحد الان، لدواعي كثيرة ربما أكثرها أهمية: أن الجمهور لا يدرك حجم المخاطر التي يواجهها في المجتمع، وعلى المؤسسة الإعلامية أن توجه الجمهور إلى مايخدمه. ومن هذا المنطلق يتم الاستحواذ على الجمهور وسلب أرادته. بعد ظهور مواقع التواصل الاجتماعي وأنتشارها بشكل واسع، بدأ الفرد ينفر وبشكل تلقائي من سلطة الاستحواذ والسيطرة، إذ يرى محمد فلحي : "أن مواقع التواصل الاجتماعي أظهرت شكل جديد من انماط التلقي ممثل بالمستخدم الذي يكون فاعلاً ونشطاً ومشاركاً في صياغة الرسالة الاتصالية، فالفرد النمطي الذي يتلقى الرسالة الإعلامية التقليدية لا يستطيع التأثير بها" (1). لذلك كان على الفرد ان يتبع أستراتيجية للوصول إلى هذا الهدف فمواقع التواصل الاجتماعي بحد ذاتها لا تعني شيئاً بدون وجود خطط منظمة تمكن من تحقيق الاهداف، وكان من أهم تلك الخطط، بناء منظومة العلاقات العامة، التي تمثل جوهر التفاعل الاجتماعي، موقع مثل الفيسبوك يمثل حلقة تواصل مع أطراف العالم،فقد أصبح بأستطاعة مضمون اتصالي سواء كان هاشتاك* أو مقطع فيديو أو صوراً، أن يجلب الاف التعليقات والاعجابات والمشاركات، ويعتقد علي الشمري: "أن العملية الاتصالية في الإعلام الجديد أسرع منها في الإعلام التقليدي ويرجع ذلك لأسباب عديدة منها: أن التقنية ساعدت على أبتكار وسائل اتصال أكثر مرونة، وأسباب نفسية منها الحاجة إلى التواصل بشكل سريع وعدم انتظار الردود طويلاً، ورغبة المجتمعات بنقل رسائلها

---

(1) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور: محمد فلحي ، التدريسي في كلية الإعلام – جامعة بغداد ، قسم الاذاعة والتلفيزيون ، بتاريخ : 26-9-2016م.

* هاشتاك: علامة تصنيف يتم استخدامها لتصنيف التغريدات أو الأخبار ذات الموضوع الواحد، بحيث يمكن قراءة المتابعين هذه التغريات أو الأخبار أو غير المتابعين لها، ودائماً تبدأ بإشارة #. انظر الموقع الالكتروني : http://mawdoo3.com

بشكل سريع يسمح بعبور مسافات جغرافية كبيرة وانتشار ثقافي أسرع، كما أن قدرة المستخدم على إيجاد طرق ومهارات جديدة تسمح بزيادة سرعة الاتصال، والرغبة في التواصل مع الآخر بأسرع وقت"([1]).وبفعل تطور سرعة الاتصال أصبح بالامكان لـ 140 كلمة أن تحقق ثورة كما حصل في تونس ومصر. فالحرية التي يمنحها موقع تويتر ستكون ملكاً لنا أو نكون ملكاً لها، وهنا الفارق النوعي بين حرية التعبير ومسؤولية التعبير.. فالحرية قيمة مشتركة وليست قيمة فردانية، وهذا اشتراك يستوجب قيام المسؤولية بجانب الحرية ولا يستقيم انفراد إحداهما عن الأخرى([2]). وبناء شبكة من العلاقات العامة في مواقع التواصل الاجتماعي، يعتمد بشكل أساس على حرية التعبير، والتي تعتمد بدورها على طبيعة المجتمع والنظام السياسي، فالمجتمعات المغلقة وذات الحكم السلطوي، يكون فيها نطاق الحرية ضيقاً ووسائل الإعلام تمثل سلاح السلطة، وهي ايضاً توظف العلاقات العامة وذلك يتم بالاعتماد على نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام، أما بناء العلاقات العامة في مواقع التواصل الاجتماعي، فلا ينساق ضمن التوظيف السياسي والسلطوي، والسبب يعود إلى أن هذه المواقع لا تمثل سلطة معينة بل تمثل المستخدم، ولا يمكن توظيف العلاقات العامة لاغراض السلطة، وان حدث ذلك فإنها تمثل نفسها ولا تمثل مجتمعاً بعينه، والدور الأساس للعلاقات العامة هوفي سياق الفكرة الأساسية التي قامت عليها مواقع التواصل الاجتماعي وهي: (بناء مجتمع أفضل يتواصل ويتصلبحرية).

4-**المسؤولية الاجتماعية في مواقع التواصل الاجتماعي:** تفترض نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام،إن نظام وسائل الإعلام جزء من السياق الاجتماعي للمجتمع، ولهذا النظام علاقة بالأفراد والجماعات والنظم الاجتماعية الأخرى. أي أنها

([1])مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور: علي الشمري ، بتاريخ : 16-8-2016م.

([2]) عبد الله الغذّامي ، ثقافة تويتر حرية التعبير أو مسؤولية التعبير ، (الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي، 2016)، ص 7.

تعتمد على المسؤولية الاجتماعية لوسائل الإعلام والتي تمثلفلسفة تعتمد على مبادىء الليبرالية في إبعاد السيطرة الحكومية المباشرة عن الصحافة، ولكنها في الوقت نفسه تحمل الأفراد والهيئات والمؤسسات الإعلامية القائمة مسؤولية تعليم الجماهير، ودفع الحوار الاجتماعي، وتوفير أهتمام كبير برأي المجتمع المحلي،ومجموعات المواطنين والتقيد بأخلاقيات المهنة الصحفية([1]).فلكي تحقق وسائل الإعلام التأثير السلوكي المطلوب يجب أن تكون وسائل الإعلام جزءاً من المنظومة الاجتماعية، ولكي تكون ضمن هذا المنظومة يجب أن تعتمد مفاهيم الحرية والليبرالية، ويجب أيضاً أن تكون حريصة على حقوق الأفراد والجماعات، لذلك نجد أن أغلب وسائل الإعلام التقليدية التي تستحوذ عليها ايديولوجيات السلطة تتبنى المسؤولية الاجتماعية جزءاً من الاستراتيجية للسيطرة على الجمهور، وبالفعل كان لها ذلك والفضل يعود إلى ضعف التقنية، وتحكم السلطة في وسائل الإعلام،ومن ثم توجيهها بحسب ما تخطط له،ولا تعد هذه السياسة جديدة في إدارة الإعلام،التي تعمل جاهدة في تحقيق هدفها الاساس في السيطرة على العقول، إذ حيث ترى شكرية السراج : "أنه من الصعب أعطاء حكم مسبق على أن هدف وسائل الإعلام التقليدية هو السيطرة على العقول، ولكن يمكن القول أنها تعمل جاهدة لتحقيق هدفها الأساسي في السيطرة على العقول"([2]). لكن الذي حصل هو ظهور متغيرات لم تستطع السلطة فرض سيطرتها عليها، ففي الوقت الذي كانت وسائل الإعلام تمتاز بالطابع المحلي في أغلب دول العالم، وتعمل ضمن فضاء المجتمع الواحد، كانت السلطة تتحكم بشكل أو بأخر بالجمهور، الذي كان ينقاد لها بشكل سلبي في أغلب الاحيان، ومع تطور مفاهيم المجتمع المدني وتطور تقنية الاتصال، ظهر جيل جديد يمكن وصفه بجيل التقنية أو

([1]) عثمان بن محمد الأخضر العربي ، النظريات الإعلامية المعيارية ماذا بعد نظريات الصحافة الأربع، حوليات كلية الآداب عدد 16، (الكويت ، مجلس النشر العلمي ، 1996) ، ص 28.

([2]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتورة: شكرية السراج ، التدريسية في كلية الإعلام – جامعة بغداد ، قسم الصحافة ، بتاريخ : 11-10-2016م.

جيل الإنترنت، كان يبحث عن أدوات التغيير وكان الصراع مع السلطة ينبع من فهم جيل الإنترنت للمسؤولية الاجتماعية من منظارها الحقيقي القائم على حرية التعبير والحوار والمشاركة في السلطة، وغيرها من المفاهيم التي كانت السلطة تحتكرها لتعيد صياغتها على وفق ايديولوجيا التحكم بالجماهير،ولم يعد بالامكان فرض السيطرة على أفراد المجتمع، فمواقع التواصل الاجتماعي تفرضها من قبل السلطة على أفراد المجتمع بل كانت ضمن خيارات المستخدم، فهو صانع المجتمع وهو من يديره ويحدد نطاق مستخدميه، كما أن أدواته في بناء المجتمع، هي الأدوات نفسها التي يعتمدها مستخدمون آخرون، وفي هذا السياق يعتقد أحمد عبد المجيد : " أن الإعلام الجديد أحدث تغييراً في الإعلام التقليدي ويرجع السبب إلى تغيير في المجال التقني من حيث تطور مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال، أضافة إلى الحاجة لخفض تكاليف الاتصال"([1]). وهذا ما يوفر فرصاًكبيرة للابداع، فالكل يملك نفس الادوات وبكلف بسيطة،تتيح فرص للابتكار والتطوير، كما أن المستخدم لا يعي مفهوم المسؤولية الاجتماعية والاخلاقيات الصحفية، ولكنه يحمل منظومة أجتماعية أكتسبها من الواقع، وتظهر بشكل أو بأخر ملامحها في مجتمعه الافراضي، ونجد تلك المسؤولية واضحة بتفاعل المستخدم مع قضايا مصيرية تواجه المجتمعات مثل الكوارث الطبيعية والحروب والانتخابات، فالمستخدم يقدم ما يجده مناسباً لهذا المجتمع، وهو يتصرف بعفوية في كثير من الاحيان ويعود السبب إلى أن البعض يفهم الواقع الافتراضي عن طريق فهمه للواقع المادي الذي يعيشه، ويحاول التعامل على وفق هذا السياق.

([1]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور: أحمد عبد المجيد ، التدريسي في كلية الإعلام – جامعة بغداد ، قسم الصحافة ، بتاريخ : 5-10-2016م.

وبالامكان تحديد مجموعة من الانتقادات لاستخدام نظرية الإعتماد على وسائل الإعلام في بحوث الإعلام الجديد وهي :

أ-يعتمد مفهوم الإعتماد على التعرض لوسائل الإعلام وفعل التعرض يرتبط بمعايير وخصائص منها ما يتعلق بشكل الرسالة ومضمونها ومنها ماي تعلق بالوسيلة وطبيعتها كأداة مادية ناقلة للمعلومات ويصاحبه في ذلك عنصر إتاحة الوسيلة وتوافرها وتوافقها مع الجمهور، وهناك ناحية أخرى متعلقة بخصائص الأفراد وعاداتهم والجماعات ومرجعيتها تتضمن سمات نفسية وثقافية واجتماعية واقتصادية([1]). والجمهور المتعرض هو جزء من الجمهور الفعلي الذي يتلقى الرسالة الإعلامية بصرف النظر عن إدراكها وعن الموقف الذي يتخذه منها، فهناك من الجمهور من يستجيب للرسالة الإعلامية، وهناك من يتجاهلها، تبعاً لتطابقها مع احتياجاته ومصالحه المادية، وأهتماماته الفكرية والثقافية([2]).بمعنى أنه ليس كل من يتعرض لوسيلة أتصالية بالضرورة يجب أن يعتمد عليها، ومثال ذلك : الذي يتعرض إلى الصحف ليس بالضرورة أنه يعتمد عليها، فقد يكون أعتماده على التلفاز، إذ إن قد النظرية اغفلت جانباً مهماً من عملية الإعتماد القائم على مزاج الفرد ورغباته، وهي بشكل عام تتبع الحالة النفسية والوضع الاجتماعي، لذلك فإنها تتغير بشكل مستمر، فلذلك يلجأ الفرد إلى البحث بشكل دائم على ما هو جديد، في وسائل الإعلام الذي يخرجه من حالة النمطية الشكلية التي تحددها وسائل الإعلام، وفي حقيقة الأمر لا توجد إعتمادية بالشكل المطلق التي يمكن عن طريقها الوصول إلى نتائج قابلة للتعميم، وأغلب بحوث الإعتماد تبحث عن الجمهور، وتحاول أن تكتشف رغبات الجمهور وتسجل البيانات جميعها التي يقدمها الفرد للباحثين، لكنها ليست كافية لأعطاء وصف الاعتماد على

([1]) بدر ناصر حسين ، مفهوم التعرض ، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، ص 173، بحث منشور على الإنترنت : http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=77932

([2]) فوزي منصور حكيم ، سوسيولوجيا الإعلام الجماهيري، (عمان ، دار أسامة، 2011) ، ص 56.

الوسيلة الإعلامية، وتتجه النظرية أيضاً نحو الفكر الاقتصادي للإعلام،إذ إنها تتعامل مع المضامين الاتصالية كونها منتجات تقدم ضمن وسائل إعلامية هي بمثابة السوق لها. والفرد هو المستهلك وكما هي حال كل نظام أقتصادي رأسمالي، فهناك فرض غير مباشر بعض الاسواق التي تقدم شكلاً معيناً من المنتج، ومن الضروري تعويد المستهلك على نمط معين في التسوق، يصبح بمرور الزمن هو النمط الخاص به، بمعنى يمكن الاعتماد عليه. وعلى وفق هذا السياق المقارب يتم التحكم بالمجتمع، وفي مقاربة لهذه النظرية على الواقع الافتراضي، نكتشف أنه من الصعب الوصول إلى مفهوم التعرض بوجود مفهوم الاستخدام، فالمجتمع الذي يخضع للسلطة المادية، أصبح في المجال الافتراضي لا يخضع لسلطة، لذلك فإن القوانين التي يمكن عكسها على وسائل الإعلام التقليدية لا تجد صداها في الإعلام الجديد، فالمستخدم هو من يدير حسابه على الإنترنت ويتحكم بمزاجه ورغباته ولا يُفرض عليه منتج بعينه، لذلك هو لا يعتمد على الإنترنت بل يستخدمه، لأن الاعتماد هو الاستغناء عن الذات لصالح الغير في ادارة مصالحها ورغباتها، لكن الإنترنت يدعو الفرد إلى أن يكون مستخدما ويدير مصالحه بنفسه.

ب-يقصد بالإعتماد وفق النظرية الإعتماد على مستوى النظام الاجتماعي بشكل كلي لكن البحوث والدراسات الإعلامية ركزت على الاعتماد على مستوى الفرد، إذ إنها ركزت على الأثر الناتج عن أعتماد الفرد على وسائل الإعلام. والسبب يعود إلى أن النظرية تفترض أن وسائل الاتصال هي جزء من المجتمع، وإن هذا الجزء من المجتمع له تأثير فاعل على الكل بشكل، يمكن السيطرة على المجتمع كله بالاعتماد على الجزء، ولعل هذا الفرض يتبع مراحل من الحكم الدكتاتوري والثورات والاحتجاجات التي كانت الحكومات تبحث فيها عن طرق للسيطرة على الجماهير، وبالفعل نجحت في كثير من المجتمعات على الأستحواذ على الجماهير وفرض سيطرتها بالقوة، إذ تم توظيف وسائل الإعلام بالشكل الذي يجعل الفرد يعتمد عليها بشكل كلي، وقد وصل حداً

أنه صدق الكثير من الكذب والتزييف في الحقائق، ثم أنـه لم يسـتطع بعـد ذلـك تقبل الحقيقة كما هي، بعدما كشفها الفضاء الافتراضي، فموقع اليوتيوب قـدم الكثير من الافلام والشهادات التي يطلع عليها المستخدم وربما تكون هـي المـرة الأولى التي يكتشف فيها الحقيقة. لذلك فإن عملية السيطرة على الجمهـور عـن طريق وسائل الإعلام، لم تعد مفهوما مقبولاً في عصر الإنترنت، الذي يقدم فيـه المستخدم نفسه للمجتمع على أنه صـورة نموذجيـة للحريـة والديمقراطيـة، فلـم يعد مفهوم الجمهور ينسجم مع مفهـوم عولمـة الاتصـال، القـائم علـى المجتمـع الواحد والذي يوحده الاتصال، وموقع الفيسبوك يمثل مجتمعاً ذا عولمة اتصالية، لانه يذهب خارج نطاق الاتصال المنعـزل ضـمن المجتمـع المحلـي، إلى الاتصـال العابر للجغرافيا والزمن، لذلك هو مجتمـع يمثـل فيـه المسـتخدم نمـوذج الادارة الافقية والمتشعبة، فهو يقدم نفسه للعالم عن طريـق مجتمعـه الـذاتي، فالمسـتخدم يعتمد على مجتمعه الذاتي في بناء مجتمعه العالمي، ونفهم من ذلـك أن المسـتخدم هو نتيجة فعلية لاندماج عناصر العملية الاتصالية، فلذلك هو يتشارك معهـا في الخصائص جميعها، ويمثل ادوارها ومراحلها.

ج-النظرية تفترض الحياد في وسائل الإعلام، هذا ما يفهم مـن فروضـها الـتي تقـدم وسائل الإعلام على أنهـا النمـوذج الـذي علـى الجمهـور الإعتمـاد عليـه. أن موضـوع الحيـاد يعـد مـن الموضـوعات الـتي تخضـع للنقـاش بشـكل مسـتمر، والسبب يعود إلى أن وسائل الإعلام كانت ومنذ نشـأتها تعتمـد وبشـكل كـبير على مصادر التمويل، وهي التي تشكل أطارها العام وترسـم سياسـاتها وتـدير شؤونها، ومن غير المقبول أن تخرج تلك وسائل الإعلام عن سياسات مموليهـا، وقد وظفتها من قبل المؤسسات الحكومية لاداء دور معين في المجتمع، وتحت أي ظرف فأنها تُقَدم للجمهور علـى أنهـا وسـائل تعـرض الحقيقـة وبشـكل مهـني وحيادي، وتلتزم بالموضوعية، لكن في حقيقة الأمر أنها تزيـف الحقـائق لخدمـة مصالحها. كتب ريجي دوبري : "تعمـل وسـائل الإعـلام لصـالح الفـرد ولـيس الجماعة؛ للإحساس ولـيس للعقـل؛ للفردانيـة ولـيس للكونيـة. هـذه الميـزات

الثلاث متلازمة في الدعامات الجديدة، التي لا تجعل منها جوهريا إلا ميزة واحدة، ستحدد من الآن فصاعداً، طبيعة الخطاب المهيمن، ومنفعة حاملها. أنها توفر في الوقت ذاته إستراتيجية فردية وأختلال النظام الاجتماعي. لم تعد بحاجة إلى قواعد ولا قضايا ولا الحمولة المفاهيمية أطلاقاً" ([1]).

وقد كرس لوران جوفران في كتابه الذي يحمل عنوان (الإعلام جنون العظمة) وصف الفشل النسقي لوسائل الإعلام التلفيزيون، الراديو والصحف إذ قال: "انتشرت تدريجياً الفكرة في وسط الجمهور، أن النظام الإعلامي ليس سوى آلة ضخمة لاحتكار الرأي الذي هو في خدمة مصالح مظلمة وشريرة، إنه منطقة واحدة للسلطة بلا أستقلال تام ولا قواعد مطلقة لمعالجة الأخبار" ([2]). ونقدم مثالاً : في حرب الخليج الثانية،فقد أجتاحت قوات التحالف العراق بذريعة (أمتلاك العراق اسلحة دمار شامل)، وقد أستعملت وسائل الإعلام الغربية ولاسيما الامريكية هذا العنوان، مقدمة للحرب على العراق، ولم تقدم عنواناً أخر ربما هو الاكثر مصداقية هو(أنتهاكات نظام صدام حقوق الإنسان)، والذي كان مقبولاً اجتماعياً، لكنه لم يكن مقبولاً دولياً، ولم يكن يوفر غطاءً شرعياً للمصالح الغربية، التي تخاف من تهديد أسلحت الدمار الشامل في حين لا يخيفها قتل الالاف من مواطنين العراق بدون سبب، ووسائل الإعلام كانت تمثل الإتجاه السائد وهو إثارة مشاعر الخوف على حساب مشاعر العطف، والنتيجة كشفت في النهاية أن الاهداف لم تكن أخلاقية بقدر ما كانت مصالح نخبوية لدول التحالف. بعد ذلك من الصعب فهم حيادية وسائل الإعلام. ومواقع التواصل الاجتماعي لا تقدم الواقع من وجهة نظر السلطة والمصالح النخبوية، لكنها تقدم الواقع وما يتصوره المستخدم، وهي تعكس مشاعر الافراد، ولا يمكن فهم الإعتماد على وفق ما تقدمه النظرية ضمن متغيرات جديدة يفرضها

([1]) بسكال بونيفاس، المثقفون المغالطون الانتصار الإعلامي لخبراء الكذب، ترجمة : عبد الرحمن مزيان، (بيروت، دار الروافد الثقافية، 2015) ، ص 27.

([2]) بسكال بونيفاس ، المصدر نفسه، ص 29.

الإعلام الجديد، فالمجتمع الافتراضي يسعى لإيجاد نظام متكامل يشمل المعرفة والمهارة والجوانب الوجدانية، في تناغم وتكامل يسعى لتشكل السلوك السوي الذي ينتج عن الارادة الحرة، وفي ظل التغيير الحاصل في المجال التقني، ظهرت أنماط من السلوك تواكب التغييرات المعرفية، مع المحافظة على القيم وذلك لا يحصل إلا عن طريق التوازن الموضوعي والمنهجي في التعامل مع المتغيرات وحينها تساعد في اكتساب المفاهيم المختلفة بالتعامل مع المواقف الحياتية بقدرات ذاتية. وتتحكم درجة الثقافة العامة بالقدرة على التمييز بين معطيات التقنية الحديثة وتحديد ما يتصادم مع القيم، وهنا تبرز مهارات تكييف تلك المعطيات لتتلاءم مع معطيات المجتمع، وحينما تفرض تقنية الإعلام الجديد نفسها على المجتمع فذلك يعني أنها تمارس نمطاً من التواصل ينسجم مع مزاج افراد المجتمع، فالحيادية والموضوعية في مواقع التواصل الاجتماعي مثلاً، هي نتيجة وليست معيار للقياس فلا وجود لسلطة فوق سلطة المستخدم تفرض عليه نهجاً معيناً.

ثالثاً : تحليل نظرية الإستخدامات والاشباعات

حازت نظرية الاستخدامات والاشباعات على المرتبة الثانية في دراسات الإعلام عبّر الإنترنت، وكانت ضمن أربع تصنيفات وهي موضحة في الجدول رقم (6) وفيما يلي تقديم تحليل على وفق فروض النظرية:

1- **استخدام الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي:** تفترض النظرية إن أعضاء الجمهور مشاركون في عملية الاتصال ويستخدمون وسائل الاتصال لتحقيق اهداف مقصودة تلبي توقعاتهم. وقد أعتمدت البحوث التي أستخدمت هذا الفرض على مفهوم مشاركة الجمهور من منطلق مفهوم التغذية العكسية، على أعتبار أن رجع الصدى يمثل حالة من التفاعل عند الجمهور تدفعهم للمشاركة، فالتغذية العكسية بحسب رأي ندى العمار: "هو مفهوم يستخدم لوصف التأثير المتبادل، ويعبرعن مدى فهم المتلقي للرسالة أو أستجابته أو رفضه لمعناها،

وهي عنصر مهم لتقويم عملية الاتصال" ([1]).وهناك عدد من العوامل المؤثرة التي تسهم في تحفيز الجمهور على المشاركة منها نفسية، واجتماعية وتقنية، وقد لاحظ الباحث وجود تشابه في اغلب البحوث في موضوع تفسير المشاركة على أنها رجع صدى، وقد تم عدُّ ارتفاع مستويات رجع الصدى إشارة إلى ارتفاع مستوى التفاعل، وفي دلالة ذات صلة وجد الباحث أنه كي تحصل المشاركة يجب أن يكون هناك أستخدام كبير للإنترنت، لكن عملية ربط المشاركة في الإستخدام، لا يعطي دلالة إذ أن المشاركة هي نتيجة وليست فعلاً بحد ذاتها، فرجع الصدى يعطي دلالة عن المشاركة ولكنه لا يعطي دلالة على الإستخدام، فالمستخدم في الإنترنت لا يدل على المشاركة بمعنى أنه نتاج فعل معين بل هو جزء من فعل، من ذلك يتضح الفرق بين المشاركة والاستخدام، فالاستخدام يشير إلى المستخدم وهو جزء من عملية الاتصال وليس ناتجاً عنها، من هذا المنطلق يجد الباحث أن فهم فرض النظرية على أساس المشاركة لا يجد صداها في وسائل الإعلام التقليدية، إذ أنها قامت على أساس التأثير في المتلقي عن طريق ما تقدمه له، وإن عملية إسقاط المشاركة كمفهوم دال على الاستخدام في الإنترنت، يعطي تصوراً أن المستخدم في سياق التأثير، وهذا مخالف لمفاهيم الإعلام الجديد، التي تعدّ المستخدم جزء فاعلاً في العملية الاتصالية بل هو من يمثلها.

2- **الوظيفة الاتصالية:** تعد من الوظائف الأساسية في العملية الاتصالية، بل هي هدف العملية الاتصالية، فكل ما انتجته البشرية من تقنيات ترمي في جوهرها إلى الاتصال، لذلك فالاتصال حاجة ضرورية للمجتمعات، وهي تحقق أهدافاً على المستوى الشخصي أو المجتمعي، والنظرية تفترض أن أستخدام وسائل الاتصال تعبير عن الحاجات التي يدركها أعضاء الجمهور وتتحكم في ذلك

([1]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتورة : ندى العمار ، التدريسية في كلية الإعلام – جامعة بغداد ، قسم الاذاعة والتلفيزيون ، بتاريخ : 4-7-2016م.

عوامل : الفروق الفرديةوالتفاعل الاجتماعي. وقد لاحظ الباحث أن بحوث الإنترنت التي تناولت الوظيفة الاتصالية فسرت الاستخدام على وفق الحاجة، على أن هناك دوافع نفسية تحرك الفرد لتلبية حاجات معينة في وقت معين، وتلك الدوافع هي نتاج تراكم التأثير، وتظهر على شكل سلوك نتيجة استخدام التقنية بشكل متواصل، لكن النظرية غير معنية بشكل أساس بمفهوم تأثيرات وسائل الإعلام على الافراد، فالمحصلة النهائية بحسب ويندل Windalhl لاستخدام وسائل الإعلام هي تراكم التأثير أو تتابعه وهذه العلاقة تأخذ ثلاثة أشكال هي([1]):

أ-إذا كان الفرد قد استخدم وسائل الإعلام عاملاً وحيداً لإشباع حاجاته فإنه في هذه الحالة يمكن وصف المحصلة النهائية لهذا الاستخدام بالتأثير.

ب- قد تعدّ المخرجات النهائية نتيجة استخدام وسائل الإعلام أكثر من استخدام خصائص محتوياتها، في هذه الحالة يصبح استخدام وسائل الإعلام هو السبب الرئيس للمحصلة العملية الاتصالية ومن ثمّ تعدّ هذه المحصلة بمثابة نتيجة.

ج-عندما تتحدد المحصلة النهائية للعملية الاتصالية عن طريق خصائص المحتوى وبتأثير الاستخدام كعامل وسيط فإنه في هذه الحالة تحدث عمليتان تكونان السبب في تتابع التأثيرات، فقسممن هذه التأثيرات يحدث بتأثير خصائص المحتوى. والقسم الآخر يحدث بسبب تأثير عملية الاستخدام.

لذلك فإن أثر الاتصال هو سبب أكثر من كونه نتيجة، وليس بالضرورة أيضاً أن يحصل الاشباع عند التواصل بين المستخدمين داخل الشبكة، ويعود السبب إلى أن مبدأ الاشباع يرتبط بالضرورة بنوع الحاجة، فقد يقوم المستخدم بالتواصل داخل الشبكة بهدف الترفيه، لكن قد يحصل العكس، فقد يتسبب له بالازعاج أو الملل لذلك لا يمكن قياس حجم الأثر المتراكم على أنه أشباع لحاجة معينة، فلا يوجد مقياس محدد

(1) West, R., Turner, L. H, " Introducing communication theory: Analysis and application" , (2007), McGraw-Hill, New York. P439.

لحجم الاشباع، فحين نصف المستخدم بأنه حصل على الاشباع فذلك يعني بالضـرورة أن الحجم المخصص لهذا النوع من الحاجـات قـد ملـىء بشـكله النهـائي، وذلـك غـير منطقي.

ويرجـع السـبب إلى أن فـروض النظريـة تم صـياغتها في أطـار نظريـة الـدوافع النفسية التي تحرك الفرد لتلبية حاجات معينة في وقت معين، وقد عبّر عن ذلك أبرهـام ماسلو حين قال : "أن مـدخل الاسـتخدامات والاشـباعات لم يكـن في الحقيقـة سـوى تطبيق لنظرية الدوافع والحاجاتNeeds and Motivation theory" ([1]).

3-التفاعلية في المواقع الالكترونية: تعد التفاعلية من المواضيع ذات الأهتمام الكـبير ولاسيما في بحوث الإنترنت، فالتفاعلية سمة من سمات الإعلام الجديد وهي تمثـل عمليـة التوافـق والتجـانس الـتقني بـين عناصـر العمليـة الاتصـالية وبمـا يسـمح باندماجها مع بعضها. تفترض النظرية أن الجمهور هو الـذي يختـار الرسـائل الـتي تشبع حاجاته، فالافراد هم الذين يسـتخدمون وسـائل الاتصـال ولـيس العكـس. تنطلق بحوث الإنترنت من هذا الفرض، في تفسير التفاعلية علـى أسـاس الرسـائل التي يختارها الجمهور، هي التي يتفاعل معها فليس كل مضمون اتصالي يحفز علـى تفاعل الجمهور، لكن هناك حاجات يطلبهـا الجمهـور تظهـر علـى شـكل محتـوى اتصالي، هي التي تحقق الاشباع لديـه، ومـن هـذا المنطلـق تـذهب البحـوث إلى أن هناك سمات في المضمون الاتصالي يجب توافرها لكي يحصل ذلك التفاعـل ومنهـا : أن يكون المضمون الاتصالي ينسجم والحاجة التي يطلبهـا الجمهـور، وأن يكـون المضمون مرناً وقابلاًللتشكيل، بمعنـى يمكـن للجمهـور أن يعيـد صـياغة الرسـائل الاتصالية بما ينسجم ورغباته. ويوفر الإنترنت مجموعة من الأدوات الـتي تسـتخدم في إعادة تشكيل الرسائل الاتصالية،إذ يجد حسين علـي نـور : "أن الإنترنـت يمثـل وسيلة اتصال جديدة، من حيث أنه اتصال تندمج فيه عناصـر العمليـة الاتصـالية،

(1) Wood, J.T. " Communication theories in Action: An Introduction" , (1997), Belmont, CA: Wadsworth, p 134.

وأن مواقع التواصل الاجتماعي مثل (فيسبوك، تويتر، يوتيوب) تمثل إعلاماً جديداً " ([1]) في حين يرى عبد المنعم كاظم : " أن الإنترنت يمثل وعاء لخزن وأسترجاع المعلومات، والاتصال بعض من وظائف الشبكة" ([2]). وفي كلتي الحالتين فإن العملية الاتصالية قائمة على مفهوم جديد هو خزن المعلومات وإعادة صياغة المضمون،إذتظهر أحتياجات أخرى هي نتيجة التفاعل، أي أن المضمون الاتصالي لا ينتج فقط للمستخدم بل يقدم للمستخدمين الأخرين، وهو بدوره يتفاعل وينتج مضامين أخرى، بمعنى أن التفاعل لا يحصل فقط مع مستخدم واحد، وتفترض النظرية أيضاً أن الإعلام التقليدي يسمح بشكل من التفاعل الأحادي، فالمتلقي لبرنامج تلفيزيوني يتفاعل مع مضمونه بشكل محدود ويرجع ذلك إلى أن وسيلة التلفيزيون توجه خطابها لكل متلقٍ على حدة، لذلك تكون الحاجة التي يتفاعل معها الجمهور بمعزل عن الآخر، في حينأنه في الإعلام الجديد، تتفاعل الحاجة مع مستخدمين أخرين، وقد يعتمد المستخدم على الآخرين في إعادة صياغة حاجاته وتعديلها، من ذلك نستنتج أن البعد التفاعلي في المواقع الالكترونية؛ يُخرج العملية الاتصالية من بعدها الدائري القائم على تبادل الأدوار في نقل الافكار وايصالها إلى الآخرين، إلى بعد أكثر حيوية وإيجابية،وهو البعد الاندماجي، إذ تعتقد سهام الشجيري : " أن عامل الزمن والسرعة يسمحان باندماج عناصر العملية الاتصالية: فالسبق والعاجل من مهام وسائل الإعلام الجديدة، إذ تندمج عناصر العملية الاتصالية خاصة من ناحية الزمن والسرعة، كما أن المتابعة المتسارعة لكل ما يتعلق بالاحداث والتواصل مع الآخر في أي مكان وزمان، والانسجام المتبادل في طرح الاراء وتبادل الحوارات يجعل من

([1]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور : حسين علي نور ، التدريسي في كلية الإعلام – جامعة بغداد ، قسم الصحافة ، بتاريخ : 24-10-2016م.

([2]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور : عبد المنعم كاظم ، التدريسي في كلية الإعلام – جامعة بغداد ، قسم الصحافة ، بتاريخ : 30-6-2016م.

الاتصال تفاعلياً ([1]). لذلك فإن الاتصال هنا هـو عمليـة تواصـلية-تفاعليـة بـين الاطراف المتواصلة، وهذا البعد في الحقيقة هو الذي يجعل من الضروري أسـتخدام مصطلح التواصل الاجتماعي، بـدلاً عـن الاتصـال الاجتمـاعي، وهنـا لافـراد لا يستخدمون الوسيلة كما يوجـب فـرض النظريـة بـل أن الافـراد – المسـتخدمين- يمثلون الوسيلة.

4-**الاتجاهات السياسية**:أن استخدام وسـائل الاتصـال يحقـق أشـباعات مختلفـة تبعـاً لطبيعة الحاجات المطلوبة، وعلى وفق النظرية فإن كل جاجـة هـي هـدف بنفسـها، وعلى سبيل المثال فإن الحاجة للترفيه، هي هدف يسعى الفرد للحصول عليه، كمـا أن تراكم هذا التأثير المتمثل بأشباع حاجات معينة يصاحبه، ظهـور أتجاهـات لـدى أفراد الجمهور، فالمواقف الفردية تتراكم حول موضوع معـين، حتـى يتكـون أتجـاه لدى الفرد إزاء ذلك الموضوع، لكـن في الإنترنـت يكـون المسـتخدم في حالـة غـير مستقرة أساسها التفاعل المسـتمر مـع التنـوع الكـبير في المضـمون، ومـن الصـعب وصف الرغبة الوقتية بالحاجة، فمن الممكن أن تتغير رغبات المسـتخدم في لحظـات في أثنــاء الاســتخدام والســبب يعــود للتنــوع في المضــمون الاتصــالي، ورأي المسـتخدمين الاخـرين وتفاعلـهم مـع مواضـيع مختلفـة، في أغلـب الأحيـان تمنـع المستخدم من التركيـز في موضـوع معـين أو هـدف بنفسـه، ولاسـيما فيمـا يتعلـق بالمواضيع السياسية التي تمتاز بالجدية والمصلحة العامة، فنجد أن موضـوعاً سياسـياً خاصاً بالانتخابات يأخذ حيزاً كبيراً في مواقع التواصل الاجتماعي، ونجـد تفـاعلاً كبيراً معه، لكن المستخدم لا يجد نفسه أمام شاشة تعرض محتوى الانتخابات فقـط، بل يجد مواضيع تبتعد كلياً عن الجانـب السياسـي، والمسـتخدم في أغلـب الأحيـان يبدي تفاعله بشكل كلي مع المضامين الموجودة، ففي الوقت الذي يجعل عـدم فـوز مرشحه المفضل بمنصب حكومي مرموقاً، نجده سعيداً في مشـاركة الاحتفـال بعيـد

([1]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتورة : سهام الشجيري ، التدريسية في كلية الإعلام – جامعة بغداد ، قسـم الصحافة ، بتاريخ : 28-10-2016م.

ميلاد صديق له في الموقع نفسه، كما أنه قـد يقـدم النصـيحة عـن طريـق تعليـق في أختيار طعام معين. من ذلك نكتشف الصعوبة التي تتخلـل عمليـة بنـاء الاتجـاه في الإعلام الجديد، ومن المناسب وصف ما يحصل بالمواقف الذاتية، لكن هناك سـؤال مهم وهو أن الكـثير مـن الثـورات في العـالم العربـي كـان سـببها الإعـلام الجديـد ولاسيما مواقع التواصل الاجتماعي عن طريق تكوين أتجاهات تتبنى الثورة علـى الحكومات السلطوية، وفي حقيقة الامر أن ما حصل هو بناء توافق حـول موضـوع معين، ويتبع هذا الموضوع أتجاهات متضادة، ففي مصر مثلاً أسـتطاع الفيسـبوك أن يكـون إجماعـاً بـين المسـتخدمين للتظـاهر، لكـن هـذا التظـاهر لا يمثـل أتجاهـاً سياسياًبنفسه، فنجد فئات من المستخدمين كانوا مستقلين وفئات أخرى تتبع حزب الاخوان المسلمين وفئات أخرى تنتمي إلى اتجاهات متضادة معها، الذي حصل هو أن الفيسبوك جمع بين المصالح المتضادة، وقد يبدو ذلك صعباً لكنه حقيقة فالاتجـاه السياسـي للثـورات العربيـة لم يكـن بفعـل موقـع الفيسـبوك ولكـن بفعـل توافـق المصالح، بمعنى إن وسائل الاتصـال تسـتطيع عـن طريـق ادوات التـأثير ان تحقـق التراكم المعرفي والعاطفي ليظهر على شكل سلوك كامن غير متفاعـل، كـان يحتـاج إلى منفذ للخروج والتعبير حتى لو كان ذلك المنفـذ سـوف يجمعـه مـع الاتجاهـات المضادة له، ويظهر ذلك بشكل واضح بعد تحقيق أهداف الثورة وعزل نظام حسـني مبارك، وبشكل متفاعل وسريع بدأت الاتجاهات المتضادة بالصراع فيمـا بينهـا، ولم تستطع مواقع التواصل الاجتماعي أن تحقق مصالحة بينها، بسبب انتفـاء المصـلحة. من ذلك نجد أن المواقع الالكترونية تسمح للاتجاهات المتضادة بالاجتماع في صـالة حوار واحدة، لكن من الصـعب أن تقـوم ببنـاء اتجـاه ثابـت ومسـتقر علـى المـدى الطويل بإتجاه قضية واحدة.

5- **التعرض للصحافة الألكترونية:** سبق وأشرنا في تحليل نظرية الاعتماد على وسائل الإعـلام، إلى التعـرض إذ إن الإعتمـاد قـائم علـى حجـم التعـرض، لكـن نظريـة الاستخدامات والإشباعات تفترض : أنه يمكـن الاسـتدلال علـى المعـايير الثقافيـة السائدة عن طريق أستخدامات الجمهور ووسائل الاتصال، وليس عن طريق محتـوى

الرسائل فقط. وقد لاحظ الباحث أن بحوث الإنترنت تعتمد هذا الفرض للاستدلال على الاشباعات عن طريق حجم التعرض، أخذّه في الحسبان أن التعرض يعطي مدلولات الاستخدام نفسها، فكلما زاد التعرض للمواقع الالكترونية تزداد الاشباعات، لكن التعرض هو فعل سلبي غير قائم على التفاعل مع المضامين الاتصالية، يصعب تقديمه على أنه فعل تفاعلي تنتج عنه مضامين جديدة، لذلك يمكن فهم التعرض للمواقع الإلكترونية من اتجاهين هما:

أ-إذا كان التعرض يقصد منه الاطلاع على الطبعة الالكترونية للصحيفة الورقية، فالتعرض هنا ينسجم مع فرض نظرية الاستخدامات والاشباعات، لأنه إعلام تقليدي.

ب-إذا كان التعرض يقصد به التفاعل مع المضامين الاتصالية للصحافة الإلكترونية من حيث (التعليق، المشاركة، الاعجاب) ففي هذه الحالة لا ينسجم مع فرض النظرية.

إن المواقع الالكترونية تحقق مجموعة من الأهداف وإن مستخدم للإنترنت هو حر في أختيار الموقع الإلكتروني الذي يستقي منه المعلومات، لكنه في الوقت نفسه يكون تحت تأثير نوع الموقع الإلكتروني، إذ إن ما يمتلكه الموقع من ميزات تسمح للمستخدم بالتفاعل أو مجرد المشاهدة والتعرض وفي كلتي الحالتان هناك فعل أتصالي، لكن الفرق يكمن في نوع الفعل الاتصالي، القائم على الوسيلة الاتصالية، فالفرق الجوهري بين وسائل الإعلام التقليدية ووسائل الإعلام الجديد يكمن في التفاعلية وهي سمة من سمات الإعلام الجديد، والتفاعلية تعتمد على المحتوى الاتصالي والوسيلة الاتصالية ومهارات المستخدم، وسمات أخرى كثيرة هي من تسمح للاستدلال على المعايير الثقافية، ولا يمكن تفضيل عنصر على عنصر أخر فمثلما للوسيلة الاتصالية دور فإن للمحتوى الاتصالي دوراً ايضاً، والسمات الثقافية يحددها الفعل التواصلي والمجال العام.

من ذلك يمكن تحديد مجموعة من الانتقادات التي توجه لنظرية الاستخدامات والاشباعات في بحوث الإعلام الجديد وهي :

طورت الأبحاث الخاصة بالاستخدامات والإشباعات في السبعينيات ومابعـدها، وبعد أن قدمت النظرية إستراتيجية جديدة لدراسـة اسـتخدامات الجمهـور وإشـباعاته ازداد إدراكا لباحثين بعد ذلك بأهمية الاستخدام الفاعل لجمهور المتلقين، بعـدّه عـاملا وسيطا في إحداث الأثر، سواء أكان كبيرا أم محدودا وعلى الـرغم مـن تطـور أسـاليب البحث والاستقصاءات المنهجية والموضوعية في هذا المجـال، إلا أن هنـاك نقـداً وجهـل هذه النظرية وتطبيقاتها ومنها :

أ-الاستخدامات والإشباعات أقل من أن تكون نظرية مستقلة بنفسها، ويمكن عـدّها إعادة صـياغة لجوانـب محـددة مـن نظريـات التـأثير الانتقـائي،على أسـاس أن الفرضية الأساسية تقول: إن احتياجات الأفراد التي يحصلون عليها عـن طريـق وسائل الإعلام تؤثر في أنماط أسـتخدام الأفـراد للمحتـوى الاتصـالي لوسـائل الإعلام، والمنافع التي يحققونها باستخدام مايحصلون عليه من معلومات، وهـذه ليست سوى نسخة مُبسطة من نظريـة الاختلافـات الفرديـة. وقـد أسـتخدمت المنهج الكيفي في محاولتها لجمع بيانات الإشباع من الأفراد عن طريـق الاسـئلة المفتوحة للباحثين حول الاشباعات التي تقدمها المواقع الإلكترونية، ولم تسـتطع فروض النظرية المسـتخدمة في الدراسـات أن تقـدم الكيفيـة الـتي يحصـل فيهـا الاشباع، والتي عن طريقها يمكن تصنيف مستويات الإشـباع، ومـن الضـروري الاشارة إلى أن أستخدام فروض النظرية لا يحقق أهدافها في المواقع الإلكترونيـة جميعها، ويمكن أعتبار المواقع التي تخلـو مـن أدوات التفاعـل، هـي الـتي تنطبـق عليها فروض النظرية، على عدُّ إنها تخضع للتعرض حالها حال وسائل الإعلام التقليدية، ولكن في حال وجود أدوات التفاعل الـتي يقـوم المسـتخدم بتوظيفهـا لإشباع حاجاته، حينها فإن الفروض النظرية لا تحقق أهدافها، إذ يكون الهـدف الأساس هو التفاعلية وليس أشباع الحاجات، وربما هنـاك مـن يعـترض، إذ أن التفاعلية هي نفسها تحقق الإشباع، ويمكن عدُّ مفهوم الإشباع هـو مفهـوم عـام

في فروض نظريات الإتصال كلها، فكل فعل أتصالي يكون مصحوباً برغبة لإشباع حاجة، أما التفاعلية فهي حالة توصف بها الأفعال الاتصالية النشطة والمنتجه في أغلب الأحيان.ولم تحدد النظرية بشكل دقيق مفهوم الفاعليةactivity الذي يجب أن يتصف بها المتلقي في علاقته بالاستخدام والإشباع، وهل أن المقصود بها أنفعالات المستخدم نتيجة للإشباع من المحتوى، أم يقصد بها مجموع النشاطات التي يقوم بها المستخدم مع المضمون الاتصالي للحصول على الإشباع، لذلك من الصعب تطبيق فروض النظرية في دراسات الإعلام الجديد، والذي يتعامل مع مفهوم الفاعلية من منطلق الأستخدام للادوات التي توفرها المواقع الإلكترونية، في حين أن الاستخدام في الإعلام التقليدي لا تتوافر فيه تلك الأدوات ويكتفي الفرد بالمهارات الذاتية.

ب-إن وراء كل حاجة دوافع نفسية وأجتماعية، لم تكشف عنها دراسات الإنترنت ولم توضح العلاقة التي تربط بين الحاجة والدافع لها. ومنالواضح أن معرفة الدوافع يسمح بقياس مستوى الإشباع للمستخدم، فالنظرية لم تكرس فروضها لهذا الجانب، وأكتفت بتحديد مجموعة من الحاجات، وربطت تلك الحاجات بالاستخدام. لكن ليس من الضروري أن تقترن الحاجة بالاستخدام، فقد يستخدم الافراد مواقع التواصل الاجتماعي مثلاً بدافع الترفيه وسعياً لتحقيق السعادة، لكن قد يحصل العكس، فقد يتفاعل مع مشاكل أجتماعية لبعض الاصدقاء أو يطلع على مشاهد فيديو مؤلمة، فيحصل عكس ما كان يحتاجه المستخدم، وقد أكتشف زيلمان وبراينت القصور الواضح في فروض نظرية الاستخدامات والإشباعات وقاما بتطويرها وخرجا بنظرية جديدة هي نظرية إدارة المزاج، التي تقول إن الناس يعرضون أنفسهم لمحتوى وسائل الإعلام بما في ذلك الموسيقى وبرامج التلفزيون بطريقة تساعدهم على تنظيم

أمزجتهم([1]).ووجد الباحث أن دراسات الإنترنت تنسجم مع نظرية إدارة المزاج أكثر من أنسجامها مع الاستخدامات والإشباعات، فالمستخدم الذي يعاني من ضغوط نفسية بسبب العمل أو لأسباب أخرى، يستخدم الإنترنت لإدارة مزاجه، بواسطة تنوع المضمون، فالتنوع يوفر خيارات للإدارة أكثر من خيارات الإشباع.

ج-فشلت دراسات الإنترنت في بحث العلاقات المتداخلة فيما بين الوظائف المتنوعة التي تقدمها المواقع الإلكترونية، فتلك الوظائف هي التي تمثل حاجات المستخدمين، لكن المواقع الالكترونية تخرج في كثير من الأحيان خارج نطاق وصفها، فمواقع التواصل الاجتماعي كان المفروض لها أن تقدم مضامين اتصالية لها علاقة بالنواحي الاجتماعية والترفيهية للمستخدمين، لكننا نجد أنها توظف لاغراض سياسية واقتصادية، فهي تمثل مجالاً للترويج الانتخابي والدعاية السياسية، ونجد أيضاً أن جهاتاً ارهابية قد استخدمتها، لكسب التأييد وتجنيد المقاتلين، كما هو الحال في موقع تويتر، مع هذا التداخل يصعب تطبيق فروض الاستخدامات، فالطابع الوظيفي لهذا للنظرية، يعنى بتكريس الوضع القائم ومن سلبيات ذلك أن صناع القرار يمكنهم التذرع بأن التنظيم الحالي لوسائل الإعلام تنظيم وظيفي بالنسبة لأفراد الجمهور يحقق لهم ما يريدونه، ومن ثم لاضرورة للتغيير في هذا التنظيم، وتخدم هذه النظرية أيضاً منتجي المضمون الهابط الذين يدعون أن هذا المضمون ما هو إلا مجرد الاحتياجات الفعلية لأعضاء الجمهور ومن ثم فلا حاجة لتغيير هذا المضمون.

ه-لم تراعِ بحوث الإنترنت الجانب الوظيفي الذي ترتكز النظرية على أسسه، فهي تهتم بما تحققه وسائل الإعلام من وظائف، وذلك من منظور فردي ستخدم الرسائل الإعلامية، في حين أن الرسائل الإعلامية قد تحقق وظائف لبعض

(1) Werner j. Severin –James W.Tankard, Jr, "communication Theories" , (2000), op.cit, p298 .

الأفراد، وتحقق اختلال او ظيفيا للبعض الآخر، ولذا فالانتقادات الخاصة بالوظيفية كلها تنطبق على النظرية.

و-أستخدمت دراسات الإنترنت فروض النظرية نفسها، ولم تراعِ تغير الوسيلة، وكما هو واضح أن لكل وسيلة متغيرات تؤثر في النتائج، وإن أغلب فروض نظرية الاستخدامات كان لها تطبيق على التلفزيون، الذي يعتمد على الجمهور المتلقي والمضامين الاتصالية المقدمة له على شكل برامج أو مسلسلات أو أفلام.. ألخ. في حين في الإنترنت الوضع مختلف فمفهوم المستخدم لا ينسجم مع مفهوم المتلقي، كذلك المضمون الاتصالي المرتبط بالادوات التفاعلية التي تقدم للمستخدم حرية المشاركة من تعليق واعجاب وغير ذلك، لذلك لاتصلح فروض نظرية الاستخدامات والإشباعات للتعميم على دراسات الإنترنت، لأن الاستخدامات والإشباعات من وسائل الإعلام تختلف باختلاف الوسائل الاتصالية والثقافات، كما تختلف باختلاف العوامل السكانية.

رابعاً : تحليل نظرية انتقال المعلومات على مرحلتين

تصف هذه النظرية عملية انتقال المعلومات والافكار على مرحلتين عن طريق تلقي أفراد المجتمع المعلومات التي تقدمها وسائل الاتصال وعن طريق ما عرف لاحقاً بـ (قادة الرأي) بما يقدموه من تفسيرات لأفراد المجتمع، فقبل ظهور هذه النظرية كان يعتقد أن وسائل الاتصال تمارس تأثيراً مباشراً على الأفراد، إلا أن هذه النظرية أثبتت عكس ذلك الاعتقاد، فالمضمون الاتصال يمر بمرحلتين لكي يصل إلى الجمهور، المرحلة الأولى هي تعرض قادة الرأي لوسائل الاتصال، والمرحلة الآخرى تقديم المضمون من قادة الرأي إلى الجمهور، فالإعلام المباشر قد لأيؤثر في الأفراد أو قد يكون تأثيره محدوداً، لكن مع وجود قادة الرأي يكون ذلك التأثير أكثر عُمقاً، فما ما يمتلكه قادة الرأي من رصيد مادي ومعنوي لدى أفراد الجمهور يسمح بقبول ما يطرحه قادة الرأي من تحليلات وتفسيرات لمجمل القضايا التي تخص المجتمع. وقد حصلت هذه النظرية على الترتيب الثالث في بحوث الإعلام عبّر الإنترنت وكانت

ضمن تصنيفان كما هو موضح في الجدول رقم (6) وفيما يلي تقديم تحليل على وفق فروض النظرية:

1- **العلاقات العامة عبّر الإنترنت:** تفترض النظرية:إن قادة الرأي والناس الذين يتأثرون بهم، ينتمون إلى الجماعة الأساسية نفسها، سواء أكانت الأسرة أم الأصدقاء أم الزملاء. وقد قدمت دراسات الإنترنت في هذا المجال تصوراً أساسه أن عملية بناء العلاقات العامة في الإنترنت تعتمد بشكل أساس على النطاق المحلي، من منطلق إن المستخدمين يتأثرون بشكل أكبر كلما كان الحيز المكاني أصغر، بمعنى أن الفرد يتأثر بالأسرة ويكّون علاقات خاصة معها ذات تأثير قوي أكثر من الاصدقاء والزملاء مثلاً، وحجم ذلك التأثير ينعكس على حجم الثقة في ما يقدموه من تحليل ونقد، وإن العلاقات العامة يمكن أن تكون ذات تأثير أكبر كلما كان نطاقها واسع ومعمق، وهي حلقة الوصل بين قادة الرأي والجمهور، وهنا يجد الباحث أن هناك مجموعة من التداخلات في فهم الفروض التي قامت عليها النظرية، فالنظرية أنبثقت في ضوء الدراسات التي أجراها (لازرسفيلد وبيرلسون وجود)، عام 1940م في ولاية كولومبيا أثناء في الانتخابات الرئاسية الامريكية حول الدور الذي يمكن أن تمارسه وسائل الإعلام الجماهيري وقد أطلق على هذا الدور فرضية تدفق المعلومات على مرحلتين وقد نشرت الدراسة في كتاب عنوانه (أختيار الشعب) ([1]). عن طريق ذلك نجد أن النظرية تم تصميمها أستجابة لحالة، ظهرت بشكل غير متوقع، وتمت صياغة فروض النظرية من منطلق هذه الحالة، ومع الاخذ بالحسبان الفارق الزمني لظهور النظرية وتطبيقاتها في عصر الإنترنت، يكتشف الباحث أن هناك فجوة في تطبيق النظرية على بحوث الإنترنت يحددها بالنقاط الآتية :

أ- إن تطبيق فروض النظرية في بحوث الإنترنت لم يراعِ التغيير الحاصل في طبيعة المجتمعات، الاقتصادية، والثقافية والسياسية. ففي مدة الاربعينيات كان

([1]) مجد الهاشمي ، تكنلوجيا وسائل الاتصال الجماهيرية ، (عمان ، دار أسامة، 2012) ، ص 81

هناكأنتشار كبير للأنظمة القمعية، ونفوذ كبير تمارسه الطبقة السياسية على الجمهور، في حين أن المجتمعات المعاصرة تمتاز بالتنوع والتباين النفسي بسبب تنوع أفراده خبراتهم وسماتهم.

ب-لم تراعِ بحوث الإنترنت عند تطبيق فروض النظرية الجانب التقني وما نتج عنه من تغيير في طبيعة العلاقة بين الوسيلة الاتصالية والجمهور.

ج- بناء العلاقات العامة في مجتمعات افتراضية يختلف عنه في المجتمعات الواقعية، وإن عملية إعادة صياغة الفروض بما ينسجم ومتغيرات المجتمعات، يظهر اشكالية في النتائج،إذ إن سلوك المتغيرات يختلف تبعاً للمجتمعات، فمن الصعب تحديد سمات قادة الرأي في الإنترنت.

د- فروض النظرية تعتمد بشكل أساس على درجة الثقة بين الجمهور وقادة الرأي، الذين يمارسون التأثير عليهم، لكن في الإنترنت تقلص الحدود الفاصلة بين الطبقات الاجتماعية، وقدم المستخدم على أنه صانع محتوى، ويمكن أن يكون قائداً للرأي،فيكفي أن يقدم محتوى اتصالياً مميزاً في موقعه على الأنترنت لجذب مؤيدين له في قضايا مختلفة، وقد ساعد على ذلك أنتشار واسع لمفاهيم حقوق الإنسان ومنظمات المجتمع المدني، التي تقف في أغلب الاحيان من أفراد المجتمع وتمنع تمرير الرسائل الاتصالية من الطبقات المتنفذة في المجتمع، التي قد لا يفهمها الجمهور بشكلها الصحيح.

ه- من المهم أن نعقد مقارنة بين البيئة الاتصالية التي ظهرت فيها النظرية وبيئة الإنترنت التي قلصت الحدود المكانية والزمانية، لنكتشف حجم الفجوة الكبيرة، التي يصعب بوجودها أن نفهم فروض النظرية، فقدأصبح بالامكان في عصر الإنترنت أن يكون كل مستخدم هو قائد للرأي، عندها يصعب أعتماد رأي معين، فقناعات المستخدم في حالة تغيير مستمر ويصعب أيضاً توقعها.

2- علاقة الرأي العام بالإنترنت:تفترض النظرية أن قادة الرأي أكثر تعرضاً واتصالاً بوسائل الإعلام فيما يتعلق بتخصصهم. وقد أعتمدت بحوث الإنترنت هذا

الفـرض للوصـول إلى تفسـير علاقـة تشـكيل الـرأي العـام في مواقـع التواصـل الاجتماعي، على أساس أن مواقع التواصل الاجتماعي هـي منصـة لتشـكيل رأي عام ضاغط تجاه قضايا مهمة في المجتمع، وإن لمواقـع التواصـل الاجتمـاعي دور في ظهور قادة رأي عام لهم تـأثير في المجتمـع. لكـن الدراسـات لم تفسـر الكيفيـة الـتي قامت عليها هذه العلاقة بين المستخدم وبين البيئة الاتصالية الـتي انشـأها الإعـلام الجديد، وأكتفت بأستخدام فرض النظرية، الذي يصـنف المجتمـع بالإعتمـاد علـى درجة التعرض لوسائل الإعلام، وعلى وفق الفرض فـإن قـادة الـرأي هـم الاكثـر تعرضاً، وقد يبدو مقبولاً لحـدما هـذا الفـرض في الإعـلام التقليـدي القـائم علـى سياسات الوسيلة في ترتيب أولويات الجمهور وتحديد خيارات التعرض والمضامين الاتصـالية الـتي تقـدمها للجمهـور، لكـن الوضـع يختلـف في مواقـع التواصـل الاجتماعي، فلا يوجد ذلك التصنيف الطبقـي في الخـبرات، والسـبب يعـود إلى أن هذه المواقع قائمة على سياسة التعبير والمشاركة الحرة للمحتوى، فكل مستخدم لـه الادوات نفسها ولا تقدم مواقع التواصل الاجتمـاعي امتيـازات خاصـة أو وصـفاً خاصاً تميـز فيـه مسـتخدميها، إذ إن مـا يميـز المسـتخدمين هـو المحتـوى الاتصـالي والكيفية التي يتم بها طرحه أمام المجتمع، فنجد أن الكثير من قـادة الـرأي المـؤثرين عبّر وسائل الإعلام التقليدية يتعرضون للنقد والنقاش على ما ينشروه مـن محتـوى اتصالي، ويتباين أستخدامهم للمواقع الالكترونية، فلا يمكن أعطاء وصـف (أنهـم الاكثر تعرضاً لوسائل الاتصال)، فقد يحصـل العكـس، فـالكثير مـن قـادة الـرأي يكون رأيه عن طريق أسـتطلاع رأي اصـدقائه في الموقـع الالكترونـي، لـذلك فـإن صناعة الرأي العام هي عملية تفاعليـة في مواقـع التواصـل الاجتمـاعي لا تعتمـد على قادة الرأي، بقدر ما تعتمد علـى طبيعـة الموضـوع ومـدى تـأثيره علـى أفـراد المجتمع مما يسمح بالتفاعل معه لتشكيل رأي عام.

وعليه يمكن للباحث تحديد مجموعة من الانتقادات التي توجه لنظريـة انتقـال المعلومات على مرحلتين في بحوث الإعلام الجديد وهي :

أ- في الإعلام الجديد يمكن أن تكون الرسائل الاتصالية ذاتأثير مباشـر في المسـتخدمين ولا تحتاج إلى وسيط لغرض التأثير، وهذا بالضـبط هـو عكـس فـرض النظريـة، فتأثير البيئة الاتصالية، سمح بتوافر مجال عام للحـوار، لم يكـن متـوافراً في البيئـة الاتصالية التقليدية، والادوات المتـوافرة في الإنترنـت أسـتطاعت أيضـاً أن تظهـر مهارات جديدة وتمتلك القدرة على التأثير بشكل مباشر.

ب-قادة الرأي لا يستطيعون تقييم المضامين الاتصالية في الإعلام الجديد كما تفترضـه النظرية، والسبب يرجع إلى أنهم جزء من المجتمع الافتراضي ويتبادلون الحـوارات نفسها ويتشاركون المحتوى نفسه، كما أن خيارات المسـتخدم زادت، ويسـتطيع أن يحذف مضموناً أو صديقاً لا ينسجم مع مزاجه العام. لـذلك فـإن تقيـيم المحتـوى يتبع كل مستخدم ومن الصعب فرض أراءمعينة على فئات أخرى.

ج- هناك تداخل واضح لفـروض النظريـة مـع نظريـات أخـرى مثـل الاسـتخدامات والاشباعات وانتشار الابتكارات.

د- إن عمليـة تبـادل الادوار في الإعـلام الجديـد تختلـف عمـا هـي عليـه في الإعـلام التقليدي، إذ إن الـدور يظهـر في مواقـع التواصـل الاجتمـاعي نتيجـة أسـتخدام المضمون الاتصالي، في حين أن الدور في الإعلام التقليدي يكون جـاهزاً، بمعنـى أنه تم الإعداد له مسبقاً.

خامساً : تحليل نظرية الغرس الثقافي

أمتـدت البحـوث في هـذه النظريـة أعواماًطويلـة، أسـتمرت طيلـة السـتينيات والسبعينيات حول قدرة وسائل الاتصال الجماهيرية على تشـكيل المعـاني والمعتقـدات والصور الرمزية لدى الفرد، وقد قادتهم دراساتهم إلى نتيجة مفادها: أن تعـرض الفـرد المتكرر لوسيلة اتصالية ما، كـالتلفزيون مـثلاً ولأوقـات طويلـة ومنتظمـة تنمّـي لديـه اعتقادات بأن العالم الذي يشاهده هو صورة عن العالم الاجتماعي الـذي يعيشـه. وقـد

حصلت هذه النظرية على الترتيب الرابع في بحوث الإعلام عبّر الإنترنت وكانت ضمن ثلاثة تصنيفات وهي موضحة في الجدول رقم (6) وفيما يلي تقديم تحليل على وفق فروض النظرية:

1- **الإنماء المعرفي في الإنترنت:** أعتمدت هذه النظرية بشكل أساس على التجارب التي أجريت على وسيلة التليفزيون، والتي كانت تمثل في مرحلة السبعينيات أهم وسيلة اتصال، وتم إجراء البحوث على وفق هذا الأساس كما يظهر ذلك بشكل واضح في فروض النظرية. فالنظرية تفترض أن التلفزيون وسيلة فريدة للإنماء بالمقارنة بين وسائل الإعلام الاخرى. ووجد الباحث أنه تم إعادة صياغة للفرض على أن الإنترنت أصبح هو الوسيلة الأكثر أستخداماً؛ إذ تظهر مشكلة في أليات تطبيق مفهوم الغرس القائم على زرع مكونات معرفية ونفسية وتنميتها تقوم بها مصادر المعلومات والخبرة لدى من يتعرض لها وهذه العملية تشمل ثلاثة إجراءات رئيسة هي :

أ-تحليل المحتوى التلفزيوني.

ب-تحديد حجم التعرض للتلفزيون عن طريق إعداد صحيفة أستبيان.

ج-تحليل البيانات واستخراج النتائج.

لكن هذه المراحل من الصعب تطبيقها على الإنترنت للاسباب الآتية:

أ-عدم ثبات المحتوى الاتصالي إذ يتغير المحتوى بشكل مستمر ويمكن حذفه بشكل مفاجىء

ب-عدم وجود مرجعية للمحتوى الاتصالي-أرشيف- يمكن الرجوع اليها والتحقق منها. وإذا توافر فيكون ضمن خصوصية المستخدم..

ج-يصعب الحصول على معلومات دقيقة عن طريق استخدام آلية الاستبيان.

د-الكثير من المستخدمين للإنترنت لايكشف عن خصوصيته للمجتمع العام إلا ضمن حدود هو يختارها.

ه- هناك الكثير من المستخدمين الوهميين، إذ يمكن لمستخدم واحد أن يكون له حسابات متعددة في مواقع مختلفة أو حتى ضمن الموقع الواحد.

من ذلك نستنتج إن قياس الغرس الثقافي، يحتاج إلى بيئة اتصالية مستقرة لكي يمكن قياس الغرس الثقافي، ومع بيئة متغيرة بشكل سريع جداً مثل بيئة الإنترنت، يكون المستخدم ضمن خيارات كثيرة للاستخدام، بحسب رأي هاشم حسن : " أننا بحاجة إلى نظرية للتفاعل الاتصالي، نستطيع عن طريقها تفسير الكثير من المتغيرات التي حدثت في العملية الاتصالية، فالتطور التقني سمح لادوات وأفكار جديدة أن تكون ذات تأثير بالغ في مجرى عملية الاتصال، لذلك من الصعب وصف العملية الاتصالية في مواقع التواصل الاجتماعي بالمستقرة والسبب يعود للمتغيرات الفاعلة التي تحدث تأثيراً بشكل مستمر في عملية الاتصال" ([1]).

2- **الرسائل الاتصالية** : تفترض النظرية إن رسائل التليفزيون تُكون نظاماً ثقافياً متماسكاً يعبر عن الاتجاه السائد. وعند تحليل الفرض نجد أن عملية بناء نظام ثقافي تخضع بشكل أساس لاتجاهات رأس المال والسلطة، فكل نظام أجتماعي يتأثر بإتجاهات السلطة، ويظهر ذلك في طبيعة التعامل مع المضامين الاتصالية التي تقدم إلى الجمهور، فنظرية الغرس الثقافي تعتمد بشكل أو بأخر على النسق الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لكل مجتمع، ووسائل الاتصال – التلفيزيون- هو من يقع على عاتقه ترجمة تلك التوجهات على وفق النظرية الإعلامية التي يتبناها والتي تعكس اتجاها ايديولوجياً للسلطة سواء كان ليبرالياً أو سلطوياً أو غير ذلك، وعن طريق ذلك يتم بناء نسق ثقافي يعبر عن إتجاه سائد، لكن مع تغيير التقنية وظهور الإعلام الجديد هل من الممكن تطبيق الفرض نفسه ؟ ترى نزهت الدليمي : " أن أعتماد الإعلام الإلكتروني قابل للتغيير المستمر وفق ابتكارات ومستجدات التطور التقني وما يفرزه العقل البشري من متغيرات.. لتقدم فرص للمواطن بالتفاعل وابداء الرأي، وربما صناعة مضامين تعالج القضايا المعاشه

([1]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور: هاشم حسن ، بتاريخ : 8-7-2016م.

وإيجاد الحلول لها بشكل يغير حياة المواطن كلياً" ([1]). بمعنى أن المواطن قادر على بناء مضامين خاصة به تهم المجتمع، وتلك المضامين لها القدرة على التأثير، ومن ثمه بناء نسق خاص بها، لكن هذا النسق الثقافي القائم على متغيرات ثقافية محلية وعالمية، والذي لا يمثل ايديولوجيا السلطة، لا يمثل نسقاً متماسكاً وسبب ذلك يعود إلى أنّه قائم على صناعة فردية، تسعى لتحقيق اعجاب مجتمع لذلك فإن المضامين الاتصالية تمثل وجهة نظر المستخدم بالقضايا العامة والخاصة منطلقاً من خلفيته الثقافية والاجتماعية.

3- **تأثير الإنترنت على القائم بالاتصال:** يمثل القائم بالاتصال–المرسل- عنصراً أساساً في العملية الاتصاليةولاسيما في الإعلام التقليدي، إذ يظهر دوره بشكل بارز، في صياغة الرسالة الاتصالية وإعدادها وما تحمله من مضامين تهدف للتأثير في المتلقي، والتي تخضع لمجموعة من العوامل النفسية والاجتماعية.

لكن هذا الدور غير واضح في الإعلام الجديد، إذ إنّ نطاق الحرية كبير ومجالات التعبير واسعة، فيرى حمدان السالم : "أن الإعلام الجديد لا تحكمه عوامل السلطة،كما أن تأثير رأس المال عليه محدوداً جداً، فكل من السلطة ورأس المال يلعب دوراً في الإعلام التقليدي ويؤثر في القائم بالاتصال في صياغة المضامين الاتصالية، كما أن المجتمعات التي ساهم الإعلام الجديد بتغيرها هي مجتمعات في الأساس ايلة للسقوط بسبب بنيتها وسلطتها الدكتاتورية وتخلفها وهنا نتحدث عن الدور والقدرة، في حين أن الإعلام التقليدي تحكمه السلطة ورأس المال،وهو لا يقترن فقط بالأنظمة الشمولية بل هو موجود في الأنظمة الأكثر حرية، بمعنى أن الإعلام الجديد والإعلام التقليدي موجودان في كل الأنظمة ولا يتحددان بشكل معين لنظام حكم، لكن الاصح أن الإعلام الجديد يكون أكثر تأثيراً في الأنظمة الأكثر ديمقراطية، حيث أن البيئة الاتصالية تحدد سير العملية الاتصالية من حيث أن المتلقي في الإعلام الجديد هو

([1]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتورة : نزهت الدليمي ، بتاريخ : 27-9 -2016م.

المستخدم نفسه كما أن القائم بالاتصال نفسه من منطلق تبادل الادوار" ([1]).فنظرية الغرس الثقافية تركز على الجانب الثقافي وفروضها كلها تعتمد على ترسيخ قيم ثقافية في الفرد بالإعتماد على التلفيزيون، لذلك فهي تنطلق من دور مهم للقائم بالاتصال في ترسيخ قيم بذاتها في المجتمع، والنظرية تفترض : إن تحليل الإنماء يرتكز على تدعيم استقرار المجتمع وتجانسه. بمعنى أن وسائل الاتصال تعمل على تقوية النسيج الاجتماعي في المجتمع، وتدعم حالة الاستقرار، والقائم بالاتصال يعمل على صياغة المضامين التي تحقق هذا الهدف بما ينسجم مع العادات والتقاليد والمنظومة الاجتماعية، وهو يهتم بالخطاب المحلي للمضمون الاتصالي أكثر من اهتمامه بالخطاب العالمي، لأن هدفه الاساس المجتمع المحلي بحسب فرض النظرية، ويعمل القائم بالاتصال على أستثمار مخرجات الإنترنت لدعم هذا الهدف، بمعنى أخر أن الإعلام التقليدي يعمل على توظيف مخرجات الإعلام الجديد لتحقيق حالة الاستقرار والتجانس في المجتمع. من هذا الجانب يمكن اعتماد هذا الفرض على وفق هذا المنطلق، لكن ثمة سؤال هل يمكن أن يكون الإعلام الجديد ممثل بالمستخدم بهذا الدور؟ واحد من أهم مميزات الإعلام الجديد أنه عالمي، وأنه ينطلق من منطلقات فردية، ويسعى لبناء مجتمع عالمي متعدد الثقافات، ومن الصعب فرض عادات وقيم بجد ذاتها فيه، فهو ينطلق من الفرد للعالم، إذ يصفه شريف السعدي : "بأنه المضمون أو المحتوى الإعلامي أو الاتصالي الذي ينشر أو يبث (نص، صورة، صوت) عن طريق المواقع الإلكترونية أو مواقع التواصل الاجتماعي أو وسائل الاتصال الحديثة التي لا يمكن ادراجها تحت الوسائل التقليدية (صحف، المذياع، التلفاز) والذي أسهمت التطورات العلمية والتكنولوجية في أستخدامها على نطاق اجتماعي ومؤسساتي وأسع نتيجة المزاوجة بين أجهزة الاتصال وتكنولوجيا المعلومات واجهزة الحاسوب مما أسهم بشكل كبير إلى تقليل الزمن وزيادة السرعة في تداول أو تبادل المضمون الإعلامي والاتصالي والتي أخذت أشكال وأساليب اتصالية جديدة لم تكن موجودة أو فاعلة في وسائل الإعلام

([1]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور : حمدان السالم ، بتاريخ : 29-6 -2016م.

والاتصال التقليدية" ([1]). فالإعلام الجديد يمارس تأثيراً أيجابي على القائم بالاتصال أذا افترضنا أنه جزء منفصل عن المضمون الذي يقدم فيه، ويعمل القائم بالاتصال على عملية من المزاوجة بين ما يملكه من خزين معرفي وثقافي وما يمكن أكتسابه من الإنترنت، وهنا يكون التأثير أيجابياًعلى وفق سياق الإعتماد على وسيلة اتصال جديدة، لكنه يخرج من هذا السياق أذا افترضنا أن القائم بالاتصال هو المستخدم نفسه، عندها يكون فرض النظرية خارج سياقه، فالمستخدم يمارس أدواراً مختلفة في العملية الاتصالية على وفق مفهوم الاندماج الاتصالي إذ يرى أحمد عبد المجيد : "أن الاندماج الاتصالي قد يحصل في وسائل الاتصال التقليدية أذا توفرت شروط معينة منها : التقنية الحديثة، وابتكار سياقات تفاعلية، ومساهمة الجمهور" ([2]). وجميعها موجودة فعلاً ضمن مفهوم الإعلام الجديد، بمعنى إن الإعلام التقليدي يبحث في الإعلام الجديد عن طرق تواصل جديدة تحقق حالة الاندماج الاتصالي القائمة في الإعلام الجديد. والتي تجعل عملية التأثير متداخلة بين عناصر العملية الاتصالية، فكل عنصر يؤثر في الآخر.

من ذلك يمكن تحديد طائفة من الانتقادات التي توجه لنظرية الغرس الثقافي في بحوث الإعلام الجديد وهي :

أ-الاختلاف الواضح في الدوافع بين مشاهدة التلفزيون وبين أستخدام الإنترنت إذ أن التعرض للتلفيزيون يتم أما بشكل روتيني أو أنتقائي، والنظرية لم تسلط الضوء على هذا الجانب أساساً، أما الإنترنت فإن الاستخدام يحصل بدوافع إنتقائية، والسبب هو رغبة المستخدم بالحصول على المضمون الذي يفضله، كما أن والمستخدم يمتلك أيضاً الخيارات جميعها بالتنقل بكل حرية في فضاء المعلومات الواسع.

(1) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور : شريف السعدي ، بتاريخ : 29-6 -2016م.

(2) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور : أحمد عبد المجيد ، بتاريخ : 5-10 -2016م.

ب-هناك أختلاف واضح في البيئة الاتصالية بين التلفزيون الذي تعتمد فروض النظرية عليه وسيلة للغرس الثقافي وبين الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، إذ إن متغيرات البيئة الاتصالية تحدث تغييراً جوهرياً في طبيعة المضمون الاتصالي، والتي تتوقف عليها عملية الغرس.والنظرية لا تقدم الجدوى الحقيقية من العلاقة السببية بين المعلومات المتعلقة بالتعرض للتلفزيون وبين الدراسات المسحية التي أهتمت بدراسة أستطلاع الآراء، لان الدراسات المسحية التي تناولت تأثير هذه النظرية أجراها باحثون أمريكيون وطبقوها ميدانياً على عينة من وسائل الإعلام، وعلى عينة من الجمهور الأمريكي، وكل من هذين المتغيرين (الوسيلة، والجمهور)، لهما خصائص تميزهما عن غيرهما، أذا ما حاول باحث آخر ومن مجتمع آخر غير المجتمع الأمريكي، لأن المضمون يختلف وأستخدام الجمهور للوسيلة الاتصالية يختلف أيضاً، لذلك عند تطبيق هذه النظرية على مجتمعات أخرى تختلف النتائج وهذا مؤشر في قصور فروض النظرية.

ج-تغير طبيعة الجمهور، يمتاز الخطاب الإعلامي في وسائل الإعلام التقليدية ومنها التلفزيون بالاستقرار النسبي، ويهدف لتعزيز بعض الجوانب في المجتمع والحفاض عليها، إذ يركز على تعزيز الثقافة بالإعتماد على طبيعة المجتمع المحلي بشكل خاص، لكن طبيعة الجمهور في الفضاء الافتراضي يختلف فهو عالمي، والخطاب الموجه عبّره يمتاز بالتنوع الثقافي، والمزاوجة في المضامين الاتصالية، وتقبل الحوار والمشاركة، لذلك فكل مستخدم في الإنترنت هو بمثابة جمهور فاعل ومؤثر ضمن محيطه الداخلي والخارجي. ومن الصعب غرس ثقافة بعينها في محيط متغير بشكل سريع بفعل عوامل التكنولوجيا.

لذلك يمكن القول إن النظريات الاتصالية التي تُعتمد في دراسات الإعلام عبّر الإنترنت، لا تنسجم مع متغيرات الظاهرة الاتصالية الجديدة وإن عملية إعادة صياغة الفروض على وفق متغيرات الإنترنت تواجه تحديات كثيرة إذ يعتقد محمد فلحي : " أن أبتكار نظريات للاتصال جديدة تتناسب مع عصر الإنترنت والتطور التقني والسبب

يرجع إلى أن كل النظريات الاتصالية ترتكز على نوع الوسيلة الإعلامية وتأثيرها وكيفية أستخدامها من قبل الجمهور وبما أن الإعلام الجديد يعتمد أساساً على الكومبيوتر والإنترنت فنحن بحاجة إلى نظريات جديدة تدرس خصائص هذه التقنيات وتأثيرها وعلاقتها بالوسائل الأخرى" ([1]). فكل تقنية جديدة تحمل خصائص مختلفة، تعبر عن العصر الذي تعيشه، بمعنى إنها تمثل أستجابة لحاجات المجتمع، والفرد، ويصف عبد المنعم الشمري: "الحاجة لابتكار نظرية جديدة من منطلق أن هناك أختلاف واضح في الوسيلة الاتصالية الجديدة – الإنترنت- عما هي عليه في الوسائل التقليدية من حيث : الوعاء الشبكي، وأسلوب الاسترجاع، والخزن في الشبكة، والبيئة الاتصالية، وأهداف الرسائل الاتصالية" ([2]).في حين ترى سهام الشجيري : " أنه بالامكان الاستعانة بنظريات الاتصال السائدة ومحاولة تطويرها وفق حاجات الإعلام الجديد، والجمهور، والسبب هو الحاجة الماسة لهذا النوع من الإعلام، فضلاً عن محاولة الباحثين ابتكار نظريات جديدة تتلائم وفق الحاجة لتطوير أمكانيات الإعلام الجديد واحتياجات الجمهور"([3]). فالتطور التقني اظهر مفاهيم جديد هي بحاجة إلى تأصيل علمي، وقد ذهب حسين على نور: "لتحديد سببين لابتكار نظريات جديدة في الإتصال هما: تطور التكنولوجيا وتطور المجتمعات، بأعتبار أن التطورات التكنولوجية تلقي بظلالها على الإعلام عموماً وتساهم في أحداث نقلة نوعية على أساس سرعة وصول الأخبار والمعلومات أولاً بأول خارج أطار الزمن الموضوعي أو الافتراضي " ([4]).

مع هذا الحجم من التطور التقني وحاجة المجتمعات إلى الجديد دائما، تظهر الحاجة لتحليلات جديدة، أكثر ملاءمة لما تقدمه التقنية في مجال الإعلام الجديد من

([1]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور: محمد فلحي ، بتاريخ : 26-9-2016م.

([2]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور: عبد المنعم كاظم ، بتاريخ : 30-6-2016م.

([3]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتورة: سهام الشجيري ، بتاريخ : 28-10-2016م.

([4]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور: حسين علي نور ، بتاريخ : 24-10-2016م.

مبتكرات، والتي لا تقف عند حدود معينة بل أنها تتجاوز التوقعات، لذلك من الصعب أن تقدم فروض نظريات الاتصال التقليدية، في السياق نفسه لتحليل ظواهر اتصالية في غاية الاهمية مثل مواقع التواصل الاجتماعي، والمدونات والمواقع الاخبارية وغيرها، كما أن أعادت صياغة الفروض، لا تقدم حلولاً منطقية والسبب أن الفروض نفسها تواجه انتقادات منهجية وصعوبات، والتي يصفها هاشم حسن : " أن نظريات الاتصال في حالة تبلور وجدل، وذلك بسبب التغير المستمر في وسائل الاتصال الجديدة، وبالنتيجة فنها ستقدم لنا حلولاً لمفاهيم مختلفة لم تكن موجودة في السابق، على الرغم من وجود صعوبات كثيرة، لكن العلم لا يقف عند حدود معينة فهو في حالة تطور مستمر، فالافكار الجديدة تخضع للمحاكمة والتحليل وبالتالية فأن تطور نطاق التقنية يصاحبه تطور في الفكر الاتصالي" ([1]).

من ذلك يمكن للباحث تحديد طائفة من مواضع القصور في الفروض النظرية :

1- جميع نظريات الاتصال تعتمد المدخل الاجتماعي والنفسي في صياغة فروضها، لأنها تنطلق من تصور رئيس هو الهدف في التأثير، بحيث أن هذا التصور طغى على باقي التصورات، وأصبحت عملية الاتصال هي ضمن مسار محدد ينطلق من المرسل ويهدف للتأثير في المستقبل، وتتم كل الفروض النظرية ضمن هذا السياق، في حين أن هناك جوانب أخرى تتمثل في مسارات معاكسة للاتصال والتي تنطلق من المتلقي إلى المستقبل، وهدفها ليس التأثير بقدر تداول المعلومة.

2- إن بحوث الاتصال الجماهيرية بلغت مرحلة تعرقلها عن مواصلة التطور لبناء نظرية إعلامية محددة الأسس وواضحة المعالم.

3- الحاجة لا تزال قائمة لبناء نظرية تأخذ في حسبانها المتغيرات الرئيسة في الإتصال. إذ إن الفروض النظرية السائدة في بحوث الإنترنت، لازالت تعتمد

([1]) مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور: هاشم حسن ، بتاريخ : 8-7-2016م.

على متغيرات لظواهر اتصالية قائمة على وسائل الإعلام التقليدي، وكل ما يجري من تغيير في الفروض لا يصب في جوهر الاتصال الشبكي بقدر ما يصب في مفاهيم الإعلام التقليدي، وبالنتيجة فأننا نحصل على نتائج تعود لمتغيرات غير مطابقة لمتغيرات الظاهرة الاتصالية في الإعلام الجديد. وبالتالي فكل ما يقدمه البحث العلمي يصب في مجالات لا تنتمي لنوع الظاهرة – الإنترنت - الحقيقية.

4-أحدث الإنترنت نقلة نوعية في مجال الاتصال، والذي صاحبه جدل علمي حول الكثير من المفاهيم التي كانت سائدة في عصر ما قبل الانترنت، حيث ظهرت حاجة، لبناء مفاهيم جديدة وتطويرها.

5-أغلب فروض نظريات الاتصال تم أختبارها ضمن سياق مجالها الاجتماعي، وكانت تقدم حلول مقاربة للواقع بسبب التقارب بين الفروض والسياق العام للنظرية، وظهر تيارات علمية تدعو إلى تطوير الفروض النظرية لتنسجم مع الواقع الاجتماعي، لكنها فشلت في معالجة تحدي مفاهيم عصر الإنترنت.

6-لم تستطع الفروض النظرية أن تفسر العلاقة التي تربط المستخدم في الفضاء الافتراضي مع نسخته في الواقع المادي.

7-لم تقدم فروض النظريات تفسيراً للاستخدام المكثف لشبكة الإنترنت والزيادة الكبيرة في عدد المستخدمين، وحالة الحميمية التي تكونت مع مرور الزمن بين المستخدم وادوات الشبكة الاتصالية في الإنترنت.

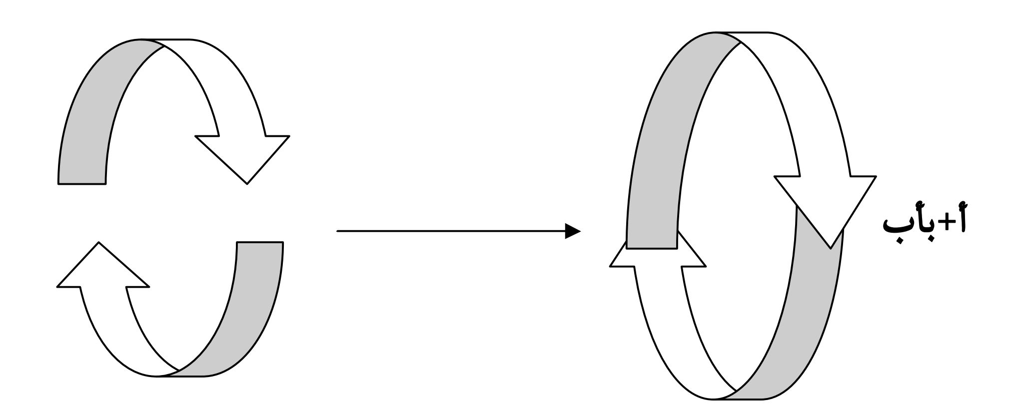
المبحــث الثاني

مفهوم نموذج الاندماج الاتصالي

أولا : التبادلية والاندماج

إن الفكرة التي يقوم عليها نموذج الاندماج الاتصالي تنبع مـن تـداخل عناصـر العملية الاتصالية، والذي يحصل بفعل عامل السـرعة – سـرعة الاتصـال- الـذي هـو نتاج طبيعي لتطور تقنيات الاتصال، وكما هو معروف فإن عملية الاتصال تتكون مـن عناصـر أساسـية تمثـل جـوهر الاتصـال وهـي المرسـل – والرسـالة – والوسـيلة – والمستقبل. وعناصر ثانوية تمثل بيئة الاتصـال – محيط العمليـة الاتصـالية الخـارجي- منها: رجع الصـدى – التشـويش- التـأثير. والكـثير مـن نمـاذج الاتصـال تجمـع بـين العناصـر الاساسـية والعناصـر الثانويـة، في نمـوذج واحـد مـن دون الأشـارة إلى دور العناصر الرئيسة في ديمومة الاتصال، وتحديـد شـكل العمليـة الاتصـالية فمـثلاً عنصـر رجع الصدى وهو ثانوي في عمليـة الاتصـال يحـول الاتصـال مـن شـكله الخطـي إلى الشكل الدائري. لذلك فإن العنصر الثانوي يعمل على تغيير ديناميكية عمـل النمـوذج من شكل إلى أخر.

ويجد الباحث إن السرعة تمثل عنصراً ثانوياً في عملية الاتصال والتي تغير شـكل النموذج من دائري إلى اندماجي. بمعنى إن زيادة سرعة الاتصال تحول شكل الاتصـال من اتصال تبادلي إلى اتصال انـدماجي. ولتوضـيح ذلـك نفـترض أن الاتصـال يجـري بشكل دائري كما موضح في الشكل رقم (9).من النقطـة (أ) إلى النقطـة (ب) وبفعـل عنصر رجع الصدى يعود من النقطة (ب) إلى النقطة (أ).



شكل رقم (9) يوضح تحول الاتصال بفعل عنصر السرعة من مرحلة تبادل الادوار الى مرحلة الاندماج

وهذا يعني أن الاتصال يقطع مسافة ليصل من النقطة (أ) إلى النقطة (ب) وعندما يصل النقطة (ب) فإنه يأخذ مكانها فتصبح النقطة (ب) هي النقطة (أ). وهذا يعني أن كلاً من النقطتين (ب، أ) تمثل كل منهما الاخر ضمن عملية تبادل الادوار. والان ندخل على عملية الاتصال سرعة أكثر عندها تجتاز عملية الاتصال مرحلة تبادل الادوار إلى مرحلة التداخل والاندماج.إذ تصبح المسافة من نقطة إلى أخرى قصيرة جداً.فيصعب تمييز كل عنصر عن الاخر.ففي المرحلة الاولى – تبادل الادوار- تكون العملية (أ أو ب) بمعنى أن العنصر (أ) يؤدي دور العنصر (ب) وعندها يقوم بوظائفه فمثلاً يمثل المرسل المستقبلعندما يحصل على مضامينه الاتصالية من مستخدمين أخرين أو المرسل هو المضمون عندما يقدم نفسه في صورة أو فيديو أو حوار، أو المضمون هو المستقبل عندما تكون الرسالة هي محور النقاش فتستقبل حوارات ونقاشات وتربطها بمضامين أخرى وهكذا.. لكن في مرحلة الاندماج الاتصالي عندما تكون سرعة الاتصال فائقة تفوق سرعة الاتصال في التقنية التقليدية مثلما هو في شبكة الانترنت، فيكون الامر مختلفاً فالعنصر (أ+ب) يمثل مكوناً واحداً بوظائف مختلفة عن وظائف الاخر، بمعنى أن العنصر (أ) لا يحمل خواص ووظائف

العنصر (ب) بل العنصر (أ+ب) هو كيان مستقل بفعل عنصر سرعة الاتصال تندمج عناصر الاتصال وتكون شكلاً واحداً ممثلاً بالمستخدم الذي يقوم بوظائف مختلفة عن كل عنصر من عناصر الاتصال في الإعلام التقليدي.لذلك فإن مفهوم نموذج الاندماج الاتصالي يقوم على عاملين أساسين هما:سرعة الاتصال و مجال الاتصال،إذ أن سرعة الاتصال هي عنصر تفرضه التقنية الجديدة للاتصال والتي تقوم على أساس الاتصال الشبكي والعقد الاتصالية،إذ تنتقل المعلومات والرسائل الاتصالية ضمن سرع فائقه، فالسرعة في نطاق مجال الاتصال الشبكي تفسر الاندماج بين عناصر الاتصال كما هو الحال في الاتصال التقليدي عندما كان رجع الصدى يفسر درجة الاستجابة والتأثير، فعملية تبادل الادوار في الاتصال الشبكي لا تعطي تفسيراً لمفهوم الدور الذي يمارسه كل عنصر وكيف يقوم بأخذ دور أخر لعنصر أخر، هل ذلك يعني انه يقوم بدورين أو انه يسلم دوره للعنصر الذي يليه؟ لأنّ هذه التساؤلات لا يمكن الاجابة عنها من منطلق العنصر والوظيفة،إذ إن كل عنصر يحمل استقلالية في الخصائص والصفات والوظائف، والاقرب للفهم أن يحصل تداخل بين هذه الوظائف والخصائص لا سيما أن كثيراً منها يتشابه مع الاخر مثال ذلك : اللغة هي عنصر مشترك بين عناصر الاتصال جميعها وكذلك المؤثرات، ويقصد بها الادوات جميعها التي يتضمنها كل عنصر تعمل على إحداث تأثير في العنصر الاخر مثل الصوت، والعلامات، والانتباه. لذلك فإن إندماج هذه بعض الخصائص المشتركة يوفر فرصاً أكبر من الفهم لطبيعة الاتصال. هذا ما تعمل على تحقيقه السرعة في عملية الاتصال،إذ تقلص من الزمن الذي يمثل جوهر التقنية الحديثة،إذ يقدم مفهوم الزمن تفسيراً للكثير من الظواهر الاتصالية.

ثانياً : الزمن في الاندماج الاتصالي

إن فهمنا للزمن في نطاق التقنية يتعلق بالسرعة، فلولا سرعة التقنية في معالجة المعلومات ونقلها عبر الفضاء، لما كان بالامكان الوصول إلى زمن مختلف،إذ أصبح الزمن يرسم حدوداً جديدة للجغرافية، فالزمن التقليدي كان يمثل حدوداً جغرافية محدودة، وهو زمن المرسل والمستقبل، لكن الزمن مع ثورة الانترنت أصبح يمثل

جغرافية خاصة به بلا حدود _ جغرافية الزمن- والتي تمثل الوحدات المكانية جميعها التي يخترقها الزمان ليصل إلى التلاقي، بحيث يكون زمن واحد عند الاستخدام، فزمن المستخدم هو الانتقالات الجغرافية لكل ما ينشره في حدود مجتمعه، فمثلا : مستخدم شبكات التواصل الاجتماعية ينشر مضامين مختلفة، كل مضمون يمتاز بقابلية على الانتشار تختلف عن المضامين الاخرى، فبعض المضامين مثل مقاطع الفيديو ذات المشاهدة الكبيرة،ولتفسير سعة انتشارها من منطلق فهمنا للزمن، هناك ثلاثة أسس هي: نوع الفكرة أو الحدث،وعلاقة الفكرة بالزمن، وزمن استخدام الفكرة.فبعض الافكار تمتاز بأنها تمتلك القدرة على عبور حواجز المجتمعات – العادات والتقاليد – وكل من تلك العادات والتقاليد احتاجت من تلك المجتمعات زمناً طويلاً لكي تترسب في الذاكرة وتتحول إلى سلوكيات، فكيف لفكرة أن تعبر تلك الحواجز الزمنية في ثوانٍ قليلة، وتتحول إلى فكرة متداولة ؟ ولتفسير ذلك يجب أن تفهم كيف أستطاعت بعض الافكار أختراق الزمن. إذ إن الزمن له أشكال مختلفة، فهناك الزمن القياسي الذي يمتلك محدداته الخاصة بالقياس وهناك زمن الذاكرة البشرية التي تمثل مجموعة هائلة من التجارب والمراحل التي يخترقها الزمن لتجدها حاضرة أمامك عندما تحتاجها وربما يصعب تذكرها في بعض الاحيان، إذن الزمن يخترق مناطق كبيرة وكثيرة في الذاكرة البشرية ليسترجع مضموناً نحتاجه، فكثير منا عندما يشاهد نشرة الاخبار في التلفاز يسترجع أخباراً قديمة لها صلة بالاخبار الجديدة وذلك لبناء فهم وتصور عن مجريات الاحداث، فهذه بالضبط حدود جغرافية الزمن، فكذلك الحال في شبكة الانترنت فإسترجاع الافكار أو انطلاق أفكار جديد قائم على مقدرة الزمن في الانتقال من مرحلة إلى أخرى، وعبور حواجز التقنيات، إذ إن ما يحصل في شبكة الانترنت هو اندماج في الزمان البشري المتمثل بالذاكرة البشرية والزمن التقني المتمثل بالذاكرة الصناعية، والقابلية على التجانس بين الاثنين يسمح للزمن أن ينتقل بشكل قد لا يستطيع الانسان أن يدركه، أما العلاقة بين الفكرة والزمن فهي التي تسمح أن تكون الافكار قابلة أن تترجم عبر الزمن والعكس صحيح، بمعنى أن الزمن له القدرة على الوصول إلى الافكار التي تستقر في الذاكرة البشرية ونقلها إلى ذاكرة التقنية التي بدورها

أن تنقل تلك الافكار بعد تسجيلها إلى الذاكرة البشرية، وهذه العلاقة تبني نسيج الشبكة العنكبوتية– الانترنت – فالوصلات بين العقد الاتصالية تمثل الزمن الافتراضي للعلاقة بين الذاكرة البشرية والذاكرة التقنية، فكما أن للعقل البشري جغرافية وحدوداً، فالتقنية ايضا لها جغرافية وحلقة الوصل بينهما هي الزمن.

ثالثاً : الاندماج الاتصالي وشبكات التواصل الاجتماعي

تمثل شبكات التواصل الاجتماعي في الإنترنت،ما كانت تمثله وسائل الإعلام الجماهيرية للمجتمع الصناعي، لكن مع فروق ملحوظة تكمن في أن مفهوم الجمهور تغير عما كان يعرف في ذلك الوقت، بل وأكثر من ذلك فلم تعد تمثل وسائل الإعلام الجماهير كما كانت عليه قبل عصر الانترنت،والذي جعل كل مستخدم يمثل جمهوراً، لذلك يمكن تصور الانترنت على أنه وسيلة اتصال لا جماهيرية، فوسائل التواصل الاجتماعية كل منها تمثل جمهوراً داخل الشبكة وهذا الجمهور هو نفسه الذي يتحكم في ديمومة الوسيلة، لذلك فإن مستخدمي الانترنت هم من يصنعون الوسيلة وليس كما كانت تفعل وسائل الاتصال الجماهيرية في بناء جمهورها، على وفق سياقات خاصة بها، فمع عصر الويب التشاركي2.0،ظهر بناء جديد قائم على التطور الجمعوي والتشاركي الذي شهده الانترنت في السنوات الأخيرة، إذيقوم مستخدمي الانترنت بالتفاعل مع المضامين الاتصالية عن طريق الشبكات أمثال الفيسبوك (facebook)، ماي سبيس (MySpace)، دايلي موشن (Dailymotion)، تويتر (Twitter).ظهرت الشبكات الاجتماعية في شهر أذار من عام 2003 على الإنترنت مع إطلاق موقع فريندستير (Friendster).

ثم موقع ماي سبيس،وبعد بضعة شهور في الولايات المتحدة الاميركية.وإن كان هذا التعبير استخدمه تيم اوريلي* منذ عام 2004م، إلا أنه فرض نفسه انطلاقاً من عام 2007م، ومن ثم توسعت هذه الظاهرة في أنحاء العالم، وأصبحت تضم اليوم مئات الملايين من المشتركين ([1]).قامتمؤسسةWe Are Socialبإصدار يسلط الضوء على استخدام شبكة الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي لعام 2014م، فبحسب الدراسة هناك2.5 مليار مستخدم لشبكة الانترنت وهو ما يقارب نسبة 35٪ من سكان العالم، في الوقت الذي تشير فيه تقديرات الإتحاد الدولي للإتصالات (ICU) إلى أن هناك 3 مليار مستخدم للإنترنت.أما مواقع التواصل الاجتماعي فيمثل الفيسبوك الموقع الاكثر استخداماً إذ بلغ عدد مستخدميه نحو 3,6مليار مستخدم وأكثر من نصف المستخدمين هم من مستخدمي موقع الفيسبوك. واغلب المستخدمين في مناطق امريكا الشمالية وذلك يعود إلى تفعيل استخدام الهواتف الذكية بشكل كبير في الخدمات الاجتماعية([2]). ومن المهم أن نمايز بين ما اصطلح على تسميته بالويب

---

*تيماوريلي: هو مؤسس أوريلي ميديا (سابقاً أوريلي وشركاه) ومساند لحركتي البرمجيات الحرة والمصدر المفتوح وينسب له الفضل في وضع مصطلح وب 2.0.

أوريلي كان مهتماً في بداية الأمر بالأدب عقب التخرج من المدرسة الثانوية ، لكن بعد التخرج في كلية هارفرد عام 1975م بالبكالوريوس مع مرتبة الشرف في الكلاسيكيات ، أصبح مهتماً بمجال كتيبات الحاسوب. هو عضو في مجلس إدارة مؤسسة كولاب نت CollabNet ، كان في مجلس إدارة ماكروميديا إلى أن تم دمجها مع أدوبي عام 2005م. انظر:الموقع الالكتروني ويكيبيديا : https://ar.wikipedia.org/wiki

([1]) جون بول لافرانس ، نقد مجتمع المعلومات ، ترجمة : خالد طه خالد ، (بيروت، دار ضفاف، 2013م)، ص 83 .

([2]) تقرير المؤسسة We Are Socialوهي مؤسسة امريكية تهتم بطبيعة استخدام شبكة الانترنت على مستوى العالم وتنشر تقاريرها بشكل دوري ، التقرير منشور على موقعها الالكتروني :

http://wearesocial.com/uk/blog/2014/08/global-social-media-users-pass-2-billion

التشاركي 2.0 – مواقع التواصل الاجتماعي - وبين أنواع من الظواهر المختلفة نسبياً وكما يأتي[1]:

1-إيجاد قنوات نشر متحررة نسبياً من الرقابة التحريرية كما هو الحال في القطاع الأكبر من فضاء المدونات وموقع يوتيوب الذي يسمح بوضع مقاطع فيديو صغيرة على الانترنت، وموقع فليكر (Flikr) لنشر الصور وبقية المواقع المستنسخة، فعلى سبيل المثال لا يتيح موقع يوتيوب تبادلاً بين المستخدمين. بمعنى الكلمة وإنما تتم مشاهدة المقاطع وأحيانا تقييم جودة المضمون باختصار، وهذا كل ما في الأمر.

2- إن وضع مساحات للنقاش تتيح لرواد الانترنت مشاركة المعلومات فيما بينهم، وهذا هو حال مدونات عدة لاسيما تلك التي تحمل طابعاً سياسياً أو المدونات الموضوعاتية بين متخصصي هندسة الحاسوب والتقنيين، ويجدر ملاحظة أن المدونات متراتبة هرمياً بشكل نسبي ويختلف تفاعل الأشخاص كلٌ بحسب موقعه، فمنهم مدير الموقع والمشارك العادي والمراقب والزائر العابر.

3- إمكانية أن يُوجد الأفراد لأنفسهم شبكات وأصدقاء كما نسميهم عادة. وهنا أيضا تختلف الدوافع كثيراً من الحرفي الذي يوجد لنفسه شبكة من الأعمال إلى الفنان الذي يبحث عن زبائن أو معجبين إلى الشاب الذي يسعى لاكتشاف عالم الأصدقاء والصديقات إلى الشخص الذي يوجد لنفسه هوية رقمية وشهرة افتراضية.

4- إيجاد مراكز تجمعية تسمح بالتبادل السريع للمعلومات والانطباعات والأحكام المتسرعة والمشاعر والأحاسيس،..الخ، بصورة سيل متدفق مستمر من الكلام غير الجدي غالباً والقيل والقال المتواصل. ولا يسمح موقع تويتر باستخدام

---

[1] جون بول لافرانس ، مصدر سابق، 85.

أكثر من 140 حرفاً أي حوالي جملتين قصيرتين، ويشبه نظام الرسائل القصيرة في التلفونات الجوالة أو الحوارات الفورية على الشبكة.

لذلك فإن التواصل الاجتماعي الذي ينتج من الشبكات الاجتماعية يعد مفهوماً ذا أبعاد وتطبيقات مختلفة، فننتقل من الثرثرة إلى المجتمعات الافتراضية، من النشر المتاح الاطلاع عليه إلى التشارك في المعلومات، ومن الإشاعات إلى المعلومات الإستراتيجية.

رابعاً : المجال العام ونموذج الاندماج الاتصالي

إن النظريات كتبت حول مواقع التواصل الاجتماعي وجعلت منها نوعاً من التبادل الجمعي التشاركي للمجتمعات ومجالاً عاماً للحوار، تم بناؤها على وفق مفهوم تقاسم السلطة بين المواطنين المعبرين عن ارائهم وقد يمثل مكاناً للتعاون الجماعي وبإختصار فهو قرية عالمية صغيرة بحسب تسمية مارشال ماكلوهان، ودفع الإنترنت كثير من الناس إلى الاقتناع أن بإمكانهم ان يصبحوا كما يتمنون وأن يُوجدوا مجتمعاً جديداً مختلفاً الى حد ما عن واقعهم الذي يعيشوه، وان بإمكانهم كذلك اختيار اصدقائهم والتواصل وقتما ارادوا فهم بذلك يصنعون لانفسهم وجوداً إعلامياً على غرار المشاركين في برامج تلفزيون الواقع والاولاد والفتيات في برامج "love story" والسؤال المهم هنا : هل تعّد الشبكات الاجتماعية مجتمعات افتراضية تربط بين افراد راغبين بالتشارك في أهتماماتهم وانشطتهم ومعارفهم، وملتقىً أفتراضياً يسمح للاشخاص بالتواصل بينهم عن طريق وسائل عدة متوافرة على الشبكة مثل برامج المحادثة الفورية والمدونات ومنتديات النقاش؟ لكي يوجد مجتمع لابد من توافر شبكة اجتماعية ولكن العكس غير صحيح، فالمجتمع سواء كان أفتراضياً، أم لا يتطلب رابطاً اجتماعياً عميقاً ودائما الى حدما مع مجموعة من الاشخاص حول مصلحة مشتركة وبإيجاز فثمة اربعة عناصر أساسية لا بد من وجودها لكي تشكل الشبكة الاجتماعية مجتمعاً وهي ([1]):

([1]) جون بول لافرانس ، مصدر سابق ، ص 86.

1- هدف مشترك يتشاطره الاعضاء جميعهم.

2- نوع من البرنامج المشترك ينظم تركيبة المجتمع.

3- منظمة اجتماعية تستدعي وجود تراتب هرمي بين الافراد.

4- شعور بالانتماء يتكون مع مرور الوقت.

لكن قليلاً من الشبكات الاجتماعية تنطبق عليها هذه المعايير وفي أحسن الاحوال، فإن روابط ضعيفة تتكون بين الافراد.فيما يشبه (نوع من العلاقات المتقطعة) كما أسماها (دومينيك كاردون) ([1]).

إن الاعتقاد بقوة الشبكات الانسانية يستند إلى ما وصفه عالم النفس الاجتماعي الامريكي (ستانلي ميلجرام) في عام 1967م بظاهرة (العالم الصغير)* موضحاً وجود معدلا من ستة وسائط قد تجمع بين شخصين يتم اختيارهما بالصدفة في هذا العالم.إذ أن التكنولوجيا الجديدة التي تمكن من ربط المتصلين جميعهم بالشبكة مجاناً من أنحاء العالم كافة،تقوي التضامن الانساني، وفي أحيان أخرى تؤدي الى عزلة الناس في مجتمعات مجهولة الهوية وذلك يعود إلى طبيعة الاستخدام غير المنظم للشبكات، فعلى الرغم من أنها مجتمعات متحررة لكنها تحكمها قوانين، وعندما يتجاهل المستخدم هذه القوانين فأنه يواجه مشكلات عديدة.ان اعز ما يحتاجه الإنسان

([1]) انظر: الشبكات الاجتماعية توجد علاقات متقطعة ، موقع صحيفة لوموند، بتاريخ 14-10-2009م .

* العالم الصغير : مصطلح أو مفهوم طوره عالم الاجتماع ستانلي ميلجرام يقول أن أي شخص في العالم يمكن أن نربطه بعلاقة مع شخص آخر وذلك عبر سلسلة علاقات قصيرة جداً بين أفراد عدة، في بعض الكتابات يذكر أنه يمكن الربط بين شخصين عبّر مجموعة أشخاص يكون عدد أفرادها أقصاه 8 أشخاص. إلا أن هذه النظرية تواجه العديد من الانتقادات والتشكيك في صحتها. في عام 2008م قام العالمان جوري ليسكوفيك وإيريك هورفيتز بدراسة الظاهرة عبر تجربة على مستخدمي نظام دردشة ويندوز بطريقة رياضياتية عبّر تمثيل الأشخاص برؤوس مخططات والعلاقات بالمتجهات بينها وكانت الشبكة التي أجريت عليها التجربة تضم 180 مليون رأس و 9 مليارات متجه. وقد تمكن العالمان من البرهنة التجريبية على هذه الظاهرة.لقد افسحت نظرية (العالم الصغير) المجال لطروحات عدة حول ما اسمته مدارس الادارة بالعمل الاجتماعي الشبكي . أنظر : جون بول لافرانس ، مصدر سابق ، ص 87.

فيما بعد الحقبة الصناعية هو الاعتراف- الشعور بالانتماء للذات وللمجتمع- فالإنسان يعاني من حاجة للهوية ويعتقد أن بإمكانه تحقيق الوجود الذاتيعن طريق استخدام المجال العام في الإنترنت والاندماج معه، عن طريق الاستخدام الدائم للمعلومات في الشبكة، إن الجديد الذي ادخلته الشبكات الاجتماعية يتمثل بتداخل الخاص مع العام، بمعنى إن خصوصية الفرد أصبحت جزءاً من خصوصية المجتمع الذي ينتمي له، فمثلاً : خصوصية الفرد داخل الاسرة ضمن مجال العلاقات الاجتماعية تمثل جزءاً من خصوصية مجتمع الأسرة، وهذا بالضبط هدف الشبكات الاجتماعية هو دمج المجال الخاص للفرد بالمجال العام للمجتمع، وبناء منظومة تشاركية تمثل فيها خصوصية الفرد شكلاً خاصاً لمجتمعه، فنلاحظ في المدونات والمواقع الالكترونية امثال يوتيوب وتويتر مزيداً من نشر الحياة الخاصة للاشخاص والاوصاف الحميمة للحياة الشخصية للافراد وأصبحت الكتابات الشخصية التي تغذي النزوات التلصصية رائجة ولكنها تعد في الوقت نفسه علامة على التعاسة الشخصية وطلبا للمساعدة أكثر منها عملية تلقائية للكشف عن الذات.

فأصبح الانترنت أداة ضخمة للحديث الجماعي وتحلل النفسيات وتنزع الطابع السياسي من الفضاء العام وذلك يتبع طبيعة أستخدام الشبكة ونوع المستخدم لها فمثلاً :يستخدم جيل الإنترنت التكنولوجيا الرقمية أستخداماً مختلفاً عن أستخدام آبائهم لها،لقد طور جيل الإنترنت أستجابات وسلوكيات مختلفة، يطبقونها وهم يستخدمون هواتفهم المحمولة أو وهم يتصفحون الانترنت([1]).وفي خضم أزمات الهوية الناتجة عن الإندماج الاتصالي بين المجال العام والخاص، الذي نتج عنه إندماج الفرد المادي مع الفرد الأفتراضي، في محاولة لبناء واقع مختلف عن ذلك الذي يعيشه الفرد، بسبب عوامل كثيرة منها نفسية ومنها اجتماعية، فالفرد لم يعد يحمل صفاته الذاتية فقط بل أصبح يحمل صفاته الافتراضية التي أكتسبها من المجال العام.

([1]) دون تابسكوت، جيل الإنترنت كيف يغير جيل الإنترنت عالمنا، (القاهرة ، دار كلمات ، 2012م)، ص78.

خامساً : المتغيرات الاجتماعية والسياسية في الاندماج الاتصالي

إن التفاعل في مجال الشبكات يعطي نتائج ضمن السلوك الاجتماعي والسياسي، ولأن الاندماج الاتصالي جاء نتيجة تأثير التكنلوجيا بالدرجة الاولى كونها المتغير الفاعل على صعيد تغيير شكل العملية الاتصالية.

فإن هناك تأثيراً أخر أسهم في ظهور شكل من الاتصال يذوب فيه الفرد ضمن منظومة التكنولوجيا إذإن التفاعلات الاجتماعية تتم على خلفية السياق العالمي وتتبلور متغيراتها على الصعيد المحلي وذلك عبّر متغيرات عدة يمكن الوقوف عندها في النواحي الآتية ([1]):

1- المتغيرات الاجتماعية :

تتلخص المتغيرات الاجتماعية للشبكات في محورين يتمثل المحور الأول في تكوين الصداقات، في حين يتمثل المحور الآخر في عضوية الجماعات ، ويمكن طرحهما عن طريق السياق الآتي :

أ- تكوين الصداقات

سهلت الشبكات الاجتماعية تكوين الصداقات، إذ تجمع الشبكات بين الصداقات الواقعية والصداقات الافتراضية، والفرضية الأساسية التي تتواكب مع تكوين الصداقات هي مشاركة الاهتمامات، فلقد نجحت الشبكات الاجتماعية في الجمع بين أصحاب الاهتمامات عبر مجال عام. وإمكانية تفعيل هذه الصداقات وتطويرها، ويمكن تبلورها في تأسيس رأس مال اجتماعي يمكن أن يتيح الإمكانية لفرص تتأرجح مداها بين السياق الواقعي والسياق الافتراضي.وتتيح أيضاً فرصة للتواصل ليس فقط في إطار السياقات المحلية ولكن على الصعيد العالمي.

([1]) وليد رشاد ، المواطنة في المجتمع الافتراضي : تأملات نظرية على مرجعية الواقع المصري، بحث مقدم إلى المؤتمر السنوي العاشر ، للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ،القاهرة، الفترة من 16- 19 مايو 2009، ص 8.

ب- عضوية الجماعات

سمحت الشبكات الاجتماعية إن تجمع في طياتها الجماعـات ذات الاهتمامـات المتجانسة، ومن الممكن أن تؤسـس هـذه الجماعـات بـين أفـراد المجتمـع المحلـي أو يـتم الاشتراك فيها على مستوى الصعيد العالمي. والمتأمـل في واقـع الفيسـبوك وانتشـاره في مصر- علي سبيل المثال- يدرك عن طريق ملاحظاته انتشار الجماعات الأثنية المصرية على الفيسبوك التي تخص جماعات محليـة فهنـاك جماعـات لمعظـم المحافظـات بـل هنـاك مدارس أسست جماعات على الفيسبوك ، وهنـاك أيضـاً جماعـات مرتبطـة بالجامعـات المصرية وجماعات للكليات المختلفة، وجماعات لأصحاب الاهتمامات وغيرها. والمـراد الوصول إليه في هذه النقطة أن منشأ الشبكات الاجتماعية عالمي ومردوده الاجتمـاعي محلي، إذ تقع هذه الجماعات على متصل العالمية والمحلية.

2- المتغيرات السياسية :

إن عضوية الأفراد سواء في الجماعات المتشكلة عبّر الشبكات الاجتماعيـة فـتح الباب للممارسة السياسية في الفضاء المعلوماتي فالشأن السياسي أصبح مـتغيراً أساسـاً للشبكات الاجتماعيـة. إذ أن الشـبكات الاجتماعيـة أسـهمت في تـأرجح التفـاعلات السياسية بين عالمين الأول هو العـالم الـواقعي ، الآخـر هـو العـالم المـوازي المتمثـل في الشـبكات الاجتماعيـة المنتشـرة عـبر الفضـاء الرمـزي. أن المـردود البـارز للشـبكات الاجتماعية يتجلي بوضوح في النواحي السياسية ويمكن التـدليل علـى ذلـك في ثلاثـة محاور هي :

أ- تعبئة الرأي العام

تمارس الجماعات المنتشرة في الشبكات الاجتماعيـة دوراً فعـالاً في تعبئـة الـرأي العام إتجاه بعض القضايا السياسية ويمكن صياغة بعض الوقـائع – علـي سـبيل المثـال وليس الحصر – المثال الأول يتعلق بالاحتجاجات الجماهيرية : فقد أضحت الشـبكات الاجتماعية مجالاًعاماً للاحتجاجات والتشجيع على الإضرابات. والدليل على ذلـك أن هناك حركات اجتماعية، مثل : الاحتجاجات الجماهيريـة الـتي اسـتثمرت الفضـاء الافتراضي في التشجيع على التظاهر ضد الفسـاد المـالي والاداري في العـراق في شـهر

تموز عام 2015م. والتي تحولت من السياق الافتراضي إلى السياق الواقعي المثال الثاني متمثل في الدعاية الانتخابية : فقد فتحت الشبكات الاجتماعية مجالاً جديداً للدعايات الانتخابية وطرح البرامج الانتخابية. والدليل على ذلك تكوين الجماعات عبر شبكة الفيسبوك على مستوى الصعيد المحلي لنشر البرامج الانتخابية، وتجميع أكبر قدر ممكن من المستخدمين، وتستخدم في جمع التأييد الشعبي، وتزخم الشبكة بجماعات تعمل في هذا المنحى. فلقد أضحت الشبكات الاجتماعية بوابات للممارسة السياسة. ويتجلي هذا المنظور بوضوح فكرة في التقاطعات بين العالمية والمحلية. إذ أن منشأ هذه الشبكات عالمي ، ومعظم الشبكات الاجتماعية تأسست لغرض اجتماعي متمثل في فكرة التواصل الاجتماعي بين الأفراد الذين يشتركون في الاهتمام نفسه ، ثم توجه الاهتمام ولاسيما مع ظهور الموجة الثانية للشبكات الاجتماعية وعلى استحياء في البداية إلى ممارسة السياسة عبر الشبكات ، ثم ازداد صيت الشبكات الاجتماعية ومردودها على ممارسة السياسة على الأصعدة المحلية.

ب- ظهور المواطنة الافتراضية

إن الشبكات الاجتماعية فتحت المجال أمام ممارسة قضايا المواطنة عبر الإنترنت والتي أطلق عليها المواطنة الافتراضية Virtualcitizenship.فعند الحديث عن المواطنة لايغيب البعد السياسي إذ ارتبطت بحقوق وواجبات اجتماعية سياسية النشأة وإذا كان الاستقرار على خاصية محددة الأبعاد والملامح أمراً قد يبدو صعباً في أفقال ملمح الثقافي للمواطنة الافتراضية فقد يبدو أكثر قبولا على المستوي السياسي. ففي ظل التوترات التي تعاني منها الدولة وتقلص الحقوق السياسية وعدم مصداقيتها- إلي حدما – في السياقات الواقعية على أطر المجتمعات العربية يتجلي في أفق المجتمع الافتراضي الذي تتكشف فيه المطالبة بالحقوق السياسية. فهناك ممارسة لحقوق المواطنة في المجتمع الافتراضي ، وهناك أيضا قضايا يتم سحبها من الواقع إلى المجتمع الافتراضي الذي يعد بوابة جديدة لعبور المواطنة وتحقيقها مع الأخذ في الحسبان أن قضايا المواطنة الافتراضية عالمية النشأة ومحلية المردود.

ج- تفعيل دور المجتمع المدني

تسهم الشبكات الاجتماعية وتناميها في السياقات العالمية ومردودها المحلي في زيادة تفعيل دور المجتمع المدني ، إذ أن هناك العديد من منظمات المجتمع المدني منها على سبيل المثال الأحزاب السياسية،قد بنت لها قواعد في المجتمع الافتراضي عبر الشبكات الاجتماعية. تروج عن طريق هذه الشبكات للبرامج والسياسات التي تتبناها، وهناك بعض النقابات والجمعيات الأهلية استغلت الشبكة في زيادة التواصل بين أفرادها، ودعوة المستفيدين إلى برامجها ومشروعاتها.

ثمَّة نقطة على درجة من الأهمية، وهي أن الإنترنت يقدم نفسه بأنه فضاء رحب للحرية والديمقراطية، يشعر فيه المرء، بحسب ما يقول أنصاره، بأن الأفراد فيه جميعهم سواسية، وأن المختص والهاوي قابلان للاستبدال، وعالم معياره المساواة، ويصبح فيه كل فرد مبدعاً ومبتكراً ومنتجاً، ويؤكد (البير لازلو بارابازي)-Albert Laszlo Barabasi الذي يعدّ إحدى الشخصيات البارزة في عالم الشبكات : "لدينا مجتمع، لأن الناس اختاروا التفاعل" ([1]).وهذا المجتمع يمتاز بالمساواة كما يصفه بنيامين لوفلوك الباحث في مجال الشبكات الاجتماعية وهو يرى: "ان الانترنت يشكل وعداً كبيراً بالمساواة ومجال للتعبير بحرية دون هيئة رقابة، بل ونموذج أعلى لديمقراطية المشاركة مؤسس على التداول المستمر.. كما يعتبر الانجاز الجاري تشييده ليوتوبيا سياسية متكاملة، وهي يوتوبيا الديمقراطية في أنقى أشكالها، حيث أن الانترنت قد عمل على إزالة كل الهيئات الوسيطة([2]).

([1]) Albert. Laszlo Barabasi, " How Everything is Connected to Everything Else and what it Means" . (2003) , New York, plume ,p 65.

([2]) برنارد بولية، نهاية الصحافة ومستقبل الإعلام: ترجمة خالد طه الخالد، (بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2011م) ، ص 147 .

المبحث الثالث

أسباب بناء نموذج للاندماج الاتصالي

تتنوع نماذج الاتصال بتنوع الظواهر الاتصالية التي تحتاج إلى تفسير علمي، فضلا عن الحاجة إلى فهم أكثر لطبيعة العملية الاتصالية وما يحصل عليها من تغيير تفرضه عليها ظروف التقنية والمجتمع. ومن أهم الأهداف التي يسعى لها أي علم، زيادة فهمنا للظواهر التي تحيط بنا، والوصول إلى تصورات عن الظروف المحيطة تدعمها الأدلة العلمية الموضوعية،وتساعدنا أيضاً على التنبؤ بالنتيجة، وتتم عملية الفهم بواسطة نماذج رمزية نستخدمها جميعاً في تفكيرنا لكي تسهل علينا استيعاب الظواهر وفهم ومكوناتها الأساسية، والعلاقات بين تلك المكونات، فالنموذج هو (محاولة لتقديم العلاقات الكامنة التي يفترض وجودها بين المتغيرات التي تصنع حدثاً أو نظاماً معيناً في شكل رمزي، بمعنى أن النماذج هي أدوات رمزية تساعدنا على فهم الظاهرة أو النظام، وأدراك العلاقات بين العناصر الاساسية في تلك الظاهرة) ([1]) ومن الملاحظ علمياً أن ظهور نموذج اتصالي يقترن بظهور وسيلة اتصال جديدة تدعو الباحثين والمهتمين للتفكير في الكيفية التي تجري فيها عملية الاتصال، ومن المهم أيضاً ذكر أن نماذج الاتصال كانت تخضع إلى تصورات وأفكار علمية تستند إلى محاولة نقد النماذج السابقة لها، من حيث أضافة شيء جديد، والكثير من النماذج تم تطويرها لتواكب التقنية وتحقق أهدافها الوظيفية والبنائية.

أولا : أهمية بناء نموذج الاندماج الاتصالي

تكمن أهمية بناء نموذج اتصالي في أنه يفسر العملية الاتصالية ضمن المجال العام الافتراضي في شبكات التواصل الاجتماعي بشكل خاص ضمن محورين هما :

المحور الأول : الاتصال في الشبكات الاجتماعية

ظهرت الشبكات الاجتماعية على أسس فكرية. فمؤسسو الشبكة سواء كانوا أفراداً أو جماعات يتبنون أفكاراً معينة، وتنشأ الشبكة بناءً على هذه الأفكار.وهذا لا

([1]) حسن عماد مكاوي ، ليلى حسين السيد، مصدر سابق ، ص 36.

يعني أن هناك استاتيكية* في البناء الشبكي ، ولكن قد تتغير الوجهات الفكرية لمؤسسي الشبكة تبعا لتغير الافكار المسيطرة على تفكيرهم لاسيما وأن الافكار ليست حتمية، إذ تقوم تكنولوجيا المعلومات الجديدة بتحطيم العقبات والعراقيل الزمنية، والعلاقات الاجتماعية الهرمية والتصنيفات الطبقية التقليدية؛

لان ثقافة الوسائط المتعددة والشبكات تشجع المستخدم على الذوبان والانصهار في عالم الرقمنة، لذلك فالمجتمع في علاقته مع وسائل الاتصال الجديدة لا يتم تشكيله على وفق التأثيرات الوافدة عليه عبّر الوسائل فحسب، بل يذوب معها كلياً ويجمع بين المجتمع والشبكات ما اطلق عليه المجتمع ذو البعد الواحد، أو تعبير فلاسفة ما بعد الحداثة مجتمع متعدد الثقافات، الذي يُجهز على الاختلافات والتمايزات جميعها، ويُوحد أفراده في نظمهم ومعاييرهم وأذواقهم في نمط واحد انطلاقاً من مبدأ الحركة، سواء كانت حركة واقعية أو افتراضية عن طريق السفر والترحال عبّر وسائل الاتصال وشبكة الإنترنت وهو ما يدفع إلى انصهار ثقافات عديدة والتقائها وتزاوجها بين شعوب مختلفة في بقاع جغرافية محددة([1]). ويضرب الباحث هنا مثالاً لأيديولوجيا الشبكات عن طريق نموذج شبكة الفيسبوك فقدأسسالموقعMark Zuckerberg وهو طالب في جامعة هارفارد الأمريكية ، كانت فكرته في إنشاء الموقع خوفه من أن إدمانه للإنترنت يجعله يفقد أصدقائه بعد الانتهاء من الدراسة الجامعية فأسس موقع facebockبناء على هذه الفكرة التي سيطرت عليه وكان عمره وقتئذ ثلاثة وعشرون عاما. ثم توسع الموقع ليضم في طياته طلاب المدارس والجامعات ، واتسع الموقع إلى أن أصبح يمثل أكبر مواقع الشبكات العالمية، فمعدد كبير من المستخدمين، شكلت الشبكات الاجتماعية شكلاً جديداً

---

* استاتيكية: سكون وجُمود أو عدم تطوّر ، بخلاف الديناميكيَّة :- تتميَّز بعض القوانين واللوائح بإستاتيكيَّة مُعرقلة .

([1]) بابكر مصطفى، معتصم، أيديولوجيا شبكات التواصل الاجتماعي وتشكيل الرأي العام، (الخرطوم ، مركز التنوير، 2014) ، ص 191- 192 .

منالعلاقات بين افراد المجتمع، وقدمت هوية جديدة للفرد، فالشبكات الاجتماعية هي في جوهرها انعكاس لحاجة المجتمع لأشكال جديدة من التواصل([1]).

لذلك يتضح أن التأسيس ظهر عن طريق مجموعة الأطر الفكرية التي سيطرت على فكر هذا الشاب. لذلك فإن الاتصال تحول هنا إلى حل لمشكلة الادمان والعزلة ولكن بطريقة مختلفة عن أنماط الاتصال التقليدية،إذ أن الفكرة كانت تتمحور حول بناء شبكة علاقات قابلة للنمو والتطور ولكن بشكل افتراضي داخل شبكة الانترنت، وذلك ناتج عن حالة الادمان على استخدام الانترنت، بمعنى أخر الاستخدام المفرط للتقنية مكن من بناء نموذج فكري عند مؤسس الشبكة قائم على جمع الاصدقاء في واجهة الكترونية واحدة.

المحور الثاني: تحليل الاتصال الشبكي

سمحت التكنولوجيا الرقمية للمستخدمين بناء مجتمعهم الخاص عن طريق المضامين الاتصالية المحمولة- مضامين الهواتف الذكية- المثيرة، والتي كانت ترمي في الاساس لاهداف أجتماعية ترفيهية، لكن تم توظيفها لمواضيع سياسية([2]).

فالشبكات الاجتماعية لا تعمل بمعزل عن المجتمع الافتراضي.وإذا كان المجتمع الافتراضي منذ نشأته يرتكز على مشاركة الاهتمامات ، فإن الأفراد أو الجماعات عند النفاذ إلى الشبكات الاجتماعية يحتكمون إلى الاهتمامات ، التي تعد بدورها محدداً أيديولوجياً ينطوي على عنصر اختيار يستمد مرجعيته من الأطر الفكرية الحاكمة للمستخدمين. وتجدر الإشارة أيضا إلى إمكانية الدخول والخروج إلى الشبكة ، وذلك تبعا للتغيرات التي تطرأ على معتقدات أو أفكار الفرد. والمقصود هنا أن هناك قدراًكبيراً من المرونة والحرية في الدخول والخروج من الشبكة. فإذا كان الفرد في

([1]) Jesse Rice , " The church of facebook : how the hyperconnected redefining community " , (2009). Printed in the united states of America , pp. 60-62

(2) Joss Hands, " Is for Activism: Dissent, Resistance and Rebellion in a DigitalCulture" , (2011). London, Pluto press, p77.

تفاعلاته الواقعية محكوماً بعوامل الأيديولوجيا المحكومة بمحددات الزمان والمكان ، فإن التفاعلات التي تتم في إطار الشبكات الاجتماعية تتحرر فيها الأيديولوجيا من حواجز الزمان والمكان ولكنها لم تستطع أن تنفك عن أصولها الفكرية التي تمنح الفرصة إلى النفاذ أو الخروج أو عدم الاشتراك. أنطلاقاً من هذا التصور للمرونة والتفاعلات الاجتماعية والزمان والمكان، ومفردات جديدة واكبت ظهور الشبكات الاجتماعية. لذلك كانت الحاجة إلى تطوير هذا الفهم الذي كان يعتمد ولحد قريب على التقنية التقليدية، بمعنى أخر اعتماد الكثير من الباحثين في تفسير الظواهر المصاحبة للتطور التقني في الشبكات الاجتماعية على وفق النماذج الاتصالية التقليدية، التي وإن كانت ذات أهمية كبيرة في تحليل البناء الخطي والدائري للنماذج السابقة، فإنها لا تعطي تفسيراً مقبولاً للافكار المتسارعة في المجتمع الافتراضي والكيفية التي تنتقل فيها المعلومات بين عناصر العملية الاتصالية، فالافكار الجديدة تسمح في بناء تصورات جديدة لطبيعة الاتصال في الشبكات الاجتماعية.

ثانياً : تحليل نماذج الاتصال الشبكي

أ-نموذج لي Lee Model

وضع هذا النموذج (جان شن لي) عام 2000م، ويفترض النموذج أن خصائص الفرد والسياق الذي تحدث فيه العملية الاتصالية هي عناصر تؤثر في مدى التفاعلية التي يدركها الفرد، وهناك عوامل يمكن أن تؤثر في مدى هذه التفاعليةمنها عوامل ترتبط بالمستخدم نفسه، وإن ادراك هذه التفاعلية لدى الفرد يختلف تبعاً لمستوى التفاعلية الموضوعيةبينه وبين غيره من المستخدمين، وبينه وبين الوسيلة، إذ يشير النموذج إلى قدرة الإنترنت كوسيط اتصالي على إتاحة الفرصة لأطراف العملية الاتصالية للتفاعل عن طريق إمكانية التحاور المتزامن، وترتبط بمدى إدراك المشاركين في العملية الاتصالية للإمكانات التفاعلية التي تنتجها هذه الشبكة، ومن أهم مقومات التفاعلية بحسب النموذج هي مدى جدية التفاعل والزمن الذي يستغرقه، وأن المتغيرات غير التكنولوجية للعملية الاتصالية مثل السمات الشخصية للمشاركين في الاتصال والموقف أو المحتوى الاتصالي تعدُّ من العوامل المؤثرة في تشكيل التفاعلية

المدركة، وقد أعتمد هذا النموذج على نظرية ثراء الوسيلة، ويضيف النموذج مفهوماً جديداً، يطلق عليه التفاعلية المدركة والتي تعني ادراك اطراف العملية الاتصالية إمكانية التفاعل والصلاحيات المتاحة في إطاره ([1]).

ب-نموذج ماكميلان وهوانج Mcmillan and Hwang Model

قدم ماكميلان وهوانج في دراستهما عام 2002م عن تفاعلية الإنترنت والإمكانات المتاحة على شبكة الإنترنت، ثلاثة عناصر تتعلق بالتفاعلية هي : إتجاه الاتصال، وتحكم المستخدم والزمن. فالعنصر الاول يعني إتجاه الاتصال، فشبكة الإنترنت توفر لمستخدمها اتصالاً ثنائي الإتجاه مع تركيزه على رجع الصدى لهذا الاتصال، إذ يمكن للمستخدم التواصل مع الاخرين عن طريق مجموعة من أدوات التفاعل التي توفرها الشبكة مثل الدردشة، أما العنصر الثاني فهو تحكم المستخدم فيعني قدرة المستخدم على التحكم في عملية الاتصال عبّر الإنترنت، والعنصر الثالث هو الزمن، إذ يتأثر مفهوم التفاعل في شبكة الإنترنت بالسرعة التي يمكن أن يتم تسليم الرسائل فيها، والسرعة التي يمكن للأفراد معالجة الرسائل خلالها. وهذه العناصر الثلاثة وفق النموذج متداخلة فيما بينها ومترابطة بشكل يؤدي إلى ظهور الخصائص التفاعلية للإنترنت،وأن التداخل بين عنصر الزمن وإتجاه الاتصال ينتج التزامن في الاتصال، وأيضاً فإن التداخل بين تحكم المستخدم وعنصر الزمن يتوقف عليه إستمرار هذا التفاعل([2]).

([1]) Jae.Shin Lee, " Interactivity:A New Approach, paper presented at the Association for education in Lournalism and mass communication, (2000). phoenix, AZ, PP.23-25.

([2]) Sally J. MCMillan and Jang Sun Hwang . " Measures of Perceived Interactivity : An Exploration of the Role of Direction of communication, User control, and time in shaping Perception of Interactivity" , (2002).USA, Journal of Advertising, pp2-6.

ج-نموذج بيسي وتاو Busy and Tao Model

قدم بيسي وتـاو عـام 2007م إطـاراً عامـاً لاسـتخدامات الإنترنـت وتأثيراتـه كوسيط اتصالي تفاعلي عن طريق نموذج اتصالي انطلاقاً من أنّ الإنترنت بيئة اتصـالية توفر إمكانات تقنية تتيح للمشاركين في الاتصال عبّر هـذه الشـبكة تبـادل الادوار مـن المرسل إلى المستقبل وبالعكس، وتتيح أيضاً فرص تبادل المعلومات بين اطراف العمليـة الاتصالية ومن ثمَّ يحصل التفاعل في الشـبكة، ويفـترض هـذا النمـوذج أنـه كلمـا زاد مستوى التفاعلية عبّر وسائل الاتصال،يرتفع مستوى كفاءة استخدام الإنترنـت والـذي يؤدي إلى ارتفاع مستوى إدراك مستخدمي شبكة الإنترنت للتفاعلية التي تميز اتصـالات المستخدمين في الشبكة، وبالنتيجة النهائية تحدث تأثيرات معرفية وسلوكية لـدى هـؤلاء المستخدمين([1]). وعلى وفق النموذج فإن هناك متغيرين آخرين تتوقف عليها تـأثيرات الإنترنت كوسيط اتصالي تفاعلي وهما؛ القدرة على التحاور وطـرح الآراء والافكـار وما يؤيدها من دلائل كسمة أساسية تتيحها شبكة الإنترنت كوسيط إتصـالي تفـاعلي، وإدراك وجود دور رقابي يقوم به أحد أفراد المجتمـع الافتراضـي الـذي تقدمـه الشـبكة الاتصالية لأدارة هذا الحوار، وإن هذين المتغيرين يعدان من أهم العوامل المـؤثرة علـى إتجاهات المشاركين في الاتصال الشبكي([2]).

د- نموذج ليوو جي شرام Liu and J.Shrum Model

يقدم نموذج ليو وشرام دراسة لتأثير استخدام تطبيقات الإنترنت علـى إتجاهـات مستخدميها ويركز على العلاقة بين المشاركة النشطة لمستخدمي الإنترنت في الحـوارات والمناقشات المطروحة للحـوار في المواقـع الالكترونيـة بإسـتخدام أدوات التفاعـل الـتي تتيحها شبكة الإنترنت ومستوى تمثيل المعلومات لـديهم حـول الموضـوعات وقـدرتهم

([1]) Busy, E.P and C.C. Tao, " The mediated moderation model of Interactivity, media Psychology, (2007) . USA, Vol 9, pp 565-667.

([2]) Song, J.H, and G.M. Zinkhan, " Determinats of Perceived Web site Interactivty" , Journal of Marketing, (2008). vol . 72, No. 2, p 105.

على تشكيل آرائهم حولها، ومن ثمَّ وصولهم إلى آراء ووجهات نظر مشتركة تعكس توجهات عامة قد تكون إيجابية أو سلبية حول هذه الموضوعات([1]).

ه- النموذج الطقوسي للاتصال Ritual Model Of Communication

يقدم النموذج الطقوسي للاتصال الذي وضعه James Carey عام 1989م مجموعة من المفاهيم التي ترتكز على طبيعة الحوارات في شبكة الاتصال الانترنت بين المستخدمين ([2]). والتي عن طريقها توصل النموذج إلى أن التفاعلية هي مؤشر لمدى قدرة المستخدم على التدخل بالتعديل في مضمون الرسالة الاتصالية وطريقة عرضها وذلك عن طريق اربعة أبعاد هي : السرعة في نقل استجابة المستخدم إلى المرسل، وتعدد الخيارات أمام المستخدم، وإمكانية الوسيلة التنظيمية، وإمكانية المستخدم في السيطرة على عملية الاتصال ([3]). ويقدم النموذج أطاراً نظرياً لدراسة التفاعلية في الإنترنت، فبناء الاخبار في شبكة الإنترنت يتطلب بحسب النموذج أن يستفيد المستخدمون من جميع الامكانيات والادوات التي توفرها الشبكة([4]). ويشير النموذج إلى أن شبكة الإنترنت بصفة عامة تمتاز عن وسائل الإعلام التقليدية الأخرى لطائفة من السمات:وهي قدرة المستخدم بالتحكم بالصوت والصورة المتحركة بما يخدم الفكرة التي يريد طرحها، وسرعة تحديث المعلومات، والتوزيع الشبكي

([1]) Liu, Yuping and Shrum , L. J. Adual –Process, " Model of Interactivity Effects" , Journal of advertising, American Academy of advertisin, (2009). Vol . 38, No. 2, pp53-68.

([2]) J. Carey, " A cultural Approach To Communication Essays on Media and Society" (1989) . New York ,Routledge, p15.

([3]) سعيد محمد الغريب النجار ، التفاعلية في الصحف العربية على الإنترنت ، أبحاث المؤتمر الدولي للإعلام الجديد : تكنولوجيا جديدة لعالم جديد ، (جامعة البحرين ، 7-9 نيسان ، 2009)، ص 53.

([4]) E . Fredin , " Rethinking the news story for the internet : hype-story Prototypes and a model of the user" , (1997). Journalism Monographs, vol.163, September, pp1-47.

للمعلومات، واللامركزية، وسرعة الوصول إلى المعلومات،واللارقابة والتفاعلية([1]). وهناك الكثير من النماذج الاتصالية التي تحاول تفسير الاتصال الشبكي وقد أستعرض الباحث عينة من هذه النماذج ضمن مُدد مختلفة، والسبب إلى يعود أن بحوث الاتصال الشبكي تزامنت مع تطور تقنية الانترنت وليس فقط مع ظهور الويب التشاركي 2.0، فقد ارتبطت الشبكات الاجتماعية بتطور الإنترنت ومجتمعه الافتراضي وإذا كان تأسيس الشبكات الاجتماعية مرتبطاً بالأطر الفكرية الحاكمة لسلوك الأفراد والجماعات المؤسسة ومرتبط أيضا بأسباب النفاذ إلى الشبكات. فإن المتأمل في واقع البحوث العلمية على مستوى العلوم الإنسانية يدرك أنها اتخذت من المجتمع الافتراضي بما يحويه من شبكات اجتماعية قبلة للدراسات العلمية. وواجهت هذه العلوم تحدِ – ولا تزال – في تطوير منهجيات علمية تدرس وتفسر ما يحدث داخل التفاعلات الافتراضية. فالنشأة الأيديولوجية استدعت البحث العلمية وسيحاول الباحث وبشكل مقتضب عرض بعض الأوجه المنهجية على الصعيد العلمي لبحوث الشبكات الاجتماعية ومنها :

ا- منهجية تحليل الشبكات الاجتماعية

تشير وجهات النظر إلى ضرورة الحاجة لأدوات بحث متقدمة في دراسة الشبكات الاجتماعية على حد تعبير هيلست Van Der Hulst. ومن ضمن الأدوات ما وصفه بأسلوب تحليل الشبكات الاجتماعية فقد أشار إلى أن هذا التحليل يعد منهجية أكثر من كونه نظرية. يستهدف هذا التحليل فحص الأبنية الاجتماعية المعقدة والتي تسمح بتطبيقات واسعة ، وتشمل الكثير من الرسوم البيانية ، وتستخدم التقنيات الحسابية التي يتم عن طريقها تحليل الأنماط العلائقية للعقد – التي تمثل المسجلين في الشبكات – والارتباطات أي الروابط مستندة إلى الحسابات الرياضية ، وتخرج هذه الحسابات بمقاييس للبناء الشبكي أو بارامترات تحدد خصائص النشاط

([1]) J. D. Lasica, " Net gain Journalism's challenges in an interactive age " (1996). American Journalism R-view, Vol 20, No2, p52.

الشبكي والأدوار الاجتماعية والمشاركات. والغرض الأساس للتحليل الشبكي يكمن في الكشف عن أنواع الروابط بين المسجلين ، وتحديد المنافع والقيود والبناء الشبكي.فضلا عن التركيز على خصائص الشبكة ، مع الأخذ في الحسبان أن هذا التحليل الشبكي قد يسهم في بناء السيناريوهات التي تخرج بنتائجها من تحليل للأرتباطات والعقد بين المجموعات([1]).

2- تحليلات الأثنوجرافية الافتراضية.

تعدُّ المناهج الوصفية الافتراضية إحدى الوسائل المنهجية لدراسة الشبكات الاجتماعية ومن أبرز التكنيكات التي تستخدم فيها هي دراسة الحالة الافتراضية. وبصرف النظر عن وجهة الاختلاف عما أذا كانت منهجية دراسة الحالة أداة أم منهجاً فهي وسيلة مفيدة في تحليل الشبكات ودراسة التجمعات في السياقات الافتراضية. وتستخدم دراسة الحالة الافتراضية داخل وسط الإنترنت، وتستهدف وحدة التحليل فيها الأفراد أو الجماعات ، وتتم المقابلات والاستجابات جميعها عن طريق وسيط وهو الإنترنت عبّر إحدى المواقع الشبكية لجمع معلومات عن الفرد أو الجماعة. وتستهدف الوصول إلي بيانات كيفية يمكن عن طريقها تقديم وصف للجماعات والعقد الشبكية. ومن ضمن أدوات الاثنوجرافيا الافتراضية الملاحظة التي تتم في سياقات دراسة المجموعات عبّر الانترنت ، وتنقسم الملاحظة على الملاحظة بالمشاركة ومن الدراسات التي استخدمت هذا التكنيك دراسة درنتا drentea وكروس cross([2]). فقد تمت دراسة جماعة للأمهات عبر الفضاء المعلوماتي والتي كانت تقدم النصائح إلى الأمهات عبر مراحل الحمل والولادة والرضاعة وكان كروس أحد

([1]) Van DER Hulst ,Introduction to network analyses(S N A) as investigative tool, Springer Science and Business Media, Published online: 13 December, (2008), Ebsco host database, p 104- 105.

([2]) Patricia Drentea and Jennifer L. Moren-Cross, " Social capital and social support on the web: the case of an internet " ,mother site, Sociology of Health ,(2005), Blackwell Publishing Oxford, pp. 920–943.

المشاركين في المجموعة واستخدم تقنية الملاحظة بالمشاركة.وهناك ملاحظات بغير مشاركة تستخدم في بحوث الجماعات عبر الإنترنت.

3- تحليلات البريد الالكتروني.

استخدمت تحليلات البريد الالكتروني بشكل ملحوظ في الدراسات المرتبطة بالمجتمع الافتراضي.إذ يقوم الباحث باستئذان المجموعة أو القائمة البريدية التي يبغي دراستها ويقوم بجمع الرسائل البريدية التي تتم في إطار المجموعة التي يدرسها، ثم يتولى عملية تحليل هذه الرسائل. مع الأخذ في الحسبان تحديد المدة الزمنية التي يتم عن طريقها جمع البريد الالكتروني. وهناك تكنيكات علمية مستحدثة لتحليل رسائل البريد الالكتروني استخدمها العديد من الباحثين المشغولين بدراسة المجتمع الافتراضي منهم أولف اجرين Agren ([1]). الذي استخدمه في تحليل رسائل البريد الالكتروني لجماعة الصحفيين المبتدئين السويدية والذي قسم تحليلات البريد الالكتروني على تحليلات عن طريق ملاحظات بالمشاركة وملاحظات بدون مشاركة ، ومن الدراسات التي استخدمت الملاحظة بغير مشاركة في تحليلات البريد الالكتروني دراسة كينفيSUSAN C.KINNEVYالتي أجراها على جماعة نشطاء السلام ([2]).

4- المسوح الافتراضية.

تعتمد المسوح الافتراضية على حصر مواقع بنفسها ، أو دراسة الأفراد داخل جماعة افتراضية معينة داخل البنية الشبكية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن فكرة العينة العشوائية أمر صعب في المسوح الافتراضية. لذلك تعتمد المسوح الافتراضية غالباً على العينات العمدية في معظمها ، لاسيما في ظل عدم توافر إطار لها. ومن أشهر

([1])Per olof Agren ,On the creation of social capital in virtual community: Case study, www.uofrmetic.nmu.se,

([2])Susan–C. kinvelly– problems and promises in the study of virtual community:A case Study, university of Pennsylvania ,school of social works USA 2000 www.isoc.orglinet2000/cdproceedings/29/29_1.htm.

الأدوات المستخدمة في المسوح الافتراضية الاستبيان الالكتروني: وهو أداة لجمع البيانات من السياقات الافتراضية. ويصمم الباحث استمارته وتوضع على إحدى المواقع على الشبكة، ويرسل الباحث الرابط إلى الأفراد عبر الشبكة أو بريدهم الالكتروني ، ثم يتولى المبحوث ردها إلى الموقع أو البريد الالكتروني نفسه الذي يحدده الباحث. ويفضل في الاستمارة المسحية على الإنترنت أن تكون الأسئلة جميعها فيها مغلقة.

من هنا يدرك المتأمل لواقع الدراسات والمنهجيات التي تتم في إطار التفاعلات الشبكية على المستوى الافتراضي أنها استوجبت تطوير منهجيات علمية تواكب التغير السريع الذي يحدث في إطار التفاعل الافتراضي. فكما أن تطور الشبكات سريع، فإن تطور المنهجيات لابد أن يتواكب مع هذا التطور، ويمثل ذلك التحدي الكبير أمام دراسات المجتمع الافتراضي بشكل عام.

المبحث الرابع

نموذج الاندماج الاتصالي

أولا : النموذج الاتصالي

يمثل النموذج أداة تصورية توفر إطاراً للافتراضات تتحدد في نطاقه المتغيرات المهمة، ويفترض علاقات معينة بين الأحداث التي يتم دراستها. وهو يقترب من النظرية من جانب وقريب من المفهوم الإجرائي الذي يستمد قيمته بالدرجة الأولى من قابليته الإجرائية، أي قدرته على منح فرصة للفهم والتحليل ([1]).

صنف بارنلند Barnlund النماذج ضمن فئتين رئيستين هما ([2]):

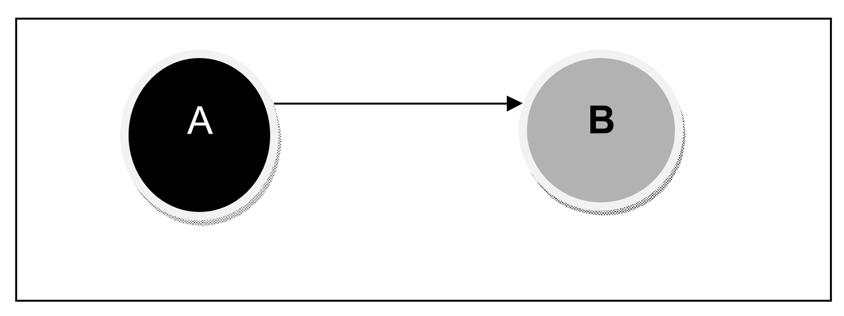
1- النماذج البنائية : التي تبرز الخصائص الرئيسة للحدث أو الظاهرة، أي المكونات وعدد وترتيب الأجزاء المنفصلة للظاهرة التي نُصِفها.

2- النماذج الوظيفية: التي تسعى لتقديم صورة مطابقة للأسلوب الذي يعمل بمقتضاه النظام، وهي نماذج تشرح طبيعة القوى أو المتغيرات التي تؤثر على النظام أو الظاهرة.ويقدم نموذج الاندماج الاتصالي وصفاً لشكل الاتصال الشبكي في الإعلام الجديد وطبيعة العلاقات بين عناصر العملية الاتصالية وهو بذلك يعد نموذجاً بنائياً،وهذا النموذج يقدم تصوراً للتقنية التي تحصل فيها العملية الاتصالية ودور كل عنصر وذلك ما يجعله نموذجاً وظيفياً، بمعنى أخر فإن نموذج الاندماج الاتصالي يجمع بين الصفتين الوظيفية والبنائية في النموذج. فنظام الاتصال

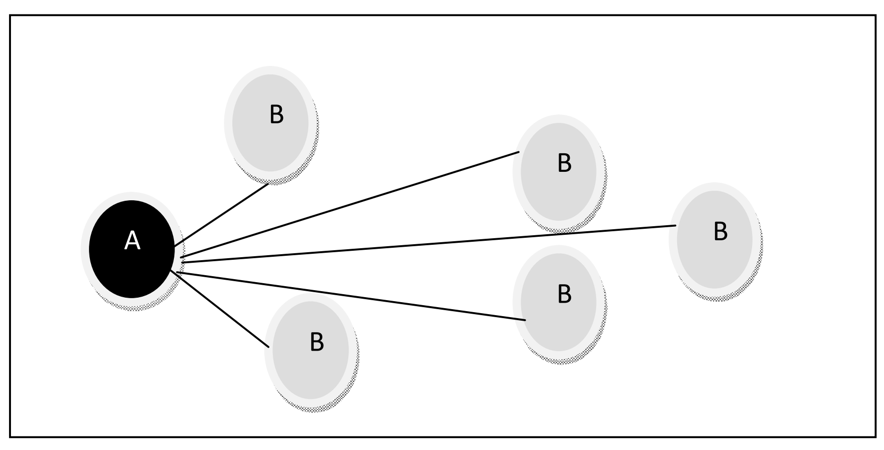
الشبكي قائم على شكل خاص من العلاقات الاتصالية المعتمدة على الفضاء الافتراضي في نقل المعلومات في إتجاهات متشابكة ومتداخلة. في حين أن الاتصال التقليدييكون بإتجاه واحد فقط وكما موضح في الشكل رقم (10).

([1]) علي جبار الشمري ، تصميم إنموذج بناء منهجي مطور في بحوث العلاقات العامة ، (بغداد ، دائرة شؤون المواطنين والعلاقات العامة ، 2014) ، ص 18.

([2]) حسن عماد مكاوي ، ليلى حسين السيد ، مصدر سابق ، ص 36.



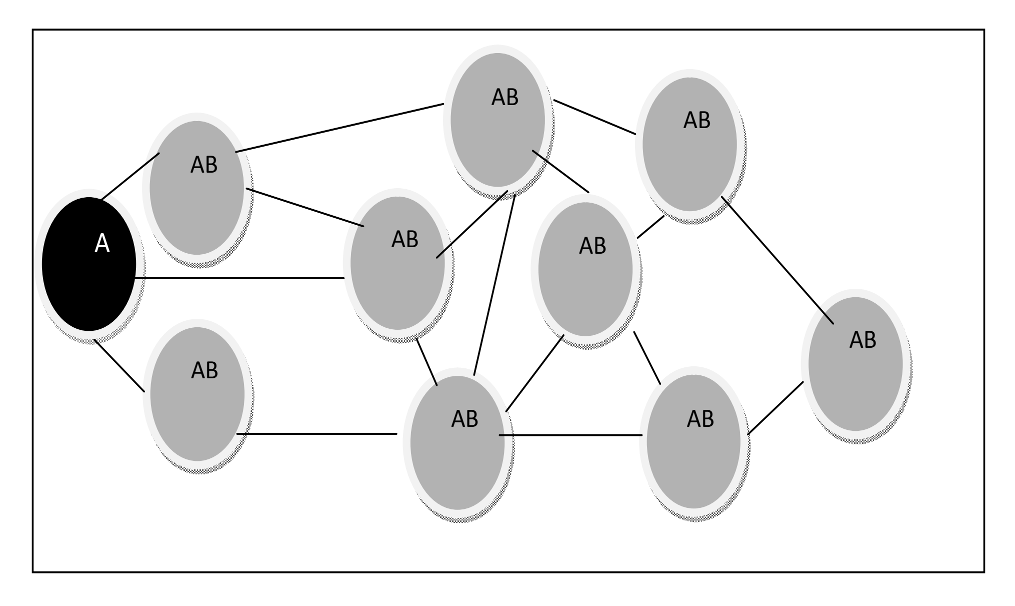
لكن مـع تطـور وسـائل الاتصـال أصـبح بالامكـان أن تمثـل وسـيلة الاتصـال الجماهيري كما موضح في الشكل رقم (11).



شكل رقم (11) يوضح الاتصال الجماهيري

الذي يوضح انتقال المضمون الاتصالي عبّر وسائل الاتصال مـن نقطـة مركزيـة (A) إلى نقاط فرعية (B) تمثل أفراد الجمهور.

لكن بعد ظهور الانترنت أخذ الاتصال الشكل الشبكي كما موضـح في الشـكل رقم (12).



شكل رقم (12) يمثل الاتصال الشبكي

إذ أن كـل نقطـة في الشـبكة يمكنهـا ارسـال المضـامين الاتصـالية واسـتقبلها فالمستخدم يمثل حالة الاستقبال والارسال ضمن عملية تفاعلية لـذلك فـأن العنصـر (A) يتفاعل مع العنصر (B) عند ارسال المضـامين الاتصـالية لينـتج المسـتخدم (AB) الذي يمثل مدمجاً اتصالياً تفاعليـاً داخـل الشـبكة الاتصـالية، بالاعتمـاد علـى (علاقـة نسـيجية) تقـوم علـى (التفاعـل الآنـي) الـذي يختـزل الزمـان والمكـان معتمـدا علـى تكنولوجيا الاتصال التي تبلور عناصر الاتصال بشـكل يصـعب التمييـز والفصـل بـين مكوناته،ان هذا التعريف يقوم على مجموعة من المفاهيم الخاصة بتكنولوجيـا الاتصـال الحديث الذي يقوم على مبدأ السرعة في نقل البيانـات والمعلومـات بـين افـراد المجتمـع الذي توفره شبكة الانترنت فنجد ان السرعة يترتـب عليهـا اختـزال في بعـدي الزمـان والمكـان وكلمـا كانـت السـرعة عاليـة يكـون هنـاك تلاصـق بـين مكونـات العمليـة الاتصالية.

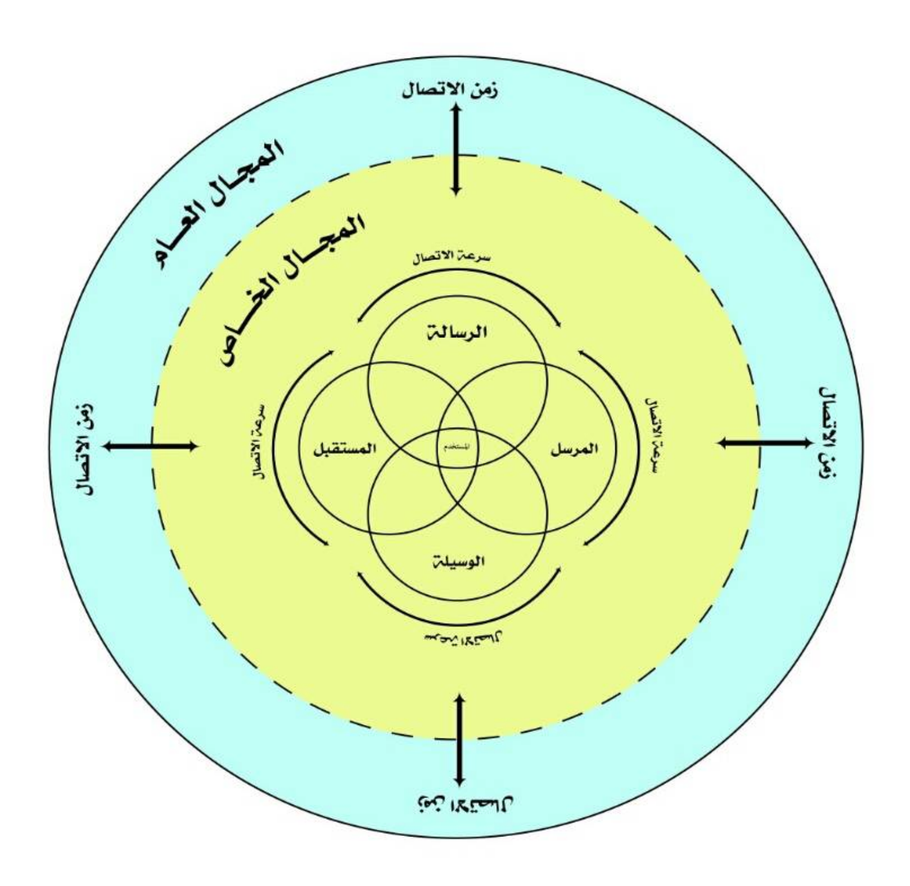
ثانياً : مكونات نموذج الاندماج الاتصالي

يتضمن النموذج الاتصالي ما يأتي:

1- المجال العام :

يفترض النموذج وجود مجال افتراضي انظر الشكل رقم (13). يمثل الحيز الذي يحصل فيه التفاعل بين عناصر العملية الاتصالية والذي ينتج عنه عملية الاندماج بين العناصر الاتصالية، وعلى وفق نموذج الاندماج الاتصالي، يمتاز المجال العامبما يأتي :

- **أ- بالمرونة:** ويقصد بها هنا القدرة على استيعاب التفاعلات الاتصالية جميعها التي تحصل في الشبكة الاتصالية، إذ يسمح للانشطة الاتصالية كلها أن تمارس دورها في هذا الحيز، ولكل عنصر في العملية الاتصالية القدرة على بناء شبكة اتصالية جديدة قد تكون بمعزل عن الشبكات الاخرى أو قد تتصل بها،على وفق الايديولوجيات التي تقوم عليها كل شبكة.
- **ب-التواصلية**: إن المجال العام يعتمدعلى تواصل المستخدمين فيما بينهم، فكل مستخدم يمثل وحدة بناء أساسية في هذا المجال، ونشاط المستخدمين المتمثل بالتواصل الدائم مع بعضهم، يسمح وبشكل دائم بتوسيع هذا المجال، وتطويره ليشمل نشاطات أخرى، بمعنى أخر إن المجال العام يقدم فرصاً للتواصل تسمح للمستخدمين تطوير أو ابتكار أفكار جديدة.



شكل رقم (١٣) للنموذج المقترح من قبل الباحث في ضوء دراسة للاندماج الاتصالي وتداخل عناصر العملية الاتصالية

ج-اللامركزية: لا يوجد محور مركزي أو ايديولوجية يتبناها المجال العام، لانه يتبنى النشاط العام للاستخدام، فهو لا يمثل ثقافة خاصة أو منهجاً خاصاً في التواصل، والحوارات بين المستخدمين. فقط يعتمد على ضوابط قانونية تعتمد على طبيعة الموقع الالكتروني ضمن الشبكة ونشاطه.

د-التشاركية: المجال العام يسمح للمستخدمين المشاركة بالافكار والحوارات، وبناء نسيج شبكي من الوصلات الاتصالية التي تربط العقد الاتصالية في الشبكة والتي تعتمد على درجة الاستخدام في الشبكة المعلوماتية ومستواه – الانترنت –إذ يتم

تشارك المعلومات والبيانات بعد أن يشترك كمستخدم في الموقع الالكتروني - فتح حساب – يعمل المستخدم على تكوين روابط مع مستخدمين آخرين، وبازديادالمستخدمين يزداد حجم المجال العام ويضم المجال العام العقد الاتصالية والروابط الاتصالية التي تمثل آصرة الكترونية تربط مستخدم مع مستخدم أخر وتمثل الهيكل الشبكي للمجال العام، وهي على نوعين :

1- **آصرة نشطة** : وهي أصرة الكترونية تكون بين مستخدم فاعل ومستخدم فاعل أخر في زمن اتصال واحد يحدث عبرها تبادل فوري للمعلومات، بمعنى أخر أن المستخدمين يكونان متواجدين على الخط –On Line-ويحصل اتصال بينهما.

2- **آصرة غير نشطة** : وهي آصرة الكترونية يقوم مستخدمببنائها لغرض تفاعلي، لكن عدم وجود مستخدم أخر على الشبكة، في الزمن نفسه يجعل من الآصرة غير نشطة وقد تُفّعل في أي زمن بمعنى إنها أحادية الاتجاه من طرف واحد ولا تكون نشطة إلا بوجود المستخدمان في الزمن نفسه، مثلاً، مستخدم يقوم بنشر موضوع أو فكرة معينة، ولا يحصل تفاعل معها بشكل مباشر – تعليق، أعجاب، مشاركة- ذلك يعني أن الاصرة غير نشطة، بعد أن يتفاعل المستخدمين مع المضمون تصبح نشطة. فوجود مستخدمين في الشبكة ليس بالضرورة أن يكونوا نشطين مع المضمون فلكي تكون الاصرة الالكترونية نشطة تتطلب تفاعلاً فورياً.

2-المجال الخاص :

وهو الحيز الخاص بالمستخدم، ويشتمل على أهتماماته جميعها والافكار والحوارات التي يرغب في طرحها، ويتأثر هذا المجال بمزاج المستخدم، ومدى قدرته على صياغة الافكار التي يتوقف عليها بناء علاقات مع مستخدمين أخرين، ويمتاز هذا المجال على وفق نموذج الاندماج الاتصالي بما يأتي :

أ-القدرة على النفاذ: إذ يمكن للمجال الخاص الانتقال إلى مجالات مختلفة والاطلاع على الافكار المطروحة عند مستخدمين أخرين، وطلب المشاركة معهم.

ب-الفضول : يمثل المجال الخاص ساحة واسعة لاشباع فضول المستخدم في المشاهدة والكتابة والتعليق، والتي تمكنه من زيادة قدرته على نشر مواضيع، كان المستخدم قد أطلع عليها وتأثر بها، وانعكس ذلك على مجاله الخاص.

ج-تنوع الاهتمامات : يمثل تنوع أهتمامات المستخدم محوراً اساساً في بناء أفكار جديدة، والنقد لأفكار أخرى وهذا بدوره يسمح بنطاق واسع من المشاركة، فطبيعة الفكر الانساني يتجه نحو توسيع أهتماماته وزيادة معارفه، وهذا بدوره يجعل مجاله الخاص نشطاً بشكل دائم.

د-الخيائلية : ربما الخيال هو ما يبحث عنه الإنسان أكثر من الحقيقة، ذلك أن التفاعلات المقرونة باللامعقول واللامحسوس تجذب الفرد الذي يعيش مجتمع العقل والحس والحساب بشكل أكبر([1]).

ه-الهوية الخفية : يستطيع المستخدم أن يبتكر شخصية إلكترونية افتراضية يستخدمها في مجتمعه الافتراضي عن طريق تقمص هوية خفية أو أسم مستعار في غرف الدردشة التي تكون ذات مضمون سياسي أو علمي أو رياضي([2]).

ثالثاً : زمن الاتصال

يعد مفهوم الزمن في العملية الاتصالية ذا أهمية كبيرة،وذلك لزيادة التبادل المعلوماتي عن طريق الاندماج الاتصالي الذي يحصل بين عناصر العملية الاتصالية على وفق زيادة في سرعة الاتصال،ويمثل الزمن أيضاً العامل المهم في اندماج المجال العام ضمن المجال الخاص للمستخدم، فالزمن في المجال العام هو زمن المجال الخاص للمستخدم، بمعنى أن زمن الاستخدام الذي هو زمن الاندماج الاتصالي يمثل زمن المجال العام،إذ يقسم الزمن على :

1-الزمن كقياس : ويتعلق بالامور الحسابية في قياس مدة الاتصال وما يترتب عليها من جواب تتعلق في سير العملية الاتصالية، والزمن على وفق هذا المفهوم

([1]) نديم منصور ، مصدر سابق ، ص 24.

([2]) نديم منصور ، مصدر سابق ، ص 25.

القياسي يعتمد على سرعة الاتصال للموقع أو الشبكة أو المستخدم، ويظهر الزمن في كثير من المواقع الاجتماعية على شكل ساعة وتاريخ، يستفيد منها المستخدم في معرفة زمن الاتصال وكل ما يتعلق بالمنشورات.

2-**الزمن المعنوي** : بمعنى التقدير الفكري والذهني للزمن، أنطلاقاً من أنّ الزمن يحمل تبعات في ذهن المستخدم، فهو يعرف مقدار الحاجة للزمن والمخصص منه للحوار، وله تبعات تتمثل في الشعور بالممل بسبب قضاء زمن طويل في استخدام الموقع الالكتروني، وهذا المفهوم المعنوي للزمن هو ما يركز عليه نموذج الاندماج الاتصالي.

رابعاً : سرعة الاتصال

تمثل التقنية جوهر عملية الاندماج الاتصالي، فنموذج الاندماج الاتصالي يقوم بالاساس على مفهوم السرعة، فلكي يحصل التداخل بين عناصر العملية الاتصالية يجب أن تكون هناك زيادة كبيرة في سرعة الاتصال بشكل عام وسرعة كل عنصر اتصالي بشكل خاص، لذلك فإن مفهوم السرعة في على وفق نموذج الاندماج الاتصالي ينطلق من إتجاهين هما :

أ- **السرعة العامة** : وهي سرعة الاتصال بشكل عام وتتوقف على نوع الاتصال بشبكة الانترنت – اتصال سلكي أو اتصال لاسلكي- إذ تتوقف سرعة الاتصال وتواصل المستخدم عليه.

ب- **السرعة الخاصة:** وتمثل سرعة الشبكة الاجتماعية التي يشترك فيها المستخدم ويقوم بأستخدامها، فبعض الشبكات تكون ضعيفة السرعة مما لا تسمح للمستخدم بالتواصل بشكل جيد،ويعود ذلك لمجموعة من الاسباب تخص نوع الشبكة الاجتماعية مثال ذلك الزخم الاتصالي،وعدم وجود خدمات اتصالية للموقع تسهل التواصل،وافتقار الموقع الالكتروني للصيانة والمتابعة من اصحابه.

وبفضل تكنولوجيا الاتصال الفائق السرعة ستبلغ سرعة الاتصال عام 2026م مستويات يصعب تصورها، وسيتيح هذا النوع من السرعة الاتصالية فوائد اقتصادية

عديدة في الوسط المهني، في حين يكون تأثير ذلك أقل على مستوى الأفراد. أن سرعة نقل المعلومات وإمكانية توفير الاحتياجات في أي وقت ستجعلان الكون صغير جداً، ومع ذلك فمع تنامي سرعة الاتصال تظهر مشاكل عديدة منها ما يتعلق بالجانب الشخصي للمستخدم ومنها ما يتعلق بالجانب العام المتمثل بالمجتمع، فلا يمكن توفير الخدمات جميعها ذات المعلومات الكثيفة في الهاتف النقال التي سيتضاعف استخدامها في المستقبل. ثم أن الطلب على أستهلاك الشبكات أو الموجات العريضة (Larges bandes) لا يمكن إشباعه ([1]). فكل زيادة في نوع التقنية يتطلب زيادة في سرعة الاستخدام وسرعة التقنية، فمثلاً تحميل بعض الالعاب من مخزن Apple يتطلب تزامناً بين سرعة وصول المستخدم للمنتج وسرعة تحميله، وذلك يعتمد على سرعة أدراك المستخدم نوع التقنية المستخدمة مثل اللغة واسم المنتج، وكيفية الوصول له،أمّا تحميل المنتج فيحتاج إلى نوع من السرعة يتبع نوع الجهاز المستخدم سواء كان هاتف ذكي أو حاسوباً أو جهازاً أخر والجهة المنتجة له التي تهدف في كل منتوج إلى تطوير بعض الاجزاء في المنتج الخاصة بمعالجة المعلومات،فضلا عن ذلك فإن الجهاز المستخدم يضم سعة تخزين هي الاخرى تؤثر في سرعة التحميل للمنتج. لذلك فإن مبدأ السرعة على وفق النموذج يعتمد على مجموعة من العوامل تتعلق بكل عنصر في عملية الاتصال ويتطلب أن يكون هناك تزامناً في السرعة الاتصالية لكل عناصر العملية الاتصالية لكي يحصل الاندماج الاتصالي.

خامساً : المرسل

يمثل الجهة أو الشخص الذي يقوم بنقل المعلومات سواء كانت هذه المعلومات أفكاراً خاصة به أو لأفراد أخرين في المجتمع، ويمتاز المرسل في الإعلام الجديد عنه في الإعلام التقليدي بمجموعة من الصفات من أهمها:

([1]) فيصل دليو ، التكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال ، (عمان ، دار الثقافة ، 2010) ، ص 175-176.

أ-التكتيك : ويقصد به الإمكانات العقلية جميعها التي يمتلكها المرسل ويمكن أستخدامها للوصول إلى المعلومات في الشبكة الاتصالية الإنترنت، أي القدرة على التعامل مع التقنية على وفق مراحلها، فيتطلب الوصول إلى معلومة في الشبكة تكنيكاً معيناًوذلك بأتباع مراحل من الخطوات المرتبة والمنظمة بشكل دقيق، فلا يمكن تقديم خطوة على خطوة أخرى،ومثال ذلك لا يمكن فتح صفحة في موقع ألكتروني قبل كتابة أسم الموقع بشكل صحيح.

ب-المهارات: هي القدرات جميعها التي أكتسبها المرسل في إرسال المعلومات واستقبالها في الشبكة وتتضمن استخدام الادوات الالكترونية وتوظيفها بشكل يسمح له بتقديم مضامين جديدة مثال ذلك مهارات التصوير المتضمنه التعامل مع الصورة والنص المكتوب ودمج الصورة والنص على وفق برامج ذكية محملة على أجهزة الهاتف الذكي مثلاً.وأضافة تقنية مونتاج الافلام وتقطيع الصورة ودمج مقاطع الصوت مع الفيديو.

ج- التواصل : وهي قدرة المرسل على بناء علاقات مع عناصر الاتصال بشكل يعطي هذه العلاقات المتبادلة شكل النسيج، والتي تسمح له بحرية أكبر في تبادل المعلومات داخل الشبكة والوصول إلى ما يريده بشكل سريع وسهل، وإن التواصل ينبع من رغبة المرسل في التعامل مع منتجات الشبكة الاتصالية – كل ما يظهر بشكل جديد في الشبكة- فالتواصل يعبر عن نقاط الاشتراك بين عناصر العملية الاتصالية وهي نقطة مشتركة عند كل عناصر الاتصال لتضمن شكلاً من الاندماج الاتصالي.

سادساً: المستقبِل

يمثل الجهة – فرداً أو مؤسسة- التي تستقبل المعلومات والبيانات من المرسل، وهي لا تمثل في الإعلام الجديد الجهة المقصودة بالاتصال، فالمرسل نفسه قد يكون معنياً بالرسالة،لذلك فالمستقبل هنا يمثل حالة التشارك في المضمون الاتصالي وليس القصدية بالمضمون، بمعنى أن المستقبل ينتقل وبشكل مستمر من حالة الاستقبال إلى حالة الارسال، لذلك فإن مضمونه الاتصالي يمثل قصدية مشتركة، فالمرسل هو

مضمون المستقبل والعكس صحيح، والسبب يكمن أن الهدف من الاتصال هو التواصل الاجتماعي والمعرفي وليس التأثير، وفي الإعلام التقليدي إلى تحقيق التأثير بالمستقبل لانه يمثل هدف الاتصال، فالهدف عند المستقبل في الإعلام الجديد هي التشاركية، فلا توجد قصدية في الاتصال. ومثال ذلك فإن الإعلام التقليدي يستوجب على المرسل أن يعرف جيداً جمهوره المقصود بالرسالة ويجب على المتلقي فهم معاني الرسائل وما تحمله من مضامين ودلالات يتوجب عليه أن يقوم بعملية فك شفرتها/رموزها، ويطلق على هذه العملية التفكيكية فك الشيفرة وهي عملية ليست سهلة تتطلب عوامل إدراكية ونفسية وثقافية كثيرة حتى تتم بشكل كبير، إذ لا بد للمستقبل من معرفة تامة بالنظام الرمزي الذي يستخدمه المرسل سواء أكان هذا النظام لغوياً أم غير لغوي([1]).

سابعاً : المحتوى التواصلي الشبكي

هوالمضمون الاتصاليالذي ينتقل في الشبكة الاتصالية ويتفاعل مع عناصر العملية الاتصالية، ويكون على شكل كلمات أو جمل أو روابط الكترونية أو مقاطع فيديو أو صور يجري التعليق عليها أو إبداء الاعجاب بها لذلك فهو دائم التغيير، سبب ذلك إلى أنه لا ينتقل إلى جهة واحدة فقط بل ينتقل عبّر الشبكة إلى جهات عديدة وغير محددة،وهناك مجموعة من السمات يمتاز بها المحتوى الاتصالي الشبكي هي:

1- **الإثارة** : قابلية المحتوى الاتصالي الشبكي على استقطاب عدد كبير من المستخدمينلبناء روابط اتصالية تفاعلية.

2- **الفاعلية والتغير** : المحتوى الاتصالي الشبكييتغير من شكل إلى أخر وذلك يتبع مستوى تفاعل المستخدمين معه، فقد يحظى محتوى اتصالي معين بالنقاش والحوار والتعليق والاعجاب، وينتقل من مستوى إلى أخر فالتفاعل مع المحتوى الاتصالي يسمح بفرص كبيرة للتعديل فيه -أضافة أو حذف- وقد تتضمن

([1]) حلمي ساري ، التواصل الاجتماعي ، مصدر سابق ، ص ، 36.

الاضافة رأي المستخدمين. ويمكن للمستخدم تعديل المحتوى الاتصالي الخاص به في أي وقت مما يكسبه المرونة العالية، في النقل أو الاضافة أو الحذف إذا كان المحتوى صورة أو فلماًأو نصاً،ويمكن نسخه لاستخدامه في مكان أخر في الشبكة.

3- **سرعة الوصول** : تربط اغلب المواقع داخل الشبكة المعلوماتية بموقع البريد الالكتروني Email ويتم عن طريقها إشعار المستخدم بالرسائل أو الإشعارات أو طلبات الصداقة عن طريق رسالة نصية يمكنهاعن طريقها الدخول الى الموقع عن طريق الرابط الخاص بهذا الغرض، وبذلك يتيح فرص سرعة الوصول والتواصل مع كل جديد داخل الموقع.

4-**المحدودية** : لا يسمح الموقع بإرسال محتوى اتصالي كبير الحجم فهو يحدد المحتوى ضمن ضوابط خاصة تحدد أخلاقيات النشر الالكتروني، ويتم إشراك المستخدمين عن طريق التبليغ عن المخالفات، التي لا يسمح بها الموقع وفق قوانينه التي ترمي إلى التواصل الاجتماعي، وإن اغلب مواقع التواصل الاجتماعي تعتمد على عملية الربط الشبكي بالمواقع الالكترونية الاخرى، وسبب ذلك تقني يتعلق بمساحة النشر الخاصة بالمستخدم، ولكي يوفر الموقع الاجتماعي أفضل خدمة للمستخدم يتم التعامل مع مواقع الكترونية، تحمل صفات مشتركة – ضغط المادة الفلمية – لتكون ضمن حيز محدود يمكن للموقع استيعابه، مثل الربط بين موقع الفيسبوك وموقع يوتيوب،ويسمح بفرص كبيرة لنشر مضامين بشكل سريع، أما فيما يخص المضامين الاتصالية التي ينشرها وينتجها المستخدم فيسمح الموقع بمساحة خاصة للنشر، والافضل أن يتم نشر المادة الفلمية بشكل خاص والتي تحتاج إلى مساحة نشر كبيرة في موقع يوتيوب أولاً ثم أشراكها في موقع فيسبوك ثانياً. إن تحديد المساحة الخاصة بالمشاركة تفسح المجال لعدد كبير من المشتركين من استخدام الموقع وتساعد إطراف عملية الاتصال أيضاً على التبادل المرن والفهم الواضح للمحتوى.

ثامناً : مواقع التواصل الشبكي

هي مواقع الكترونية ضمن شبكة الإنترنت تتيح التواصل وتبادل للمعلومات والبيانات بين المستخدمين، وتمثل قناة التواصل الشبكي للمضامين الاتصالية، ومعظم مواقع التواصل الشبكي هي مواقع ويب ذات طابع اجتماعي، تقدم مجموعة من الخدمات للمستخدمين مثل المحادثة الفورية والرسائل الخاصة، والفيديو والصور، والتدوين ومشاركة الملفات وغيرها من الخدمات وتنقسم بحسب الاغراض؛ فهناك شبكات تجمع أصدقاء الدراسة، وأخرى تجمع أصدقاء العمل، فضلا عن شبكات التدوينات المصغرة، وإن من أهم مميزات هذه المواقع انها قابلة للتجديد والتطوير بشكل مستمر، والمستخدمون انفسهم يشاركون في تطوير الموقع،وهي تمثل مجالاً لتبادل الذكريات والمناسبات، وتسمح هذه المواقع ببناء رؤية جديدة للمستقبل، وهذه المواقع التواصلية تسهم في إعادة تشكيل الهوية([1]).وتعمل مواقع التواصل الشبكي مثل مواقع التواصل الاجتماعي على بناء النسيج الاجتماعي الشبكي المتمثل بالروابط الاتصالية بين المستخدمين عن طريق العلاقات الاجتماعية، التي تعدُّ المحور الاساس الذي تقام عليها الشبكات الاجتماعية، وإن عمل هذه المواقع يعتمد على درجة الاندماج التي تحققها مع باقي عناصر العملية الاتصالية، والتي تعتمد على مجموعة من العوامل التي توفرها شبكة الانترنت، فهناك بعض المواقع التي تمتاز بمقومات تكسبها سرعة أنتشار واسعة، منها نوع العلاقات التي تهتم ببنائها، ونطاق الخصوصية التي توفرها، وحجم المضامين المسموح نشرها والتعامل معها،ومن هنا يحصل التمييز بين المواقع الالكترونية في الشبكة، وهذا بدوره يوفر فرصاً كبيرة للمنافسة، ولفهم كيف يحصل الاندماج الاتصالي في مواقع الاتصال الشبكي،إذ يجب أولاً فهم طبيعة عمل الموقع الالكتروني، فكل موقع في الشبكة يتعامل مع نظام الكتروني من معالجة المعلومات والبيانات، وهذا النظام يعمل على وفق سرعة معينة، ولكن مع زيادة الاستخدام للموقع يحصل ضغط كبير على الموقع، عندها يحتاج الموقع إلى آلية خاصة

([1]) Jess Rice , " The church of facebook: how the hyperconnected are redefining community" , (2009). Colorado , USA, PP 215-216.

للتطوير لكي تحقق سرعاً اكبر تنسجم والتغيير الحاصل في زيادة حجم الاستخدام، ومع كل تطور في السرعة يحصل اختزال في الزمن الاتصالي، وذلك بسبب حصول الاندماج الاتصالي بشكل أسرع وبكفاءة عالية، بمعنى أن تطوير نظام معالجة المعلومات في الموقع الالكتروني توجب تطوير عناصر الاتصال الاخرى، فيقوم المرسل والمستقبل بتطوير نظام – تحديث- الاجهزة مثل الحاسوب أو الهواتف الذكية، الذي يؤدي بدوره إلى تطوير المضمون الشبكي. عندها يحصل نوع من التزامن التقني بين عناصر العملية الاتصالية التي بدورها تحقق الاندماج الاتصالي، الذي هو نتيجة تكامل في نظم الاتصال وعناصر الاتصال.

تاسعاً : المستخدم

يمثل المستخدم النتاج الاساس لعملية اندماج عناصر العملية الاتصالية، الرئيسة والثانوية منها، فكما هو مبّين في الشكل رقم (13) الذي يوضح الاندماج الاتصالي في الإعلام الجديد، فإن المستخدم يقع في منطقة التقاطع بين عناصر العملية الاتصالية الاساسية، ويحمل صفات عناصر العملية الاتصالية جميعها، وتزداد مساحة منطقة المستخدم كلما كان الاندماج الاتصالي كبيراً وذلك يعتمد كما ذكرنا سابقاً على تطوير نظام معالجة المعلومات في الشبكة، والذي يوفر فرصاً أكبر للاستخدام، بمعنى إن زيادة الاستخدام تتوقف على زيادة منطقة الاستخدام التي تعتمد بدورها على حجم الاندماج الاتصالي، والذي قد يصل إلى أعلى مستوى له بحيث يصعب جداً تمييز عناصر العملية الاتصالية، وذلك عندما تصل سرعة الاتصال إلى مدى عالٍ في معالجة البيانات. ويمثل المستخدم شكلاً خاصاً من الاتصال لما يحمله من سمات تميزه عن كل عنصر من عناصر الاتصال، وكما يرى ثومبسون* John.B.Thompson : " أن هناك فصل واضح في نظام الاتصال الجماهيري – وسائل الإعلام التقليدية – من حيث عناصر عملية الاتصال فهي مكونات منعزلة ولا توجد روابط تجمعها كما هو

* جون ثومبسون:عالم اجتماع في جامعة كامبريدج وزميل كلية يسوع، كامبردج وله بحوث في مجال الانترنت . انظر الموقع الالكتروني : http://www.polity.co.uk/book.asp

الحال في مواقع شبكة الإنترنت فهناك التقاء وتشارك بين عناصر العملية الاتصالية وربما الاتصال ضمن شبكة الإنترنت هو اقرب إلى الاتصال الشخصي-وجها لوجه- من ناحية الحميمية" ([1]).والسؤال الذي يطرح هنا هو: لماذا في بعض المواقع الالكترونية لا نجد المستخدم بل نجد المستقبل والمرسل بشكل أوضح ؟ وللاجابة عن هذا السؤال ؟ يجب التمييز بين نوعين من المواقع الالكترونية في الشبكة هما : مواقع التعرض ومواقع الاستخدام. أما مواقع التعرض فتشمل المواقع الالكترونية جميعها التي مازالت تعمل وفق نظام الإعلام التقليدي والتي إفادت من شبكة الانترنت لعرض مضامينها الاتصالية على الجمهور لزيادة شعبيتها ولكي تواكب التطور التقني، فأغلب القنوات الفضائية والصحف المهمة والاذاعات المحلية والدولية، تضع روابط لها في شبكة الانترنت، وقد تعتمد نظام المشاركة في الاتصال مع الجمهور عن طريق المشاركة المقننة – تحت السيطرة والمراقبة- في مسعى منها للبقاء في صدارة المشهد الإعلامي وفي وهذا النوع من الاتصال لا يحصل مفهوم الاندماج الاتصالي لان نظام الاتصال قائم على مفهوم العرض والتلقي، لذلك هو بحاجة إلى نظام إرسال وأستقبال وليس بحاجة إلى نظام أستخدام. أما النوع الاخر من المواقع الالكترونية،فهي مواقع الاستخدام وتضم مواقع التواصل الاجتماعي جميعها، مثل فيسبوك وتويتر ويوتيوب،وماي سبيس، وغيرها.. والتي يقوم المستخدم بأدارتها وتطويرها إذ تكون بعيدة عن رقابة السلطة وسيطرتها ولا تتبنى ايديولوجيا معينة.

ويرى الباحث إن المستخدم يمتاز بمجموعة من الخصائص تسمح ضمن الفضاء الافتراضي هي :

أ-**الأسم الافتراضي**:لكل مستخدم أسم افتراضي يميزه عن غيره مثله في ذلك مثل الفرد في الواقع المادي وقد يحمل أسمه التقليدي نفسه وعادة مايشتق أسم المستخدم الافتراضي من الغرض الذي أنشئ من أجله أو الصفات المحببة لديه،

([1]) James Slevil , " The Internet and Society " , (2003). Blackwell Publishing ,USA, PP 73-74.

وهو في الحقيقة يمثل رغبة نفسية عند المستخدم باختيار أسم له يمثل ميوله ورغباته.

ب-**الانتماء للفضاء الافتراضي**: يمثل الفضاء الافتراضي للمستخدم وطناً جديداً ينتمي له، وذلك الانتماءيرجع لمجموعة من العوامل، منها نفسية ومنها اجتماعية وسياسية، فالمستخدم في الشبكة ينتقل في خياله ضمن هذا الوطن ومع مرور الوقت تتطور هذه العلاقة لتصبح انتماء له، فهو يكتشف الاصدقاء عن طريقه ويتسوق عن طريق الدفع الالكتروني *، وربما تتغير حالته الاجتماعية، و كما أن هذا الاحساس بالانتماء يجعل المستخدم يدافع عنه، فالكثير مما يعرف بالحروب الالكترونية * فالمستخدم يستطيع أن يكون مايشاء في هذا الفضاء الافتراضي ويقوم بما يشاء فيه، خيراً كان أو شراً، لذلك تتباين أهداف من ينتمون إلى هذا الفضاء الافتراضي ونياتهم وأفعالهم، فكل مستخدم ينتمي له وهو يمتلك حلماً يراوده في الحياة الواقعية ولكن لسبب ما لا يستطيع أن يحققه، فلذلك يلجأ إلى الفضاء الافتراضي في الإنترنت لينفذ رغباته ويشبع نزواته.

ج- **تعزيز الثقة** : إن جوهر مواقع التواصل الاجتماعي هو الثقة، والتي يترتب عليها نشر جزء كبير من خصوصية المستخدم إلى مجتمع يحدده المستخدم، ولم تكن لهذه الخصوصية أن تظهر لولا مواقع التواصل الاجتماعي بشكل خاص، وهي

---

*الدفع الالكتروني : هو مصطلح لتوصيف أنظمة تسهيل عملية نقل القيمة المالية مثل العملة الورقية والعملة الالكترونية . انظر : خضر درّة ، الجرائم المالية في الفضاء الإلكتروني ، (بيروت ، شركة المطبوعات والنشر، 2013) ، ص 19.

* الحروب الالكترونية : تعني إحدى عمليات الاختراق التي تتمعبر الوسائل التكنولوجية المختلفة ومنها شبكة الإنترنت، هذا الاختراق يتم لشبكات داخلية لدول أو لمؤسسات أخرى بهدف تعطيل عمل وحدات بعينها من هذه الشبكات كما يحدث في الجيوش أواختراق حواسيب معينة للحصول على معلومات منها أو التشويش على أجهزة هجومية إلكترونية باستخدام أجهزة مضادة يتم هذا بالتحايل على أنظمة المعالجة الآلية لكشف البيانات الحساسة وتغييرها أو التأثير عليها أو حتى إتلافها تمامًا. أنظر : الموقع الالكتروني : https://www.noonpost.net/

بذلك تعزز الثقة عند المستخدم بوجود عالم جيد غير ذلك الذي يعيشه، والـذي ربما يكون غير مقتنع به، هـذه الثقـة تنطلـق مـن مجـال ضـيق والمتمثـل بحـدود المستخدم لتصبح ذات تشعبات كـبيرة بـالمجتمع، فالثقـة الـتي يمنحهـا المسـتخدم تعود بالمقابل بثقة مستخدمين أخرين يتشاركون معـه في المضـامين الاتصـالية في الموقع.

د- **الخصوصية**: تمثل خصوصية المستخدم إحدى أهم سماته في الفضاء الافتراضـي، وتشمل المعلومات جميعها الخاصة بالمستخدم، والخصوصية لا تعني هنـا حجـب المسـتخدم نفسـه عـن المجتمـع فعمليـة الانـدماج الاتصـالي تكسـب المسـتخدم مجموعة من الصفات المشتركة من عناصر الاتصال والتي يجـب تنظيمهـا ضـمن أطار خاص يعود بالنفع للمستخدم، فهناك بيانـات التسـجيل – رقـم الهـاتف، البريد الالكتروني، كلمة المرور- وهي معلومـات سـرية يحـتفظ بهـا المسـتخدم لنفسه يتم عن طريقها الدخول إلى الموقع الالكتروني والخـروج منه،فضـلا عـن انها تسـتخدم في معرفـة المسـتخدم عنـد محاولـة اخـتراق موقـع المسـتخدم مـن مستخدمين أخرين، وهناك معلومات تتعلق بالنشر منهـا نطـاق النشـر وتشـمل المستخدمين الذين لهم الحق بالاطلاع على معلوماته وما ينشره، وحـق التعليـق والاشارة - صور، مقطع فيديو، نص مكتـوب- فعمليـة الانـدماج الاتصـالي تسمح بعملية دمج المجال العام بالمجال الخاص للمسـتخدم إذ تـوفر فرصـاً لبنـاء علاقات اجتماعية وتطويرها عن طريق فتح فرص للاطلاع علـى المسـتخدم في جوانبه جميعها مثلاً (بما يفكر؟ بماذا يحب؟ كيـف يـرى الحيـاة؟ مـاهي وجهـات نظره بالمشاكل من حوله ؟ حـالات الفـرح وحـالات الحـزن، وأمـور اخـرى)، لذلك فإن جزءاً كبيراً من مفهوم الخصوصية يقـع ضـمن نطـاق تقـديم الـذات للمجتمع، والـذي لم يسـتطع الإعـلام التقليـدي ان يحققهـا بسـبب الانفصـال الواضح بين عناصره الاتصـالية، واحتفـاظ كـل منهـا بخصوصـيته بمعـزل عـن الاخر. لذلك فالخصوصية تبقى أمراً شديد المراوغـة، بحسـب رأي البروفيسـور آلان ويستن الذي يعرف الخصوصية أنها "مطالبـة مـن أفـراد أو مجموعـات، أو

مؤسسات، بحق أن يقرروا بأنفسهم متى، وكيف، وإلى أي مدى يتم توصيل المعلومات المتعلقة بهم إلى الآخرين " ([1]).

ه- الحميمية : تمر العلاقات بين المستخدمين بمراحل قبل أن تتبلور وتتشكل ويمكن تلخيصها بالمراحل الآتية:

المرحلة الاولى : التعارف (Initiating)

هي المرحلة التي تجمع المستخدم بالاخرين لأول مرة في مكان ضمن الفضاء الافتراضي وزمان محددين؛ فينجذب المستخدم إلى بعض الأفراد دون سواهم أما بسبب مظهرهم الخارجي – الصورة التي يقدم نفسه بها في الموقع – أو معرفة مسبقة به، أو المضامين التي ينشرها والتي تتضمن الأراء والافكار والنقد في بعض الاحيان للظواهر في المجتمع. فيقترب منهم ويتبادل معهم أحاديث عامة غير محددة، وهذه المرحلة أساسية ومهمة في تقريرمستقبل العلاقة بين المستخدمين، فأما أن تتوقف، وأما أن تتطور وتنتقل إلى مستوى أعلى من الود والحميمية والتجاذب، أي إلى المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية : استكشاف الأخر(Experimenting)

في هذه المرحلة يحاول كل من أطراف العلاقة الاقتراب أكثر من الآخر، لاستكشاف بعض الأمور المشتركة، والاتجاهات المتوافقة والميول والهوايات والأنشطة المتشابهة بينهما لتعميق فرص توطيد هذه العلاقة، ومع ذلك يبقى مجال الاختبار والاكتشاف والتجريبضمن بعده العام دون الدخول في الشؤون الذاتية الخاصة لكل مستخدم، مثال عنها: علاقة الجيرة، وصداقات العمل والدراسة.

المرحلة الثالثة : تعميق الاستكشاف وتكثيفه(Intensifying)

يزداد اكتشاف الآخر في هذه المرحلة ويبدأ بالتعمق أكثر فأكثر. فبعد أن كانت العلاقة في المرحلتين السابقتين تحوم حول العموميات، وبعض الامور المشتركة تصبح في هذه المرحلة أكثر غوصاً في الخصوصيات بحثاً عن المشترك الذي سيقوي بينهما

([1]) ريموند واكس ، الخصوصية ، ترجمة : ياسر حسن ، (القاهرة ، دار كلمات ، 2013) ، ص 56.

ويعمل على تطورها. إذ يبدأ أحد اطراف العلاقة أو كلاهما بالإفصاح أو البوح طواعية للآخر عن الاتجاهات والميولوالمعلوماتالتي كان يخفيها كل منهما عن الآخر، وتبدأ العلاقة تقترب شيئاً فشيئاً من الحميمية والود، وتبتعد تدريجيا عن الرسمية والمجاملات، وهنا يتم الانتقال من المجال العام إلى المجال الخاص، وتنتقل الحوارات في هذه المرحلة إلى غرف الدردشة، والتي تكون أكثر خصوصية وقد يتم إشراك عدد من المستخدمين في مضمون معين،ولاسيما عندما تكون المضامين تمتاز بالاهمية والسرية وربما الخطوره، وهذه المرحلة تمثل محكاً للمصداقية في جدية العلاقة والمعلومات المتداولة. وقد تحافظ على هذا المستوى أو قد تنتقل إلى المرحلة الأخرى.

المرحلة الرابعة: الاندماج(Integrating)

تتقدم العلاقة في هذه المرحلة وتتطور في الافكار والمشاعر بين المستخدمين إلى الحد الذي يسمح لكل مستخدم بالبوح بشكل أعمق عمّا في نفسه للآخر، أي التوافق والانسجام في هذه المرحلة بلغ حداً متطوراً يسمح للمستخدمين بأن يكونوا متميزين ومتوحدين في الافكار والقرارات التي يتخذونها، وتصبح لغة الحوار والتواصل في هذه المرحلة غير رسمية بشكلٍ من الاشكال، فالضمير "أنا" يغيب في هذه المرحلة ويتم استبداله بضمير يعكس مدى الانسجام والحميمية بينهما وهو ضمير " نحن" تمثل مرحلة الاندماج بين المستخدمين جوهر عملية الاندماج الاتصالي إذ يقترب كل مستخدم من المستخدم الاخر بشكل يحصل بينهما شبه تطابق.

ثالثاً: وظائف نموذج الاندماج الاتصالي

يقدم نموذج الاندماج الاتصالي طائفة من الوظائف وهي كما يأتي:

1- يقدم تفسيراً جديداً لطبيعة العلاقة بين عناصر العملية الاتصالية القائمة على مفهوم الاندماج الاتصالي.

2-يقدم مفهوم المستخدم لأنه نتاج عملية الإندماج الاتصالي.

3-يقدم تصوراً للعلاقة بين سرعة الاتصال والزمن من حيث أختزال الوقت وتقليص المسافات.

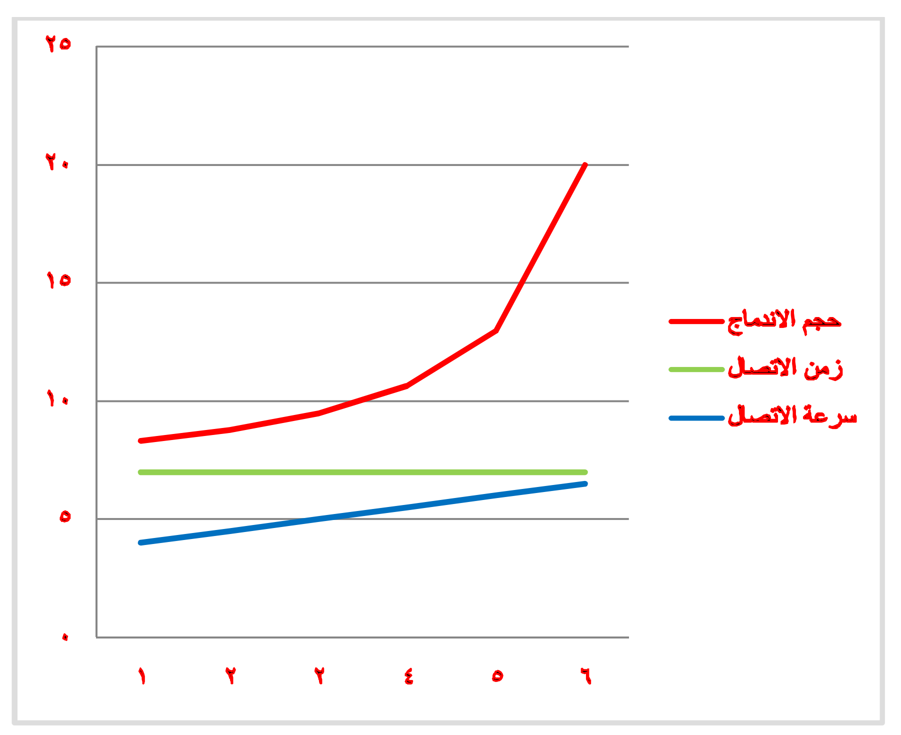
4-يقدم تفسيراً للعلاقة بين مفهوم المجال العام والمجال الخاص وطبيعة العلاقة بينهما.

5-يعطي فهماً جديداً للإعلام الجديد على وفق طبيعة عمل مواقع التواصل الاجتماعي التي تمثل شكلاً جديداً للإعلام يختلف عن الإعلام التقليدي.

نموذج الاندماج الاتصالي يقدم تصوراً علمياً لطبيعة العلاقة الاتصالية بين عناصر الاتصال، وكما هو معروف فإن إتجاه العملية الاتصالية كان مقبولاً على وفق النسق الخطي والدائري في وسائل الاتصال التقليدية لكن مع ظهور الإنترنت،ظهر نسق جديد من الاتصال ولاسيمامع ظهورمواقع التواصل الاجتماعي، إذ إن الاندماج الاتصالي لا يلغي دور عناصر الاتصال بل هو يعيد صياغة العلاقة بينها بالشكل الذي يكون مقبولاً في أطار اتصال شبكي قائم على مفاهيم المستخدم وليس التعرض والمشاهدة،إن الاندماج الاتصالي وكما هو موضح في الشكل رقم (13). يحصل في ظروف تكون فيها سرعة الاتصال عالية جداً، بفعل تطور تقنية الاتصال وتكنولوجيا المعلومات، والذي بدوره يحدث تأثيراً على عملية الاتصال، لذلك يمكن القول إن الاتصال انتقل على وفق الزيادة الفائقة في سرعة الاتصال من نسقه خطي إلى النسق الدائري ثم إلى النسق الشبكي للاتصال، هذا النموذج يقدم المستخدم نتيجة عملية الاندماج الاتصالي، حيث يتوقف فاعلية المستخدم على حجم الاندماج الاتصالي، وهنا يمكن التمييز بين نوعين من الاندماج الاتصالي ينتج عنهما نوعان من المستخدمين هما :

1-اندماج اتصالي كلي : يحصل هذا النوع من الاندماج بين عناصر العملية الاتصالية ضمن الفضاء الافتراضي، عندما يكون مستوى التوافق بين عنصرا الزمن والسرعة عالياً جداً، أنظر الشكل رقم (14). فكلما كانت سرعة الاتصال عالية كان الزمن الاتصالي قليل وكان حجم الاندماج الاتصالي كبير، بحيث يصعب التمييز بين عناصر العملية الاتصالية، ويكون هنا حجم المستخدم كلي، بمعنى أنه يمثل كل عنصر من عناصر الاتصال بشكل كامل، انظر المخطط البياني رقم (2).

2-اندماج اتصالي جزئي: يحصل عندما يكون مستوى التوافق بين عنصرا الزمن والسرعة واطىء، بحيث يمكن تمييز عناصر العملية الاتصالية. أنظر شكل رقم (15).



مخطط بياني رقم (2) يوضح علاقة زيادة سرعة الاتصال بحجم الاندماج الاتصال في الإنترنت

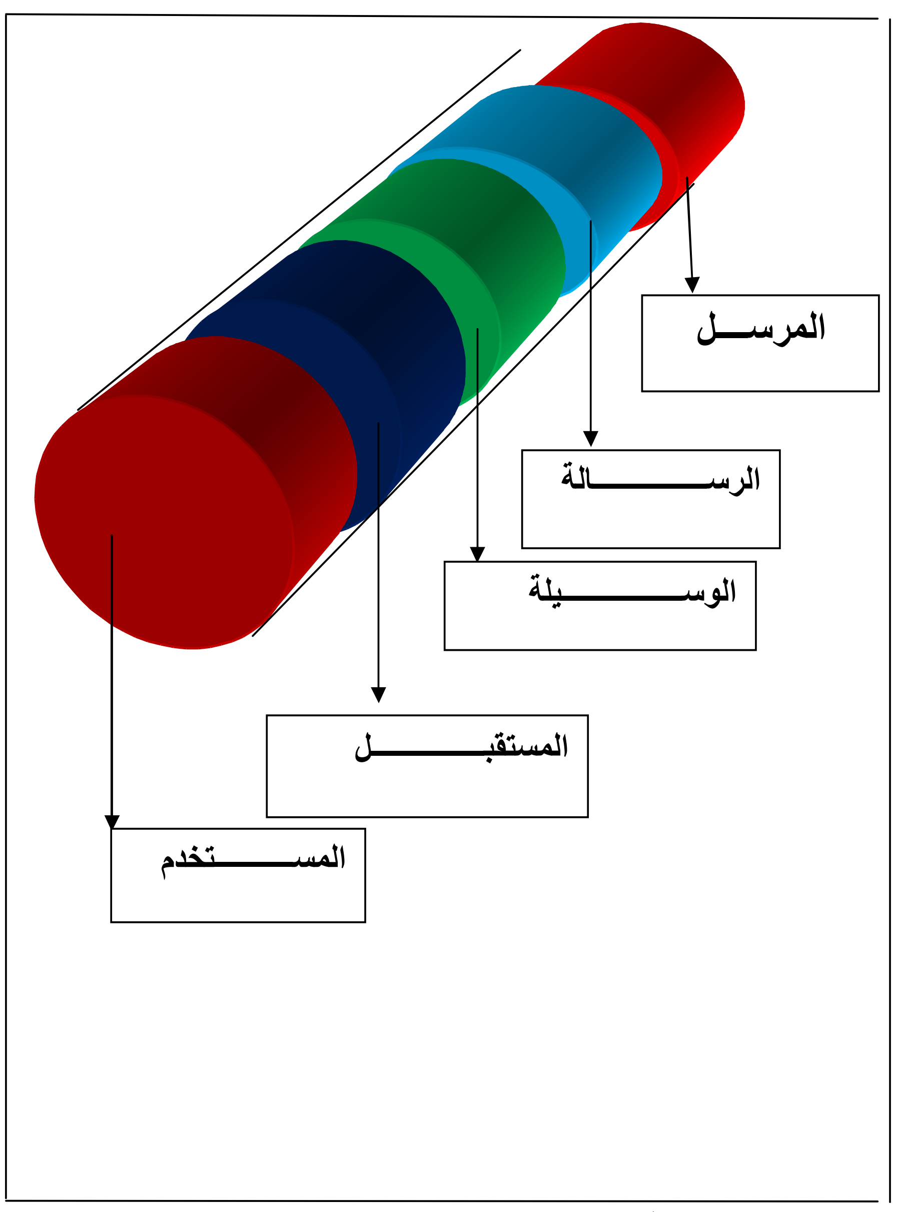
فلو افترضنا أن هناك عدد من المستخدمين ضمن شبكة اتصالية، يستخدمون الإنترنت، ولكن على وفق سرع تحميل مختلفة وكما موضح في الجدول رقم (7). نلاحظ إن حاصل قسمة سرعة الاتصال على زمن الاتصال ينتج عنه حجم الاندماج الاتصالي.

المستخدم	سرعة الاتصال بالكيلو بايت/ ثانية	زمن الاتصال بالثانية	حجم الاندماج الاتصالي/ كيلوبايت
1	4	3	1,33
2	4, 5	2,5	1,8
3	5	2	2,5
4	5,5	1,5	3,66
5	6	1	6
6	6,5	0,5	13

جدول* رقم (7) يوضح علاقة الاستخدام بحجم الاندماج الاتصالي

فلو كان المستخدم الاول على وفق الجدول أعلاه يستخدم الإنترنت على وفق سرعة تحميل (4) كيلو بايت لكل ثانية وأستمر استخدامه (3) ثواني فإن حجم الاندماج الاتصالي هو ناتج قسمة سرعة الاتصال على زمن الاتصال بمقدار (1,33) كيلوبايت. بينما حجم الاندماج الاتصالي للمستخدم السادس، هو (13) بالرغم من إن زمن الاتصال هو أقل من المستخدم الأول لكن سرعة الاتصال للمستخدم السادس تفوق سرعة الاتصال للمستخدم الأول. هذا يعني أن حجم الاندماج الاتصالي يرتبط بعنصر سرعة الاتصال بشكل أساس. وبما أن طبيعة الاستخدام تتوقف على حجم الاندماج الاتصالي. فإن المستخدم السادس هو في حالة أندماج كلي بينما المستخدم الأول في حالة أندماج جزئي.

*جدول أعده الباحث .



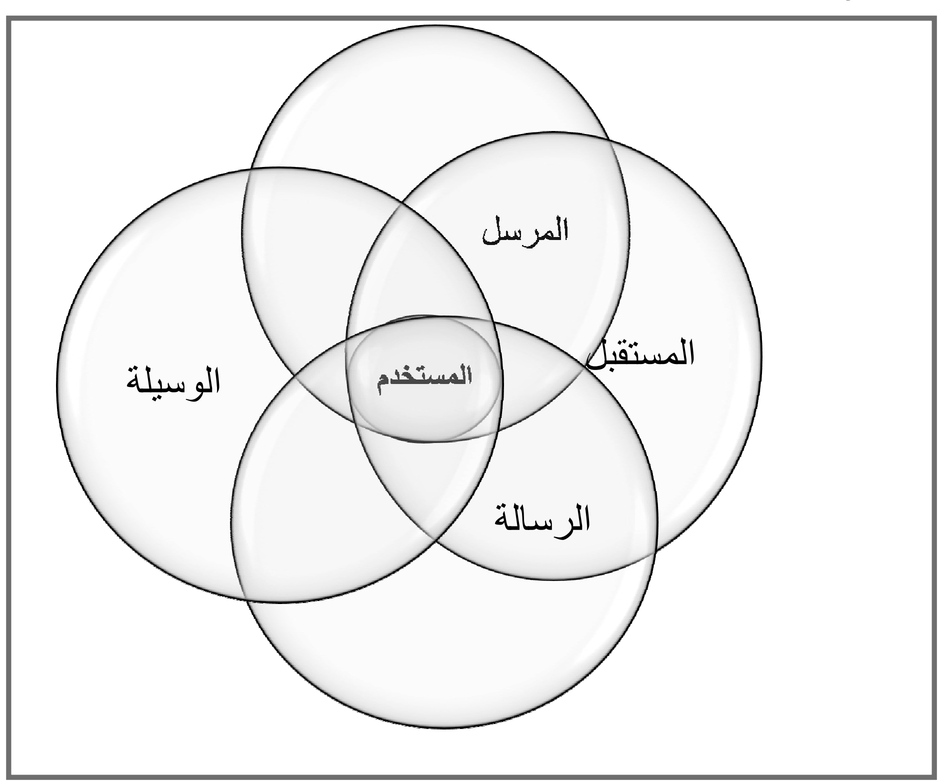
شكل* رقم (14) يوضح الاندماج الاتصالي الكلي

*الشكل أعده الباحث.

ويمكن التعبير عن ذلك على وفق المعادلة* الآتية:

حجـم الانـدماج الاتصـالي في مواقـع الالكترونيـة = سـرعة الاتصـال/ زمـن الاتصال

إذ أن الاندماج الاتصالي يحدده حجم الاستخدام في الموقع الالكتروني، لـذلك يظهر المستخدم بشكل أكثر وضوحاً في المواقع الالكترونية التي يكون فيهـا الاسـتخدام مكثف بشكل كبير.



شكل* رقم (15) يوضح الاندماج الاتصالي الجزئي

---

*معادلة صاغها الباحث على وفق نموذج الاندماج الاتصالي .

*الشكل أعده الباحث .

أولاً : النتائج العامة للدراسة

1-وجود قصور في فروض نظريات الاتصال التي تُعتمد في بحوث الإعلام الجديد، فنظريات مثل الاستخدامات والاشباعات تعتمد على مفهوم الاشباع لم تحدد شكل الاشباع ومداه، فحالة الاشباع التي تقترن بالحاجات الانسانية الضرورية تحتاج إلى اشباع ويمكن للفرد تحديدها والوقوف عندها لكن مع الحاجات المعلوماتية فالوضع مختلف لانها تخضع للمزاج الانساني المختلف بين الافراد.

2- المستخدم لم يعد يعتمد على وسيلة بحد ذاتها في الحصول على المعلومات، فقد قدمت تقنية الاتصال الحديثة، مجالات كثيرة للمستخدم في اختيار منافذ جديدة للمعلومات، مما انتج جيلاً جديداً متعدد المصادر، انعكس على تنوع في الافكار والتصورات، ولم تعد وسيلة الاتصال تمارس ضغطاً نفسياً على المستخدم في تحديد مجال الحصول على المعلومات، وربما يعدها البعض انفلاتاً عن النسق العام لوسائل الإعلام، من جانب مهارات التحرير الصحفي والنشر، واخلاقيات العمل الصحفي.

3-ظهور مفهوم الاندماج الاتصالي، الذي يعدّ نتيجة لتطور الاتصال الشبكي في الإنترنت، والذي يقدم بدوره تفسيراً لظواهر اتصالية لم تكن موجودة قبل عصر الإنترنت.

4-الاندماج الاتصالي فسر مفهوم المستخدم في شبكة الإنترنت بشكل عام ومواقع التواصل الاجتماعي بشكل خاص، بحسب طبيعة الاندماج الاتصالي، إذا كان الاندماج كلي فإن المستخدم يظهر بشكل كبير وواضح وإذا كان الاستخدام جزئي يظهر المستخدم بشكل قليل وغير واضح.

3-ظهور مفاهيم جديدة، تواكب متغيرات الإعلام الجديد تعتمد على ما تقدمه التقنية من تطور متسارع في وسائل الاتصال، مثل مفاهيم، المستخدم، وسائط متعدد، الاندماج الاتصال، الاتصال الشبكي، وسائل التواصل الاجتماعي،

المجال العام وغيرها من المفاهيم التي أحتاجت إلى قاعدة نظرية تفسر طبيعة عملها.

تغير في البيئة الاتصالية عما كانت عليه في وسائل الإعلام والاتصال التقليدية، التي ساعدت وبشكل كبير على حرية التعبير، وتفعيل دور المستخدم في صنع القرار، كما سهمت البيئة الاتصالية الجديدة في تطوير مهارات المستخدم وظهور جيل جديد هو جيل الإنترنت.

5-سرعة الاتصال والزمن،عنصران في العملية الاتصالية، يمثل كل مهما عاملاً فاعلاً، في تحديد خيارات المستخدم، في حجم التفاعل وقوته مع المضامين الاتصالية.

6-الاندماج الاتصالي مفهوم يرتبط بالبيئة الاتصالية الجديدة، يفسر طبيعة العلاقة بين عناصر العملية الاتصالية ضمن مجال الاتصال الشبكي في الإنترنت، إذ قدم المجال العام فرصة كبيرة لاستثمار نتاج الحوارات والمشاركات التي يقوم فيها المستخدم في عملية دمج عناصر الاتصال بالشكل الذي يمكن أختزال الزمان والمكان.

7-زيادة الدراسات والبحوث في مجال الإعلام الجديد، التي تعالج مواضيع ومفاهيم، واكبت ظهور الإنترنت، وتهدف تلك الابحاث إلى إيجاد فهم جديد يتناسب مع متغيرات الإعلام الجديد. وقد أعتمدت أغلب الدراسات على فرضيات نظريات الاتصال السائدة. وقسم منها قام بإعادة صياغة فروض النظرية بالشكل الذي يحقق أهداف البحث العلمي.

8-ظهور فجوة واضحة بين فروض النظرية والتطبيق الميداني للفروض، وقد أعتمد التحليل على تطبيق الفروض، من دون تحليل الفروض، وقياس درجة أنسجامها مع البحث الميداني.

9- إن ظهور نظرية أتصالية أو تطور فروض النظرية له علاقة بالتطور التقني في حقل الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات.

10-تقسيم نظريات الاتصال يخضع إلى منظور علم النفس وعلم الاجتماع، من حيث طبيعة التأثير والمؤثر وعوامل التأثير، فما تزال العلاقة التي تربط النظريات الاتصالية تنبع من فهم علماء الاجتماع والنفس، ونجد ذلك واضحا في صياغة أغلب فروض النظريات، فمحورها الاساس المنبه والاستجابة.

ثانياً : الأستنتاجات العامة للدراسة

أستنتج الباحث إن نظريات الاتصال التي ظهرت في بدايات القرن العشرين والتي واكبت تطور الوسيلة الاتصالية، لم تعد ملائمة بالشكل كافٍ في عصر الإنترنت، الذي نتج عنه ظهور بيئة اتصالية جديدة ونسق إعلامي جديد، قائم على التفاعلية التي تعتمد على تطور سرعة الاتصال وأختزال الزمن. وإن السياق الذي صيغت به فروض نظريات الاتصال كان ينسجم في وقته مع متغيرات التقنية لكن هذه الفروض اظهرت قصوراً نظرياً وميدانياً في بحوث الإعلام عبّر الإنترنت. ويجد الباحث أنه من الضروري البحث عن فروض جديدة تكون أكثر ملاءمة مع متغيرات الظاهرة الاتصالية الجديدة. لذلك كان من الضروري تحفيز الباحثين على البحث في الجانب النظري الذي يمثل المحور الاساس للبحوث الميدانية، فقد وجد الباحث إن الاطار النظري لكثير من البحوث هو إعادة صياغة وتركيب فروض النظرية، من دون تحليل الفروض ومراعاة متغيرات البيئة الاتصالية، وكما هو وأضح فإن مدرسة علم النفس والاجتماع تمارس تأثيراً واضحاً، يظهر في الكثير من البحوث والدراسات، ويتم تفسير النتائج من هذا المنظور، ومن ذلك يستنتج الباحث أن هناك تداخلاً كبيراً في تلك الحقول مع حقل الإعلام، ولعل السبب يبرر بشكل دائم على أن علوم الاتصال ذات مرجعية نفسية واجتماعية، ولعل هذا التفسير ينسجم مع مجتمعات ما قبل الإنترنت، فقد كانت المؤسسة الإعلامية تقوم على عملية التأثير وهي تعتمد في هذا المجال على نتائج دراسات علم النفس والاجتماع بشكل أساس، لكن مع عصر الإنترنت كان من الضروري إيجاد حقل يحتوي فضاء جديد ذات صفات أفتراضية لا ينسجم مع كثير من الافكار التي أوجدها التراث العلمي السابق، فعملية تحويل الفرد من كينونته المادية ذات الصفات والعلامات والدلالات، إلى كينونة رقمية مختلفة

الصفات، تحتاج إلى إعادة النظر في تصوراتنا لعملية الاتصال. لـذلك بالامكـان تقسـيم نظريـات الاتصـال لـيس وفـق مفهـوم التـأثير والاسـتجابة كمـا هـو في علـم الـنفس والاجتماع بل وفـق مفهـوم مسـار العمليـة الاتصـالية لـذلك يقـترح البحـث تقسـيم نظريات الاتصال وفق المسارات التالية:

أ-نظريات الاتجاه الواحد.

ب-نظريات الاتجاه الدائري.

ج-نظريات الاتجاه الشبكي.

ويستنتج الباحث إن عملية بناء نموذج للعملية الاتصالية في الفضاء الافتراضـي، تشكل بداية لإعادة التفكير في تصورات مجتمع مختلـف وعمليـة أتصـالية تعتمـد علـى مفهوم المستخدم الذي يمثل نتيجة عملية الاندماج الاتصالي الـتي تحصـل بفعـل تطـور سرعة عناصر الاتصال وأختزال الزمن، فكلمـا زادت سـرعة الاتصـال يـزداد انـدماج عنصر الاتصال ويزداد دور المستخدم، وأختزل الزمن، كما أن المجال العام هو حصـيلة المجالات الخاصة لعموم المسـتخدمين فكـل زيـادة في عـدد المسـتخدمين تعـني زيـادة في حجم المجال العام.

المصـــــادر والمراجع

القران الكريم.

أولاً : الكتب العربية

1- أبن منظور الإفريقي، لسان العرب، ج2، بيروت، دار صادر، 1961.

2- أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورجين هابرماس الأخلاق والتواصل، بـيروت، دار التنوير، 2012.

3- أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، الكويت، ط5، وكالة المطبوعات، 1982.

4- أسامة هيكل، حروب الجيل الرابـع الإعـلام وتفتيـت المجتمعـات، القـاهرة، دار سمـا، 2015.

5- الاميرة سماح فرج عبد الفتاح، وباقر النجار، وآخرون، الإعلام وتشكيل الرأي العـام وصناعة القيم، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2013.

6- أنطوان نعمة، عصام مدور، لـويس عجيـل، مـتري شمـاس، المنجـد في اللغـة العربيـة المعاصرة، ط2، بيروت، دار المشرق، 2001.

7- بابكر مصطفى معتصم، أيـديولوجيا شـبكات التواصـل الاجتمـاعي وتشـكيل الـرأي العام، الخرطوم، مركز التنوير، 2014.

8- بسيوني إبراهيم حمادة، وسائل الإعلام والسياسة دراسة في ترتيب الأولويات، القاهرة، نهضة الشرق، 1996.

9- بن سـولة نـور الـدين، السـيبرنطيقا ووسـائل الإعـلام، مجلـة جيـل العلـوم الإنسـانية والاجتماعية، العدد الثاني،الجزائر، 2014.

10-بهاء الدين مزيد، المجتمعات الافتراضية بديلاً عن الواقعيـة - كتـاب الوجـوه نموذجـاً، جامعة الامارات العربية المتحدة، 2012.

11- جمال العيفة، الثقافة الجماهيرية، الجزائر، منشورات جامعة باجي مختار، 2003.

12- جمال سند السويدي، وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية : من القبيلة إلى الفيسبوك، دبي، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2013.

13- جمال محمد أبو شنب، السياسات الإعلامية، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية،2010.

14- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1971.

15- حابس سليمان العواملة، الدافعيّة، عمان، دار الاهلية، 2010.

16- حارث عبود، د. مزهر العاني، الإعلام والهجرة إلى العصر الرقمي، عمان، دار الحامد، 2014.

17- حسام إلهامي، أحمد سمير حماد، مها عبد المجيد، مناهج البحث في الإعلام الجديد، القاهرة، شركة الوابل الصيب، 2013.

18- حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، ط 9، بيروت، الدار المصرية اللبنانية، 2010.

19- حسن مظفر الرزو، الفضاء المعلوماتي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2007.

20- حسني محمد نصر، نظريات الإعلام، بيروت، دار الكتاب الجامعي، 2015.

21- حسنين شفيق، مستجدات الإعلام الجديد والتحولات المستقبلية، القاهرة، دار فكر وفن، 2014.

22- حسنين شفيق، الإعلام التفاعلي، القاهرة، دار فكر وفن، 2010.

23- حلمي ساري، التواصل الاجتماعي، عمان، دار كنوز، 2016.

24- خالد وليد محمود، شبكات التواصل الاجتماعي وديناميكية التغيير في العالم العربي، بيروت، مدارك، 2011.

25-خضر درّة، الجرائم المالية في الفضاء الإلكتروني، بيروت، شركة المطبوعات والنشر، 2013.

26-خليدة صديق، مناهج البحث في الإعلام الجديد، عمان، دار الأعصار، 2016.

27-سعيد بنكراد، السميائيات والتأويل مدخل لسميائيات ش.ش. بورس، بيرون، المركز الثقافي العربي، 2005.

28-سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، القاهرة، عالم الكتب، 1994.

29-صادق رابح، فضاءات رقمية، قراءات في المفاهيم والمقاربات والرهانات، بيروت، دار النهضة، 2015.

30-صالح ابو اصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة،عمان، دار آرام للدراسات والنشر، 1995.

31-عامر ابراهيم قنديلجي- حسن رضا النجار، علم المعلومات والنظم التقنية، عمان، دار المسيرة، 2015.

32-عبد الباسط محمد عبد الوهاب، استخدام تكنولوجيا الاتصال في الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني، دراسة تطبيقية ميدانية، صنعاء، المكتب الجامعي الحديث، 2005.

33-عبد الرحمن بن ابراهيم الشاعر، مواقع التواصل الاجتماعي والسلوك الإنساني،عمان، دار صفاء للنشر، 2015.

34-عبد الرحمن عزي، دراسات في نظريات الاتصال نحو فكر إعلامي متميز، ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009.

35-عبد الرحمن عزي، دراسات في نظريات الاتصال نحو فكر إعلامي متميز، مصدر سابق.ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009.

36-عبد الرحيم العطري، الحركات الإحتجاجية بالمغرب: مؤشرات الاحتقان ومقدمات السخط الشعبي،الرباط، وجهة نظر، 2008.

37-عبد العزيـز بومسـهولي وآخـرون، الفلسـفة الألمانيـة والفتوحـات النقديـة قـراءات في استراتيجيات النقد والتجاوز، بيروت، جداول، 2014.

38-عبد الغني عماد، الثقافة وتكنولوجيا الاتصال الـتغيرات والتحـولات في عصـر العولمـة والربيع العربي، بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للنشر، 2012.

39- عبد اللطيف الصديقي، الزمان آبعاده وبنيته، بيروت، المؤسسـة الجامعيـة للدراسـات، 1995.

40-عبد الله الغذّامي، ثقافة تويتر حرية التعبير أو مسؤولية التعـبير، الـدار البيضـاء، المركـز الثقافي العربي، 2016.

41-عبد الله علي الشنبري، ماذا فعل بنا الإنترنت، دبي، دار مدارك، 2014.

42-عبد الله محمد عبد الرحمن، سوسيولوجيا الاتصال والاعلام، الاسـكندرية، دار المعرفـة الجامعية، 2006.

43-عزمي بشارة، الثورة التونسـية المجيـدة : بنيـة ثـورة وصـيرورتها مـن خـلال يومياتهـا، الدوحة، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، 2012.

44-عزمي بشارة، المجتمع المـدني: دراسـة نقديـة، ط6، الدوحـة، مركـز دراسـات الوحـدة العربية، 2012.

45-عصام سلمان موسى، مدخل في الاتصال الجماهيري، القاهرة، دار النور، 1986.

46-علاء هاشم مناف، فلسفة الإعلام والاتصال، عمان، دار صفاء للنشر، 2011.

47-علي جبار الشمري، تصميم إنموذج بناء منهجـي مطـور في بحـوث العلاقـات العامـة، بغداد، دائرة شؤون المواطنين والعلاقات العامة، 2014.

48-علي شاكر الفتلاوي، سيكولوجية الزمن، دمشق، دار صفحات، 2010.

49-علـي محمـد النقـوي، الاتجـاه الغربـي مـن منظـار اجتمـاعي، طهـران، رابطـة الثقافـة والعلاقات الاسلامية، 1997.

50-علي محمد رحومة، الإنترنت والمنظومة التكنو – اجتماعية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2007.

51-فؤادأبراهيم،داعشمنالنجديإلىالبغدادي،بيروت،مركزأوال، 2015

52-فوزي منصور حكيم، سوسيولوجيا الإعلام الجماهيري،عمان، دار أسامة، 2011.

53-فيصل دليو، التكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال، عمان، دار الثقافة، 2010.

54-كامل خورشيد مراد، الاتصال الجماهيري والإعلام التطور الخصائص النظريات، عمان، دار المسيرة، 2011.

55-كريم محمد حمزة، تحليل المضمون الخطاب كمادة للبحث، بيروت، دار مكتبة البصائر، 2012.

56-كريم محمد حمزة، تحليل مضمون الخطاب الاتصالي : سوسيولوجيا فهم الاخر، بغداد، مركز الدراسات الاجتماعية والجنائية، 2006.

57-كمال عبد الطيف، المعرفي الايديولوجي، الشبكي تقاطعات ورهانات، بيروت، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، 2012.

58-ماجد سالم تربان، الإنترنت والصحافة الإلكترونية رؤية مستقبلية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2008.

59-مجد الهاشمي، الإعلام الدبلوماسي والسياسي، عمان، دار أسامة، 2008.

60-مجد الهاشمي، تكنلوجيا وسائل الاتصال الجماهيرية، عمان، دار أسامة، 2012.

61-محمد أمين موسى، العامل النفسي والاتصال : فاعلية الاتصال في الحياة اليومية وعبّر الوسائل، بيروت، مطبعة المعارف الجديدة، 1994.

62-محمد بن سعود البشر، نظريات التأثيرالإعلامي، الرياض،العبيكان، 2014.

63-محمد عابد الجابري، التواصل نظريات وتطبيقات، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2010.

64- محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط3، القاهرة، عالم الكتب، 2010.

65- مصطفى بن تمسك، أصول الهوية الحديثة وعللها مقاربة تشارلز تايلور نموذجاً، بيروت، جداول للنشر، 2014.

66- مصطفى حجازي، الاتصال الفعال في العلاقات الانسانية والادارية، بيروت، مؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، 1990.

67- مصعب حسام الدين قتلوني، ثورات الفيسبوك مستقبل وسائل التواصل الاجتماعي في التغيير، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2014.

68- مفتاح محمد، التشابه والاختلاف، بيروت، الدار البيضاء، 1996.

69- منال هلال المزاهرة، نظريات الاتصال، عمان، دار المسيرة، 2012.

70- مي العبد الله، البحث في علوم الإعلام والاتصال، بيروت، دار النهضة العربية، 2011.

71- مي العبد الله، نظريات الاتصال، بيرون، دار النهضة، 2010.

72- مي العبد الله، المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام والاتصال، بيروت، دار النهضة، 2014.

73- الناصر عبد اللاوي، الهوية والتواصلية، بيروت، دار الفارابي، 2012.

74- نبيل علي - ومجموعة من الباحثين، مدخل لتكوين طالب العلم في العلوم الإنسانية، بيروت، الشبكة العربية للابحاث والنشر، ط2، 2013.

75- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، سلسلة كتب عالم المعرفة 265، الكويت، دار الوطن، 2001.

76- نديم منصور، سوسيوجيا الإنترنت، بيروت، منتدى المعارف، 2014.

77-نصر الدين العياضي، وسائل الاتصال الجماهيري والمجتمع، الجزائر: دار القصبة، 1996.

78-نها السيد عبد المعطي، صحافة المواطن نحو نمط اتصالي جديد، بيروت، دار الكتاب الجامعي، 2015.

79-نهود القادري عيسى، قراءة في ثقافة الفضائيات العربية الوقوف على تخوم التفكيك، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008.

80-هاني عواد وأخرون، السياحة العشوائية عبّر الانترنت- دراسة في تفاعل الشباب الفلسطيني مع الحيز العام الافتراضي، رام الله، الهيئة الفلسطينية للإعلام، 2010.

81-هزوان الوز، الإعلام أدوار وإمبراطوريات، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2012.

82-وديع العزعزي، الإعلام الجديد مفاهيم ونظريات، عمان، دار المناهج، 2015.

83-وليد زكي، المشاركة عبّر المجتمع الافتراضي، مجلة الديمقراطية، القاهرة، أكتوبر، 2010.

84-وليد زكي، نظرية الشبكات الاجتماعية من الايدلوجيا إلى الميثولوجيا، القاهرة، المركز العربي لابحاث الفضاء الالكتروني، 2012.

85-يمنى العيد، في معرفة النص، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1983.

الكتب المترجمة إلى العربية

1- أ. مولز – ك. زيلتمان في التداولية المعاصرة والتواصل، ترجمة : محمد نظيف، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 2014.

2- أرمان – ميشيل ماتلار، ترجمة : د. نصر الدين لعياضي، د. الصادق رابح، تاريخ نظريات الاتصال، ط3، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005.

3- أرمان وميشال ماتلار، ترجمة: نصر الدين العياضي والصادق رابح، تاريخ نظريات الاتصال، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2005م.

4- إريك ميغريه، ترجمة : موريس شربل، سوسيولوجيا الأتصال ووسائل الإعلام، بيروت، دار جروس برس، 2009.

5- ألن هاو، النظرية النقدية "مدرسة فرانكفورت، ترجمة : ثائر ديب، دمشق، منشورات وزارة الثقافة السورية، 2005.

6- أمارتيا سن، فكرة العدالة، ترجمة : مازن جندلي، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010.

7- أميتاي إتزيوني، ترجمة : ندى السيّد، الخير العام إشكاليات الفرد والمجتمع في العصر الحديث، بيروت، دار الساقي، 2005.

8- أنتوني غاندز، ترجمة : فايز الصياغ، علم الاجتماع – مع مدخلات عربية، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط 4، 2005.

9- أنتوني غدنز، علم الاجتماع: مدخلات عربية، ترجمة : فايز الصايغ، ط2، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2005.

10- اندريا بريس وبروس ويليامز، ترجمة : شويكار زكى، البيئة الإعلامية الجديدة، القاهرة، دار الفجر، 2012.

11- إيريك كيسلاسي، الديمقراطية والمساوات، ترجمة : جهيدة لاوند، بيروت، معهد الدراسات الاستراتيجية،2006.

12- برنارد بولية، نهاية الصحافة ومستقبل الإعلام: ترجمة خالد طه الخالد، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2011،

13- بسكال بونيفاس، المثقفون المغالطون الانتصار الإعلامي لخبراء الكذب، ترجمة : عبد الرحمن مزيان، بيروت، دار الروافد الثقافية، 2015.

14- بول كروغمان، تحليل النظريات الاقتصادية، ترجمة: رانيا محمد عبد اللطيف، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات، 2007.

15-بول هوبر، نحو فهم للعولمة الثقافية، ترجمة : طلعت الشايب، القاهرة، المشروع القومي للترجمة، 2011.

16-جان بودريار، ترجمة : جوزيف عبد الله، المصطنع والاصطناع، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2008.

17-جوست فان لوون، تكنولوجيا الإعلام رؤية نقدية، ترجمة : شويكار زكي، القاهرة، مجموعة النيل العربية، 2009.

18-جون بول لافرانس وأخرون، نقد مجتمع المعلومات، ترجمة خالد طه خالد، بيروت، دار ضفاف، 2013.

19-جون سكوت، خمسون عالماً أجتماعياً المنظرون المعاصرون، ترجمة: محمود محمد حلمي، ط2، بيروت، الشبكة العربية للابحاث والنشر، 2013.

20-جون هارثلي وأخرون، ترجمة : بدر السيد سلمان الرفاعي، الصناعات الابداعية، الكويت، عالم المعرفة، 2007.

21-جيل ليبوفيتسكى، جان سيرو، شاشة العالم ثقافة وسائل إعلام وسينما في عصر الحداثة الفائقة، ترجمة راوية صادق، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2012.

22- دافيد ستيورات، بريم شامداساني و ديني سروك، الجماعات البؤرية النظرية والتطبيق، ترجمة : راقية جلال الدويك، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2012.

23-دان بارني، ترجمة : انور الجمعاوي، المجتمع الشبكي، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.

24-دانكن جيه واتس، ترجمة : أميرة على عبد الصادق، الدرجات الست وأسرار الشبكات، القاهرة، دار كلمات للترجمة، 2013.

25-دنيس مكويل، الإعلام وتأثيره دراسات في بناء النظريات الإعلامية، ترجمة : عثمان العربي، الرياض، دار الشبل، 1992.

26-دون تابسكوت، جيل الإنترنت كيف يغير جيل الإنترنت عالمنا، القاهرة، دار كلمات، 2012.

27-رتشارد واطسون، ملفات المستقبل موجز في تاريخ السنوات الخمسون المقبلة، ترجمة: عمر سعيد الايوبي، ابو ظبي، دار كلمات، 2011.

28-روث فوداك، ميشيل ماير، مناهج التحليل النقدي للخطاب، ترجمة : حسام أحمد فرج، عزة شبل محمد، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2014.

29-ريجيس دوبريه، محاضرات في علم الإعلام العام الميديولوجيا، ترجمة : د. فؤاد شاهين، د. جورجيت الحداد، بيروت، دار الطليعة، 1996.

30-ريموند واكس، الخصوصية، ترجمة : ياسر حسن، القاهرة، دار كلمات، 2013، ص 56.

31-سام برايك، القومية في عالم العولمة، ترجمة : بدوي عبد الفتاح، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2015.

32- فرانسيس بال – جيرار إيميري، وسائط الإعلام الجديد، ترجمة : فريد أنطونيوس، بيروت، عويدات للنشر، 2001.

33-فرانسيس بال، الميديا، ترجمة : فؤاد شاهين، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008.

34-فيليب بروتون – سيرج برو، ثورة الاتصال نشأة ايديولوجيا جديدة، ترجمة : هالة عبد الرؤوف مراد، القاهرة، دار المستقبل العربي، 1993.

35-فيليب ريتور، سوسيولوجيا التواصل السياسي، ترجمة : د. خليل أحمد خليل، بيروت، دار الفارابي، 2008.

36-كلود ليفي شتراوس، الانتربولوجيا البنيوية، ترجمة : مصطفى صالح، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، 1977.

37-كلود ليفي شترواوس، مدارات حزينة، ترجمة : محمد صبح، دمشق، دار كنان، 2003،

38- لاري دايموند ومارك بلاتنر، تكنولوجيا التحرُر وسائل الإعلام الاجتماعي والكفاح في سبيل الديمقراطية، أبو ظبي، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2013.

39-مارسيل لوبران، تكنولوجيات للتعلم والتعليم، ترجمة : سامي عامر، بيروت، دار الفارابي،2009.

40-مارك جيمنز، ما الجمالية ؟، ترجمة : شربل داغر، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2009.

41-مانويل كاستلز، سلطة الاتصال، ترجمة : محمد حرفش، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2014.

42-مانويل كاستلز، سلطة الاتصال، ترجمة : محمد حرفوش، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2014.

43- ميشيو كاكو، كون إنشتاين : كيف غيرت رؤى ألبرت إنشتاين من إدراكنا للزمان والمكان، ترجمة : شهاب ياسيت، القاهرة، كلمات عربية للترجمة والنشر، ط2 2012.

44-ميشيل فوكو، فوكو صحفياً، ترجمة : البكايولد عبد الملك، بيروت، جداول، 2012

45-هربرت ماركوز، الأنسان ذو البعد الواحد، ترجمة : جورج طرابيشي، بيروت، دار الاداب، 1969.

46-هوركهايمر وأدورنو، ترجمة : جورج كتورة، جدل التنوير.. شذرات فلسفية، (بيروت، دار الكتاب الجديد، 2006.

الكتب الاجنبية

1- Davis. R and Owen ,D. " new media and American politics , New York : oxford university press,(1998).

2- Bergland R, Crawford L, Noe S. and Ellsworth M. " Multimedia features and newspaper websites : A2007 content analysis of daily newspaper , paper presented to the Convergence and Society Conference, Columbia, SC,October. (2008).

3- Bryant. J. and P. Vorderer. Psychologh of Entertainment.Mahwah , NJ: Erlbaum.(2006).

4- Busy, E.P and C.C. Tao, " The mediated moderation model of Interactivity, media Psychology, USA, Vol 9, , (2007)..

5- Carey, J. " Communication as Culture" , Routledge. New York and London(1989).

6- Cashmore, Ellis, and Rojet, Chris : " Dictionary of Cultural Theorists". Edward Amold pulplishers, LTD, New York. (1999).

7- Cooper, Roger W., Potter, James, and Dupagne,Michael." A status report on methods used in mass communication research " , Journalism Educatars, (winter-1994).

8- David Berlo, " The Process of communication An Introduction to Theory and Practices", N.Y.Holt, Rinehart and Winston , (1963).

9- David Giles , " Media Psychology " , Lawrence Erlbaum Associates, New York. (2003)..

10- Deanna Zandt, " Share This! How you will you change the world with social networking " , Berrett – Koehler publishers , Inc.San Francisco, (2010).

11- Defleur , M. L. " Where have all milestones gone ? The decline of significant re-search on the process and effects of mass communication" , Mass Communication & Society, (1998).

12- Fidler, Roger. " Mediamorphosis : Understanding New Media ", London : Forge Pres,(1997).

13- Deuze, M. " What is multimedia Journalism ? " Journalism Studies , No : 5 ,(2004).

14- Dobrow, J. R. Patterns of viewing and VCR use : Implications for cultivation analysis. In N. Signorielli and M. Morgan, eds., Cultivation Analysis : New Directions in Media Effects Research, Newbury park, (1990).

15- E. Fredin , " Rethinking the news story for the internet : hype-story Prototypes and a model of the user" , Journalism Monographs, vol.163, September, (1997).

16- F. Kerlinger," Foundations of Behavioral Researc" , New

17- Feenberg." Questioning Technology ", London , Routledge, (1999) , p.10.

18- Fidler, R. " Mediamorphosis understanding new media " Thousand Oaks ,(1997).

19- Gerboer , G., L. Gross, " Living with television : The violence profile". Journal of Communication ,(1976).

20- Gordon Finlayson, James," Habermas a very short In troduction " , Oxford University Press Inc, Published in the United States , New York , (2005).

21- Grant. " Technology and Justice ", Toronto, House of Anansi,(1969), p. 21.

22- H. Lasswell , " The Structure and Function of Communication in Society" In W. Schramm and Ropers (eds), Urbana: University of iLLinois press, (1964).

23- Hammond , Allen. et al." The Next 4 Billion: Marken Size and Business Strategy and the Base of the pyramid ". Washington , DC: world Resources Institute, (2007).

24- Habermas, " Political communication in Media Society : Does Domocracy Still E an Epistemic Dimension? International Communicatio Association, communication theory , Vol 16, 2006.

25- Hannerz , " Global Ecumene as a Network of Network" , in A. Kuper(ed.) , conceptualizing society, London : Routledge. (1992).

26- J. Carey, " A cultural Approach To Communication Essays on Media and Society", New York ,Routledge, (1989).

27- J. D. Lasica, " Net gain Journalism's challenges in an interactive age " , American Journalism R-view, Vol 20, No2(1996)..

28- Jacobson , Susan. " Transcoding the news : An investigation into multimedia Journalism Published on nytimes , com 2000-2008 ". New Media and Society , (2012).

29- Jae.Shin Lee, " Interactivity:A New Approach, paper presented at the Association for education in Lournalism and mass communication, phoenix, AZ, (2000).

30- James Slevil , " The Internet and Society " Blackwell Publishing ,USA, (2003).

31- James Slevin , " The Internet and Society " ,printed in great Britain by MPG book, Bodmin , Cornwall. (2003).

32- Jess Rice , " The church of facebook: how the hyperconnected are redefining community" , Colorado , USA , (2009).

33- Jesse Rice , " The church of facebook : how the hyperconnected redefining community ", Printed in the united states of America , , (2009).

34- John V. Pavlik, " Journalism and New Media". New York Chichester, West Sussex ,Columbia University Press,(2001).

35- Joss Hands, " Is for Activism: Dissent, Resistance and Rebellion in a Digital Culture" , (2011). London, Pluto press, p77.

36- Jurgen Habermas , " Between facts and Norms : Contributions to a Discourse Theoy of Law and Democracy , Studies in Contemporary German Social ". Cambridge, MA: MIT Press. (1996).

37- Knobloch, S., & Zillmann, D." Mood management via the digital jukebox". Journal of Communication, (2002).

38- Lev Manovich faculty profile at European Graduate School, Saas-Fee

39- Liu, Yuping and Shrum , L. J. Adual –Process, " Model of Interactivity Effects" , Journal of advertising, American Academy of advertisin, Vol. 38, No. 2, (2009).

40- Manovich. L. " The Language of New media" Cambridge , MA : MIT Press,(2001).

41- Manual Castells , " The Rise of the network Society ",Blackwell publishers Ltd. USA. (2000).

42- McDonald , S., and R. J. Stevenson , " Effects of text structure and prior Knowledge of the learner on navigation in hypertext " , The Journal of the Human Factors and Ergonomics Society , (1998).

43- McMillan, S.J.,and E.,J. Downes, " Interactivity: A qualitative exploration of definitions and models" Paper presented to the Association for Education in Journalism and Mass Communication , Baltimore, Maeyland,(1998).

44- Moles A., " Theorie structurale de la communication, Masson. Paris, (1986).p43

45- Lev Manovich ," The Language of New Media". The MIT, Press cambridge, Massachusetts London , England,(2001).

46- Morgan,M., and N. Signorielli. " Cultivation analysis : Conceptualization and methodology, (1990).

47- Negroponte N. "Being Digital". USA, Alfred A. Knopf,(1995).

48-Palmgreen, P., Wenner, L.A., & Rosengren, K.E," Uses and gratifications research: the past ten years". In K.E. Rosengren, L.A. Wenner, & P. Palmgreen (Eds.), Media gratifications research: current perspectives. (1985).

49- Patricia Drentea and Jennifer L. Moren-Cross, " Social capital and social support on the web: the case of an internet " ,mother site, Sociology of Health, Blackwell Publishing Oxford, ,(2005).

50- Perse, E.M.,D.A. Ferguson, and D.M.McLeod. " Cultivation in the newer media environment ". Magazine Communication Research, (1994).

51 - Quandt ,t. " No news on the World Wide Web : A comparative content analysis of online news in Europe and the United States " , Journalism Studies , No :9 (2008).

52- Robert L. Heath and Jennings Bryant. " Human Communication Theory and Research " Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates. (1992).

53- Rogers, E.M. " The empirical and critical schools of communication research ". communication Yearbook , (1982).

54- Rubin, A. M." Uses – and Gratifications Perspective on Media Effects " , In J Bryant and M. B. Oliver, eds.,Media Effects : Advances in Theory and Research. New York : Routledge. (2009).

55- S.H Chaffee, and C. R. Berger, " What communication Scientists do" , In C.R.Berger and S.H.Chaffee (eds), Handbook of communication Science, Newbury Park, Calif: sage. (1987).

56 - Monge. Peter and Contractor, Noshir. " Theories of communication Networks " ,. Oxford: Oxford University Press(2003).

57 - Salder.F , " Castels" , John Willey And sons Ltd. Books ,UK,(2008).

58- Sally J. MCMillan and Jang Sun Hwang. " Measures of Perceived Interactivity : An Exploration of the Role of Direction of communication, User control, and time in shaping Perception of Interactivity" ,USA, Journal of Advertising, , (2002).

59- Sheizaf Rafaeli, and Fay Sudweeks, "Networked Interactivity", Journal of Computer-Mediated Communication Volume 2 , (1997).

60- Shrum, L. J. "The Psychology of Entertainment and Persuasion". Mahwah,NJ:Erlbaum. (2004).

61- Siegel.D ," Social Networks and Collective Action American Journal Of Political Science.vol 53 , January.No 1", (2009).

62- Song, J.H, and G.M. Zinkhan, " Determinats of Perceived Web site Interactivty" , Journal of Marketing, vol. 72, No. 2, , (2008).

63- Stanley Baran, " Mass Communication Theory: Foundations Ferment, and Future " , United States of America, Boston, (2011).

64- Thompson, John B: "The media and modernity,A social Theory of the Media" , Cambridge: polity, (1995).

65- Vallath , C , " The technology of convergence" , In M. Hukill , R. One , & C. Vallath (Eds) , Electronic communication convergence : Policy challenges in Asia Sage , New Delhi , (2000).

66- Van Dalen, D.B , " Understanding Educational Research" , Mc Graw Hill, New York, (1973).

67- Pavlik, J.V , " New media technology and the information superhighway " , Allyn and Bacon , Boston , (1996).

68 -Van DER Hulst ,"Introduction to network analyses(S N A) as investigative tool", Springer Science and Business Media, Published online: 13 December,Ebsco host database, , (2008).

69- Werner j. Severin –James W.Tankard, Jr, "communication Theories". United states, (2000)..

70- West, R., Turner, L. H, " Introducing communication theory: Analysis and application" , McGraw-Hill, New York(2007).

71- Williams,F.,R.E., Rice, and E.M. Rogers, " Research Methods and the New Media", New York, The Free Press,(1988).

72- Wood, J.T. " Communication theories in Action: An Introduction", Belmont, CA: Wadsworth, (1997).

73-Gerboer , G., L. Gross, M. Morgan, and N. Signorielli. " The mainstreaming of America Violence profile". (1980).

74-John Gerard Ruggie, " Continuity and Transformation in the World Polity: Toward a Neorealist Synthesis" World Politics No: 32, (1983).

75-Oliver, M. B. Mood management and selective exposure. In J. Bryant, D. Roskos-Ewoldsen, & J. Cantor (Eds.), Communication and emotion: Essays in honor of Dolf Zillmann, Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates, (2003).

76-Roger Bautler , " De La Rhetorlque a La ccmmunication " , PUG Collection, grenoble, Paris , (1994).

77-Thomas E. Ruggiero, " Uses and Gratifications Theory in the 21st Century" , Communications Department University of Texas at El Paso, (2000).

78- Albert. Laszlo Barabasi, " How Everything is Connected to Everything Else and what it Means" , New York, plume , (2003).

79-F. Kerlinger," Foundations of Behavioral Researc" , New York: holt, Rinehrat & Winston, (1973).

80 - Barry Wellman & Melina Gulia , " Virtual Communities as Communities : Net Surfers Don't Ride Alone " , in M.A. Smith and P. Kollock (eds) , Communities in Cyberspace, London : Routledge. (1999).

81- Keane. " Civil Society : Old Images, New Visions". Stanford, CA: Stanford University Press. " ,(1998).

مواقع الإنترنت

http://www. toupie. org/Dictionnaire/Integration. Htm

www.whitehouse.gov/the-press-office/2011/01/25

http://outthinkgroup.com/tips/the-6-types-of-social-media,

http://www.acrseg.org/10126

/http://ar.wikipedia.org/wi

https://fr.new.yahoo.com/030625/5/39zuy.html

http://investor.fb.com/releasedetail.cfm?ReleaseID=908022

http://www.hitl.washington.edu/people/susan/musings/e-place3.html

http://www.afrigatenews.net/content

www.medicalnewstoday.com

http://www.huffingtonpost.com/gwenn-okeeffe /

http://www.alyaum.com/article/1082671

http://mawdoo3.com

http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&ald=77932

http://wearesocial.com/uk/blog/2014/08/global-social-media-users-pass-2-billion

www.uofrmetic.nmu.se,

www.isoc.orglinet2000/cdproceedings/29/29_1.htm.

http://www.polity.co.uk/book.asp

https://www.noonpost.net

المجلات العلمية

1-حماد أبو شاويس، مشكلة المصطلح في النقد الادبي الحديث، عمان، مجلة كلية التربية – المجلد الاول، العدد الاول، كانون الثاني،1997.

2-سمير شيخاني، الإعلام الجديد في عصر المعلومات، مجلة جامعة دمشق العددان 1-2. 2010.

3-عبد الرحمن محمد سعيد الشامي، أفاق الاتصال والتواصل في بيئة الإعلام الجديد دراسة ميدانية لعينة من الشباب الجامعي اليمني، مجلة الاتصال والتنمية، العدد 2، بيروت، دار النهضة العربية، 2011.

4-عثمان بن محمد الأخضر العربي، النظريات الإعلامية المعيارية ماذا بعد نظريات الصحافة الأربع، حوليات كلية الآداب عدد 16،الكويت، مجلس النشر العلمي، 1996.

5-مرسي مشري، شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية نظرة في الوظائف، دراسة منشور في مجلة المستقبل العربي،العدد 396 كانون الثاني، 2012.

التقارير والدراسات

1- خوني ضيف الله، المنهج النقدي عند كارل بوبر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، 2005.

2- سعيد محمد الغريب النجار، التفاعلية في الصحف العربية على الإنترنت، أبحاث المؤتمر الدولي للإعلام الجديد : تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين، 7-9 نيسان، 2009.

3- عبد الله زين الحيدري، الإعلام الجديد النظام والفوضى، ابحاث المؤتمر الدولي، " الإعلام الجديد : تكنولوجيا جديدة لعالم جديد"، جامعة البحرين، 2009.

4- وليد رشاد ، المواطنة في المجتمع الافتراضي : تأملات نظرية على مرجعية الواقع المصري، بحث مقدم إلى المؤتمر السنوي العاشر ، للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة، الفترة من 16- 19 مايو 2009.

المقابلات

1- د. أحمد عبد المجيد، تدريسي في كلية الإعلام – جامعة بغداد، مقابلة أجراها الباحث بتاريخ : 5/ 10 / 2016

2- د. حسن كامل، تدريسي في كلية الإعلام – جامعة بغداد، مقابلة أجراها الباحث بتاريخ: 13 / 7 / 2016

3- د. حسين علي نور، تدريسي في كلية الإعلام – جامعة بغداد، مقابلة أجراها الباحث بتاريخ : 24 / 10 / 2016

4- د. حمدان السالم، تدريسي في كلية الإعلام – جامعة بغداد، مقابلة أجراها الباحث بتاريخ: 29 / 6 / 2016

5- د. سهام الشجيري، تدريسية في كلية الإعلام – جامعة بغداد، مقابلة أجراها الباحث بتاريخ : 28/ 1 / 2016

6- د. شريف السعدي، تدريسي في كلية الإعلام – جامعة بغداد، مقابلة أجراها الباحث بتاريخ : 20/ 9 / 2016

7- د. شكرية السراج، تدريسية في كلية الإعلام – جامعة بغداد، مقابلة أجراها الباحث بتاريخ: 11 / 10 / 2016

8- د. عبد المنعم الشمري، تدريسي في كلية الإعلام – جامعة بغداد، مقابلة أجراها الباحث بتاريخ : 30 / 6 / 2016

9- د. عبد النبي خزعل، تدريسي في كلية الإعلام – جامعة بغداد، مقابلة أجراها الباحث بتاريخ : 12/ 10 / 2016

10- د. علي الشمري، تدريسي في كلية الإعلام – جامعة بغداد، مقابلة أجراها الباحث بتاريخ : 16 / 8 / 2016

11- د. محمد فلحي، تدريسي في كلية الإعلام – جامعة بغداد، مقابلة أجراها الباحث بتاريخ: 26 / 9 / 2016

12- د. ندى العمار، تدريسية في كلية الإعلام – جامعة بغداد، مقابلة أجراها الباحث بتاريخ : 4 / 7 / 2016

13- د. نزهت الدليمي، تدريسية في كلية الإعلام – جامعة بغداد، مقابلة أجراها الباحث بتاريخ : 27 / 9 / 2016

14- د. هاشم حسن، تدريسي في كلية الإعلام – جامعة بغداد، مقابلة أجراها الباحث بتاريخ: 8 / 7 / 2016